www.ibtesama.com/vb

الهيئة المصرية العامة للكتاب
سلسلة الجوائز
سلسلة الجوائز ٦٠

رواية

مذكرات چين سومرز

دوريس ليسنج

مذكرات جارة طيبة

ترجمة : رانية خلاف

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

دوريس ليسنج

• كاتبة إنجليزية ولدت في إيران ٢٢ أكتوبر ١٩١٩، حيث كان والدها يعمل ضابطا في الجيش البريطاني، واتخذت لقبها "ليسنج" من زوجها الثاني.

• لم تكمل دراستها النظامية وعكفت منذ سن مبكرة على دراسة الأدب منذ القرن التاسع عشر.

• تميزت أعمالها الأدبية بالنضال ضد المظالم والإستعمار والتمييز العنصري وبالتأكيد لحقوق المرأة.

• لفتت إليها الأنظار بقوة عند صدور روايتها الأولى "العشب يغني" عام ١٩٥٠، ثم توالت أعمالها ومع صدور روايتها "المفكرة الذهبية" تحولت "دوريس ليسنج" إلى أيقونة للحركات النسائية.

• من أهم أعمالها "الإرهابية الطيبة"، "تحت جلدي"، "الشق"، "ماراو دان"، "تعليمات للهبوط إلى الجحيم"، "الطفل الخامس"، "بن يجوب العالم"، "مذكرات جين سومرز"، "اللعب مع النمر".

حصلت على العديد من الجوائز منها جائزة الدولة النمساوية للأدب الأوروبي، وجائزة أمير آستورياس في الأدب، وجائزة لوس انجلوس تايمز للكتاب. وحصلت على لقب وصيفة شرف من الجمعية الملكية للآداب. ونالت شهادة فخرية من جامعة هارفارد. وذلك قبل أن تتوج مسيرتها الإبداعية بالحصول على جائزة نوبل في الآداب لعام٢٠٠٧.

الجائزة: جائزة نوبل في الآداب

أكبر جائزة في العالم، وأعلى مرتبة من جميع التقديرات. تمنح في فروعها المختلفة كل عام في العاشر من ديسمبر، وهو تاريخ وفاة صاحبها الصناعي السويدي ومخترع الديناميت "الفريد نوبل" الذي أسسها عام ١٨٩٥، كدعوة لتحقيق السلام في العالم.

ومنذ عام ١٩٠١ أصبح العالم كله ينتظر توزيع الجائزة على الأدباء والعلماء ودعاة السلام، الذين يقومون بإنجازات أدبية وعلمية وخدمات اجتماعية نبيلة تهدف إلى رقي الإنسانية وتطورها.

وجائزة نوبل في الآداب هي أرفع جائزة أدبية في العالم، وهي تمنح لقمم الإبداع في فروعه المختلفة: رواية.. شعر.. مسرح.

وأول من حصل عليها من العالم العربي الكاتب المصري "نجيب محفوظ" عام ١٩٨٨.

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

مذكرات جارة طيبة

رئيس مجلس الإدارة | أ. د. محمد صابر عرب
رئيس التحرير | د. سهير المصادفة
مدير التحرير | السماح عبد الله
سكرتير التحرير | وردة عبد الحليم
التصميم الجرافيكى | د. مدحت متولى
الاخراج الفنى | صبرى عبد الواحد
علی أبو الخير

ليسنج، دوريس.
مذكرات جارة طيبة: مذكرات چين سومرز/
تأليف: دوريس ليسنج؛ ترجمة: رانية خلاف.ــ
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠.
٤٨٠ ص ؛ ٢٢ سم .
تدمك ٠ ٢٧٢ ٤٢١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ القصص الإنجليزية.
أ ـ خلاف، رانية (مترجم)
ب ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٤١٢٢/ ٢٠١٠
I. S. B. N 978 - 977 - 421 -272 - 0
ديوى ٨٢٣

مذكرات جارة طيبة

دوريس ليسنج

رواية

ترجمة : رانية خلاف

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٠

• الكتاب: مذكرات جين سومرز «مذكرات جارة طيبة»
The Diary of Agood Neigbour by Jane Somers
• تأليف: دوريس ليسنج Doris Lessing
• ترجمة: رانية خلاّف.
• يصدر هذا الكتاب باللغة العربية بإذن خاص من المؤلفة للهيئة المصرية العامة للكتاب.
• جميع حقوق الإصدار باللغة العربية محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب فى مصر والخارج.
• جميع الحقوق الأخرى محفوظة للمؤلفة.
Copyright© Jane Somers 1983
• الطبعة الأولى ٢٠١٠.
• طبع فى مطابع الهيئة المصرية للعامة للكتاب.

مقدمة

لقد كنت أفكر منذ سنوات فى أن أكتب رواية باسم مستعار. مثلما يفكر، معظم الكتاب، أكاد أجزم بذلك. كم منهم يفعل ذلك؟ إنه أمر خارج نطاق معرفتنا، بطبيعة الأمر. ولكننى انتويت من البداية أن أكون واضحة فقد أردت فقط أن أصنع تجربة صغيرة.

لقد كتبت مذكرات جارة طيبة لأسباب عديدة. الأول: إننى أردت أن تراجع الرواية نقديًا بسبب قيمتها الأدبية، ككاتبة جديدة، بدون المصلحة المرتبطة بـ"الاسم"، أن أتحـرر من ذلك القفص الخاص بالارتباطات والرموز، التى تعلم أن يعيش بداخلها كل كاتب كبير. من السهل التنبؤ بما سيقوله النقاد. لا تنس أن الرموز والكلشيهات تتغير. بدءاً بالعشب يغنى ـ كان الاكلشيه الخاص بى هو، إنها كاتبة تهتم بحاجز اللون (المصطلح العتيق للعنصرية) ـ عن الشيوعية ـ النسوية ـ الغموض، إنها تكتب أدب خيال الفضاء، الخيال العلمى. كل من هذه الاكلشيهات عملت لسنوات قليلة.

ثانياً: أردت أن أبهج الكُتاب الشبان، الذين غالبًا ما يعانون من الكتابة الأولى، من خلال توضيح أن

بعض التصرفات و العمليات المعينة التى ينبغى أن يخضعوا لها ما هى إلا إجراءات آلية، و ليس لها علاقة بهم بشكل شخصى، أو بنوع أو درجة موهبتهم.

سبب آخر، بصراحة و إن كان بشكل قاس نوعًا ما: لقد صرح بعض النقاد بأنهم يكرهون سلسلة الحواجز الشفافة، لِمَ لَمْ أكتب بشكل واقعى، بالطريقة التى اعتدت الكتابة بها من قبل: بشكل مفضل المفكرة الذهبية مرة أخرى لقد أرسلت هذا العمل تحت عنوان مذكرات جارة طيبة و لكن لم يدركنى أحد. يعتقد بعض الناس أنه من المعقول أن قارئًا مخلصًا لعمل الكاتب ينبغى أن يكون قادرًا على أن يدرك الأمر من الأسلوب والإمضاء، البعض الآخر لا يمكنه أن يدرك ذلك.

مرة أخرى، حينما بدأت فى كتابة سلسلة الحواجز الشفافة، فوجئت بأننى أجد نفسى أكتب بشكل حر، و بطرق لم أستخدمها من قبل. تعجبت إن كان هناك ثمة تحرر مشابه لو كنت أكتب بضمير المتكلم بوصفى شخصية مختلفة. بالطبع، كل الكتاب يصبحون شخصيات مختلفة طوال الوقت، ونحن نكتب عنهم، كل شخصياتنا هى بداخلنا فى مكان ما. (يمكن أن يكون ذلك تفكيرًا مرعبًا). و لكن كتابًا بأكمله سيكون شأنًا آخر، بمعنى تنشيط الجاليرى المزدحم بالبشر المسكون بداخل كل منا، يقويه أو يقويها، يطلق إمكاناته أو إمكاناتها لتتطور بحرية. وانتهى الأمر بأن جين سومرز قد كتبت بطريقة لا تستطيع دوريس

ليسنج أن تكتبها. لقد تجاوز الأمر مجرد استخدام تحول شاذ للجملة او استخدام صفة لاقتراح شخصية صحفية و هى أيضًا روائية رومانسية ناجحة: جين سومرز لا تعرف أى شىء عن الجفاف، مثل الوعى الذى يوجه دوريس ليسنج فى أى شىء تكتبه و بأى أسلوب. على أية حال، هناك العديد من الأساليب المختلفة، أو نغمات صوتية، فى سلسلة الحواجز الشفافة - دون ذكر مختصر للانحدار إلى جهنم ومذكرات ناجٍ وفى بعض الأحيان فى الكتاب ذاته. قد يظن البعض أن هذه طريقة منفردة للكتابة عن دوريس ليسنج، وكأننى لست هى: إنه الاسم الذى يمنحنى الفرادة. على أية حال هذا هو الاسم الثالث الذى امتلكته: الأول، تايلر، وهو اسم أبى، الثانى هو ويسدوم (الآن أجرب هذا الاسم من أجل حجمه!، وهو اسم زوجى الأول، والثالث هو اسم زوجى الثانى. بالطبع كان هناك ماكفيج، وهو اسم أمى، و لكن هل أنا إسكتلندية أم أيرلندية؟ بالنسبة لدوريس، كان الاسم اقتراح الطبيب، الذى قام بتوليدى، لأن أمى كانت مقتنعة حتى اللحظة الأخيرة أننى صبى. لو كنت ولدت قبلها بست ساعات لكان اسمى هوراتيا، بسبب يوم نيلسون. ماذا كان ذلك سيصنع بى؟ فى بعض الأحيان أتعجب ما هو اسمى الحقيقى: من المؤكد أن لى اسمًا؟

عامل مؤثر آخر وراء صنع جين سومرز هو تفكيرى حول الشكل الذى كانت ستكون عليه أمى لو أنها عاشت حتى الآن؟ تلك المرأة النشطة، المؤثرة، ذات

التفكير العملى، سجية محافظة، عاطفية بعض الشىء، ومع بعض الصعوبة (والكثير من التدريب) لكى تتفهم الضعف و الفشل، برغم أنها دومًا طيبة. لا، جين سومرز ليست أمى، ولكنها أفكار عن نساء مثل أمى، عملت على تغذية شخصية جين سومرز. أنا، ووكيلى جوناثان كلاوس قررنًا فى خطتنا للحملة أنه من العدل أن أقدم مذكرات جارة طيبة أولا للناشرين الرئيسيين الذين أتعامل معهم. و هم فى بريطانيا جوناثان كيب وجرانادا. لقد رفضتها دار كيب على الفور (ليس توم ماتشلر شخصيًا)، بينما أبقتها دار جرانادا، كانوا مترددين، و لكنهم قالوا إنها محبطة جدا لدرجة أنه لا يمكن نشرها: فى تلك الأيام الفائتة لم يجد الناشرون الذين على قدر من الأهمية حرجًا فى أن يرفضوا عملاً قيمًا فقط لأنه لن يحقق مبيعات جيدة. ولا ، بالتالى، ولو لمرة واحدة ناشرى الأدب الجادين. أرى تقارير القراء، وأتذكر كم الإحباط الذى يصيب الكتاب الجدد.

لقد نشر لى مايكل جوزيف، الذى وافق على نشر روايتى الأولى منذ كل تلك السنوات الماضية، نشر لى مرتين بوصفى كاتبة جديدة. عندما تلقوا منى مذكرات جارة طيبة، قالوا إنها تذكرهم بدوريس ليسنج، لقد تلقوا الرواية باستمتاع وأعجبوا بروح الرواية. قال بوب جوتليب، من نيويورك، على الفور، من تظنين أنك تمزحين معه؟ ـ أو كلمات بهذا المعنى. من المثير للاهتمام، أن هذين الناشرين الكبيرين،

المزدحمين بالناس واحتمالات تسريب المعلومات، كانا قادرين على الاحتفاظ بالسر بقدر ما أرادا: لقد كان الأصدقاء الأعزاء، الذين أقسموا على الاحتفاظ بالسر، لم يتمكنوا من تحمل كتمان الأمر.

لقد قام ثلاثة ناشرين أوروبيين بشراء جارة طيبة: فى فرنسا، ألمانيا، وهولندا. اتصل بى الناشر الفرنسى ليقول إنه اشترى هذا الكتاب، فلربما ساعدت جين سومرز، التى ذكرته بى.

إن هذا بالتأكيد يعيدنا للسؤال: ما الذى يدركه هؤلاء الحكماء، حينما تتاح لهم الفرصة؟

على أية حال، فإن أسلوب جين سومرز مختلف عن أسلوب ليسنج. إن كل رواية أو قصة لها نغمة أو صوت مميز، وأسلوب فريد و متسق مع ذاته. ولكن خلاف ذلك ينبغى أن يظهر صوت آخر، مستقل فى أسلوبه. ما هذه النغمة أو الصوت ومن أين تنبع داخل الكاتب؟

يبدو لى أننا ننصت إلى ونستجيب ، لجوهر الكاتب، هذه نقطة أساسية.

إننا ـ أنا والوكيل الأدبى والناشرين، اعتقدنا ـ أن النقاد سوف يخمنون فى الحال. لقد أحب مذكرات جارة طيبة القليل من الناس، بعض النقاد وليس كلهم. كان معظم من كتب عنها من الناقدات فى مجلات نسائية، لأن جين سومرز قد وصفت فى غلاف الكتاب أنها صحفية مشهورة. (يبدو أنه كان كافيًا أن نقول

ذلك للناس لكى يصدقوا) إن هذا يكاد يبرز المشكلة الكبرى للنشر: كيف يمكنك أن تجلب كتابًا لدائرة اهتمام القراء. إن العامل الفعال هنا: هو صفة الصحفية. (هناك بعض النقاد ذوى القدرة المتميزة، من الرجال، قد تراجعوا عن تناول الرواية بسبب هذه الصفة). إن هذا الموقف هو ما أدى إلى ظهور كل تلك الصيغ الدعائية فى بريطانيا والجوائز الهزلية وغيرها. يبدو لى أن المشكلة يمكن أن توجد فقط، بسبب صدور الكثير من الروايات الجيدة. لو كان هناك فقط القليل، لما كانت هناك صعوبة. كلما كانت هناك أصوات عالية، تحاول ان تحظى باهتمام: هذه هى أفضل رواية منذ ذهب مع الريح، الحرب والسلام، والعارية والميت. لقد كسبت المبالغة عائدًا قليلاً وعاد القراء المخدرون لعاداتهم الأولى، مثل الاعتماد على الحدس، واقتراحات الأصدقاء. لقد لاقت رواية جين سومرز الأولى (الرواية الجادة الأولى ـ قامت بالطبع بكتابة روايات رومانسية لم تحظ بنقد على الإطلاق، ولكنها حققت مبيعات جيدة!) بعض الاهتمام من قبل القليل من النقاد. باختصار، لقد روجعت نقديا كما هو الحال مع الكتابات الجديدة. وهذه هى طبيعة الأمور. إن الروايات، حتى تلك الجيدة، تنشر طوال الوقت، وتخضع لما يطلق عليه الناشرون "رف الحياة" (مثل البقالة) حيث تستمر صلاحيتها لشهور قليلة. (فى البداية استخدموا الجملة كمزحة، ثم تطور الحال، حتى أصبحت الآن تستخدم بشكل مباشر). سوف

تسمعهم يقولون "يأخذ رف كتب الحياة فى النقصان". "لقد وصل الآن إلى بضعة أسابيع فقط". وكأنهم ليس لهم علاقة بالأمر. ولم يكن: إن ميكانيزمات البيع تسيطر على ممارساتهم، الذيل يحرك الكلب يمينًا ويسارًا. يمكن للرواية الأولى أن تباع بسعر رخيص لعدم إقبال القراء عليها وأن تنتهى نسخها وتختفى وكأنها لم تكن، إن لم تكن محظوظة بشكل كافٍ لكى تفوز بجائزة أو تجذب بطريقة ما اهتمام كاتب يمكنه أن يصرخ (انظر عاليًا)، "هذه أعظم رواية منذ توم جونز،" أو يمكنه ان يجد بعض التوافق مع الزمن المعاصر، "أكثر إثارة من دالاس!".

لقد سئل الناشر الأمريكى لِمَ لَمْ يكرس مجهودًا أكثر للدعاية لمذكرات جارة طيبة، والتى من وجهة نظر السائل، وهو ناقد أدبى، رواية جيدة، ولكن الإجابة كانت أنه لم يكن هناك ما يصلح للدعاية، لا "شخصية"، ولا صورة، ولا قصة. بكلمات أخرى، من أجل أن تبيع كتابًا، من أجل أن تجلبه لمجال الاهتمام، تحتاج لأكثر من الكتاب ذاته، إنك تحتاج للظهور على شاشة التليفزيون. العديد من الكتاب الذين قاوموا الفكرة فى البداية، يعيدون التفكير فى الأمر ثانية، لقد فهموا أن الأمور تسير بهذه الآلية، وقد قرروا أنه - فى الواقع، حتى لو أن الأمر غير معترف به - فقد أصبحوا جزءًا من إدارة المبيعات لناشريهم، وهكذا فسيقومون بالعمل بشكل جيد بقدر استطاعتهم. من الملاحظ كيف أن ناشرين بعينهم يعانون حينما يصر الكتاب على استخدام الكلمات الصائبة لوصف ما

يحدث. إن هذا السلوك هو أثر قديم باق يمارسه الناشر الأنيق، و هو تناقض أحدث ارتباكًا فيما يتعلق بنشر الكتب الجادة (بوصفها مغايرة للكتب التجارية). من جهة، ينبغى أن تكون هناك دعاية للكتاب: أوه، و لكن يا له من عمل كريه! إن إحدى مشكلات الكاتب ("الجاد" بوصفه مغايرا "للتجارى") هو هذا السلوك من قبل ناشره سواء كان رجلاً أو امرأة. فهو يمارس عليه الضغط لكى يجرى أحاديث صحافية، وتليفزيونية، وما إلى ذلك، و لكنك تكون واعيًا أنه كلما وافقت، كلما كسبت ازدراءه أو ازدراءها. (ولكننى حينما أنظر للوراء يبدو لى أن الناشرين من الرجال هم أكثر شعورًا بالذنب بسبب هذا النفاق بالمقارنة بالناشرات). فى بعض الأحيان علىّ أن أستنتج بقدر من التشاؤم أن الكاتب الوحيد الذى يمكن أن يحترمه حقًا بعض الناشرين هو من كتب عملاً متقنًا يبلغ الثلاثين صفحة، يمكن أن يراجعه نقديا ثلاثة نقاد، كل عشر سنوات: هذا المثل الأعلى يمكنه أن يعتلى القمة فى مكان ما، ولا يمكنه أبدًا، أبدًا أن يدلى بأية أحاديث. الآن، نحن بصدد فنان حقيقى! .

لو أن جين سومرز كتبت رواية جادة واحدة، وحققت مبيعات مثل الروايات الأولى، ٢٨٠٠ نسخة فى أمريكا، ١٦٠٠نسخة فى بريطانيا، فإنها ستكون الآن قد نفدت، وسوف تبحث عن بضع رسائل من المعجبين.

ولكنها كتبت رواية ثانية. وبالتأكيد فى هذه المرة ينبغى أن يرى الناس من الكاتبة الحقيقية؟ ولكن لا.

بشكل متوقع، إن القراء الذين أحبوا الكتاب الأول قد احبطوا بسبب الكتاب الثانى. والعكس صحيح. لا تهتم بمشكلات الناشرين: إن المشكلة الرئيسية لبعض الكتاب هى أن معظم النقاد والقراء يريدونك أن تستمر فى كتابة الكتاب نفسه.

ولكن الآن نتيجة لعدم اهتمام الأصدقاء، فقد تسرب لبعض الناشرين هوية جين سومرز ـ ولقد تأثرت لذلك ـ فقد قررت بوضوح أنه حقى أن أظل مجهولة الهوية طالما أحببت ذلك. البعض، أيضًا، بدا أنه يميل بشكل ظاهر لأن يجد اسمًا معروفًا.

أحد أهدافى قد نجحت تمامًا. يبدو أننى مثل باربرا بايم! الكتب صعبة الإرضاء، مكتوبة جيداً، متقنة. ذات أسلوب عصرى. ليست مختصرة، ولا عاطفية، يمكن أن تشعر أحداثها بقوة. خفيفة الظل، أيضاً. من الناحية الأخرى، يمكنك أن تجد الكتب شاعرية، ذات قصة مبتذلة. مجرد فكرة لمسلسل. عصرية.

سأفتقد جين سومرز.

أضواء جانبية قليلة غير متوقعة. أحد التقارير النقدية كان تذكيرًا مقرفًا يبين كيف أن الكثير من الناس يمكن أن يرفعوا بشكل آلى أسلحتهم عند ذكر شىء ما لا يحبونه. من أقصى اليسار (وربما ليس من أقصى اليسار تمامًا: إنه مرض ينتشر بسهولة)، فقد

عبروا عن كراهية سياسات جين سومرز بشكل مميز حيث طالبوا بعدم نشر مثل هذه الكتب. ومثل هؤلاء المتطرفين اليساريين (وفى بعض الأحيان ليسوا شديدى التطرف) هناك من يمثلون الطرف الآخر. "ينبغى أن يقاضى الناشرون بسبب نشرهم لهذا الكتاب". (ليست جين سومرز، واحدة من شخصيات ليسنج). وا أسفاه، يا للحرية المسكينة، إن السيناريو المتوقع ليس جيدًا جدًا.

فى النهاية، ذاكرة ثمينة، أعتقد أنها ليست بعيدة عن السياق هنا. تخيل محرر الكتب فى مجلة شهيرة (دعونا نطلق عليها بانديت) يجلس فى مكتبه وأمامه الكتب التى أرسلت إليه للمراجعة متراكمة فى كل مكان على المكتب، على الأرض، وفى كل مكان. يشعر بالضجر، والإحباط. إنه يعطينى كتبًا لمراجعتها، وفى معظم الوقت، أعيدها له ثانية، ثم يعطينى كتابا آخر صائحًا: أرجوك أن تراجعى هذا الكتاب". "لا أحد يريد أن يراجعه نقديًا، ماذا سأفعل؟ وافقى أرجوكِ، أرجوكِ".

"ولكن هذا كتاب سيئ جدًا" أقول وأنا أعيد إليه الكتاب. "فقط تجاهله".

"و لكن ليس بوسعنا أن نتجاهله. ينبغى علينا أن نراجعه نقديًا"

"لماذا ينبغى أن تفعل ذلك؟ إنه سيحتل مكانًا يمكن أن يستخدم لمراجعة كتاب جيد".

"لقد قامت مجلة فيور بنشر مراجعة نقدية للكتاب، ومنحوه مكانًا كبيرًا، ولهذا ينبغى علينا أن نفعل ذلك".

"لابد أنك تمزح،" قلت، معتقدة أنه كان يمزح، ولكننى كنت مخطئة.

دوريس ليسنج

يوليو ١٩٨٤

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

مذكرات جارة طيبة

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

إن الجزء الأول هو تلخيص لما يقرب من أربع سنوات. لم أعتد أن أدون يومياتى. أتمنى لو كنت فعلت ذلك. كل ما أعرفه هو أننى أرى كل شىء بشكل مختلف مما كنت أشعر به حيال مرورى بتلك الأحداث.

لقد تبدلت حياتى إلى النقيض منذ أن بدأ فريدى يحتضر. حتى ذلك الحين كنت أعتقد أننى شخص لطيف. مثل الكثيرين، ممن أعرفهم. وبشكل أساسى الناس الذين كنت أعمل معهم. أعرف الآن أننى لم أسأل نفسى كيف كنت أبدو حقيقة، ولكنى كنت أفكر فقط كيف يصدر الآخرون أحكامهم علىّ.

كانت فكرتى الأولى منذ أن بدأت صحة فريدى فى التدهور أن هذا ليس عدلاً. ليس عدلا بالنسبة لى، فكرت سراً. كنت أعرف بشكل جزئى أنه يموت، ولكننى تصرفت وكأنه لن يموت. لم يكن ذلك أمرًا طيبًا، فلابد أنه كان يشعر بالوحدة. كنت أشعر بالفخر حيال نفسى لأنى كنت أواصل عملى خلال كل ذلك. "حافظت على الدخل الآتى"ـ حسنًا لقد كان على فعل ذلك بينما هو عاطل عن العمل. ولكنى كنت أشعر بالامتنان كونى أعمل لأننى لدى عذر لكى لا

أكون معه فى تلك البشاعة. لم نكن من ذلك النوع من الأزواج الذين يتحدثون عن أشياء حقيقية. أدرك ذلك الآن. لم نكن حقيقة متزوجين. لقد كان ذلك النوع من الزواج الذى يعرفه الناس فى هذه الأيام، حيث يحاول الطرفان اكتساب ميزات. لطالما رأيت فريدى باعتباره ميزة إضافية.

لقد ذكرت كلمة سرطان لمرة واحدة. قال لى الأطباء، سرطان، والآن أرى إن رد فعلهم كان يعنى أنهم لن يضيعوا وقتًا فى التردد بين أن يخبروه بذلك أم لا. لا أعرف إن كانوا قد أخبروه أم لا. لا أعرف إن كان يدرى أم لا. أعتقد أنه كان يعرف. حينما أخذوه إلى المستشفى كنت أذهب إليه كل يوم، ولكنى كنت أجلس و ابتسامة على وجهى، كيف حالك اليوم؟

كان يبدو مرعباً. أصفر اللون، تبرزعظامه الحادة من تحت جلده الأصفر. مثل دجاجة تغلى فى القدر. كان يحمينى. الآن استطيع أن أدرك ذلك. لأنه لم يكن بوسعى احتمال ذلك. زوجة طفلة.

حينما مات فى النهاية، وانتهى الأمر، رأيت كيف كان يعامل بشكل سيئ. كانت أخته تأتى لرؤيته فى بعض الأحيان. أزعم أنهما كانا يتحادثان. كان أسلوبها معى مشابهًا لأسلوبه. بشكل لطيف. المسكينة جنا، ليس من المفترض أن أطالبها بالكثير.

منذ أن مات لم أعد أراها، ولا أى فرد من هذه الأسرة. لقد تخلصت من الأمر بشكل جيد. أعنى،

هذا ما كانوا يظنونه بى. لم أكن أمانع فى الحديث مع أخته عن فريدى، لأننى لم أكن أعرف الكثير عنه، لم أعرف عنه الكثير حقيقة. ولكن يبدو أن الأمر تأخر قليلاً.

حينما توفى، و وجدت أننى أفتقده بشدة، كنت أريد أن أعرف تلك الأوقات من حياته التى لم يكن يذكرها أبداً. مثل كونه جنديًا فى الحرب. لقد قال لى إنه كره ذلك. خمس سنوات. من التاسعة عشرة وحتى الرابعة و العشرين. لقد كانت تلك سنوات رائعة بالنسبة لى. لقد كنت فى التاسعة عشرة من عمرى فى عام ١٩٤٩، وكنت قد بدأت أنسى الحرب وأستعد لخوض حياتى العملية.

ومع ذلك كنا قريبين للغاية. لقد استمتعنا بجنس لطيف. لقد كنا بشكل نموذجى ملائمين فى هذا الأمر، وإن يكن الأمر الوحيد. وبرغم ذلك لم نكن نستطيع التحدث مع بعضنا البعض. تصحيح. لم يكن يستطيع التحدث معى لأنه حينما كان يبدأ محاولته كنت أنصرف عنه. أعتقد أن الحقيقة هى أنه كان من ذلك النوع من الأشخاص الكتومين للغاية. تمامًا ذلك النوع من الرجال الذين يمكننى أن أمنحهم أى شىء الآن.

حينما مات، وكدت أن أجن من أجل ممارسة الجنس، لأننى و لطوال عشر سنوات كنت دوما ما أحصل على ما أريده كلما طلبت ذلك، كنت أضاجع

الكثير،لا أحب أن أفكر كم عدد تلك المرات. أو مع من. فى إحدى المرات كنت فى حفل عمل، وحينما نظرت حولى أدركت أننى مارست الجنس مع نصف الرجال الموجودين هناك. لقد صدمنى ذلك. وكنت دوما ما أكره ذلك: أن أكون حاسمة نوعًا ما وبعد وجبة جيدة ، أشعر برغبة متعجلة لممارسة الجنس. لم تكن غلطتهم.

لقد انتهى ذلك حينما جاءت الأخت جيورجى لرؤيتى وقالت إنه جاء دورى لكى أستضيف الأم. شعرت بالأسف حيال نفسى ثانية. الآن أعتقد أنه كان من المحتم عليها أن تقوم بإنذارى! لديها زوج و أربعة أبناء، وبيت صغير، وكانت أما منذ أن مات دادى من ثمانى سنوات. لم يكن لدى أطفال، ولأننى كنت أعمل أنا وفريدى فلم تكن لدينا مشكلة مادية. ومع ذلك لم يكن هناك اقتراح بأن الأم ينبغى أن تعيش معنا. لا أتذكر أى اقتراح. ولكننى لم أكن من هؤلاء الأشخاص الذين يعتنون بأم أرملة. اعتادت أمى أن تقول إن ما أنفقه على وجهى و ملابسى كفيل بجلب طعام لأسرة كاملة. هذا حقيقى. لا فائدة من التظاهر بأنى نادمة على ذلك. يبدو لى فى بعض الأحيان الآن أنه كان أفضل شىء فى حياتى ـ أن أذهب إلى المكتب فى الصباح وأنا أعرف كيف أبدو. ألفت أنظار الجميع بما أرتديه، وطريقتى الخاصة فى ارتداء الملابس. كنت أتطلع للحظة التى أفتح فيها الباب وأمر بمنطقة الكتابة على الآلة الكاتبة والفتيات يبتسمن بحسد، ثم

أمر بالمكتب التنفيذى، والفتيات يبدين إعجابهن ويتمنين أن يكون لهن ذوقى الخاص. حسناً، أمتلك ذلك، إن لم يكن أى شىء آخر. اعتدت أن أبتاع ثلاثة أو أربعة فساتين كل أسبوع. أرتدى كل منها مرة أو مرتين ثم ألقى بها بإهمال. كانت أختى تأخذها لأعمالها الخيرية. ولهذا فلم يكن مصيرها سلة المهملات. لقد كان ذلك يحدث بالطبع قبل أن تقبض جويس على زمام الأمور، وتلقننى درسًا حقيقيًا فى كيف أرتدى ملابسى، أسلوب ارتدائها، ليس فقط وفقا للموضة.

لم أدرك أننى أرملة إلا حينما جاءت أمى لكى تعيش معى. لم يكن الأمر بالغ السوء فى بادئ الأمر. لم تكن بحالة جيدة جدًا ولكنها كانت تسلى نفسها. لم أكن أستطيع أن أجلب رجلاً لمنزلى لو كنت قد قمت بإغرائه، و لكنى سريا كنت سعيدة تمامًا. لا أستطيع أن أطلب منك الدخول، أنت ترى بنفسك، لدى أم مسنة، يا لجانا المسكينة!.

لقد مرضت أمى بعد أن جاءت بعام. قلت لنفسى، الآن، لن تتظاهرى هذه المرة بأن الأمر لا يحدث. رافقتها إلى المستشفى. قالوا لها إنه السرطان. لقد تحدثوا لوقت طويل عما سيحدث. كانوا طيبين ومتعقلين. لم يستطع الأطباء أن يتحدثوا معى عما كان يحدث لزوجى، ولكنهم استطاعوا التحدث بشكل مباشر مع أمى عما كان يحدث لها.

بسبب ما كانت عليه. كانت المرة الأولى فى حياتى التى أردت أن أكون مثلها. قبل ذلك، طالما وجدت أنها تعرضنى للحرج، أعنى ملابسها، وشعرها. حينما كنت أخرج معها اعتدت أن أفكر أنه لا يمكن أن يصدق أحد أننى ابنتها، كنا نشكل عالمين، امرأة من عمق الضواحى ـ وأنا. حينما جلست بالقرب منها وتحدثت عن موتها القادم مع الأطباء، الذين كانوا رحيمين ولطفاء لدرجة كبيرة، شعرت أننى بشعة. لكننى كنت مرعوبة غبية، لأن العم جيم مات بالسرطان، والآن هى ـ من كلا الجانبين. فكرت، هل هو دورى إذًا؟ ما شعرت به كان: هذا ليس عدلاً.

بينما كانت أمى تموت، كنت أفعل ما بوسعى، ليس كما حدث مع فريدى، حيث كنت ببساطة لا أريد أن أعرف. ولكنى لم أستطع. هذا هو ما أقصده. كنت أشعر بالمرض والرعب طوال الوقت. لقد تمزقت إلى أشلاء بسرعة فائقة. تمزقت إلى أشلاء ـ هذا هو التعبير الصحيح. أكره البشاعة الجسدية. لا أستطيع احتمالها. اعتدت أن أهتم بها، قبل ذهابى للعمل. كانت تعبث فى المطبخ بملابس النوم. وجهها أصفر اللون تشع منه ومضة مريضة. العظام تبرز. لم أقل على الأقل، هل تشعرين بشىء من التحسن؟ هذا أمر جيد! جلست معها و شربنا القهوة. قلت لها، هل يمكننى أن أمر بالكيميائى ـ لأنه هناك الكثير من الأدوية والحبوب. قالت لى، نعم احضرى هذا أو ذاك. حسناً، نحن لسنا بأسرة حميمة جسديًا! لا أستطيع

أن أتذكر أننى ذات مرة احتضنت أختى بشكل جيد. فقط قبلة سريعة على خدها، هذاهو كل شىء. أردت أن أضم أمى، وربما هززتها قليلا. حينما شارف الأمر على الانتهاء، وحينما كانت تبدو شجاعة، وكانت مريضة بشكل مريع، فكرت أننى ينبغى أن أضمها ببساطة بين ذراعىّ. لم أستطع حقيقة أن ألمسها. لم أستطع حتى بيد رحيمة. الرائحة... هم يقولون إنها ليست معدية، ولكن ماذا يعرفون هم؟ ليس الكثير. لقد اعتادت أن تنظر إلىّ بشكل مباشر و بلا توقف. كنت بصعوبة أجعل عيناى تلتقى بعينيها. لم تكن نظراتها تطالبنى بشىء ما، ولكنى كنت خجلى للغاية من شعورى نحوها، وكنت أفكر بنفسى وأشعر بالرعب. لا ، لم أكن بشعة كما كنت مع فريدى. ولكن لابد أنه قد بدا لها أنه ليس هناك الكثير، أعنى، وكأننى لم أكن أمثل الكثير بالنسبة لها. دقائق قليلة فى الصباح، حيث أننى كنت أهرع إلى المكتب. كنت دوما ما أعود ثانية، بعد العشاء مع زميل من العمل، غالبا ما يكون جويس، وفى هذا الوقت تكون أمى فى السرير. لم تكن نائمة، كنت أتمنى أن تكون كذلك! دخلت و جلست معها. كانت تتألم، غالباً. اعتدت أن أجهز لها أدويتها. أحبت ذلك، أستطيع أن أشعر بذلك. مساندة. بشكل ما. تحدثنا. ثم بدأت أختى فى الزيارة مرتين أو ثلاث فى فترة بعد الظهيرة كل أسبوع. حسناً، لم أستطع أنا فعل ذلك، كنت أعمل، بينما يكون أطفالها فى المدرسة. اعتدت أن آتى

لأجدهما يجلسان معًا. كنت أشعر بالغثيان ممزوجًا بالحسد بسبب تلك الحميمية بينهما. أم وابنة.

ثم حينما ذهبت أمى إلى المستشفى، بدأنا نتناوب أنا وجورجى على زيارتها. كانت جورجى تأتى من أكسفورد. لا أعرف كيف استطعت أن أراها لمرات أكثر، ولكن جورجى و أمى اعتادتا على الحديث طوال الوقت. عما كانا يتحدثان ا ـ اعتدت أن أنصت، بتشكك مطلق. كانا يتحدثان عن جيران جورجى، وأطفالهم، وأصدقاء أصدقائهم. لم يتوقفا أبداً. لقد كان أمراً مثيرًا للاهتمام. لأنهما كانا مندمجين تمامًا فى هذا الأمر برمته.

حينما ماتت أمى شعرت بالسعادة، بالطبع. وجورجى أيضاً، ولكنى كنت أعلم أن الأمر مختلف للغاية، طريقة تعبيرى عن ذلك، والطريقة التى تقول بها جورجى. لها الحق فى أن تقول ذلك. بسبب ما كانت عليه. كانت جورجى مع الأم فى كل دقيقة من الصباح والمساء طوال شهر قبل أن ترحل الأم. كنت قد تعلمت ألا أكره الجانب الجسدى كثيرًا، حيث كانت أمى مثل الهيكل العظمى الذى يكسوه جلد أصفر. ولكن عينيها لم تتغيرا. كانت تتألم. لم تتظاهر بغير ذلك. أمسكت بيد جورجى.

القضية هنا أن يد جورجى كانت هى اليد الملائمة.

ثم أصبحت وحيدة فى شقتنا. ربما يأتى أحد الرجال مرة أو مرتين إلى البيت. لم يتعد الأمر ذلك.

إننى لا ألومهم أبداً. كيف يمكننى ذلك؟ كنت قد بدأت بالفعل أن أتذكر أننى قد تغيرت. لا يمكن أن أشعر بالضيق حيال ذلك. ما رأيكم فى هذا! لم يكن الأمر كما لو أننى لا أحتاج ممارسة الجنس. فى بعض الأحيان كنت أظن أننى سأجن. ولكن كان هناك شىء ما ممل و متكرر. وكان المكان مليئا بفريدى. كنت أرى نفسى بمثابة تمثال تذكارى لفريدى، كان علىّ أن أتذكره. ما الفائدة من وراء ذلك؟ قررت أن أبيع الشقة وأشترى بيتًا خاصًا بى. فكرت فى ذلك لمدة طويلة، لشهور. كنت أرى أن ذلك ربما طريقة جديدة للتفكير بالنسبة لى. بسبب عملى فى المجلة، أفكر بشكل مختلف، أتخذ قراراتى بسرعة، وكأننى قد تم الاحتفاظ بى فوق نافورة من الماء. إننى أجيد كل ذلك. لهذا حصلت على الوظيفة فى المقام الأول. شىء مضحك، لم أتوقع ذلك. لقد توقع أناس آخرون حصول آخرين على وظيفة مساعد رئيس تحرير، ليس أنا. بشكل جزئى، كنت مندمجة للغاية فى تخيل صورتى، كيف قدمت نفسى. فى البداية كانت صورتى صورة مرحة، جانا تلك المرأة اللاهية بملابسها المجنونة ، الذكية دوما، فتاة يوم الجمعة. ثم، فى المرحلة التى تلت علاقتى بجويس، امرأة مثالية، ذات مظهر ثرى، ذكية، يمكن الاعتماد عليها، تلك المرأة التى قضت الوقت الأطول فى العمل، برغم غياب زوجها الوسيم عن المشهد. ليس لأن فريدى كان بإمكانه أن يجد نفسه فى ذلك. ثم (وبشكل مفاجئ)

هكذا يبدو الأمرامرأة فى منتصف العمر. ذكية. أنيقة. صعبة المراس. لازلت صعبة المراس.

أرملة أنيقة، متوسطة العمر تتمتع بوظيفة ممتازة فى عالم المجلات.

فى تلك الأثناء كنت أفكر كيف ينبغى على أن أعيش. فى شقتى أنا وفريدى كنت أشعر و كأننى مثل ريشة أو خيط طيرها الهواء. حينما كنت أدخل الشقة بعد العمل، كان الأمر يبدو وكأننى سأجد نوعًا ما من الثقل أو الهلب، ولم يكن هناك أى من ذلك. أدركت كم كنت هشة فى ذلك الوقت، كم كنت أعتمد عليه. كان ذلك مؤلمًا، أن أرى نفسى معتمدة على شخص آخر. ليس ماديًا، بالقطع، ولكن كشخص. طفلة ـ ابنة، طفلة ـ زوجة.

لم أكن أفكر بطريقة أننى ينبغى أن أتزوج مرة ثانية. لم أستطع ان أرى نفسى كزوجة. على الرغم من ذلك، كنت أقول لنفسى، يجب عليك أن تتزوجى، يجب أن تفعلى ذلك، قبل أن يتأخر الوقت. وهو ما أشعر به الآن حتى أننى أريد أن أفعله. الآن بشكل خاص، حيث أعتقد أننى لست بشعة تمامًا مثلما كنت، ولكننى حينما أفكر أعرف أننى لا ينبغى أن أتزوج. على أية حال لم يطلب منى أحد ذلك!.

لقد بعت الشقة واشتريت هذا البيت. غرفة للنوم، غرفة للمعيشة، وغرفة مكتب. مجمع سكنى كبير وباهظ الثمن. ولكننى نادراً ما أكون هناك.

حينما أكون هناك، أفكر كثيراً. هذه الطريقة من التفكير...ليس بها قدر هائل من التفكير ولكن كأنك تجمع كل الأشياء فى ذهنك، وتدعها تنظم نفسها. لو فعلت ذلك حقاً، ببطء، ستظهر نتائج مدهشة. على سبيل المثال، ستجد أن أفكارك مختلفة عما كنت تعتقد.

هناك أشياء أحتاج أن أمعن التفكير فيها، تلك التى لم أتمكن من التوصل لحل لها بعد. جويس، مثلا. هذا المكتب الذى يخصنا، الطابق الأعلى، يحوطه ضوء الشمس والهواء. طاولتها الطويلة وهى تقبع خلفها، طاولتى الطويلة وأنا أقبع هناك خلفها، متواجهان. جلسنا هناك لسنوات الآن، متقابلين، نتعاون فى دفع عجلة العمل فى المجلة، ثم هناك الجحش الخشبى الطويل الذى تستند عليه لوح المائدة من إحدى الجانبين، وعليه كل ما نحتاج إليه، الآلات، لوحات الرسم، والصور. والطاولة الصغيرة على الجانب الآخرحيث تجلس السكرتيرات حين يجئن لأخذ ملاحظات، أو من نود الحديث معه. إن مجرد التفكير فى ذلك يجلب لى السعادة، لأن ذلك حقيقى جداً، ملائم جداً، يناسب تماماً ما أمر به. ولكنى، يجب أن أفكر، يجب أن أفكر... هناك إحساس بعدم الارتياح، وكأن هناك شيئًا ما ليس صائبًا تمامًا.

بعد أن انتقلت للشقة الجديدة رأيت أن حياتى برمتها قد انتقلت للمكتب. لم يكن لى حياة فى البيت.

البيت. يا لها من كلمة! إنه المكان الذى أهيئ نفسى فيه للذهاب إلى المكتب، أو أستريح فيه بعد العمل.

أحد الأشياء التى أفكر بها هى أننى لو فقدت عملى، لن يتبقى لى الكثير. أنظر إلى الفتيات الذكيات، وهن يحاولن أن يجدن طريقًا لأنفسهن. أجد نفسى أنظر لإحداهن، فيليس، على سبيل المثال، وأجدنى أفكر ملياً. نعم، إنها تستطيع أن تلائم كلمات مع بعضها، وأن تجرى مقابلة مع أى شخص، تحرر، لديها ذهن حاد مثل المقص، إنها لا ترتعب أبداً.

هل تفهم كيف تجرى الأمور فعلاً ؟ ما الذى أعنيه بذلك؟ أعنى أمرًا بالغ الأهمية. كل شىء. إنها عدوانية و غير صبورة، يجب أن تعلم كيف تدع الأمور تحدث.

ما كنت أفكر به فى معظم الأوقات هو أننى خذلت فريدى وخذلت أمى وكان ذلك ما يعبر عنى. حينما كان يظهر شىء آخر، شىء يجب علىّ التعامل معه كالمرض أو الموت، حينما كنت أقول لنفسى، الآن، سوف تتصرفين كإنسان وليس كطفلة صغيرة ـ ثم لا أستطيع. إنها ليست مسألة إرادة، ولكن إنها طبيعتك التى تتحكم فى مجرى الأمور.

لهذا قررت أن أتعلم شيئا آخر.

رأيت إعلاناً فى الصحيفة، هل ترغب فى أن تصادق شخصًا عجوزًا؟ الصورة كانت لسيدة عجوز ودودة. شىء عجوز، لذيذ وقريب إلى النفس. الجدة

المفضلة للجميع. ها ! طلبت الرقم وذهبت لرؤيتهم. الآنسة سنو. إحدى السيدات اللاتى يقمن بالخدمات الخيرية. ذهبت معها لزيارة السيدة يورك. تناولنا الشاى نحن الثلاثة فى شقة صغيرة فى كينسينجتون. بدا الأمر لى بشعًا وزائفًا. فكرت بأن الآنسة سنو تتحدث بشىء من عدم الاحترام ولكنها لم تدرك ذلك. أما السيدة يورك فقد بدت كامرأة كبيرة الحجم، بطيئة، لا نفع لها، وبدا وجهها شاحباً، متضخمًا، معجونًا. عينان صغيرتان شاكيتان. أستطيع أن أحدس أنها لا تحب الآنسة سنو. جلست هناك و أخذت أفكر، يا للعنة ما الذى أفعله هنا؟ ما النفع الذى سيعود على السيدة يورك؟ هل سأزورها مرة واحدة فى الأسبوع فى أيام الآحاد وأجلب لها كيكة وأسألها ماذا فعل الروماتيزم بها؟ أدركت الآنسة سنو ما شعرت به حيال هذا الأمر، وحينما قلنا وداعًا ونحن واقفين على الرصيف كانت علامات عدم الاهتمام تبدو عليها. أجل، حادثينى بالتليفون، يا سيدة سومرز، إن كنت تشعرين أنك تريدين القيام بمثل هذا العمل ودخلت عربتها، وانطلقت. أمر فاشل. حسناً، كل هذا فى نطاق العمل اليومى، هكذا كانت تفكر.

ينبغى أن يجدوا شخصًا آخر للسيدة يورك. ولكننى لم أشعر بالنقص هذه المرة. السيدة يورك لم تكن ببساطة لى. اعتدت أن أنظر إلى الإعلان الذى يحمل صورة السيدة العجوز الحبيبة وأفكر فى السيدة يورك البشعة و أشعر بسخرية ما.

فى هذه الأثناء هناك وفى مواجهتى، تقف السيدة بينى. هى فى السبعين من عمرها، و هى وحيدة، إنها تشتاق لأن أصادقها. أعرف ذلك. ولا أريده. إنها تعرف ذلك. إنها قد تسيطر على حياتى. أشعر بالاختناق والرعب من مجرد فكرة أن أكون رهن إشارتها.

ولكن، ذات مرة كنت لدى الصيدلى وحدث هذا الأمر.

رأيت ساحرة عجوز. كنت أحدق فى ذلك المخلوق العجوز وفكرت، إنها ساحرة. لقد كان ذلك بسبب أننى أمضيت اليوم كله فى كتابة مقالة صحفية، عنوانها أنماط النساء، فى الماضى والحاضر. لم يكن ذلك الوقت محددًا تمامًا، الفترة الفيكتورية المتأخرة، المرأة المضيافة المهذبة، أم العديد من الأولاد، الخالة الضعيفة، المرأة الجديدة، الزوجة التابعة، وما إلى ذلك. كان لدى أربعون صورة و اسكتش للاختيار من بينها. من بينها صورة ساحرة، و لكنى استبعدتها. ولكن، ها هى ساحرة أخرى تظهر لى، وتقف بجوارى، عند الصيدلى. امرأة ضئيلة الحجم، منحنية، وأنفها يكاد يلمس ذقنها، ترتدى ملابس ثقيلة سوداء متربة، وشىء ما يشابه القبعة على رأسها. رأتنى أنظر إليها فدفعت بروشتة فى وجهى قائلة "ما هذا؟ احضرى لى هذا أنت" عينان زرقاوان عنيفتان، تحت حاجبين متحجرين، ولكن كان فيهما شىء ما عذب بشكل رائع.

أحببتها، لسبب ما، منذ تلك اللحظة. تناولت الورقة وأنا أعرف أننى آخذ أكثر من ذلك بكثير. "سأفعل"، قلت لها. " ولكن لماذا؟ ألا يعاملك الصيدلى بلطف" قلت مازحة، أجابتنى على الفور، وهى تهز رأسها العجوز بنشاط.

"لا، أوه ليس الأمر كذلك، ولكننى لا أفهم أبدا ما يقوله".

كان صيدلانيًا شابًا، وكان يقف و يداه موضوعتان على منضدة للبيع، متيقظًا ومبتسمًا، إنه يعرفها جيدًا، ألاحظ ذلك؟.

"هذه الروشتة مهدئ" قلت.

قالت "أعرف ذلك" وغرزت أصابعها فى الورقة حيث فردتها فى مواجهة حقيبتى. "ولكنه ليس أسبرين، أليس كذلك؟"

قلت "إنه شىء يسمى فاليوم".

"هذا ما ظننته. إنه ليس قاتلا للألم، "قالت.

ضحك، قائلاً: " ولكنه ليس بهذا السوء،".

قلت: " أنا نفسى كنت أتناوله".

قالت: "قلت للطبيب أسبيرين، هذا ما طلبته منه. و لكنهم ليسوا جيدين أيضاً..هؤلاء الأطباء".

كل هذا العنف والرعشة، مع شعور بالمرح. كنا نقف هناك، ثلاثتنا، نضحك ، وكانت هى لا تزال غاضبة جداً.

"هل تريدينني أن أبيع لك بعض الأسبيرين، سيدة فاولر؟"

" أجل، أجل، إنني لن آخذ هذا الشيء الذي يخدر إحساس المرء".

ناولها الأسبيرين، وأخذ النقود، التي كانت قد قامت بعدها بروية، عملة عملة، من عمق حقيبة كبيرة صدئة، ثم أخذ النقود مقابل الأشياء التي ابتعتها ـ طلاء أظافر، ألوان للوجه، قلم لتحديد العينين، ألوان لجفون العينين، أحمر شفاه، طلاء للشفاه، بودرة، ماسكرا. في مجمل الأمر: شعرت بالضآلة من كل شيء. وقفت تراقبني بنظرة أعرف الآن أنها مميزة، تأمل عنيف لمن تريد حقًا أن تفهم. تحاول أن تدرك الأمر كله.

قاربت المسافة التي تفصل بيننا وخرجت معها من المتجر. لم تكن تنظر لي و نحن نسير معًا على الرصيف، ولكن كان هناك نوع ما من الجاذبية. سرت بجوارها. كان من الصعب أن أسير ببطء هكذا. عادة ما أطير بسرعة، ولكنني لم أع ذلك إلا وقتها. سارت خطوة ، ثم توقفت، اختبرت الرصيف، ثم خطت خطوة أخرى. فكرت كم كنت أركض مسرعة من قبل عبر الأرصفة ولم ألحظ أبدًا مدام فولر، ولكنها تعيش بجواري، وفجأة، نظرت حولي إلى السائرين عبر الرصيف ورأيت نساء متقدمات في السن. رجال عجائز أيضًا، ولكن الأغلبية من النساء. كانوا يسيرون

ببطء. كانوا يقفون أزواجًا أو فى مجموعات، يتحدثون. أو يجلسون على أريكة عند الركن تحت شجرة عارية. لم أكن أراهم. هذا لأننى كنت أشعر بالخوف أن أصير مثلهم. كنت أشعر بالخوف، لأنى أسير بجوارها. كانت رائحتها، ذلك الخليط من الروائح العذبة، المقززة، المتربة. رأيت بقعًا على رقبتهاالعجوز الرفيعة، وعلى يديها.

كان للبيت عتبة مكسورة، وسلالم مكسورة ومشققة. نزلت بحذر على السلالم القديمة دون أن تنظر لى، لأنها لم تكن تنتوى أن تسأل ووقفت خارج الباب الذى لم يكن جيدًا بدوره وكان قد تم إصلاحه بتثبيت لوح من الخشب بمسامير عبر الباب. على الرغم من أن الباب كان من السهل أن يفوت قطة مدربة، إلا أنها كانت تبحث عن مفتاح بيدين مرتبكتين، ووجدته فى النهاية، وأخذت تفتش عن ثقب الباب، ثم فتحت الباب. ودخلت معها، وقلبى مقبوض، ومعدتى أيضًا بسبب الرائحة. فى ذلك اليوم، كان مصدر تلك الرائحة، سمك مغلى فوق العادة. كنا نسير عبر ممر طويل مظلم.

سرنا عبره حتى وصلنا إلى (المطبخ). لم أر مثله أبدًا خارج نطاق ملف الحالات الخطرة، البيوت المتهمة وذلك النوع من الأشياء. لقد كان نوعًا من الامتداد للممر، وبه موقد غاز قديم، مدهن وأسود اللون، حوض صينى قديم أبيض، مشقق، وقد تحول لونه إلى

الأصفر و تعتليه الشحوم، وحنفية الماء البارد مربوطة بقطع مهترئة من القماش وتسرب الماء بشكل مستمر. هناك طاولة خشبية قديمة جميلة نوعًا ما، وفوقها كومة أطباق مغسولة ولكنها ما زالت متسخة. الحوائط مبقعة ومتسخة بالدهون. للمكان كله رائحة ما... رائحة بشعة. لم تكن تنظر إلىّ بينما كانت تضع الخبز والبسكوت و طعام القطط. ألوان حقائب المتجر المبهجة والمعلبات فى هذا المكان البشع. كانت تشعر بالخجل ولكنها لن تنتوى أن تتأسف. قالت بطريقة غير مبالية ولكنها جذابة، "اذهبى إلى غرفتى وابحثى لنفسك عن مقعد".

الغرفة التى دخلتها كان بداخلها موقد حديدى أسود قديم كان ينبعث منه بعض اللهب. مقعدان ذوا مسندين مهترئين لدرجة لا تصدق. طاولة خشبية أخرى لطيفة والجرائد موزعة عليها. أريكة قد تكومت عليها الملابس و الحقائب. وقطة صفراء قابعة على الأرض. لقد كان كل شىء متسخًا، مائلاً للون الرمادى، وذا ملمس دهنى، وبشع. فكرت كيف أننا كتبنا كلنا عن الديكور و الأثاث والألوان ـ كيف يتغير الذوق، كيف أننا نتخلص من الأشياء ونشعر بالملل من كل شىء. وهنا هذا المطبخ، الذى إن نشرنا له صورة فى الجريدة، سنحصل على معونات فى المقابل من القراء.

جلبت السيدة فاولر براد شاى قديمًا بنى اللون، وفنجانين من الصينى له شكل جميل نوعًا ما، وطبقين صغيرين. لقد كان أصعب شىء فعلته، أن أحتسى

الشاى من فنجان متسخ. لم نتحدث كثيرًا لأنى لم أكن أود أن أسأل أسئلة مباشرة، وكان شعورها بالكبرياء والكرامة يثير فيها رعشة ما. ظلت تربت على القطة ـ "حبيبتى، جميلتى"، بطريقة قاسية ولكن جذابة ـ وقالت دون أن تنظر إلىّ، "حينما كنت صغيرة كان والدى يملك متجرًا، وفيما بعد كان لنا منزل فى سانت جونز وود، وأعرف كيف ينبغى أن تسير الأمور".

وحينما كنت أستعد للرحيل قالت كعادتها دون أن تنظر إلىّ، "أظن أننى لن أراك ثانية؟". وقلت، " أجل، إن كان هذا سؤالا"، ثم نظرت إلىّ، وكانت هناك ابتسامة على وجهها، فقلت "سآتى يوم السبت بعد الظهيرة لتناول الشاى، إن أردت".

"أوه أحب ذلك، أجل أحب". وكانت هناك لحظة من الألفة بيننا: هذه هى الكلمة. ومع ذلك كان لا يزال يملؤها كبرياء، ولم تكن تريد أن تسأل، والتفتت بعيدًا عنى وبدأت تربت على القطة. أوه يا حيوانى الأليف، جميلتى الصغيرة.

حينما عدت إلى البيت ذلك المساء كنت أشعر بالرعب. كنت أشعر و كأننى التزمت بشىء ما. كنت مليئة بشعور ما بالثورة. كانت الرائحة الحادة والكريهة تنبعث من ملابسى وشعرى. استحممت وغسلت شعرى وهندمت نفسى وهاتفت جويس وقلت لها "لنخرج لتناول العشاء". تناولنا عشاء جيدًا فى

الفريدوز وتحدثنا. لم أقل شيئًا عن مدام فاولر، بالطبع، رغم أننى كنت أفكر بها طوال الوقت: جلست أنظر حولى على الناس الذين يجلسون فى المطعم...حسناً الكل يرتدى ملابس أنيقة ونظيفة، وفكرت، لو أنها جاءت إلى هذا المطعم...حسناً، لن تستطيع.

ولا حتى كمنظفة أو ملمعة للزجاج.

فى يوم السبت ابتعت لها بعض الورد والحليب، وكيكة بكريمة حقيقية. كنت سعيدة بنفسى، و جعلنى ذلك اتجاوز رد فعلها-كانت سعيدة، ولكنى بالغت فى الأمر. لم يكن هناك ثمة إناء من أجل الورد. وضعتها فى إبريق أبيض من الإناميل. وضعت الكيكة فى طبق مشقق كبير و قديم. كانت تحتفظ بمسافة بيننا نوعًا ما. جلسنا على جانبى الموقد الحديدى، و كان براد الشاى البنى فوقه لكى يدفئ المياه التى فيه و كانت الشعلة ساخنة جدا. كانت ترتدى بلوزة بيضاء من الحرير، بها نقاط سوداء. حرير حقيقى. كل شىء هكذا. براد من ماركة وورشستر مزين بورود، ولكنه مشقق. تنورتها مصنوعة من صوف حقيقى ولكنها مبقعة ومستهلكة. لم تكن تريدنى أن أرى (حجرة نومها)، ولكنى اختلست نظرة حينما كانت فى (المطبخ). كان الأثاث جيدًا جدًا بشكل ما: مكتبة، وحدة أدراج، ثم تسريحة فقيرة ودولاب مثل حقيبة ملابس لامعة. على السرير يفترش لحاف ثقيل من

نوع قديم شنتز. أدركت أنها لا ترقد فى السرير، ولكن على الأريكة، فى الحجرة المجاورة حيث كنا نجلس. فى كل مكان فى الغرفة كانت هناك أكوام من القمامة، ما يشبه السجاجيد الصغيرة، أكوام من الجرائد، كل شىء يمكن للمرء أن يتخيله: هذا ما لم تكن تريدنى أن أراه.

حينما تناولنا الكيكة، قالت " أوه، هذه كريمة حقيقية" ، وأخبرتنى كيف أنهم فى أيام الصيف كانوا يرسلونها هى وأخواتها إلى سيدة عجوز فى اسيكس.

" كنا نخرج كل يوم من أيام الصيف. أمسيات صيف ساخنة، ليس كتلك التى نعيشها الآن. كانت بشرتنا تتلون بلون بنى مثل التوفى. كان للسيدة العجوز كوخ صغير ولكن ليس لديها مطبخ. بنت ما يشبه الدعامة تحت سقف مصنوع من أعواد القش فى الساحة، وكان لديها وعاء حديدى كبير، وكانت تطهو لنا فيه كل شىء من أجل العشاء. فى البداية كانت تضع قطعة من اللحم، ثم حلقات من الجزر والبطاطس، وكان لديها البودنج، ملفوف فى قماش منثور عليها دقيق وكل هذا كان يطهى فى الوقت ذاته. كنت أتعجب دوما كيف أن البودنج كان له طعم المربى والفاكهة وليس اللحم، ولكن بالطبع كان ذلك تأثير قطعة القماش الغارقة فى الدقيق. ثم كانت تقدم لنا أطباق الشوربة الضخمة، وكانت تجلسنا على الدرج، وكنا نأكل اللحم والخضار، ثم كانت تنزع القماش عن

"ألا تستطيعين تناول العنب؟ الموز؟ "

قالت بصوت ساخر إن المعاش الذى تتقاضاه لا يمكنها من شراء العنب. وانطلقت من موضوع المعاش لتتحدث عن الوقود كم يكلفها، وتكلفة الطعام، و"موظفة المجلس تلك التى لا تعرف ما الذى تتحدث عنه". استمعت، مرة أخرى. ما زلت لا أستطيع أن استوعب كلامها برمته. أرى أنه سيمضى وقت طويل قبل أن يكون بإمكانى أن أكون صورة كاملة عنها، وقت طويل قبل أن أتجاوز جهلى، قلة خبرتى، وصمتها أو حتى إحساسها الساخر ـ وقت طويل حتى أستوعب من هى، طبيعتها، وسذاجتى.

أرادت (السيدة عضوة المجلس)، السيدة روجرز، أن تنال السيدة فاولر مساعدة منزلية. ولكن المساعدة المنزلية غشتها ولم تقدم أى شىء، ولم تقم حتى بتنظيف الأرض. تقوم بالمساعدة المنزلية الآن سيدات صغيرات كسولات، يبدو أن مثل هذا العمل لا يليق بهن. لم يكن للسيدة فاولر المهارة اللازمة لتنظيف الأرض. إنها تحمل وقودها الخاص من الفحم على طول الممر. إنها تنظف مدخنتها مرة واحدة كل أسبوع بقدر ما تستطيع أن تصل بفرشاتها، لأنها تخاف من النار. وهكذا استمرت تتحدث عن الموظفين الاجتماعيين، والقائمين على المساعدة المنزلية، وعن الجارة الطيبة، كانت كريمة بما يكفى لكى تأتى مرة واحدة فى الأسبوع. قالت لى المساعدة أنه حان الوقت

لكى أكون فى منزل، ولهذا فقد أجبتها، أنت تعرفين طريقك للخارج.

"ولكن يا سيدة فاولر، لقد تقابلنا أنا وأنت عند الصيدلى، كيف يمكننى أن أكون إذًا جارة طيبة ـ أعنى بشكل رسمى؟"

"إنهن يظهرن لأى سبب"، قالت بصوت مرير وكئيب، لأنها خشت أن أغضب ولا أعود ثانية.

خرجت معى إلى الباب الخارجى حينما رحلت، وكانت تفعل شيئا كنت أراه على المسرح أو مكتوبًا فى رواية. كانت ترتدى مريلة مطبخ مخططة لأنها كانت تعد الشاى، ووقفت تقلبه بيديها الاثنتين، حتى تجعله ناعما، ثم تقلبه ثانية.

"هل يمكن أن أزورك خلال الأسبوع؟" سألتها.

"إن كان لديك وقت،" قالت، ثم لم تستطع أن تقاوم، " وسيشكل ذلك حملا أكثر قليلا عليك". ومع ذلك كانت تلتقط أنفاسها بصعوبة وهى تقول ذلك: لم تكن تريد أن تقول ذلك، ، لأنها أرادت أن تصدق أننى لم أكن موظفة تتلقى أجرًا ولكن فقط إنسان ما تحبها.

حينما ذهبت إليها بعد انتهائى من العمل يوم الأربعاء، جلبت معى عددًا من مجلتنا. كنت أشعر بالخجل منها ، كونها ناعمة جدًا، شهوانية، وتافهة، جدًا ـ هذه هى الطريقة التى تقدم المجلة بها شخصيتها. ولكنها أخذتها منى وعلى وجهها ابتسامة

فتاة لعوب، مع حركة من رأسها ـ ما تبقى من شعر فتاة متطاير، وقالت "اوه كم أحب هذه الأشياء، أحب النظر إلى هذه الأشياء. إنها تثير الخيال".

لأن الساعة قد أشارت إلى السابعة، لم أكن أعرف كيف ألائم نفسى مع ظروفها. متى تتناول طعام العشاء؟ أو تذهب للفراش؟ على الجرائد التى على الطاولة كانت هناك زجاجة لبن كامل الدسم و كوب.

"لقد تناولته، وإلا كنت قدمت لك شيئًا،" قالت فاولر.

جلست على الكرسى فى مواجهتها ورأيت أن الغرفة التى بها ستائر مسحوبة و النور مضاء، تبدو مريحة تمامًا، وليست قذرة و كئيبة بشكل مرعب. ولكن لماذا أخوض فى مثل هذه القذارة؟ لماذا نحكم على الناس بهذا المعيار؟ إنها لم تكن أسوأ من البقع والتراب وحتى الرائحة. قررت ألا ألاحظ، إذا استطعت ذلك، ألا استمر فى تقييمها، الأمر الذى كنت أقوم به بغباء. رأيت الأسلاك الكهربائية الموصلة وهى مقطوعة، و وجدت عذرًا للذهاب إلى (المطبخ): أسلاك متشابكة تزحف على الحائط، مفتاح واحد فقط للغرفة كلها، فوق عند منبع الضوء ذاته، والذى كان من الصعب عليها الوصول إليه.

كانت تنظر إلى المجلة، بابتسامة تملؤها البهجة.

"أعمل فى هذه المجلة،" قلت، لم تناقشنى فى الأمر وجلست تنظر إلىّ بطريقتها تلك، وكأنها تريد أن تثبت صورة ما، أن تجعلها مفهومة.

"حقًا ؟ وماذا تفعلين..." ولكنها لم تعرف ما السؤال الذى ينبغى عليها أن تسأله. لم أقو على القول إننى مساعدة رئيس التحرير. قلت " أقوم بالجمع وذلك النوع من الأشياء"، وهو ما يعد حقيقيًا بشكل كافٍ.

"هذا هو الأمر الرئيسى" قالت، "التدريب، إنه يقف بينك وبين لا شىء. بين ذلك الأمر، وحصولك على مكان خاص بك."

فى هذا المساء تحدثت عن كيف أنها قد كافحت لتحصل على هذه الشقة، حيث إنها فى البداية كانت فى الطابق الأعلى من الخلف، وهو عبارة عن غرفة واحدة، ولكنها كانت تترقب الحصول على هذه الشقة فى الطابق الأرضى، وانتظرتها ، وأرادتها، وتآمرت للحصول عليها. وأخيراً، حصلت عليها. ولن يستطيعوا إخراجى منها، وليسوا بحاجة للتفكير فى ذلك. كانت تتحدث وكأن كل ذلك قد حدث البارحة، ولكن ذلك قد حدث فى زمن الحرب العالمية الأولى.

تحدثت عن عدم قدرتها على توفير المال اللازم لإيجار تلك الغرف، وكيف أنها قامت بتوفير هذا المال، قرشا قرشا، ثم سرق هذا المال، عامان من التقشف والتوفير،سرقته هذه المرأة الخبيثة فى الطابق الأول، ثم ادخرت ثانية ، ثم فى النهاية ذهبت لمالك العقار وقالت له، أنت...اجعلنى أسكن الطابق هذا الطابق السفلى. إننى أملك المال اللازم لذلك. قال لى، وكيف

ستستمرين فى دفع الإيجار؟ أنت صانعة قبعات نسائية أليس كذلك؟ قلت له، فلتترك هذا الأمر لى. حينما أتوقف عن الدفع، فلتطردنى إذًا من الشقة. " ولم أتقاعس يومًا عن دفع الإيجار، ولا لمرة واحدة. على الرغم من أننى كنت لا أتناول الطعام. لا، لقد تعلمت ذلك مبكراً. إن كنت تملك مكانك الخاص، فإنك تملك كل شىء. بدون ذلك، أنت مجرد كلب. أنت لا شىء. هل لديك مكانك الخاص؟" ـ وحينما قلت نعم، قالت وهى تومئ بعنف، وغضب، "هذا صحيح، وتمسكى به، ولن يمسك سوء".

تدفع السيدة فاولراثنين وعشرين شلنًا فى الأسبوع من أجل إيجار شقتها. حوالى جنيها الآن بحساب الأموال الجديدة، بالطبع هى لا تفكر بلغة العملة الجديدة، إنها لا تستطيع أن تجاريها. قالت إن البيت قد ابتاعه ذلك "اليونانى" بعد الحرب ـ الحرب الجديدة، تعلمين، ليس القديمة ـ بأربعمائة جنيه. وهو يساوى الآن ستين ألفًا. " ويريدنى أن أخرج من البيت، حتى يستطيع أن يحصل على ماله اللعين من هذه الشقة. ولكننى أعرف حيلة أو اثنتين. دائمًا ما يكون لدى حيل. وإذا لم يأت سأذهب إلى مكتب التليفون، وأتصل بمكتبه و أقول، لماذا لم تأت لكى تأخذ إيجارك؟"

لم أقل لها الكثير. "ولكن، يا سيدة فاولر، اثنان وعشرون شلنًا لا تستحق مجهودًا أن يأتى بنفسه لجمعها، عندها لمعت عيناها، وأصبح وجهها أبيض

ومرتعبًا وقالت،" أهكذا ترين الأمر، هكذا؟ هل أرسلك هو إلى هنا، إذًا؟ ولكن هذا هو الإيجار، بمقتضى القانون ، وسوف أقوم بدفعه. لا يساوى شيئاً، هذا هو الأمر؟ إنه يساوى السقف الذى فوق رأسى."

على اية حال، يسكن الطوابق الثلاثة أسر أيرلندية، وأطفال، و ناس يجيئون و يذهبون، أقدام تسير بلا هدف: تقول السيدة فاولر(أنها) تجعل باب الثلاجة يصنع أزيزا لكى يبقيها مستيقظة ليلا، لأنها تريد هذه الشقة... السيدة فاولر تعيش أسوأ كابوس لاضطهاد متخيل. أخبرتنى عن حملة العشر سنوات، بعد الحرب العالمية الأولى ، وليست الثانية، عندما حاولت تلك "العاهرة من نوتنجهام" أن تحصل على غرفها، وهى... يبدو أنها فعلت كل شىء، ليس هناك شىء لم تفعله، إن ذلك كله يبدو حقيقيًا. ولكن الآن هناك بالأعلى زوجين أيرلنديين وأربعة أطفال، ورأيت المرأة على السلم. "كيف حال السيدة العجوز؟" سألت، وكانت عيناها الأيرلنديتان الحلزونيتان متعبتين ووحيدتين، لأن زوجها سيتركها، من أجل امراة أخرى، من الواضح. " انتوى دائما النزول لأسفل ولكنها لا تبدو سعيدة حينما أفعل ذلك، فلا أنزل."

أطلعت السيدة فاولر على عدد من ليليث، التى احتوت على صور سيدات. أخذت المجلة بأدب، وجعلتها تقبع فى حجرها. فقط حينما كان العدد جاهزًا للنزول للمطبعة، فكرت أنه لا توجد نساء عجائز بين الصور. قلت هذا لجويس، وشاهدت سلسلة من ردود الفعل عليها: أولاً الدهشة، ثم

الصدمة، ، حركات قصيرة بالرأس والعينين كانت تشى بأنها تتحول لشعور ما بالخطر. ثم، كبتت مشاعرها، وأصبحت مثل صورة غامضة، وتحولت عيناها عنى. أطرقت برأسها: "أوه، و لكن لماذا، إنها لا تعبر عن مجموعتنا العمرية،" قلت، وأنا أراقب نفسى فى عينيها، "كلهن لديهن أمهات أو جدات"، كم نخشى من العمر: كم نحول نظرنا بعيدًا! "لا،" قالت، ولازالت تبدو غامضة، بمزاج مجرد، وكأنها تريد أن تكون عادلة فى شأن موضوع شديد الصعوبة، أمر فكرت فيه بشكل نهائى. "لا، ليس بشكل مطلق، ولكننا ربما ننشر موضوعًا عن العلاقات السائدة بين الكبار فى وقت لاحق. سآخذ ملاحظة بذلك". ثم أرسلت لى بابتسامة خاطفة، ابتسامة مركبة: الذنب، الارتياح وكانت لا تزال هناك - المفاجأة. كانت تتعجب، ما الذى حدث فى جانا؟ وكانت هناك ورطة ما: لا تهددينى، لا تفعلى! وبالرغم من ذلك كانت تجلس وتشاركنى فى فنجان شاى بينما نناقش موضوعًا تلو الآخر، قالت ينبغى أن أمضى، ومضت.

حدث لى للتو أمر مثير للاهتمام.

استحدثت جويس الأمر،؟، من سيلقى بموضوع ناقشناه للتو فى سلة المهملات، وتبدأ من جديد، تعمل طوال الليل، لكى تصل لحل بشأنها، و هكذا تقدم جويس نفسها، بوصفها طائشة، منطلقة، روح جريئة، لا شىء مقدس. أنا، جانا، كلاسيكية وحذرة ومتحفظة، هذا هو مظهرى، وما أعتقد انه أنا.

وبالرغم من ذلك هناك لحظات كثيرة بيننا، كانت بيننا دوما. تقول جويس، "لا يمكننا أن نفعل ذلك، لن يعجب قراؤنا بذلك".

أنا، دومًا ما أصدق قراءنا ـ وقراء كل شخص آخر لهذا الشأن يمكن أن يأخذوا أكثر بكثير مما يقدم إليهم.

أقول،" جويس، هل يمكننا أن نجرب هذا الأمر؟

ولكن فى معظم الأحوال، مهما كان هناك فى الملف الذى منحته عنوان "صعب للغاية"، والذى أتركه على مكتبى حتى تراه جويس وكما آمل، ولكن أملى يضيع هباءً فى معظم الوقت ـ تتحفز لأن تفكر فيه مرة أخرى.

الصور. (أ) فتاة فى الثانية أو الثالثة عشرة من عمرها، سببت لنا الكثير من الإزعاج. لقد نبذنا مئات الصور، وفى النهاية لجأنا إلى مايكل لكى يقوم بتصوير ابنة أخت جويس، وهى فى الخامسة عشرة من عمرها فى الواقع ولكنها تبدو كطفلة. لنا بعض المناقشات المنطقية الصحية والصريحة، ولكننا كنا نتجنب مناقشة الأمور الخلافية. (ب) فتاة فى حوالى السابعة عشرة، تبدو عليها علامات الاستقلال والثقة بالنفس. ما زلت فى المنزل، ولكنى أتأهب لأترك العش. (ج) كيف تعيشين حياتك الخاصة. فى منتصف العشرينيات. حيث إنه من واقع تجربتنا، تعيش النساء حياتهن، ويتقاسمن الحياة فى شقق مع آخرين، يعملن،

يشعرن وكأنهن يتحركن بشكل مقيد، اخترنا شيئًا ما جميلاً وضعيفًا. إنهن يحتجن الرجل الصحيح، ولكن بإمكانهن الاستغناء عنه. (د) النساء المتزوجات صغيرات السن، اللواتى يعملن لبعض الوقت، ولديهن طفلان، ويدرن أمور المنزل والزوج.

هكذا كان الأمر.

قبل أسابيع قليلة مضت، لم أكن أرى عجائز على الإطلاق. كانت عيناى منجذبة باتجاه، وكنت أرى الشباب، الجذابين، المتأنقين، والذين يتسمون بالوسامة. والآن يبدو الأمر وكأن شفافية قد اصطدمت عبر تلك الصورة السابقة وبشكل مفاجئ، لكى يحل محلها العجائز، المرضى.

كدت أن أقول لجويس " ولكننا يوما ما سنصير عجائز،" ولكنه يبدو أنه اكليشيه بشكل واضح، بشكل ممل جداً. أستطيع أن أسمعها وهى تقول، "أوه جانا، هل يتحتم علينا أن نكون مملين جداً، واضحين لهذه الدرجة، إنهم لا يبتاعوننا من أجل هذا النوع من الأشياء". دائمًا ما تقول، يبتاعوننا، يجب علينا أن نجعلهم يبتاعوننا. فى يوم من الأيام ذهبت إلى محطة بنزين، وكنت منهكة بعد ساعات طويلة من القيادة وقلت، " لو سمحت املأنى للنهاية". وقال لى العامل، "سأكون فقط سعيدًا جدًا سيدتى لأملأ سيارتك".

حينما ذهبت السيدة فاولر إلى المطبخ لتجلب لنا بعض البسكويت، راقبتها و هى تجذب كرسيًا صغيرًا

لتقف عليه حتى تصل إلى إضاءة السقف. اختبرت الأسلاك المتشابكة الساخنة، الحوائط الرطبة.

وفيما بعد قلت لها، "سأطلب من الكهربائى الخاص بى أن يأتى إلى هنا، وإلا فإنك ستقتلين نفسك بهذه الطريقة."

جلست ساكنة تمامًا لدقائق قليلة، ثم رفعت عينيها، ونظرت إلىّ، وأطرقت. كنت أعرف أن هذه لحظة ذات أهمية. لقد قلت شيئًا كانت تحلم بأن يقوله شخص ما: ولكنه يشكل الآن عبئًا عليها، وتمنت أن نبتعد أنا وتلك اللحظة بعيدًا.

قالت: " أستطيع أن أتعامل بشكل كافٍ". كانت كلماتها جبانة، جذابة، حزينة.

قلت، "من العار أن تعيشى فى مثل هذه الظروف. الكهرباء خاصتك، إنها فخ للموت."

ضحكت بشهقة عالية على هذه الجملة. "فخ للموت؟ أهو كذلك؟" وضحكنا معًا. ولكننى كنت ممتلئة بالرعب. شىء ما بداخلى كان يصارع من أجل أن أركض، أن أهرب من هذا الموقف.

أشعر أننى وقعت فى فخ. أنا فى فخ. لأننى قطعت وعدًا لها. بشكل صامت. و لكنه وعد.

ذهبت للبيت، وبينما أنا أفتح بابى، فتح الباب المقابل لى ببطء: السيدة بينى فى مواجهتى. "لو سمحت،" صاحت. " كنت أنتظر عودتك للبيت. أريد ببساطة أن أطلب منك معروفا".

قلت بصوت يملأه شعور بالمرارة، " ما هو؟"

"نسيت أن أبتاع الزبد حينما كنت بالخارج و ..."

"سأحضر لك بعض الزبد" قلت، وبنوبة نشاط دخلت شقتى، وأخذت نصف رطل من الزبد، ودفعته فى يديها، وقلت، " هذا شىء بسيط"، وركضت عائدة إلى شقتى دافعة الباب. دفعت الباب متعمدة. إن لديها زبد. أعرف ذلك. ما كنت أفكر به هو أن لديها ابنًا وابنة، وإذا لم يعتنيا بها، فليست هذه مسئوليتى.

كنت فى حالة من الغضب والتهيج، بحاجة لأن أحطم شيئًا ما - السيدة فاولر. ملأت حوض الاستحمام. وضعت كل قطعة صغيرة من ملابسى التى ارتديتها فى هذا اليوم فى المغسلة. كنت أستطيع أن أشعر برائحة هواء بيت السيدة فاولر على جلدى وشعرى.

حمامى، أدركت فى هذه الليلة أنه المكان الذى أعيش فيه. من المحتمل أن يكون هو بيتى بالفعل. حينما انتقلت هنا، نسخت الحمام الذى كنت قد صنعته فى الشقة القديمة، بكل تفاصيله، ولكننى لم أضف شيئًا بشكل خاص فى غرفة المعيشة ، وغرفة النوم و غرفة المكتب.

كان فريدى يمزح قائلاً إن حمامى هو منافسه الوحيد.

جعلت لون طلاء الحائط خصيصًا خليطًا من اللونين العاجى ودرجة من اللون الوردى. كان لدىّ

رقائق من المطاط من إسبانيا، رقيقة للغاية وخفيفة، بلون العشب، التركوازى، والأصفر، أما الستائر فقد رسمت بشكل يناسب تلك الرقائق. أما لون حوض الاستحمام فهو رمادى وأزرق. فى بعض الأحيان تكون الغرفة مثالية، لايمكن أن تضيف أو تغير شيئًا فيها. حينما شاهدتها جويس، أرادت أن تصورها للمجلة. قلت لا: سيكون الأمر، وكأن أحدهم سيقوم بتصويرى وأنا عارية. إننى أستحم كل يوم، كل ليلة. أتمدد فى المغطس وأنقع جسمى لساعات. أقرأ فى المغطس، تاركة رأسى وركبتى تطفوان على وسائد مصنوعة من مادة مضادة للماء. لدىّ رفان مملوءان بأنواع مختلفة من فقاعات الاستحمام. فى ذلك المساء، رقدت فى المغطس، وأضفت الماء الساخن، حيث كان الجو باردًا، ونظرت إلى جسمى. إنه جسم صلب، متماسك، أبيض. ليس به دهون. لا قدر الله! و لكنه متماسك. إنه لم يرتخ أو يتدلى بعد. حسنًا، لا أطفال. لم يكن هناك أبدًا وقت من أجل الأطفال، وحينما قلت لفريدى، أجل، سأجلب واحدًا فى الداخل الآن، ولكننى لم أحمل. كان مرحًا ولطيفًا بهذا الشأن. لم أعرف مدى عمق شعوره بهذا الأمر. أعلم أنه أراد أنه يكون له أطفال، ولكنى لا أعرف إلى أى مدى. كنت، أفترض ذلك، حريصة على ألا أعرف.

خرجت من المغطس ووقفت فى مدخل الباب، ملفوفة فى منشفتى ونظرت إلى الحمام وفكرت فى السيدة فاولر. لم يكن لديها أبدًا ماء ساخن. كانت

تعيش فى تلك الحفرة الحقيرة ، تستعمل الماء البارد، منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى.

تمنيت لو أننى لم أستجب لها، وكنت أتعجب طوال المساء، كيف يتسنى لى أن أفلت.

استيقظت فى الصباح وكان الأمر يبدو وكأننى أواجه مصيرًا بشعًا. لأننى كنت أعرف أننى سأعتنى بالسيدة فاولر. بدرجة ما، على أية حال.

اتصلت بالكهربائى. شرحت له كل شىء. ذهبت للعمل وأنا مكتئبة، بل ومرتعبة.

اتصل بى الكهربائى فى ذلك المساء، فقد صرخت السيدة فاولر فى وجهه، ماذا تريد؟ فرحل عن البيت.

قلت إننى سأقابله هناك فى المساء التالى.

كان هناك فى السادسة، ورأيت وجهه فى اللحظة التى فتحت فيها الباب حيث صدمته الرائحة والقذارة، ثم قال لها، بطريقة لطيفة، "حسنًا لقد قابلتنى بشكل طيب البارحة، أليس كذلك؟"

تفحصته ببطء، ثم نظرت إلىّ وكأننى غريبة، ثم وقفت جانبًا، ثم ذهبت إلى "حجرة المعيشة خاصتها"، بينما كنت أخبره ما الذى عليه فعله. كان ينبغى أن أبقى معها، ولكنى كنت قد جلبت بعض العمل لأنجزه فى المنزل، وقد قلت لها ذلك.

"لم أطلب منك أن تزعجى نفسك،" قالت فاولر.

قاومت نفسى، ثم احتضنتها. "أوه، هيا، لا تكونى كثيرة التذمر"، قلت، ثم رحلت. كانت الدموع بعينيها.

بالنسبة لى كنت أقاوم شعورى بالاشمئزاز، رائحتها المبتذلة. والرائحة الأخرى، الرائحة الحادة الحلوة التى لم أعرفها.

اتصل بى جيم البارحة وقال لى إنه فعل ما فى وسعه بالنسبة للمكان، وضع كابلا جديدًا ومفاتيح كهربائية على ارتفاع تستطيع الوصول إليه، وجلب لها مصباح إضاءة بجوار السرير.

أخبرنى عن التكلفة ـ ثمنًا باهظًا كما توقعت. قلت إننى سأرسل له شيكًا. فترة صمت. أراد أن يحصل على أمواله دفعة واحدة: فكرت أننى قد أحتاج إليه مرة ثانية من أجل السيدة فاولر ـ وكان هذا التفكير مرعبًا، وكأننى أعترف بحمل فظيع للأبد- قلت "لو جئت الآن سأعطيك أموالك فى الحال." "سأفعل." قال. وصل بعد نصف ساعة. أخذ المال وظل واقفًا، ثم قال"لماذا لا تقطن فى منزل؟ لا ينبغى أن تعيش بهذا الشكل". قلت، "إنها لا تريد أن تعيش فى منزل. إنها تحب المكان الذى تعيش فيه".

جيم ولد لطيف، وليس غبيًا. كان يشعر بالخجل حيال ما يفكر فيه، مثلى تمامًا. تردد قليلا، ثم قال، "لم أكن أعرف أن هناك أناسًا لا يزالون يعيشون هكذا".

قلت، فى العالم بأكمله، الأكبر سنًا أكثر خبرة، "ثم إنك لا تعلم الكثير."

ما زال واقفًا فى تردد، منزعجًا، ولكنه مصر. "ما فائدة العجائز حينما يصلون لمثل هذا السن المتقدم؟"

قال جيم. ثم، وبسرعة، لكى يمحو ما قاله منذ قليل، لكى يلغى ما كان يفكر فيه، "حسناً، سنصبح عجائز فى يوم من تلك الأيام، كما أفترض. مرحى!".

ثم ذهب، كان رقيقًا حينما قال، سنكون عجائز، وليس سأكون عجوزًا: لأنه بالنسبة له أنا كبيرة السن، بالفعل.

ثم جلست أفكر. ما قاله هو ما قد يقوله الناس: لماذا لا يقطن هؤلاء الناس منزلا؟ ابعدوهم عن الطريق، بعيدًا عن النظر، حيث لا يراهم الشباب الأصحاء، ولا ينشغلون بهم!.

إنهم يفكرون ـ كنت أفكر وما زلتُ أفكر ما هو الهدف من وراء وجودهم حتى الآن؟

ثم فكرت، إذًا، كيف نقيم أنفسنا؟ وبأية وسيلة؟ العمل؟ جيم الكهربائى شخص جيد، الكهربائيون، هم بشكل واضح من فئة العمال الأولى ـ إن استطعت أن تصل إليهم أصلا. ماذا عن مديرى التحرير فى المجلات النسائية؟ مديرو التحرير اللاتى لم يرزقن بأطفال؟ ماذا عن جويس، وهى محررة ولديها طفلة واحدة، من سيتوقف عن الحديث معها؟ ولكن جويس ليست فى مستوى الازدراء، لسبب أو لآخر، نسيت، لديها ولد أيضًا... أمر صعب. لقد مللت للغاية من هؤلاء النساء الجميلات المدللات، والمراهقات.

ماذا عن الأخت جورجى؟ حسناً، إنها بخير، لديها الأطفال و الزوج، وأعمالها الخيرية، ولكن ماذا

سيصير حال الأخت جورجى بعد خمسة عشر عامًا؟ بحسبة بسيطة ستكون أرملة، سيرحل الأطفال، ستكمل حياتها فى شقة، ليس لها فائدة لأى أحد. كيف سيتم تقييمها حينها؟

ماذا عن فريدى، لو كان حيا الآن؟هو قديس، ليس أقل، لاحتماله زوجة طفلة مدللة. ولكن بعد خمسة عشر عامًا؟ أرى الرجال العجائز مرتخيان، ضعفاء، يبدون بشكل مترب، أو سمينين ومترهلين، تميل بشرتهم للون رمادى، يروحون ويجيئون فى الطرق للتبضع، أو يقفون فى زوايا الطريق، و كأنهم ضائعون.

هل نقيم الناس بأفكارهم الجميلة؟

إن لم تكن أفكارى جميلة الآن، فكيف من المحتمل أن تكون بعد خمسة عشر أو عشرين عاما؟ ما فائدة مودى فاولر؟ حسب مقياس عصيان الطريق، والمقاييس الأخرى، لا فائدة هناك.

ماذا عن السيدة بينى، إنها بمثابة ضوضاء لأطفالها، و لكل شخص فى هذه العمارة، وبشكل خاص لى ـ فى بعض الأحيان لا أستطيع مواجهتها. امرأة غبية ، والحروف التى تنطقها بسخف بشكل استثنائى،التى جلبتها من إقامتها بالهند فى طفولتها، مشروباتها السرية، بطئها، وعدم إخلاصها.

حسناً، ماذا عن السيدة بينى؟ لن يكون هناك شخص على وجه الأرض سيذرف دمعة واحدة لو ماتت.

حينما انتهيت من جيم، حصلت على حمام طويل آخر. يبدو الأمر وكأن، فى مثل هذا الاستحمام، تطفو ذاتى القديمة بعيدًا، تغرق، بينما تظهر أخرى، من صابون باين نيدل، وجيل ساتين سيلف، وأيونات نسيم البحر.

ذهبت للسرير فى تلك الليلة وأنا أقول لنفسى إننى قد أسهمت فى بعض الرفاهية للسيدة فاولر، ربما أكثر مما تتوقع. وأن ما فعلته كاف. إننى ببساطة، لن أقترب منها ثانية.

فى الصباح صحوت شاعرة باعتلال، لأننى كنت أشعر أننى متورطة جدًا، وفكرت كيف كانت نشأتى. أمر مثير جدًا، يمكن أن تقول النشأة كانت أخلاقية، دينية، بشكل فاتر. ولكن المناخ كان ملائمًا بالتأكيد: لقد فعلنا الأشياء الصائبة، كنا جيدين. ولكن، بشكل عملى، كيف يمكن حساب ذلك؟ لم أكن أتلقى تعليمات بشكل تأديبى، أو من أجل التحكم بنفسى. فيما عدا الحرب، ولكن كانت تلك من الخارج. لم أتعلم كيف أتحكم فى تناولى للطعام، كان علىّ أن أفعل ذلك بنفسى. أو كيف أنهض فى الصباح، وكان ذلك أكثر الأمور صعوبة. حينما بدأت العمل، لم أضطر لفعل ذلك أبداً. لم أكن أعرف أبدًا كيف أقول لا لنفسى، حينما أريد شيئًا ما. لم نكن محرومين أبدًا من أى شىء، إن كان متاحًا. الحرب! ألهذا السبب، لأن القليل للغاية كان متاحًا، ألهذا السبب كان يسمح للأطفال بأى شىء يريدونه؟ ولكن هناك شيئًا وحيدًا يمكننى أن

أشكر أمى من أجله، أمر واحد فقط: ورقدت فى السرير ذلك الصباح وأنا أقول لها، "شكرًا من أجل ذلك. على الأقل علمتينى أن أقطع وعودًا، وأن أفى بها. هذا أننى لو قلت إننى سأفعل شيئًا ما، إذًا يجب علىّ القيام به. إنه ليس أمرًا ذا أهمية كبيرة، ولكنه مهم".

شكراً لك.

وعدت ثانية للسيدة فاولر بعد العمل.

كنت أفكر طوال اليوم بحمامى الساحر، باستحمامى المتكرر، واعتمادى على كل ذلك. كنت أفكر بأن ما أنفقته فى الماء الساخن لمدة شهر، كان من الممكن أن يغير حياتها.

ولكننى حينما ذهبت إلى بيتها، ومعى ست زجاجات من الحليب، وبعض الأكواب، وصحت من عند الباب، "مرحباً، أنا هنا، ادخلينى، انظرى ماذا جلبت معى؟" ومشيت فى ذلك الممر البشع بينما وقفت هى جانبًا، كان وجهها صارمًا قليلاً وحقيرًا. أرادت أن تعاقبنى بسبب الكهرباء الجديدة ومن أجل شعورها الجديد بالارتياح، ولكننى لم أكن لأدعها تفعل ذلك. دخلت بخطوات واسعة وصفعت الباب وسكبت الزجاجات من الحقيبة و أريتها الأكواب. وفى الوقت الذى قررت أن أجلس فيه، جلست هى أيضًا، مبتسمة، ممتلئة بالحيوية.

"هل رأيت حذائى طويل الرقبة الجديد؟" سألتها، وأنا أدفعه للأمام. انحنت لتحدق فيه ، وفمها يرتعش من الضحك، بخبث ما.

"أوه،" همست، " كم أحب الأشياء التى ترتدينها، أعتقد أنها جميلة".

و هكذا أمضينا الليلة، وأنا أريها كل قطعة صغيرة لدىّ.

خلعت سترتى ووقفت ساكنة حتى تتمكن من أن تلف حولى، ضاحكة. كنت أرتدى قميصى الداخلى القصيرالجديد. رفعت جونلتى حتى تستطيع أن ترى الدانتيلا المطرزة فيه. خلعت حذائى طويل الرقبة حتى تستطيع أن تتفحصه.

ضحكت و استمتعت بنفسها.

أخبرتنى عن الملابس التى كانت ترتديها وهى صغيرة.

كان لديها فستان محبب، رمادى من قماش البوبلين وعليه وردات وردية اللون.ارتدته لتزور خالتها. كان الفستان يخص زوجة أبيها الساحرة، وكان فضفاضًا جدًا عليها، ولكنها أخذته.

"قبل أن تموت أمى البائسة، لم يكن هناك شىء طيب بالنسبة لى، كنت أحصل على الملابس المستغنى عنها. ولكن ذلك كان جميلا للغاية، وأحببت نفسى وأنا أرتديه."

تحدثنا عن الفساتين والكلسونات و التنورات والقمصان الداخلية والشباشب، والكورسيهات التى كانت موجودة من خمسين، ستين ، سبعين سنة مضت. لقد تجاوزت السيدة فاولر التسعين من عمرها.

تكلمت أكثر شىء عن زوجة أبيها، التى كانت تمتلك حانتها الخاصة. حينما ماتت أم السيدة فاولر..."تسممت، عزيزتى! لقد سممتها ـ أوه أجل، أعرف ما تفكرين به، أستطيع أن أرى ذلك على وجهك، و لكنها سممتها، كما فعلت بى تمامًا. جاءت لتعيش فى منزلنا. كان فى سانت جونز وود. كنت خادمة للبيت كله، كنت مستعبدة ليلاً و نهارًا، وقبل أن يذهبا للسرير، كنت أعد أطباق الشوفان مع بعض الويسكى والكريمة المخفوقة فيها. كانت دومًا ما تجلس على جانب من المدفأة، بسترتها الحمراء الساحرة المصنوعة من الريش، ووالدى يجلس على الجانب الآخر. ، بسترته الحريرية. كانت تقول لى، مودى، هل تشعرين بالقوة اليوم؟ وكانت تقذف بسترتها تلك وتقف هناك مرتدية الكورسية. إنهم لا يصنعون كورسيهات مثل تلك الآن. لقد كانت امرأة كبيرة الحجم، جميلة، مليئة باللحم، وكان أبى يجلس هناك على الكرسى ذى الذراعين، مبتسمًا و هو يداعب شاربه. كان ينبغى علىّ أن أفك شرائط ذلك مشد الصدر. يا له من عمل ! ولكنه كان أفضل من شدها وإدخال لحمها المكدس فى هذا الكورسيه حينما كانت ترتدى ثيابها لكى تخرج. لم يقولا لى أبداً، مودى، هل تريدين أن تتمتعى بملعقة من الشوفان لنفسك؟ لا، كانا يأكلان ويشربان كالملوك، لم يعوزهما شىء. لو شعرت السيدة برغبة فى تناول الجمبرى، أو سرطان البحر أو سمك موسى، فإنه يرسل فى طلبها على

الفور، ولكنه لم يكن ليقول أبدًا، مودى، هل ترغبين فى قطعة من السمك؟ ولكنها أصبحت سمينة، أكثر فأكثر ولهذا فقد كانت تقول: هل تريدين سترتى الحريرية الزرقاء القديمة، يا مودى؟ كنت أريدها بالفعل! كان يكفى أحد فساتينها لأصنع منه فستانًا وبلوزة لى، وفى بعض الأحيان شالاً.

ولكننى لم أحب أبدًا ارتداء أشيائها، لا حقيقة. كنت أشعر وكأنهما قد سرقوا من أمى المسكينة".

لم أصل للمنزل إلا فى وقت متأخر، أرقد فى حوض الاستحمام وأتعجب إن كان يمكننا أن نكتب موضوعًا مصورًا عن تلك الملابس. ألمحتُ لجويس، وبدا عليها الاهتمام.

كانت تنظر إلىّ بشغف. لم تكن تريد أن تسأل أسئلة، لأن شيئًا ما بدا على ملامحى فى تلك اللحظة قد حذرها من إلقاء أسئلتها. ولكنها قالت، " من أين سمعت عن تلك الملابس؟" بينما كنت أصف رداء بعد الظهيرة الحريرى الوردى الخاص بمالكة بار فيما قبل الحرب العالمية الأولى ـ والتى، وفقًا لحديث السيدة فاولر، وضعت السم لزوجة حبيبها، وحاولت أن تسمم ابنة حبيبها. ورداؤها الفضفاض المصنوع من الساتان، بلون الخوخ المرصع بريش النعام.

"أوه، إن لى حياة سرية"، قلت لها ، "يبدو ذلك" قالت جويس بنبرة عدم اهتمام، مغيبة، بدأت أدركها.

عدت إلى مودى الليلة الماضية. قلت لها، "هل يمكن أن أناديك مودى؟". ولكنها لم تحب ذلك، إنها

تكره الألفة، عدم الاحترام. ولهذا فقد صرفت النظر عن هذا الأمر. حينما كنت أستعد للرحيل قلت، "إذًا على الأقل، ناديني جانا، أرجوك". إذًا الآن ستناديني جانا، ولكن يجب أن أظل أناديها بالسيدة فاولر لأبدى احترامي لها.

طلبت منها أن تصف لي كل تلك الملابس القديمة من أجل المجلة. قلت: إننا سندفع لها مقابلاً لتلك الخبرة. ولكن هذا كان خطأ، صاحت، بصوت مصدوم ومجروح بالفعل، "أوه لا كيف يمكنك ذلك...أحب التفكير في تلك الأيام الماضية". وهكذا انصرفت عن هذا الأمر أيضاً. كم من الأخطاء أرتكبها، محاولة أن أفعل الأمر الصائب.

غالبًا ما تكون كل أفكاري الأولى المندفعة خاطئة تمامًا، مثل شعوري بالعار من حمامي، ومن المجلة.

أمضيت نصف ساعة في الليلة الماضية لكي أصف لها بأدق التفاصيل كيف يبدو حمامي، بينما كانت تجلس مبتسمة، فرحة، تلقي بالأسئلة. إنها ليست حسودة. لا. ولكن في بعض الأحيان، هناك نظرة مظلمة غاضبة، وأنا أعرف أنني سأستمع للمزيد، ضمنيًا، فيما بعد.

تحدثت أكثر عن ذلك المنزل في سانت جونز وود. أستطيع أن أراه االأثاث الغامق الثقيل، الراحة، الطعام الجيد، والشراب.

كان أبوها يمتلك منزلاً صغيرًا حيث أرادوا أن يضعوا خط قطار بادينجتون. أو شيء ما له علاقة به.

وحصل على ثروة فى مقابله. كان لوالدها محل صغير فى بيل ستريت، وكان يبيع الآلات المعدنية، وكان يحتفظ بالفحم والخبز للفقراء، وفى الجو البارد كانت هناك قدور كبيرة للحساء من أجل الفقراء. "كنت أحب الوقوف هناك، كنت فخورة جدًا به، وأنا أساعد هؤلاء الفقراء. .." ثم جاء الحظ الجيد، كل شىء دفعة واحدة، البيت الكبير والدفء وأبوها يخرج تقريبًا كل يوم، لأنه أحب الذهاب حيثما يوجد الرجال المتأنقون، كان يذهب لتناول العشاء وللمسرح، وقاعة الموسيقى، وهناك قابلها، وانكسر قلب والدة مودى، وسممت فى النهاية.

قالت مودى إن طفولتها كانت ممتعة، لم تتمنى أفضل منها لأى أحد، ولا للملكة نفسها. ظلت تتحدث عن أرجوحة فى الحديقة تحت أشجار التفاح، والحشائش الطويلة غير المقطوعة. "كنت أجلس وأؤرجح نفسى لساعات فى كل مرة، و أتأرجح، وأتأرجح، وأنا أغنى كل الأغانى التى أعرفها، ثم تجىء أمى المسكينة، وتنادينى، لأركض إليها، فتعطينى كيكة الفاكهة واللبن و تقبلنى، ثم أركض عائدة للأرجوحة. أو كانت تساعدنى أنا وأختى بولى فى ارتداء ملابسنا وكنا نخرج للشارع. كان لدينا قرش واحد، وكنا نشترى قطعة من الشيكولاتة لكل واحدة منا. وكنت ألعقها جزءًا جزءًا، وكنت أتمنى ألا أقابل أحدًا فأضطر لمشاركته فيها. ولكن أختى كانت تأكل قطعتها كلها دفعة واحدة، ثم تحايلنى لتحصل على قطعة منى".

"كم كان عمرك حينما كنت تلعبين على الأرجوحة، سيدة فاولر؟"

"أوه، لابد أننى كنت فى السادسة".

لا شىء من ذلك يقبله العقل. لا يمكن بالتأكيد أن تكون هناك حديقة ذات حشائش كثيفة خلف محل للأدوات المعدنية فى بيل ستريت ، وفى سانت جونز وود، لابد أنها كانت كبيرة السن جداً، لكى تلعب على الأرجوحة، وتلاعب نفسها على الحشائش بينما العصافير تغنى؟ وحينما كان يذهب أبوها للمسرح ولتناول العشاء، متى كان ذلك؟ أسأل و لكنها لا تفضل أن تكمل الحديث. بذهنها صور مضيئة رسمتها لنفسها وظلت تفكر فيها كل تلك العقود.

فى أى بيت جاء أبوها ليقول لأمها "أنت أيتها المرأة الفوضاوية ، ألا يمكنك أن تفعلى شيئًا أبدًا سوى النحيب؟" وضربها. ولكنه لم يفعل ذلك ثانية أبداً، لأن مودى ركضت نحوه و ضربته على ساقيه حتى بدأ يضحك ورفعها لأعلى فى الهواء، وقال لزوجته، "لو كان لك بعض طاقتها، لكنت ذى شأن"، ثم ذهب لامرأته الساحرة، ثم يحدث أن ترسلها أمها إلى الحانة حاملة إبريقًا، تقف بين الناس وتطلب مشروب الجينيس. "نعم، كان علىّ أن أقف هناك كى يرانى الجميع، حتى تشعر هى بالخجل. ولكنها لم تكن تشعر بالخجل، لا تشعر هى بذلك، كانت تأخذنى إلى منضدة البار وحجرتها الصغيرة الخلفية، التى كانت

ساخنة جدًا لدرجة احمرار خدينا وكأنها قطعة من اللحم. كان ذلك قبل أن تسمم أمى، وتبدأ فى إبداء كراهيتها لى، بدافع شعورها بالذنب.

كل ما كتبته حتى الآن هو تلخيص لما قالته. الآن سأقوم بكتابة ما تقوله يومًا بيوم، إن استطعت. اليوم هو السبت، قمت بالتبضع، ثم ذهبت للمنزل للعمل لبضع ساعات، ثم هبطت على السيدة فاولر. لم تجب حينما طرقت الباب، ثم صعدت ثانية على الدرج القديم إلى الشارع ورأيتها تمشى زاحفة، تدفع بسلة التبضع خاصتها: رأيتها كالمرة الأولى ساحرة منحنية الظهر. مرعبة تمامًا، يكاد ذقنها وأنفها أن يلتقيا، حاجبان ثقيلان رماديان، شعر أبيض منثور بشكل فوضوى تحت قبعتها السوداء. كانت تتنفس بصعوبة وهى تتجه نحوى. حينما قلت مرحى، هزت رأسها بطريقتها العصبية تلك، ونزلت على الدرج دون أن تتحدث إلىّ. مازالت لا تتحدث إلىّ وهى تفتح الباب، و دخلت. سرت بعيدًا تقريبًا. ولكنى تبعتها، وبدون أن تطلب منى الدخول، دلفت إلى الغرفة التى توجد بها المدفأة. تبعتنى للغرفة. جاءت بعدى بوقت طويل، ربما نصف ساعة، بينما كنت أسمعها تعبث بالخارج. جاءت قطته الصفراء البالية لتجلس عند قدمىّ. جلبت صينية عليها برادها البنى والبسكوت، وكانت تبدو نسبيًا جميلة ومبتسمة. رفعت الستائر المتسخة عاليًا، وأضاءت النار ووضعت الفحم فى المدفأة. لم يعد هناك فحم فى السلة. أخذت السلة منها ومشيت عبر

الممر لخزانة الفحم. كانت مظلمة ولا إضاءة فيها. رائحة قطة. سكبت الفحم فى السلة وعدت بها، ومدت يدها لتتناول السلة دون أن تقول شكرًا.

إن الإزعاج الذى يولده التلخيص، هو أنك تترك كل تفاصيل اللقاء. يمكننى أن أقول إنها كانت كئيبة فى بداية الأمر، ثم استعادت هدوءها، وأمضينا وقتًا لطيفًا نشرب الشاى، وحدثتنى عن... ولكن ماذا عن نوبات الحب، الغضب، والضيق ـ أو الكثير من الغضب لكلينا.

كنت أشعر بالغضب بينما كنت أقف هناك على الدرج، وتجاوزتنى هى دون أن تتحدث معى، كانت غاضبة، من المحتمل، معتقدة، أن هذا أمر قد أصبح زائدًا عن الحد! و بينما هى تجلس فى تلك الحجرة مع القطة، كنت مستفزة ، أفكر، حسناً، أهذه هى طريقتها فى التعبير عن الامتنان! ثم يذوب كل الضيق ويستحيل إلى سعادة مع الوهج المنبعث من المدفأة، والمطر المنهمر بالخارج. وهناك دائمًا تلك اللحظات السيئة بالنسبة لى حينما كان على أن أمسك بفنجان القهوة المدهن وألصق شفتى به، حينما استنشق تلك الرائحة الحلوة الحادة التى تنبعث منها، حينما أرى كيف تنظر إلىّ فى بعض الأحيان، غليان غضب قديم. إنها عاطفة تتراوح بين العلو و الانخفاض، فى كل مقابلة بيننا.

أخبرتنى عن إجازة صيف.

"بالطبع، لم نكن نستطيع تحمل نفقات إجازات الصيف، ليس بالطريقة التى تتمتعن بها أنتن أيتها الفتيات اليوم. أنتن تعتبرن الأمر طبيعيًا دون مشقة! لقد أعفونى من العمل فى مصنع القبعات النسائية. لم أعرف متى سيطلبوننى للعمل ثانية. شعرت أننى متعبة ومنهارة، لأننى لم أكن أتناول الطعام بشكل صحيح وقتها، فقد كانوا يدفعون لنا أموالاً قليلة. لقد اتصلت برقم تليفون فى إعلان يطلب خادمة فى فندق يطل على البحر فى برايتون. اختارى، يقول الإعلان. كانوا يطلبون سندًا. لم يكن لدىّ سند. لم أخدم أبدًا فى مثل تلك الوظيفة. كانت أمى ستموت لو فكرت فى هذا الأمر. كتبت خطابًا وجاءنى خطاب منهم يطلب منى المجىء، و سيتولون هم دفع أجرة المواصلات. حزمت حقيبتى الصغيرة وذهبت. كنت أعرف أن هذا أمر جيد، كان هناك شىء ما يتعلق بخطابها. كان بيتًا كبيرًا، يبعد عن الطريق مسافة قليلة. سرت باتجاه الممر الأمامى. أفكر، حسنًا أننى لم أصبح خادمة هنا بعد!.

دعتنى مدبرة المنزل للدخول، كانت امرأة لطيفة حقًا، وقالت إن السيدة بريفت سترانى فى الحال. حسنًا، دعينى أقول هذا الآن، لقد كانت من أفضل الناس الذين عرفتهم فى حياتى. الأطيب. غالبًا ما أجد نفسى أفكر فيها. تعرفين، حينما يكون الأمر بهذا السوء، وتفكرين بأنه ليس هناك من مكان تلجئين إليه، ثم، تجدين هناك دوما ذلك الشخص، ذلك

الشخص الوحيد... تفحصتنى ثم قالت، حسنًا، مودى، تقولين إنه ليس لديك خبرة، وأنا أقدر صراحتك، ولكنى أريد فتاة من طبقة جيدة لأننا لدينا زبائن من طبقة جيدة أيضًا. متى يمكن أن تبدئى عملك؟ قلت، الآن، و ضحكنا معًا، وقالت فيما بعد أنه كان لديها الشعور ذاته تجاهى، حتى أننى لما وصلت كانت تعرف أن الأمور ستسير بشكل طيب. أخذتنى مدبرة المنزل لأعلى المنزل. كان هناك طاهٍ. وخادمة لغسل الأطباق، وصبى، ومدبرة المنزل، وفتاتان للعمل على خدمة الضيوف عند الطاولات، وأربع خادمات. كنت واحدة من هؤلاء الخادمات. كنا فى واحدة من تلك الغرف التى تحت السطح مباشرة، سريران كبيران فى الطابق العلوى هناك، كل اثنين فى سرير. لم أكن سأبدأ سوى فى الصباح، ولهذا فقد ركضت باتجاه الشاطئ، وخلعت حذائى. كان هناك البحر الجميل، لم أكن قد رأيت البحر منذ وفاة أمى. وجلست على الشاطئ أراقب البحر المعتم، وهو يموج لأعلى ولأسفل وكنت سعيدة جدًا... وعدت راكضة فى الظلام، خائفة ؟ بسبب الخانق...".

"بسبب ماذا؟"

" وهنا أخبرتنى بحكاية طويلة عن جريدة ما تحكى عن رجل كان يخنق الفتيات حينما يجدهن وحدهن... كان بقية الأمر الذى أخبرتنى به عديم الأهمية، ولكنه كان ينم عن شىء ما لدى مودى، توتر ماسوشى مرعب يظهر بشكل مفاجئ ثم يزول ثانية.

على أية حال، ركضت وهى ترتعش خلال الظلام، عبر الحديقة المعتمة، وعلى رقبتها شعور بنفس ساخن من الخانق، وفتحت مدبرة المنزل الباب، وقالت، أوه ها أنت هنا، مودى، كنت قلقة عليك، ولكن سيدة المنزل قالت لى، لا تقلقى، أعلم أين تكون، تعلمين، أنا فكرت مرارًا ومرارًا بهذا الأمر، من السهل للغاية أن يكون الناس لطفاء، لماذا إذًا يصابون بالجنون؟ كل شىء فى هذا البيت الكبير كان لطيفًا، كل من فيه، وحتى الضيوف أيضًا، لا أحد يتسم بالخبث أو الحدة أو التسرع. كان ذلك بسببها، السيدة بريفت. لماذا إذًا لا يتعامل الناس برحمة مع بعضهم البعض؟

"احتفظت لى بعشائى، وكان عشاء طيبًا أيضًا، وجلست معى وأنا أتناول الطعام، ثم صعدت لأعلى إلى الفراش. كان البيت يعمه الظلام، مع اشتعال إضاءة الغاز التى تحترق على الأرض، وكانت هناك الفتيات الثلاث الأخريات، وآه يا للروعة لقد أمضينا وقتًا رائعًا. كنا نرقد نصف الليل، ونحكى قصصًا لبعضنا البعض، قصصًا عن العفاريت وكل شىء، وكنا نخيف بعضنا البعض بذلك الخانق، وكنا نأكل الحلوى ونضحك...

"وفى الصباح التالى، كان علينا أن نستيقظ فى السادسة. ومع وقت الإفطار أكون قد بلغت حدًا بالغًا من الجوع. كانت السيدة بريفت، تعطينا الطعام ذاته الذى تقدمه لنزلاء الفندق، وربما أفضل، وكانت تأتى إلى المطبخ بينما نحن نتناول الطعام لتتأكد أن لدينا

ما يكفى من الطعام. كنا نأكل أطباقًا ضخمة من الشوفان واللبن كامل الدسم، ثم سمك الرنجة المقدد أو سمك القد إذا ما أحببنا ذلك، أو البيض، بأية طريقة نحبها، ثم بعد ذلك كما وفيرًا من التوست ومربى الفاكهة والزبد بقدر ما نستطيع أن نأكل، وفى بعض الأحيان كانت تجلس معنا أيضًا، وتقول، أحب أن أرى الأشياء الصغيرة وهى تتناول الطعام. يجب أن تأكلن جيدًا، وإلا فلن تستطعن إنجاز عملكن. وعلى هذا النحو كان يسير الأمر دوما وقت تناول الطعام. لم آكل أبدًا بهذه الطريقة من قبل ذلك الوقت أو بعده...".

"و ما العمل الذى كنت تقومين به؟ هل كان شاقًا؟"

"أجل، أعتقد أنه كان شاقًا، ولكننا كنا نعرف كيف نعمل فى تلك الأيام. كنا نستيقظ فى السادسة وننظف الأوساخ فى طرقات المنزل و نشعل المدفأة، وننظف غرفة تناول الطعام الكبيرة قبل أن نأخذ للضيوف صوانى الشاى و البسكويت. ثم ننظف الحجرات العامة، لكى يبدو كل شىء لامعًا ونظيفًا، ثم كنا نتناول إفطارنا. ثم نقوم بتنظيف كل الغرف، بدون استثناء. ثم نضع الزهور فى مكانها بينما تراقبنا سيدة المنزل، أو ننظف الأوانى الفضية أو النوافذ. وفى النهاية يكون لدينا عشاؤنا المفتخر، طعام رائع، كل ما يتناوله الضيوف، ثم كنا نأخذ ما ينبغى إصلاحه إلى غرفتنا العلوية وبينما كنا نفعل ذلك كان

لدينا وقت للعب و المزاح. لم تكن تمانع. كانت تقول إنها تحب أن تسمع ضحكاتنا، بشرط أن ننتهى من العمل كله. ثم كنا ننزل ثانية لإعداد الشاى، صوان متعددة من الخبز والزبد والكيك، كنا نحن الأربعة نقدم كل ذلك، بينما الفتيات المنتظرات يخرجن لقضاء وقت ما بعد الظهيرة، ثم يكون لنا وقت نمضيه عند الشاطئ، حوالى ساعة، ثم نحن، الخادمات الأربع، كنا نجلس مع الأطفال والرضع بينما يخرج الآباء إلى المسرح أو مكان ما. أحببت ذلك، أحببت مجالسة الأطفال الصغار.

كنا جميعًا نحب ذلك. وكان هناك عشاء كبير فى وقت متأخر، فى حوالى العاشرة مساءً، مع الكيك ولحم الخنزير وكل ذلك.

وكنا كلنا نستريح فى ظهيرة الأحد أو السبت. أوه، كان ذلك رائعاً. أمضيت هناك ثلاثة أشهر، وكنت قد أصبحت سمينة وسعيدة لأن ملابسى قد ضاقت علىّ".

"وماذا بعد؟"

"ثم جاء وقت الخريف، وأغلق الفندق. جاءت نحوى السيدة بريفت وقالت، مودى، أريدك أن تبقى معى. فى الشتاء أدير مكانًا عند البحر، فى نيس. فرنسا. أرادت أن تصحبنى معها. ولكننى قلت لا، لقد كنت صانعة قبعات نسائية، كانت تلك مهنتى، ولكن عدم ذهابى معها قد حطم قلبى".

"لماذا لم تذهبى معها فى حقيقة الأمر؟" سألتها.

"إنك حادة،" قالت. "أنت محقة. كان لورى هو السبب. كنت قد رحلت من لندن إلى برايتون ولم أقل أين سأكون، حتى يعرف قيمتى، ولقد فعل. لقد كان بانتظارى حينما نزلت من القطار، على الرغم من أننى لم أعرف أبدا كيف عرف بقدومى. وقال، إذًا فقد عدت؟ قلت، أجل، كما ترى بنفسك. قال، ستأتى غدًا لنتمشى ؟. قلت، أنا؟

" و هكذا تزوجته. تزوجته بدلاً من الألمانى. لقد تزوجت الرجل الخطأ"

ابتسمت إزاء قولها هذا، وقالت "وأنت هل تزوجت رجلا غير مناسب أيضًا؟".

أجبت، "لا،"، "لقد تزوج هو بامرأة غير مناسبة".

لقد أسعدها للغاية قولى هذا حتى أنها رجعت للخلف بجسمها وهى تجلس على كرسيها، ويداها البنيتان المعروقتان تدلكان ركبتيها، وضحكت كثيرًا. كان لها ضحكة شابة طازجة، ليست ضحكة امرأة عجوز مطلقًا.

."أوه ، أوه، أوه"، صاحت. "لم يدر بخلدى أبدًا. حسنًا كان لورى يعتقد أنه تزوج امرأة غير مناسبة، ولكن إذًا، من ستكون المرأة الصائبة؟ هذا لأنه لم يبق طويلا مع أية زوجة منا".

حدث ذلك فى عصر اليوم. لم أتركها سوى بعد السادسة. جاءت معى إلى الباب الخارجى وقالت،

شكرًا لك لجلب الفحم. لا يجب أن تنشغلى بى، عزيزتى، لا يجب أن تشغلى بعاداتى الخاصة".

الأحد

رأيت (الغراب الأبيض)(*). أرى أننى مثل مودى، كخادمات البيوت ـ أحب أن أكون مرتعبة. بعد الفيلم عدت للمنزل من أجل انشغالى المعتاد فى مساء الأحد، لكى أتأكد أن ملابسى كلها معدة للأسبوع القادم، مكوية و مجهزة. رأيت أننى أمضيت اليوم كله بمفردى، وهذا ما أفعله عادة فى نهايات الأسبوع. الوحدة. لم أكن أدرى ذلك إلا حينما توفى فريدى. كان يحب أن نقيم حفلات عشاء كل أسبوع تقريبًا، وكان زملاؤه وزوجاتهن يأتون إلينا، وكنت أدعو رفيقاتى من العمل، غالبًا جويس وزوجها. كنت أعد طعامًا رائعًا وكان فريدى يتولى أمر الخمور. كنا فخورين بما كنا نفعله. وكل ذلك، ذهب مع الريح، رحل. لم أر زملاءه أبدًا منذ الجنازة. كنت أتعجب هل كنت أقوم بأفضل حفل عشاء صغير، لم يكن علىّ أن أهتم. فى العمل، يرانى الجميع بوصفى تلك المرأة المكتفية ذاتيًا، التى تستمتع بحياة كاملة. الأصدقاء، عطلات نهاية الأسبوع، والتسلية. أذهب كل أسبوع إلى ثلاث أو أربع حفلات غذاء، حفلات لاحتساء الخمر، حفلات استقبال من أجل المجلة. أحب ذلك، أو لا أحبه، إنه جزء من عملى. أعرف الجميع تقريبًا، نعرف بعضنا البعض، ثم أعود للمنزل بعد العمل، أو أتناول العشاء

(*) The White Raven اسم فيلم «المترجمة».

مع جويس لمناقشة أمر ما، وأشترى طعامًا جاهزًا، ثم ـ تبدأ ليلتى. أدخل الحمام لأقضى هناك ساعتين أو ثلاث، ثم أشاهد التليفزيون لمدة قصيرة. فى نهاية الأسبوع أتسكع منفردة. كيف يمكنك أن تصفى مثل هذا الشخص؟ و رغم ذلك أنا لست وحيدة. لو قال لى أحدهم قبل أن يموت فريدى، إننى كنت سأعيش على هذا النحو، إننى لا أريد أى شىء مختلف... ورغم ذلك أريد شيئًا مختلفًا؟ سأقضى نهاية الأسبوع مع جورجى. سأحاول ثانية. لم أذهب إلى مودى اليوم، أظن أن هذا كله مجهد جدًا. أجلس هنا، أكتب هذا وأنا أستلقى فى السرير، متعجبة إن كانت تنتظر حضورى. إن كانت تشعر بخيبة الأمل.

الاثنين

مررت عليها و معى بعض قطع الشيكولاتة. كانت تبدو متخشبة. حانقة لأننى لم أذهب إليها البارحة؟ قالت إنها لم تخرج لأن الجو كان باردًا، وأنها لم تكن على ما يرام. بعدما ذهبت للمنزل كنت فى حيرة أفكر إن كانت تريدنى أن أذهب لأبتاع لها أشياء من السوق. و لكنها، على أية حال، كانت تدبر أمورها قبل أن أقتحم حياتها ـ أصطدم بها.

الثلاثاء

قالت جويس إنها لم ترد الذهاب إلى ميونخ من أجل معرض الملابس، بسبب مشكلات مع زوجها، وأطفالها المشاغبين، هل أذهب؟ كنت مترددة، على

الرغم من أننى أستمتع بتلك الرحلات: أدركت أن ذلك يرجع لمودى فاولر. لقد صدمنى ذلك بجنون، وقلت سأذهب.

ذهبت لمودى بعد العمل. كانت شعلة من النار تشتعل من الحنق، مهتاجة و غاضبة. لا، لم تكن بخير، ولكن ، لا، لن أزعج نفسى. لقد كانت وقحة جدًا، ولكنى ذهبت إلى المطبخ، الذى كانت تنبعث منه رائحة نتنة، خليط من الطعام الحامض وطعام القطة، التى خرجت ، بعدما رأت أن لديها القليل هناك. قلت إننى كنت أنتوى أن أذهب للتسوق لها. أدرك الآن تلك اللحظات حينما كانت تبدو سعيدة وأنا أفعل هذا وذاك، ولكن كبرياءها مجروح. إنها تخفض ذقنها الصغيرة الحادة، ترتعش شفتاها قليلاً، وتحدق فى النار فى صمت.

لم أسأل ماذا أحضر لها، ولكننى بمجرد خروجى صاحت خلفى ألا أنسى السمك من أجل القطة. أحضرت أشياء كثيرة، وضعتها على طاولة المطبخ، قمت بغلى بعض اللبن، وجلبته لها.

قلت: "ينبغى أن تكونى فى السرير".

قالت: " الأمر التالى، هو أنك ستأتين بالطبيب إلى هنا".

"حسناً، هل هذا أمرمزعج جدًا؟"

قالت: "سيرسلنى الطبيب بعيدًا من هنا".

"إلى أين؟".

"إلى المستشفى، هل هناك مكان آخر؟".

قلت لها: " أنت تتحدثين وكأن المستشفى هى سجن بطريقة ما".

فى تلك الأثناء، كنت أرى أنها مريضة حقًا. كان علىّ أن أبذل الكثير من الجهد معها، لكى أساعدها أن تعتلى السرير. كنت أنظر حولى باحثة عن قميص للنوم، ولكنى فهمت أخيرًا أنها لا تستخدم رداء للنوم. إنها تذهب للنوم بصدارى و سراويل تحتانى، وسترة صوف محبوكة معقودة على الحنجرة ببروش من العقيق الأحمر الجميل.

كانت تعانى لأنى رأيت أن سريرها غير نظيف، وملابسها التحتية متسخة. الرائحة الحلوة الكريهة كانت قوية للغاية: أعلم الآن أنها رائحة البول.

وضعتها فى السرير ، وأعددت لها الشاى، ولكنها قالت "لا، لا، لن أخلد للنوم الآن".

نظرت حولى، وجدت أن كرسيًا فى ركن الغرفة كان يستخدم فى الحقيقة كطاولة جانبية، سحبته بالقرب من السرير.

"من سيقوم بتفريغ ما عليه؟" سألت بغضب.

خرجت من المطبخ لكى أرى حالة الحمام: المرحاض عبارة عن صندوق أسمنتى صغير، ومقعد قديم جدًا بلا غطاء، وسلسلة معدنية مكسورة، وكان له سلك متصل به. كان نظيفًا. ولكنه بارد جدًا. لا عجب إذًا أن تصاب بالبرد. إن الجو بارد جدًا فى هذه اللحظة. إنه شهر فبراير ـ وأنا أشعر كم هو بارد فى

الحقيقة حينما أفكر بها، مودى، لأننى فى كل مكان أشعر بالدفء والحماية. إن كانت ستقوم من مكانها حيث المدفأة إلى ذلك الحمام...

قلت لها "سأمر عليك فى طريقى للعمل".

أنا أجلس هنا، فى السرير، وقد اغتسلت وحممت كل نتفة منى، وشعرى أيضًا. ثم أكتب هذه السطور، وأتعجب من موقفى مع مودى.

الأربعاء

حجزت مقعدى متجهة لميونخ. ذهبت لمودى بعد العمل. كان الطبيب هناك. دكتور سرينج. رجل عجوز، متململ وغير صبور، يقف عند الباب، كنت أعرف أنه يبتعد عن حرارة المدفأة و رائحة المكان، وكان يتحدث لامرأة عجوز غاضبة، عنيدة وضئيلة الحجم، وقفت فى وسط الشقة التى تقطنها وكأنها تقف أمام آلة حرب، "لن أذهب إلى المستشفى، لن أفعل، لا يمكنك أن تجبرنى على ذلك،" "إذًا فلن آت لرعايتك، لا يمكنك أن تجبرينى على ذلك". كان يصيح. حينما رآنى، قال بصوت مختلف، مرتاح، يائس، "أخبريها، إن كنت صديقتها، إنها ينبغى أن تكون بالمستشفى".

كانت تنظر إلىّ وهى مرتعبة تمامًا.

قلت، "يا سيدة فاولر، لماذا لا تريدين الذهاب للمستشفى؟".

أدارت ظهرها لكلينا، والتقطت القضيب المعدنى المخصص لإذكاء النار ووخذت الشعلة به.

نظر الطبيب إلىّ ، ووجهه المحمر يتقد من الغضب ومن حرارة المكان، ثم هز كتفيه بلا مبالاة. "ينبغى أن تكونى فى منزل"، قال الطبيب، ثم أردف "سأظل أقول لك ذلك".

"لا يمكنك أن تجبرنى".

آمرًا أن أتبعه. "أخبريها،" قال الطبيب. صاح غاضبًا، واتجه إلى الممر.

قلت، "أعتقد أنها ينبغى أن تكون فى المستشفى، و لكن لماذا ينبغى أن تكون فى منزل؟"

"لقد كان فى قمة غضبه محبطًا تمامًا، وكنت ألمح تعبه. "انظرى إلى هذا كله. حسناً، سأنادى عمال النظافة". ثم مضى.

حينما عدت قالت، "أظنك كنت ترتبين معه الأمر".

قلت لها ما قلته للطبيب بالضبط، و بينما كنت أتحدث كانت تسعل، و فمها مغلق، وصدرها يعلو، وعيناها تدمعان، وكانت تدق على صدرها بقبضة يدها. أستطيع أن أرى أنها لم ترد أن تستمع لما أقوله.

الخميس

مررت على مودى قبل ذهابى للعمل. كانت مستيقظة، وتجلس و هى مرتدية ملابسها أمام المدفأة، ووجهها يلمع بالحمى. كانت قطتها تعوى، جائعة.

أخرجت طاولتها، المليئة ببول ذى رائحة قوية مقرفة، وأفرغتها. أعطيت القطة طعامًا فى طبق نظيف. وجهزت لها شايًا وقطعة توست. جلست ووجهها متحول عنى، تشعر بالخجل والمرض.

"ينبغى أن يكون لديك تليفون،" قلت لها. "إنه أمر سخيف، ألا يكون لديك تليفون. يمكننى أن أهاتفك من المكتب".

لم تجب.

ذهبت للعمل. لم يكن هناك أى حدث اجتماعى يمكننى أن أشارك فيه، لا حفل غداء، لا شىء، وقد ألغيت جلسة المصورين ـ فعمال القطارات فى إضراب. قلت لجويس إننى قد أعمل من المنزل، وأخبرتنى أنها ستبقى فى المكتب، كان الأمر على ما يرام. جعلتنى أفهم أن البيت صعب بالنسبة لها فى هذا الوقت: زوجها يريد الحصول على الطلاق، لم تكن تدرى ماذا تفعل. إنها مشغولة بمقابلة محامين. ولكنها سعيدة لوجودها فى المكتب، على الرغم من أنه فى أوقات أفضل كانت تنجز الكثير من العمل وهى فى المنزل أيضًا.

مررت على مودى، وأنا فى طريقى للمنزل، ووجدت هناك هرميون ويتفيلد، التى جاءت من مؤسسة تعتنى "بالمسنين".

فهمنا بعضنا الآخر من النظرة الأولى: كوننا متشابهين، الشكل ذاته، الملابس ذاتها، الصورة ذاتها.

كانت تجلس على الكرسى فى مقابل مودى الملفوفة فى ردائها الأسود. كانت تميل للأمام، مبتسمة، ساحرة، ومرحة.

"ولكن، يا سيدة فاولر، هناك الكثير من الأشياء يمكن أن نفعلها من أجلك، وأنت لا تت..." ولكنها أسقطت "تتعاونى" وقالت بدلا منها"... دعينا نقوم بذلك".

"ومن أنت" سألتنى، بنفس الأسلوب الساحر، اللعوب تقريبًا، وقالت بصيغة ودودة وديمقراطية (ولكننى لم أفكر أبدًا فى تلك الفروق المميزة حتى اليوم) ، "هل أنت جارة طيبة؟ لم يخبرنى أى أحد عن ذلك".

أجبت "لا،" "لست جارة طيبة، أنا صديقة السيدة فاولر".

كان ذلك صادمًا، من وجهات نظر مختلفة، ولكن ربما بدرجة كبيرة لأننى لم أقله بين قوسين. فكرت فى ذلك الحين فقط، كيف أن المرء ليس له صداقات مع الطبقة العاملة. يمكننى أن أمثل أشياء كثيرة للسيدة فاولر، بما فيها أن أكون جارة طيبة، ولكن ليس صديقة.

جلست هناك، تحدق فى بعينين مفتوحتين، بينما يلمع الضوء المنبعث من المدفأة على شعرها. كتل من الشعر الذهبى الناعم، كله مموج، معقوف قليلاً. أعرف كم تكلف هذه الفوضى المعتنى بها. وجهها

الوردى الناعم، وعينان زرقاوان واسعتان، معتنى بهما بألوان رمادية وزرقاء بالإضافة إلى البودرة. كانت ترتدى (جاكتًا) أبيض مصنوع من الريش، وسراويلاً رمادى، و(بوت) أزرق داكنًا، ... كنت أفكر أنه إما أن ممثلى مؤسسة "الرفاهية" يحصلون على مرتبات أكبر مما كنت أظن أو أن لها دخلاً خاصًا. خطر لى، وأنا أقف هناك، فى هذه اللحظة الطويلة من الاختلاف الخالص، أن ما قلته لم يكن مناسبًا، لم يؤخذ ببساطة، أننى كنت أفحصها بوصفى محررة موضة، وكنت أعرف تمامًا أنها قد تكون مختلفة تمامًا عن "صورتها".

فى هذه الأثناء، كانت تفكر. "السيدة فاولر،" قالت، و هى تنهض، وتبتسم بشكل جميل، ابتسامة تشع شعورًا بحب المساندة والضوء، "حسنًا جدًا، لن تذهبى إلى المستشفى. أنا نفسى لا أحب المستشفى. ولكننى يمكننى أن أجلب لك ممرضة كل صباح، ويمكننى أن أرسل لك مساعدة منزل و ...".

"لا أريد أيًا من تلك الأشياء،" قالت مودى ووجهها متحول وهى توخذ النار بشراسة.

"حسنًا تذكرى ما هو متاح لك،" قالت، ثم رمتنى بنظرة تشى بأننى ينبغى أن أتبعها.

كنت فى ذلك الوقت فى موقف يحتم علىّ أن أتحدث عن السيدة فاولر فى غيابها، أو أن أقول لهيرميون ، "لا سأتحدث وأنا هنا". كنت ضعيفة، وتبعت هيرميون.

"اسمى هو..". ثم ذكرت كل المعلومات الخاصة بها، وانتظرت أن تتلقى معلومات عنى.

قلت: "اسمى جانا سومرز،".

قالت: بضيق "أنت ربما جارة لها؟".

قلت لها: "لقد أصبحت مغرمة بالسيدة فاولر،"، وأخيرًا قلت شيئًا صائبًا، لقد مكنها ذلك من أن تطلق تنهيدة ارتياح، لأن الطبقات قد عادت إلى مكانها الطبيعى.

"أوه، نعم،" صاحت،" أوافقك الرأى، بعض هذه الأشياء القديمة، تكون حبوبة للغاية، ولهذا...". ولكن وجهها كان يقول إن فاولر بعيدة جدًا عن كونها حبوبة، وإنما مجرد امرأة محبة للشجار، مزعجة و طاعنة فى السن.

كنا نقف فى ذلك الممر البشع، بحوائطه الصفراء المتسخة حيث تراب الفحم يرقد فى طبقات، رائحة القطة من مخزن الفحم، الباب المشقق والمهتز المفتوح على العالم الخارجى. كانت تضع بالفعل يدها على مقبض الباب.

"أمر عادة على السيدة فاولر،" قلت، "وأقوم بما أستطيع القيام به،". قلت الكلام بهذا الشكل حتى تفهم أنها لا يمكن أن تعتمد علىّ فى أن أقوم بعملها عوضًا عنها. أطرقت ثانية. "حسناً، لحسن الحظ، ينبغى أن تنقل فى بيت جديد فى الحال".

"ماذا؟ إنها لا تعلم ذلك". أدركت أن بصوتى شعورًا بالرعب قد تستشعره فاولر، لو كانت قد سمعت هذا الكلام.

"بالطبع تعرف. هذا المكان كان مجدولا منذ سنوات فى ملفات المجلس".

"ولكنه مملوك من قبل يونانيين أو آخرين".

"أوه، لا، لا يمكن ذلك"، بدأت حديثها بشكل حاسم، ثم رأيتها تعاود التفكير. كانت تحمل تحت ذراعها ملفًا محشوًا بالأوراق. علقت حقيبتها على مقبض الباب، وسحبت الملف، ثم فتحته. قائمة من البيوت التى ينبغى أن تزال أو يعاد بناؤها.

كنت أعلم بالفعل أنها ارتكبت خطأ ما، وتعجبت إن كانت ستعترف به أم تتظاهر بعدم حدوثه. أو إذا ما كانت ستعترف به، أو تداريه. لو اعترفت به فسأعطيها الدرجة النهائية ـ لأن هذه مسابقة بين محترفتين. كنا فى مسابقة، ليس من أجل السيدة فاولر ـ المسكينة مودى ـ ولكن من يحظى بالسلطة هنا. بينما تضع قلمًا بين شفتيها الجميلتين، تنظر بغضب على الأوراق المبعثرة على ركبتها المرفوعة بينما وقفت على ساق واحدة.

قالت، "حسناً، علىّ أن أتفحص هذه الأوراق،". وأعرف أنها كلها ستنزلق بعيدًا. أوه، كيف أعرف جيدًا شكلها هذا، حينما يقرر شخص من داخله أنه لن يفعل أى شىء بينما يظهر بمظهر المنافس الواثق من نفسه!.

كانت تستعد للخروج.

قلت: "إن استطعت أن أقنعها، ما الخدمات التى يمكن أن تحصل عليها؟".

"المساعدة المنزلية، بالطبع. ولكننا حاولنا ذلك من قبل، ولم نفلح. حضرت إليها جارة طيبة، ولكنها رفضت وجودها". صوبت إلىّ نظرة متشككة، وأكملت حديثها. " إنها غير مؤهلة لما نقدمه من وجبات أو كراس متحركة، لأنها تستطيع التصرف ولدينا حالات كثيرة حرجة..."

قلت: "إنها تجاوزت التسعين،".

"وهناك الكثيرون مثلها!"

"ولكنك سترتبين لمجىء الممرضة؟"

" ولكنها تقول إنها لا تريد ممرضة. إننا لا يمكن أن نفرض أنفسنا عليهم. يجب أن يتعاونوا !". لقد سجلت نقطة بانتصار حقيقى هذه المرة.

قفزت خطوات و سارت على الممشى الأحمر، وأشارت إلىّ بكفها بينما كانت تغادر. تبدو سعيدة أن تخلصت منى. ابتسامة مشرقة، وكان جسمها يقول، هؤلاء الهواة، كم هم مملين!.

عدت بأسف إلى مودى، لأننا كنا نناقش أمرها من وراء ظهرها. جلست وقد تحول وجهها عنى وكانت صامتة.

وأخيراً: "ماذا قررت، إذًا ؟"

"سيدة فاولر، أعتقد أنه ينبغى أن تحصلى على بعض الخدمات، لم لا؟"

كانت رأسها ترتجف، ووجهها قد تحول إلى وجه الساحرة الشريرة.

"ما أريده هو تناول الوجبة على الكرسى المتحرك، ولكنهم لن يمنحونى ذلك."

"و لا مساعدة منزل؟"

" لا، لقد أرسلوا لى واحدة. وقالت لى، أين مكنستك الكهربائية! لقد كانت تبدو مهندمة جدًا بدرجة لا تناسب كونها منظفة سجاجيد. وجلست هناك تحتسى كوب الشاى الخاص بى، وتناولت نصيبى من البسكوت. وحينما أرسلتها لكى تقوم بشراء حاجاتى، لم تهتم بأن تبذل مجهودًا إضافيًا لكى توفر لى قرشًا واحدًا. إنها تستطيع شراء أى شىء، ولكنى أشتريه بثمن أقل، ولهذا فقد أخبرتها ألا تأتى ثانية".

"حسناً، على أيه حال". وسمعت نغمات مغايرة فى صوتى. هذا لأننى كنت أشعر تمامًا بالخجل، أراقب هيرميون، وأرى نفسى، كل هذا السحر الأخاذ، وكان لها ـ كان لى بالأحرى! ـ عين موجهة صوب المشهد كيف أفعل ذلك بهذا الإتقان! كم أنا جذابة وطيبة...كنت أصارع لإبقاء تلك الملاحظة خارج صوتى، أن أكون مباشرة ولطيفة. "على أية حال، أعتقد أنه ينبغى ان تفكرى فيما هو متاح. ولنبدأ،

بتلك الممرضة التى يمكن أن تأتى كل صباح، حينما تشعرين بالتعب."

"ولماذا ينبغى أن أحتاج إلى ممرضة؟"، سألت ووجهها متحول عنى.

كانت تعنى، لماذا وأنت تأتين إلىّ مرتين فى اليوم؟ وأيضًا، ولماذا ينبغى عليك أن تأتى، إنه ليس عملك. وأيضًا وبشكل قوى للغاية، كانت تعنى، أرجوك، أرجوك.

لو كنت مع شخص ما مثل هيرميون، و زوجى، وجويس، وأختى جورجى، لقلت، " ما هذه الانتهازية العاطفية، لن تفلتى بفعلتك هذه".

قبل انصرافى وعدتها بأن أستمر فى مجيئى صباحًا وليلاً. وأننى سوف أهاتفهم ، وأبلغهم أنها لا تريد ممرضة. وحينما قلنا وداعا، كانت تبدو باردة وجائعة، كانت مرتعبة بسبب قلة حيلتها، ولأنها كانت تعرف أنه ينبغى ألا تتوقع منى الكثير، ولأنها...

والآن أنا أجلس هنا، أشعر أننى كائن متوحش تمامًا، واقعة فى مصيدة، هذا ما أشعر به. وأمضيت الليل كله فى الحمام، أفكر.

أفكر فيما ينبغى أن أهتم به حقيقة. حياتى، حياتى الحقيقية، فى المكتب، فى العمل. لأننى بدأت العمل منذ كنت فى التاسعة عشرة من عمرى، ودائمًا فى المجلة ذاتها، لقد أخذت الأمر بشكل مجانى، لم أر أن هذه هى حياتى. لقدعملت فى المجلة فى شكلها

القديم، وكنت جزءًا من تغييرات ثلاثة، يمكننى أن أقول إن التغيير الثانى قد حدث جزئيًا، بسببى. لقد تسببنا أنا وجويس فى كل هذا التغيير. لقد أمضيت هناك وقتًا أكثر منها: حيث إنها جاءت كمديرة إنتاج، فى منتصف الستينيات، فى الوقت الذى كنت أنا هناك بالفعل منذ خمسة عشر أوعشرين عامًا، أقوم بعملى فى كل الإدارات. إن كان هناك شخص واحد فى تلك المجلة، يمكن أن يكون ليليث فهو أنا.

وعلى الرغم من ذلك، اعتبرت الأمر برمته أمرًا مسلمًا به. وأنا لن أخاطر بما أهتم به حقًا من أجل مودى فاولر. سأذهب إلى ميونيخ، ليس ليومين، كما قلت اليوم، ولكن لأربعة أيام كالمعتاد، وسأخبرها أنها ينبغى عليها أن توافق بشأن الممرضة.

الجمعة - فى ميونخ.

ذهبت لمودى فى هذا الصباح. هى تجلس فى مقعدها، تحدق فى ضيق فى موقدها، وقد بدت وكأنها بداخل غلاف عظمى من الغضب المشتعل. جلبت لها الفحم، وصنعت لها شايا، وأطعمت القطة. كان يبدو أنها تشعر بالبرد، وما زالت تلمع بالحمى. كانت تسعل و تسعل.

قلت لها، "السيدة فاولر، سأسافر إلى ميونخ وسأغيب لأربعة أيام". لم تبد أية استجابة على الإطلاق. قلت، "السيدة فاولر، علىّ أن أذهب، ولكنى سأتصل بهرميون ويتفيلد، وأخبرها أنه يجب أن

تحصلى على ممرضة. فقط إلى حين عودتى". استمرت فى التحديق فى الموقد البارد. وهكذا، بدأت فى إعداد النار، ولكنى لم أعرف كيف، ولهذا فقد أجبرت هى نفسها على النهوض من عشها الدافئ، وببطء، ببطء، وضعت قصاصات ورق، بعض الخشب، وأشعلت النار فى المدفأة. نظرت حولى، لا جرائد هناك، ولا مشعل نار، لا شىء.

ذهبت إلى المتجر، وأنا فى طريق العودة رأيت أنه هناك ما يشابه حفرة فى الطريق خارج بابها، وكان هناك عدد كبير من قطع الخشب، ألواح قديمة منزوعة من حوائط مهدمة ـ كانت تجمع تلك الألواح لكى تشعل مدفأتها. واعية بالصورة التى ينبغى أن أظهر بها، بكل ميكانيزمى الذكى، ملأت حقيبة بقطع الألواح تلك. وبينما كنت أفعل ذلك، صادف أن رفعت نظرى عاليًا ورأيت أن هناك من يراقبنى من نوافذ عدة. وجوه كبيرة السن، سيدات عجائز، ولكن لم يكن هناك وقت لأجلب أى شىء للداخل، ولكنى أسرعت لأسفل حاملة الخشب والبقالة.

كانت مرة أخرى فى وضعها المتكاسل، الآن أمام النار المستعرة. لا أعرف إن كانت الممرضة ستقوم بإشعال النار فى المدفأة.

سألت، "هل ستشعل لك الممرضة النار؟"

لم تجب. كان غضبى يتزايد. وكنت أشعر بالاشمئزاز مثلها. كان الموقف برمته غريبًا. وعلى الرغم من ذلك لم يكن هناك شكل آخر.

حينما نهضت استعدادا للخروج، قلت: "سأتصل وأطلب ممرضة، وأرجوك لا تصرفى الممرضة حينما تأتى إليك".

"لا أريد أية ممرضة".

وقفت هناك وأنا قلقة، لأننى كنت قد تأخرت، وكان ذلك يوم بداية المؤتمر و لم أتأخر من قبل أبدًا. كنت قلقة من أجلها. وغاضبة. وحانقة. وبرغم ذلك كانت منجذبة نحوى، أردت أن آخذ تلك الكومة العجوز المتسخة بين ذراعاى وأحضنها. أردت أن أصفعها و أهزجسدها.

"ما كل هذا الخوف من المستشفى؟" سألتها." ماذا تعتقدين أنه يهددك هناك... ما الشىء البشع الذى ينتظرك هناك... هل ذهبت هناك من قبل أبدا؟"

"نعم، منذ شتاءين ماضيين. فى الكريسماس".

"ثم؟"

كانت الآن تجلس و ظهرها مستقيم، وذقنها مرفوعة لأعلى بشكل قتالى، وعيناها مرتعبتان وغاضبتان.

"لا، لقد كانوا طيبين جدًا. ولكنى لا أحبها. إنهم يملأون معدتك بالأقراص، والأقراص، والأقراص، حتى تشعرين أن عقلك قد انتزع منك، إنهم يعاملونك كطفلة. لا أريد ذلك...". ثم أضافت، بلهجة من يحاول أن يكون عادلاً، وفى محاولتها تندفع إلى قول المزيد والمزيد مما كانت تنتوى أن تقوله.

"كانت هناك ممرضة صغيرة . لقد كانت تدلك ظهرى حينما كنت أسعل..." . ثم نظرت إلىّ بسرعة، ثم ابتعدت عيناها، وكنت أعرف أنها تريدنى أن أدلك لها ظهرها. لم يخطر ببالى ذلك! لا أعرف كيف أقوم بذلك!.

قلت، "حسنًا، لن يجبرك أحد على الذهاب للمستشفى".

قالت، "إن كان من الممكن أن يأخذونى بعدما فعلته بهم المرة الماضية". ثم ضحكت بشكل مفاجئ وبدا أنها منتبهة ومستمتعة بنفسها.

قلت، "ماذا فعلت؟" ، وأنا مسرورة لأنه يمكننى الآن أن أضحك معها.

"لقد هربت!" وضحكت. "أجل كنت قد اكتفيت وأصبت بالإمساك بسبب كل هذا الطعام الجيد، لأننى لم أقل لك إنهم لا يطعمونك هناك، وكنت أشعر أننى أبتعد اكثر فأكثر عن نفسى كل دقيقة كلما تعاطيت تلك الأقراص. قلت أين ملابسى؟ قالوا، لا يمكنك أن تعودى للمنزل فى مثل هذا الطقس، يا سيدة فاولر، سوف يقضى عليك حتمًا بسبب ذلك. لأن الثلج كان يتساقط. قلت أحضروا لى ملابسى وإلا سأخرج بملابس المستشفى. وهكذا، جلبوا لى ملابسى. لم ينظروا إلىّ أو يتحدثوا معى، لقد كانوا غاضبين للغاية. نزلت إلى القاعة الرئيسية وقلت لحامل الحقائب، اطلب لى تاكسيًا. لقد سرق ما كان معى من

نقود قليلة فى جناح المستشفى. ولكننى كنت سأقول ذلك للسائق وأطلب منه أن يقودنى إلى المنزل حبًا فى الله. إن كان أى أحد يعرف الله فى هذه الأيام. ولكن كانت هناك امرأة تجلس فى قاعة الاستقبال وقالت لى، سوف أقوم بتوصيلك، حبيبتى. وجلبتنى إلى المنزل. أفكر بها. أفكر بكل من فعل شيئًا طيبًا لى، أجل أفكر"، ثم أرسلت لى بأجمل ابتسامة ساحرة مرحة، ابتسامتها كفتاة.

"من أجل كل ذلك، علىّ أن أذهب إلى ميونخ. سأرحل لأربعة أيام، وتعرفين جيدا أنك لن تفلحى فى تدبير أمورك. أريد أن أسمعك تقولين، بكلمات كثيرة جدًا، أنك لا تريدين ممرضة. إننى أعاملك بجدية، لا أعاملك كطفلة! لو قلت لى أنك لا تريدين ممرضة، فلن أفعل المزيد، ولكن أعتقد أنك ينبغى أن تدعينى أفعل. لن تكون الممرضة هى نهاية العالم".

"وماذا إذًا عن كل تلك الأقراص؟"

"حسناً. ولكن قولى أنك لا تريديننى أن أطلب ممرضة، وأضفت، بيأس حقيقى،" لأجل الله، يا مودى، تعقلى قليلاً". أدركت أننى قد ناديتها باسمها الشخصى، ولكنها لم تتضايق.

هزت كتفيها بلا مبالاة. "يبدو أن الأمر بات حتميًا".

توجهت نحوها، وملت بجذعى لكى أقبلها، ومدت هى خدها، وقبلته.

خرجت وأنا ألوح لها من الباب. متأملة ألا تكون إشارة كفى "ساحرة".

كنت قد تأخرت على المؤتمر.

للمرة الأولى. هذا المؤتمر، من وجهة نظرى، هو ما يمنح نبضا للمجلة. لقد كانت فكرتى. سأكتب تحليلاً فيما بعد، سوف يساعدنى على توضيح أفكارى، لأننى أرى أنها بحاجة للتوضيح، حول المكتب، العمل، كل شىء. كنت وحيدة فى هذا المساء: جويس فى المنزل لأنها ستكون فى المكتب طيلة الوقت وأنا فى ألمانيا. كنت أحاول أن أحصل على معلومات عن مكتب الخدمات. لدى كل أوراق الدعاية التى يغمرون بها الزبائن، تلك التى يعلوها حقوق معاشك ومثل هذا النوع من الكلمات. لا، أريد أن أعرف كيف يحدث كل ذلك. بعد فترة، عرفت ما ينبغى على أن أفعله. على أن أجد ذلك الشخص الوحيد. إن كان ذلك قانونًا لهذا النوع من العمل الذى نقوم به، فهو إذًا من المحتمل أن يوجد فى كل مكان. (تتحدث مودى عن وجود شخص واحد بشكل دائم، على الرغم من أنها تعنى ذلك بحس مختلف). جويس وأنا نستعمل ذلك طيلة الوقت. منذ وقت طويل، اكتشفنا أنه إن أردت أن تجعل الأمور تسير على ما يرام، فعليك أن تجد هذا الشخص الواحد فى تلك الإدارة أو ذلك المكتب، ذلك الشخص الذى يتحكم حقيقة فى تسيير الأمور، أو من يعرف عن هذا الأمر، أو هو ـ بشكل أو بآخر ـ من يعد شخصًا حقيقيًا. حسناً، من المؤكد أن هيرميون

ليست هى ذلك الشخص. لا، يجب أن يكون لديك هناك أناس مثل هيرميون، حتى ولو بسبب أنه ليس لديك أناس آخرون بشكل كافٍ. لا يتعلق الأمر بكونهم لا يفعلون أى شىء، أو أنهم غير نافعين، ولكن لأنهم هامشيون. لا يمكننى أن أستخدم هرميون إن أردت أن أكتشف ما تحتاجه مودى بالفعل، ما قد يساعدها. ولكنى اتصلت بها فى هذا المساء ـ وكانت فى الخارج ـ وتركت رسالة بأن السيدة فاولر ستحتاج إلى ممرضة لمدة خمسة أيام. ولكن بعد ذلك، شعرت بقلق ما، وقلت لسكرتيرتى أن تتصل بهرميون، وبسكرتيرة جويس أيضًا. لا يمكن أن أتركها وحدها، لأربعة أيام متتالية.

الأربعاء

أولاً، حالتى الذهنية قبل أن أذهب لمودى. عدت من ميونخ فى منتصف النهار، ذهبت مباشرة للمكتب وقد أعيد شحنى، كل الأنظمة تعمل. أعشق مثل تلك الرحلات. ما أعشقه هو كفاءتى. أحب أن أجعل الأعمال تنجز، وأعرف كيف أفعل ذلك. أحبهم أن يعرفونى، أن يعطونى مساحتى، أن يتذكروا ذوقى. قابلت الأصدقاء فى نهاية الأسبوع. بدلاً من ذلك، "أصدقاء"، عقود عمل، ثم يوم الإثنين، ويوم الثلاثاء، المعرض. ما أحبه هو أن أبقى مسيطرة. إننى ممتلئة بالطاقة، أتناول بالضبط ما ينبغى أن أتناوله من طعام، لا أشرب أكثر مما ينبغى، أكاد لا أنام، أركض مسرعة طيلة النهار. أعرف تمامًا كيف أقدم نفسى،

وكيف أستغلها. رأيت كيف أدخل فى العرض، صباح الإثنين، أجلس بينما الناس تبتسم وتحييني: وفى الوقت ذاته عدت خمسة عشر عامًا للوراء، أرى نفسى من خلال تلك العيون، بالطريقة التى رأيتها، فى الثلاثين، السيدات الماهرات اللاتى كن يقمن بذلك العمل لأعوام. أعجبت بهن، وتمنيت أن أكون واحدة منهن، وبينما كنت أتفحصهن، بدقة، كل تفاصيلهن الصغيرة، كنت أبحث عما كن يرينه، علامات خاصة بطريقة العرض، واستبدالهن بأخريات، أنا منهن. من بين تلك النساء اللاتى اختبرتهن وقتها، بقيت واحدة، على الرغم من أن هناك أخريات فى المجال. قضيت أربعة أيام أتعجب، ما الشىء المتعلق بالعمل بداخلى الذى سوف يقودنى إلى أن يقذف بى إلى الخارج، أو أن أبقى فى المكتب مع عمل أقل إجهادًا، بينما ـ من؟ ـ سيذهب بدلا منى لتلك الرحلات. لا أدرى، ما هذا الشىء. هل هو ببساطه، التقدم فى السن؟ لا علاقة له بذلك. ألأننى سأمل من ذلك كله؟ لا أستطيع أن أصدق ذلك، حتى الآن.

حينما دخلت إلى المكتب، كانت جويس فى انتظارى، حتى تستطيع أن تذهب هى إلى البيت: دون أن ننظم ذلك أبدًا، نكون أكيدين من وجود إحدانا هناك. كانت تبدو متعبة. قالت إنها واجهت وقتًا مرعبًا مع زوجها منذ أن رحلت، سوف تخبرنى ، ولكن ليس الآن، ثم خرجت. كانت هناك رسالة من هرميون بأنها لم تتلق رسالتى حول الممرضة إلا فى يوم الإثنين، ولهذا فقد رفضت السيدة فاولر أن تدع الممرضة

تدخل شقتها. لقد أعادنى ذلك بما يشابه الصفعة إلى ذاتى اللندنية. عملت لطيلة فترة ما بعد الظهيرة، فى معظم الأحوال وأنا أتحدث عبر الهاتف، ثم أرتب أمر المصورين من أجل الغد، ولكنى كنت أفكر فى الوقت ذاته فى جويس. كنت أفهم أن هذا الخلاف مع زوجها يعنى نهاية عملنا معًا، أو على أية حال، أن هناك تغييرًا سيحدث بشكل أو بآخر. أنا متأكدة من ذلك. لقد جعلنى ذلك أشعر بالإحباط و القلق، قبل أن أترك المكتب حتى. شىء آخر فهمته، بشكل ما لم أفهمه كذلك من قبل: جويس هى صديقتى الوحيدة. أعنى صديقة، علاقتى بها تختلف عن أية علاقة مرت بى، أبدًا. بالتأكيد، ليست مثل فريدى.

أذهب مباشرة إلى البيت، لأننى شعرت بالتعب بشكل مفاجئ. و لكننى جعلت التاكسى يتوقف بى عند بيت مودى فاولر. وقفت هناك أدق و أضرب على الباب. تجمدت. لا صوت هناك. بدأت أشعر بالرعب- هل ماتت؟ ـ ولاحظت، بشىء من الاهتمام، أننى شعرت بشىء ما من الراحة كأحد ردود فعلى. أخيرا لاحظت اهتزاز الستائر الموضوعة على الشباك فى "غرفتها الأمامية"، التى يبدو أنها لا تستخدمها أبدًا. انتظرت. لم يحدث شىء. قرعت وقرعت الباب، بغضب كامل. كنت مستعدة لأن أقتلها. ثم فتح الباب للداخل، وقد بدا وكأنه ملتصق بالأرض، مشقق، وها هى هناك، كومة ضئيلة صغيرة من السواد، ووجهها الأبيض يبرز منه. والرائحة. ليس من المجدى أن أخبر

نفسى أننى لا ينبغى أن أهتم بتلك التفاصيل. إننى أهتم بشكل بشع. الرائحة... فظيعة، رائحة معفنة ـ عذبة وحادة، ولكننى كنت أستطيع أن أرى أنها لا تستطيع سوى الوقوف هناك.

لم يكن هناك شىء "ساحر" فى مظهرى، كنت غاضبة جداً.

"لماذا تتركينى أقف فى الخارج، فى هذا الطقس البارد؟" قلت، ثم دخلت، تجاوزتها، بحيث جعلتها تسير بجوارى، ثم سارت هى أمامى عبر الممر، ويدها على الحائط لتمكنها من أن تسير بشكل ثابت.

فى الغرفة الخلفية هناك كومة من الفحم فى الموقد. كانت هناك مدفأة إلكترونية، على الرغم من ذلك، وكانت تصنع ضوضاء، وهو ما يعنى أنها غير آمنة. كان المكان بارداً، متسخًا، وتنبعث منه رائحة مقززة، جاءت القطة ولفت نفسها حول ساقى وهى تموء. تركت مودى جسدها ينزلق على الكرسى وجلست تحدق فى الموقد.

"حسناً، لماذا لم تسمحى للممرضة بالدخول؟"صحت فى وجهها.

"الممرضة؟" قالت بنبرة مريرة. "أى ممرضة؟"

"أعرف أنها جاءت."

"لم تأت قبل يوم الإثنين. لقد قضيت عطلة الأسبوع كلها هنا، بمفردى، لم يكن أحد هنا".

كنت على وشك أن أصيح فى وجهها. "لماذا لم تدعيها تدخل حينما جاءت إليك يوم الإثنين؟" ولكن، لم يكن ذلك منطقيًا.

كنت قد امتلأت بالطاقة ثانية- الغضب.

"مودى،". "لقد وصلت للنهاية، إنك تتسببين بنفسك فى تدهور أمورك. حسناً سأشغل البراد".

فعلت ذلك، وجلبت بعض الفحم. وجدت أن الطاولة الصغيرة التى بجوارها مليئة بالبول، ولكن ليس أكثر من ذلك، والحمد لله. الحمد لله، هو ما فكرت به وقتها، ولكنى أرى أن المرء يعتاد على أى شىء. ثم خرجت إلى الشارع بحقيبة كبيرة لأحمل فيها الوقود. مطر رمادى منزلق. وهناك كنت، بكل مظهرى الأنيق من ميونخ، أتعثر فى مشيتى من أجل أن أحصل على بعض الخشب. ومرة أخرى، وجوه فى النوافذ، تراقبنى.

فى الداخل، كنت أجمع الوقود بجهد، بينما تطير من حولى سحابات من التراب، وجهزت النار. بمشعل المدفأة. الخشب والفحم. وفى الحال كانت تشتعل.

صنعت شايًا لكلينا، بعد أن قمت بتنظيف الفناجين المتسخة جدًا. لا بد أن أتوقف عن الشفقة بهذا الشأن. هل الأمر مهم، مجرد فناجين متسخة؟ نعم! نعم، نعم، نعم.

لم تتحرك، و لكنها جلست تنظر إلى اللهب.

"القطة،" قالت:

"لقد أعطيتها بعض الطعام".

"إذن، اتركيها تخرج قليلا".

"هناك طين ومطر".

"إنها لن تمانع".

فتحت الباب الخلفى. طالتنى مباشرة موجة من المطر البارد، والقطة الصفراء السمينة، التى كانت تلح للخروج من الباب، كانت تموء وتعود ثانية لمخزن الوقود.

"لقد ذهبت إلى مخزن الوقود،" قلت:

"إذًا، أفترض، إننى يجب أن أضع يدى فيه،" قالت.

جعلنى ذلك أشعر بالغضب الشديد! وكأننى وعاء يغلى، وكالعادة كنت أريد أن أضربها أو أهزها، وكالعادة، أن أطوقها بذراعىّ.

ولكن لأجل الحظ كان ذهنى متعقلا، وفعلت كل ما ينبغى أن أفعله، دون، الحمد لله، أن أكون "ساخرة" أو أبدو كأننى قد أنعمت عليها بكرمى الفائض.

"هل كنت تأكلين طيلة كل هذا الوقت؟"

لا إجابة.

خرجت مرة أخرى للتسوق. لا يوجد أحد فى المحل الضيق. يجلس البائع الهندى هناك عند مكتب الحسابات، يبدو كالحا، بردان... روح فقيرة أيضًا.

قلت إننى أشترى الطعام للسيدة فاولر، وكنت أريد أن أعرف إن كانت قد جاءت هنا من قبل.

قال، "أوه السيدة العجوز، آمل ألا تكون مريضة؟"

"إنها كذلك،" قلت.

"لم لا تذهب إلى البيت؟"

"إنها لا تريد ذلك".

"أليس لديها أسرة؟"

"أعتقد ذلك، ولكنهم لا يهتمون".

"إنه أمر مزعج"، قال لى، جاعلاً إياى أفهم أن قومه لن يهملوا امرأة عجوزًا مثلها.

"إنه أمر مرعب، و أنت محق،" قلت.

حينما عدت ثانية، كنت أفكر فى الموت. جلست هناك، وعيناها مغلقة، وساكنة للغاية. ظننت أنها لا تتنفس.

ولكن، بعد قليل، فتحت عينيها الزرقاوين، وكانت تنظر إلى المدفأة.

"اشربى شايك،" قلت لها. " وسوف أشوى لك قطعة من السمك. هل يمكنك تناولها؟"

"أجل، سوف أفعل".

فى المطبخ، حاولت أن أجد شيئًا ما لا تعتليه الدهون، ولكنى يئست. وضعت السمك على الشواية، وفتحت الباب فتحة ضيقة، لكى أسمح بدخول هواء منعش. لا أستثنى المطر المتجمد.

جلبت لها السمك، وجلست معتدلة و أكلته كله، ببطء، وارتعشت يداها، ولكنها أكلته كله، ورأيت كم كانت جائعة.

قلت، "لقد سافرت إلى ميونخ. لكى نرى كل ملابس الخريف. كنت أرى كل الأزياء الجديدة".

"لم أخرج أبدًا من إنجلترا".

" حسناً، سأخبرك بكل شىء عن الرحلة، حينما تتحسنين قليلا".

لم ترد على هذه الجملة، ولكن فى النهاية، فقط حينما فكرت أننى سأرحل، تنبهت، " أنا بحاجة لملابس نظيفة".

لم أعرف كيف أترجم هذا الكلام. رأيت ـ أننى أصبحت حساسة بما يكفى لمثل هذا الحديث ـ على الأقل، لأن هذا لم يكن طلبًا بسيطًا مطلقًا.

أرادت أن أشترى لها ملابس؟

نظرت إليها. جعلت نفسها فى مواجهتى، وقالت وهى تنظر إلىّ، " فى الغرفة المجاورة ستجدين أشياءً".

"ماذا؟"

هزت كتفيها بارتعاشة و بشكل غير مشجع.

"صدارى. كلسون، جونلة داخلية. ألا ترتدين ملابس تحتية التى تسألين عنها؟"

مرة أخرى، الغضب التلقائى، وكأنك ضغطت على زر. ذهبت للغرفة المجاورة، تلك الغرفة التى أعلم أنها لا ترغب فى أن أدخلها.

السرير الذى كانت تعلوه بطانية جيدة، الدولاب، التسريحة، وعليها نقوش صينية صغيرة، وأرفف الكتب. ولكن فى كل مكان، أكوام و أكوام من ـ القمامة. لا أستطيع أن أتخيل ذلك. جرائد تعود إلى خمسين عامًا مضت، وقد تمزقت لقطع صغيرة، شرائط مبعثرة ـ لم أر أبدًا شظايا من مواد مبقعة وصفراء، أربطة مقطعة، ومناديل متسخة شرائط مبعثرة ـ لم أر أبدًا مثل هذا المنظر. إنها لم تتخلص أبدًا من أى شىء، كما أعتقد. فى الأدراج، فوضى، إنها محشورة بـ ولكن، قد يستغرق ذلك صفحات عديدة فقط لكى أصف ما هناك. تمنيت لو أن الكاميرا كانت بحوزتى هناك -تعكس ما أفكر فيه. ملابس تحتية، جاكيت ذى أزرار، صداريات، فساتين قديمة، أو بقايا فساتين، بلوزات، تعود ليس لأقل من عشرين عامًا، وبعضها يرجع للحرب العالمية الأولى. الاختلاف بين الملابس الآن ووقتها: كل هذه الملابس مصنوعة من قماش "حقيقى"، من القطن، الحرير، الصوف. ما من نسيج من صنع الإنسان هنا. ولكن كل شىء ممزق أو مبقع أو متسخ. سحبت أشياء كثيرة للخارج، و اختبرت كل واحدة منها، فى بادئ الأمر من أجل شغفى برؤيتها، ثم لكى أرى إن كان فيها ما يمكن أن يصلح ارتداؤه، أو نظيفًا على الأقل. وجدت أخيرًا

صداري من الصوف، وبنطلونًا تحتى طويل من الصوف، وملابس تحتية لطيفة نوعًا ما حريرية وردية اللون، ثم فستانًا صوفيًا، أزرق اللون، وجاكيتًا بأزرار . كانت نظيفة، أو نظيفة إلى حد ما. كنت هناك أتفحص الملابس، وأنا أرتعش من البرد، وأفكر كم أحببت نفسى طوال تلك الأيام الأخيرة، كم أحب نفسى، لأننى أستطيع أن أتحكم، أن أبقى على القمة، وفكرت أن ما يجعلنى أشعر بقلة حيلة مودى هو فقط تذكرى ما كان الحال عليه حينما كنت طفلة، تأمل فى ألا تبلل سراويلها التحتى قبل أن تصل إلى الحمام.

أخذت الملابس إلى الغرفة الأخرى، التى أصبحت ساخنة جدًا الآن، يشتعل فيها لهيب المدفأة. قلت لها، "هل تريديننى أن أساعدك على تغيير ملابسك؟". جسمها يهتز، حركة عصبية للرأس، أعرف الآن أنها تعنى أننى كنت غبية.

ولكننى لم أعرف لماذا.

ولهذا فقد جلست فى مقابلها وقلت لها، "سأنهى فنجان الشاى قبل أن يتجمد". لا حظت أننى كنت أشربه دون أن أشعر بإعياء: لقد اعتدت أن أشرب من فناجين مدهنة، لاحظت ذلك باهتمام. الآن، أصبحت مودى مثلى، تغتسل، تغسل الفناجين، الأطباق، تزيل التراب، وتغسل شعرها.

كانت تتحدث، بشكل عشوائى كما أظن، عن أيامها فى المستشفى. استمعت بنصف تركيز، متمنية

لو أن الأطباء والممرضين يستمعون كيف تحكى امرأة مثل مودى عن تجربتها عن مستشفياتهم. سجون. دور إصلاح. ثم بعد ذلك، حدثتنى كيف أن ممرضتين قد قاما بتحميمها فى السرير، لأنها لم تكن بحالة جيدة تسمح لها بالاستحمام فى الحمام، وفهمت ذلك.

"سأشغل البراد،" قلت لها. " ويجب أن تخبرينى ماذا أفعل".

وضعت البرادين، وجدت حوضًا لغسيل اليدين من الإيناميل، اختبرته بشىء من الاهتمام، لأننى لم أر سوى أحواض بلاستيكية منذ وقت طويل، وبحثت عن الصابون أو الصابون السائل. لقد كانا فى حفرة فى الحائط فوق الحوض: أزيلت طوبة من مكانها ودهن المكان الفارغ.

أخذت الحوض، والبرادين، و الصابون، والصابون السائل، وإبريق به مياه باردة، إلى الغرفة المجاورة. كانت مودى تصارع لتخرج من الطبقة الأولى من ثيابها. ساعدتها، وأدركت أننى لم أنسق هذا الأمر على الإطلاق. أسرعت إليها، وجدت جرائد، أفرغت الطاولة ووضعت أوراقًا ثقيلة فوقها كلها، وجهزت الحوض، البرادين، الإبريق، ومفردات الغسيل. لا توجد منشفة. أسرعت إلى المطبخ ، وجدت منشفة عتيقة متسخة، ركضت إلى الغرفة الأمامية ونبشت عن شىء ما، حتى بدا لى أننى سأمضى اليوم كله فى البحث، ولكن الأمر استغرق دقائق قليلة ، حقيقة. كنت متضايقة من وقوف مودى هناك، نصف عارية، تسعل

وهى مريضة. أخيرًا وجدت فوطة نظيفة. كانت تقف بجوار الحوض، نصفها العلوى عار. لا تبدو أنها هى تمامًا. قفص عظمى متهالك تحت جلد أصفر مدهن، عظام كتفيها مثل هيكل عظمى وفى نهاية الذراعين الرفيعتين اللتين يعلوهما الشعر يدان قويتان تعملان بشكل جيد.

كانت تدعك الصابون بلا عناية على فوطة الوجه الصغيرة، التى كانت ضئيلة بلا شك. كان ينبغى أن أغسلها أولا. ركضت إلى الغرفة المجاورة مرة أخرى، مزقت جزءًا من منشفة قديمة نظيفة وجلبتها ثانية. أعرف أنها كانت تريد أن تؤنبنى لتمزيقى إياها، كانت ستفعل لولا أنها كانت تحافظ على قدرتها على التنفس.

غسلت نصفها العلوى ببطء، بكثير من الصابون والماء الساخن، ولكن الدهون المتسخة حول رقبتها كانت كثيفة، وانتزاعها يعنى أن أقوم بدعكها، وكان الأمر مرهقًا جدًا. كانت ترتعش بسبب هزالها. كنت أقارن هذا الجسد المسن الهزيل بجسد أمى: ولكننى لم أستطع تذكر سوى ملامح من جسدها المريض. كانت تحمم نفسها ـ والآن فقط أتعجب كيف تسنى لها أن تفعل ذلك ـ حتى ذهبت للمستشفى. وحينما جاءت جورجى، قامت بتحميمها. قامت جورجى بذلك، وليس ابنتها ـ الطفلة، ليس أنا. الآن قمت بتحميم مودى فاولر، وأفكر فى فريدى، كيف أن عظامه كانت تبدو منسحقة نوعًا ما وتأخذ فى التضاؤل تحت لحمه

الذى التصق بها. قد تكون مودى جلدًا وعظامًا فقط ولكن جسمها ليس له هذا المظهر المنهزم، وكان اللحم يغوص فى العظام. كانت مرتجفة، مريضة، وضعيفة، ولكننى كنت أستطيع أن أشعر بحيوية تنبض هناك: الحياة. كم هى قوية، الحياة. لم أفكر فى ذلك من قبل، لم أشعر بالحياة بهذه الطريقة أبدًا، كما شعرت بها وقتها، وأنا أحمم مودى فاولر، امرأة عجوز عنيفة. أوه، كم هى غاضبة: خطر ببالى أن كل حيويتها تكمن فى غضبها.

ثم كانت مشكلة تحميم نصفها السفلى، وكنت أنتظر تلميحات إرشادية.

جعلت الصدارى (النظيف) ينزلق من فوق رأسها وربطت الملابس التحتية (النظيفة) حولها، ثم رأيتها وهى تزيح المجموعة الثقيلة من جونلاتها لأسفل، ثم صفعتنى، الرائحة العفنة. أوه، لا فائدة، لا أستطيع ألا أظهر عدم اهتمامى. لأنها كانت ضعيفة جدًا، أو متعبة جدًا لتتمكن من الحركة فقد تبرزت على لباسها التحتى، تبرزت على كل شىء.

إن ملابسها التحتية، متسخة...حسناً لن أتمادى حتى ولو على سبيل تنفيس ما بصدرى، إن ذلك يجعلنى أشعر بالإعياء. ولكننى كنت أنظر للسراويل التحتى و الملابس التى نزعتها، وكان لونها بنيًا، أصفر من أثر اختلاطها بالخراء. على أية حال، كانت تقف هناك، ونصفها التحتى عار. زحلقت بعض الجرائد من تحتها، حتى تقف على كومة سميكة منها. غسلتها

مرارًا، نصفها السفلى كله. كانت تضع يديها على الطاولة التى استخدمتها كدعامة. حينما جاء الدور على مقعدتها، دفعتها للخارج، مثلما قد يفعل الأطفال، وغسلتها كلها، تجاعيدها أيضًا. ثم ألقيت بعيدًا بكل هذا الماء، وأعدت ملء الحوض، وأشعلت البرادين مرة أخرى بسرعة. غسلت عانتها وفكرت فى تلك الجملة للمرة الأولى: لأنها كانت تعانى من هذه الغريبة التى تقتحم مناطق جسمها الحميمية، ثم حممت ساقيها مرة أخرى، ومرارًا، حيث إن الوسخ كان قد نزل على ساقيها. وجعلتها تقف فى الحوض وغسلت قدميها. قدمان باليتان معقوفتان. عاد الماء مرة أخرى لسخونته فوق الغاز المتوهج ، وساعدتها فى جذب سراويلها التحتى (النظيف)، ثم بعد ذلك، بعد أن رأيت ما هو متاح، كانت الملابس تبدو لى نظيفة، فقط متربة قليلا، ثم الجونلة التحتية الوردية الجميلة.

قلت، "وجهك،". لأننا لم نغسله. "ماذا عن شعرك؟" خصلات شعرها البيضاء والجدائل التى تعلو فروة الشعر الصفراء المتسخة.

"فى وقت لاحق،" قالت.

وهكذا، غسلت وجهها، بعناية، بتلك القطعة الممزقة من المنشفة القديمة.

ثم طلبت منها أن تجلس، ووجدت مقصًا، قصصت أظافر قدميها، كان الأمر مثل قص قرن تماما، ألبستها جوارب نظيفة، فستانها، البلوفر، وهى على وشك أن ترتدى ملابسها الخارجية السوداء

مجددًا، قلت لها بشكل عفوى، "أوه، لا تفعلى" وشعرت بالأسف لأنها أحرجت، ربما ارتعشت، وجلست صامتة، مثل طفل شقى. كانت متبرمة.

قذفت بالماء المتسخ و نظفت الحوض جيدًا، وملأت البراد لأصنع شايًا جديدًا. ألقيت نظرة إلى الخلف: مجار من الطين اللزج، وقطع صغيرة من الثلج الرمادى، الماء الجاف كانت تقذفه الرياح تحت باب المطبخ، وأنا أفكر أن عليها أن تمر بذلك حتى تصل إلى الحمام، ذلك الصندوق المتجمد، كانت برغم ذلك تذهب إليه وستعاود الكرة.

أخذت أقول لنفسى إنها قد تجاوزت التسعين، وأنها عاشت هكذا لسنوات طويلة، لقد استطاعت أن تواصل الحياة!.

جلبت لها المزيد من الشاى، وبعض البسكويت، وتركتها لتتناولهم بجانب المدفأة الكبيرة.

وضعت كل الملابس الخارجية المتسخة التى نزعتها فى ورق جرائد و لففتها و رميتها فى صندوق القمامة، دون أن أستأذنها.

ثم قمت باختيار بعض الملابس من الأدراج، ونزعت الملاءات المتسخة من على السرير، وأغطية الوسائد، وخرجت بينما السماء تمطر، إلى المغسلة، وتركتهم لدى الفتاة هناك لكى تقوم بغسلها.

حاولت ترتيب المكان بقدر ما استطعت، وضعت الطعام للقطة التى جلست مدللة فى مقابل ساقى مودى. نظمت كل شىء. وطوال كل هذا الوقت، كانت

مودى تحدق فى اللهيب، لا تنظر إلىّ حينما ألتفت إليها، ولكنها تراقبنى وأنا أتحرك فى المكان، وحينما كانت تظن أننى لا أدرى.

قالت: " لا تظنى أنى لا أقدّر ما تقومين به،" بينما أواصل العمل.كنت أكنس الأرض فى ذلك الحين بمقشة صغيرة وجاروف. لم أستطع أن أجد أى شىء آخر. لم أستطع أن أفسر الطريقة التى قالت بها كلامها ذلك. كان سطحيًا. ظننت، أنه يبدو يائسًا. ربما كانت تشعر، كما كنت أذكر نفسى حينما كنت طفلة، بقلة الحيلة بشكل جديد. لأنه، من الواضح، أنه لم يقم أحد بمثل هذا العمل من أجلها من قبل.

عدت إلى المغسلة. تبدو الفتاة الأيرلندية ماهرة، قوية ، تبادلت معها صداقة سريعة، حينما تركت الملابس، أعطتنى حقيبة كبيرة بها الملابس النظيفة، نظرت إلى وجهى وقالت، "قذارة، لم أر مثلها من قبل. قذارة". يبدو أنها تكرهنى الآن.

قلت، "شكرا"، ولم أهتم بالتوضيح، ورحلت، ولكننى كنت أشتعل من الحرج! كم أشعر بالزهو، كونى مستقلة، موضعًا للإعجاب والتقدير.

أخذت الملابس وعدت، أسير خلال الطين اللزج. كنت أشعر حينها بالبرد والتعب. أردت أن أعود لمنزلى...

ولكنى أفرغت أدراج الخزانة الكبيرة، وضعت الملابس النظيفة بالداخل، وأخبرت مودى بمكانها.

ثم قلت:" سأمر عليك غدًا ليلاً".

كنت شغوفة بأن أسمع ما ستقوله.

والآن، أنا وحدى، اغتسلت، ولكنه كان حمامًا سريعا أنجزته مثل عمل سريع، لم أدع جسدى يغوص لساعات. كان ينبغى أن أرتب كل شىء، ولكننى لم أفعل، ببساطة لأننى متعبة. لا أصدق أننى فى مثل هذا الوقت بالأمس كنت ضيفة مدللة فى الفندق، أتناول العشاء مع كارل، زميلى العزيز. الورود، اللحوم، الخمور، الكريمة ـ الكثير منها.

يبدو لى مستحيلا أنه ينبغى أن يحدث ذلك هناك، ثم أجد مودى فاولر هنا. أم هو أنا من ينبغى أن توصف بالمستحيل؟ إننى بالتأكيد أشعر بالتشتت.

يجب أن أفكر فى كل ذلك مجدداً. ماذا علىّ أن أفعل؟ مع من يمكننى أن أناقش ذلك؟ جويس صديقتى، إنها صديقتى. أهى صديقتى؟

الخميس

جاءت جويس لكى تجمع أوراقها وتأخذها إلى المنزل. كانت تبدو فظيعة. قلت لها، "كيف تسير الأمور؟". أجابت "إنه يريدنى أن أذهب معه للولايات المتحدة". سألتها، "للأبد؟". قالت، "للأبد". نظرت إلىّ ونظرت لها. هذه هى الطريقة التى نتحدث بها: بشكل موجز. قالت، "علىّ أن أذهب مسرعة، أخبرى جون أننى أنجزت الغلاف. كتبت الملاحظات. سأكون هنا طوال الغد، يا جانا". ورحلت. هذا يعنى: أن زوجها قد

عرض عليه منصب الأستاذية، وأنه يريد أن يقبله، ويريدها أن تترك عملها هنا، وتذهب معه، إنها لا تريد أن تذهب، لقد تشاجرا إلى حد طلب الطلاق، الأطفال لا يريدون الذهاب للولايات المتحدة ـ وفى هذا المساء أحسست أن جويس ربما ستذهب إلى الولايات المتحدة. وهذا هو نهاية الأمر.

ذهبت إلى مودى فى طريقى للمنزل: كان بابها مغلقًا. المدفأة مشتعلة. القطة نائمة على السرير. فنجان شاى فارغ على ذراع الكرسى الخاص بها. أخذت الفنجان إلى الخزانة، وتركت رسالة قصيرة: أراك غداً، وهربت أملا فى ألا تستيقظ قبل أن أرحل.

أجلس هنا مرتدية فستان المساء بجوار المدفأة الإلكترونية. ينبغى أن أنظف هذه الشقة. ينبغى حقيقة أن أغسل شعرى.

أفكر كيف أن مودى فاولر لم تزعج نفسها يومًا وتقوم لتنظيف حجرتها الأمامية، لأن هناك الكثير من القمامة فيها، تركتها حتى تراكمت، تمر عليها فى وقت ما، وتفكر، حسنًا ليس الأمر سيئًا جدًا. بينما كانت تحافظ على الغرفة الخلفية والمطبخ بلا بقعة واحدة. حتى الآن، تنظف مدخنتها مرة واحدة فى الأسبوع، ثم تغسل الوسخ المتراكم، تكنس التراب والبقايا على الرغم من خفوت اعتنائها بها مع الوقت. لم تكن تشعر أنها بحالة جيدة، ولكنها لم تهتم، لمرة، مرتين ـ ثم أصبحت غرفتها متسخة حقًا، فقط تنظف الأرض فى منتصف الحجرة أحيانًا، فقد تعلمت ألا

تنظر عند الحواف أو تحت السرير. كان مطبخها هو آخر ما يحظى بالنظافة. كانت تنظفه و تغسل الأرفف، ولكن بدأت الأشياء تنزلق. ولكن خلال كل ذلك كانت تغسل نفسها، تقف عند طاولة المطبخ، تسخن الماء فى البرادين. واحتفظت بشعرها نظيفًا. كانت تذهب أحيانًا إلى الحمامات العامة، لأنها قالت لى ذات مرة إنها تحب الذهاب إلى هناك، ثم تركت مسافات أبعد فأبعد بين مرات غسيلها لشعرها... ثم أصبحت لا تغسل ثيابها، فقط تخلع الأنظف، وتضعهم ثانية، حتى يصيروا الأنظف، وهكذا سارت الأمور. وفى النهاية كانت تقف هناك على ساقيها فى قوقعتها السوداء السميكة، ثيابها التحتية ليست نظيفة تمامًا، ولكن ليست سيئة جدًا، عنقها قذر، ولكنها لم تفكر بذلك، فروة رأسها، أيضًا، ليست نظيفة. حينما أخذوها إلى المستشفى، غسلوها كلها، وشعرها أيضًا. أحيانا تفكر مازحة، حينما ينقلوننى مرة أخرى بعربة المستشفى، سأحظى باستحمام جيد ثانيةً. ولكنها، مودى فاولر، ما زالت هناك، متيقظة، إنها هناك بكل حواسها، متأهبة بداخل مظهر الساحرة العجوز الشريرة. لا تزال هى هناك، وكل شىء ينهار حولها، إن هذا صعب للغاية، أمر لا يحتمل.

و أنا أجلس هنا، مرتدية فستان المساء النظيف المعطر، وقد خرجت لتوى من الحمام. ينبغى أن أعتنى بأظافرى، مرة أخرى، على الرغم من ذلك. ينبغى أن أنظف شقتى، أو أن أجد من يقوم بذلك. مكثت فى حمامى بضع دقائق فقط هذه الليلة.

فى مثل هذا الوقت من العام القادم ستكون حياتى كلها قد تغيرت. أعرف ذلك، على الرغم من أننى لا أعرف كيف سيحدث ذلك.

ينبغى أن أذهب لزيارة جورجى فى نهاية الأسبوع القادم. لو جرؤت على ترك مودى. إن هذا سخيف. أين ذلك الشخص الوحيد؟

الجمعة

ذهبت فى طريقى للعمل. كانت أفضل. خرجت للتسوق لنفسها. كانت تبدو لطيفة ومنتعشة جدًا ـ هكذا أراها الآن، لم أعد أرى تلك الساحرة العجوز. قلت إننى سأذهب لزيارة أختى جورجى. ضحكت حينما سمعت الاسم. قالت، "فى أحد الأيام، سأزور أختى، أتوقع ذلك". كنت أعلم، بالفعل، ماذا كان يعنى ذلك، وقلت لها ، "سآخذك يا مودى". قالت، "جانا وجورجى،". "أنا وأختى كنا ندعى مودى و بولى، وحينما كنا نخرج ونحن نرتدى معطفينا ذى اللون الأبيض والقبعتين الصغيرتين، كنا بمثابة صورة". قلت، "أنا وجورجى كنا مثل صورة أيضا، أفترض. أتذكر الفساتين وردية اللون، والبيرية. سأراك مساء الأحد حينما أعود من هناك". "لو لديك وقتٌ،" قالت. لاحظت أننى يمكننى أن أصفعها صفعة لطيفة حادة، ولكننى ضحكت، وقلت لها، "سأراك".

مساء الأحد

تأخر القطار كثيرًا. لم أذهب لمودى. الآن، انتصف الليل. كالعادة، أقوم بما اعتدت أن أفعله فى

مساء الأحد، أتأكد من أن ملابسى جاهزة للأسبوع التالى، شعرى، مساحيق التجميل، أظافرى.

حسناً، لقد كانت عطلة نهاية أسبوع مؤلمة. حينما ذهبت هناك، كانت جورجى وحدها، لأن توم والأطفال كانوا قد ذهبوا لزيارة ما. كنت سعيدة جدًا، لا أستطيع أن أحتمل هؤلاء الشياطين الصغار. لا بأس بتوم، ولكن الزوجين هما زوجان فى النهاية. وأنا كنت أريد أن أتحدث مع جورجى. كان تفكيرى بشكل خاص، كالتالى: أنا الآن ناضجة، ربما ستأخذنى على محمل الجد. لسنوات طويلة اعتدت أن أزورها، حينما أجد وقتًا، أذهب فى مظهر البرنسيسة. جورجى الطيبة وتوم الطيب. لم تهتم أبدا بثيابها وأشيائها كثيرًا. اعتدت أن أرتدى أكثر ثيابى إثارة، وآخذ نسخًا من المجلة وأستمتع بأن أحكى لها عن حياتى وكيف أمضى وقتى. كانت تستمع بطريقتها، دون أن تعلق. جانا، الأخت الصغرى الذكية. تصحيح، جين. لم تكن لتنادينى جانا، فقد كنت و سأبقى جين، إلى النهاية. كم مرة قلت لها، جورجى، لا أحد ينادينى جين، لا أحد، أريد أن أكون جانا. كانت تقول إنها لا تستطيع أن تتذكر ذلك، وهكذا تعاود مناداتى بجين. كانت تعتقد أن جانا هو اسم ذكى صغير يليق بعمل جيد صغير. اعتدت أن أجلس، خلال عطلات نهاية الأسبوع تلك، حينما كنت أذهب، متعجبة كيف تلتصق هكذا فى مكانها، ولكن بالطبع كانت تفكر بى بالطريقة ذاتها. ليس الأمر أنها كانت مستاءة منى،

تماماً، على الرغم من أنها، بالتأكيد، كانت تعتقد، أن ما أفعله بشكل هامشى جدًا، لا يمكن أن تتخيل أن يفعله شخص عاقل.

حينما دخلت إلى المنزل، كنت متيقظة جدًا لكل شىء، بالطريقة التى أنا عليها فى هذه اللحظة - تناقضات. بسبب مودى فاولر. يبدو منزل جورجى مثل المنزل الذى عاش فيه أبوانا دائما. أطلق عليه بيت ريفى - ضواحى. إنه بيت مريح، تقليدى، محافظ، يشكل نغمة واحدة بدءًا من المناظر التى على الحوائط حتى الكتب الموضوعة على الطاولة المجاورة للسرير. شقتى، وتلك التى كانت لى أنا وفريدى، تتميزان بذوق معاصر وعالمى. فى مناسبات نادرة كانت جورجى تمضى ليلة ، وكانت تحب أن توضح أنها استمتعت بأشيائى. كانت تقول، إنها ممتعة حقًا.

أعدت جورجى عشاء باردًا لكلينا، وبدت مرتبكة ماذا تفعل بعد ذلك. كنا نجلس فى غرفة معيشتها، وقد سحبت الستائر، وهناك بعض الثلج بالخارج ، ليس كافيًا لذائقتى ولكن ربما أكثر مما أرادته. إنها تقول إنه يجعلها تعمل. إنها تعمل بجد، تنظم المنزل، تطهو الطعام، تعتنى بزوجها، بأبنائها الأربعة، تتولى منصب رئيسة هذه المؤسسة، راعية تلك الجمعية، أمينة جماعة القراءة المحلية، أعمال جيدة. جلست على جانب المدفأة وهى على الجانب الآخر. حاولت أن أتحدث عن الأم. كنت أحتاج أن أعرف المزيد عنها. لم أتحدث معها أبدًا، تحدثت أكثر بقليل

مع الأب، ولكن جورجى قد وضعتنى فى فئة هؤلاء المستهترين الذين لا يهتمون بالأسرة. وهكذا استمر انطباعها عنى. ظللت أتبادل معها أطراف الحديث، حتى أننى سألتها ذات مرة، أتعجب كيف كانت الأم تفكر فى ذلك الأمر؟

فى النهاية تحدثت عن رحلتى لميونخ. كانت تفضل ذلك. خروجاتك الساحرة، كانت تسمى كل أسفارى. كانت تريد أن تعرف كيف كان الفندق، أصدقائى، وكيف كان تنظيم عروض الأزياء، كيف تم هذا وذاك. أرى نفسى فى كل ذلك. لا حديث عن الموضة والخطوط الجديدة، ولكن كيف يتم تنظيم كل ذلك. وهكذا كنا نشابه بعضنا، على أية حال. فجأة، وأنا فى السرير جاءنى خاطر، جعلنى أجلس فى السرير ثانية وأضىء النور. جاءنى هذا الخاطر. قبل أن تموت جدتى، كانت تعانى من المرض لحوالى عامين أو ثلاثة. لا أستطيع أن أتذكر (وهى نقطة مهمة فى حد ذاتها)، وكانت فى البيت مع الأم، التى كانت تعتنى بها. كنت منشغلة فى العمل بشكل بشع وقتها، كانت الولادة الجديدة الأولى للمجلة. وأنا ببساطة تصرفت وكأن مرض جدتى لا علاقة له بى. ليس شأنى! أستطيع أن أتذكر كيف أننى انفصلت تمامًا منذ لحظة أن سمعت الخبر، ولكن أمى جاءت بها إلى المنزل، هناك، وأبى لم يكن بحالة جيدة أيضًا. كانت جدتى مريضة بالسكر، ولديها مشاكل فى القلب، ونظرها سيئ، وأجرت عمليات مياه العين، بالإضافة إلى

متاعب فى كليتها. اعتدت أن أستمع لأخبار عن كل ذلك، تنقلها لى رسائل سريعة من الأم، وأتذكر أننى لم أكن أريد أن أقرأها. الآن أعرف ثمن ذلك، رعاية المسنين، الذين بحاجة للعون. وجدت نفسى متعبة بعد ساعة أو اثنتين، وأريد فقط أن أهرب لأى مكان بعيداً عنها، ولكن إلى أين هربت الأم؟ من ساعدها؟ لست أنا! ولا لمرة واحدة، لم أقترب منها أبداً.

صباح الأحد، تناولت أنا وجورجى الإفطار وحدنا. بعض الثلوج بالخارج. مشهد جميل. الأشجار والشجيرات مكسوة بالثلج والطيور تأكل من بعض الأشياء التى علقتها جورجى على الأفرع. قالت إن توم سيعود مصطحبًا الأولاد، لأن الطقس كان مرعبًا حيث كانوا. قلت لها، وأنا يائسة تمامًا، لأننى كنت أعرف أنهم حينما يعودون ستعود جورجى إلى صورتها الأولى، "جورجى، هل كنت متواجدة كثيرًا حينما كانت جدتى تحتضر؟".

نظرت إلىّ بدهشة، وقالت، " لا، لم أكن متواجدة فى المنزل كثيراً. كنت حاملاً لمرتين حينما حدث ذلك، وكانت كيت ما زالت رضيعة". كانت الآن تنظر إلىّ بطريقة تنم عن فقدانها للصبر.

"أريد أن أعرف المزيد عن هذا الأمر،" قلت لها، وأردفت " كنت أفكر بأننى لم أقدم شيئًا للمساعدة".

قالت أخيراً، "لا، لم تفعلى" ولم تكن لتقول كلمة أخرى. كان علىّ أن أستوعب أنها هى وتوم لديهما

بعض التحفظات تجاهى، سلوكى، تلك التحفظات كانت ثابتة، جين فعلت هذا وذلك، و من المحتمل أنها كانت أيضًا تحفظات الأم والأب.

قلت، " لقد خطر ببالى مؤخرًا أننى لم أحرك ساكنًا طيلة الوقت بينما كانت تموت جدتى".

" لا لم تفعلى،" قالت بالطريقة ذاتها التى تريد بها أن أغلق فمى.

"حسناً،" قلت، لقد صادف مؤخرًا أن قدمت بعض المساعدة لامرأة عجوز، وأعرف الآن ما كان على الأم أن تتعامل معه".

"أفترض أن ذلك جيد، حتى و إن جاء متأخراً" قالت الأخت جورجى.

لقد كان ذلك أسوأ بكثير مما توقعت. أعنى، ما ظنته بى كان أسوأ بكثير جدًا مما كنت أشتعل به ـ لا، يا للخسارة، لم يعد شعورًا بالخزى، ولكنه إحساس ما بالارتباك. لم أكن أريد أن يظن بى الناس مثل هذا الظن السيئ. قلت لها، "هل يمكنك أن تخبريننى بأى شىء عن ذلك؟"

"يا إلهى، حسناً، ماذا تريدين أن تعرفى؟" قالت وقد استشاط وجهها غضبًا. تمامًا وكأن طفلة صغيرة قد قالت لها، لقد ضربت أصبعها بقادوم ، فهل آلمها؟

أجبت، "انظرى يا جورجى،"، "حسناً، لقد فهمت مؤخرا أن... أننى كان يمكننى أن أفعل أكثر

مما فعلت. حسناً ؟ هل تريديننى أن أتوسل؟ أن يحدث ذلك متأخرًا أفضل من عدم حدوثه على الإطلاق. أريد أن أعرف المزيد عن الأم".

"لقد كانت تسكن فى شقتك قبل أن تموت بعامين"، قالت الأخت جورجى، وهى تصنع علامة مندهشة متشككة على وجهها.

"أجل، أعرف، و لكننى منذ ذلك الوقت كنت ...."

قالت جورجى، "انظرى يا جين، أنا آسفة، و لكنك ..فقط تظهرين هنا فقط بعد كل ما حدث، لتقولين أنك تريدين أن تتحدثى حديثا لطيفًا عن الأم. جين، لا يمكننى الحديث عن هذا الأمر ببساطة،" قالت. كانت تقول كلماتها بطريقة تخلو من اللباقة و بغضب. وأنا، مندهشة. أدركت أن سنوات من الاستياء قد استقرت هنا، انتقاد الأخت الصغيرة جين.

قمت بمحاولة أخيرة. قلت، "جورجى، أنا آسفة. أنا آسفة، لأننى لم أساعد الأم حينما مرضت جدتى، وأريد أن أناقش كل ذلك فعلا".

"أظن، أنه فى إحدى عطلات نهاية الأسبوع تلك سأتلقى مكالمة هاتفية، حينما لا تجدين شيئًا آخر أفضل تفعلينه، وستظهرين فجأة هكذا، بمظهرك الجيد الساحر، لا شعرة فى غير مكانها، وستقولين، أوه جورجى، كنت أتعجب كيف كان الحال هنا حينما كانت تعيش الأم هنا لعشر سنوات، مع أربعة أطفال، ولا مساعدة، و كانت قد أصبحت بلا قيمة...".

عند هذه النقطة رن جرس الهاتف بالخارج وذهبت لترد عليه. جلست هناك، كنت متجمدة. كانت تلك هى الكلمة. ليس لأننى كنت أشعر بالغضب إزاء بقاء الأم لدى جورجى كل هذا الوقت، لأننى كنت أعمل فى النهاية، و كان لدينا شقة صغيرة حقًا، فريدى وأنا، و..و..و... و لكن لم يخطر ببالى أبداً أن جورجى لن تتحدث معى فى نهاية هذا الأسبوع. كانت أيضًا، غاضبة جداً. كانت وما زالت، غاضبة جدًا منى، بل و تشعر بالمرارة إزائى.

حينما عادت، قالت، "سأذهب إلى المحطة لأحضر توم و الأولاد". "أنا آسفة جين، ولكن لو بدأ ينمو لديك حس ما بالمسئولية أخيرًا، فربما يخطر ببالك أنه ليس من السهل أن تظهرى فجأة وتلقى بسؤال أو سؤالين بخفة هكذا: ماذا عن وفاة الجدة؟ كيف سار الأمر؟ هل كان الأمر مؤلمًا؟ لقد كان الأمر كله بشعًا، يا جين. هل تفهمين؟ لقد كان مرعباً. كنت أذهب هناك حينما كنت أستطيع، وأنا أعانى من جحيم الحمل أو وأنا أحمل طفلتى الرضيعة، وكنت أجد الأم تحسن التصرف. كانت جدتى ملازمة الفراش فى النهاية. لشهور. هل تستطيعين التخيل؟ لا، أخمن أنك لا تستطيعين ذلك. كان الأطباء هناك طوال الوقت. من وإلى المستشفى. كانت الأم تفعل كل ذلك. لم يكن الأب يساعدها كثيراً، لقد كان عديم النفع هو الآخر... على أية حال ينبغى أن أذهب إلى المحطة".

وهكذا رحلت.

ركضت وراءها تقريبًا، لأطلب منها أن أرحل للبيت بالقطار، ولكنى تحملت ذلك. ملأ توم والأطفال المنزل ضجيجًا وصخبًا، قاموا بالطبع بتشغيل أجهزة الكاسيت، والراديو وأصبح المنزل يطلق اهتزازات بالضوضاء. جاء توم، و قال، كيف حالك؟ ـ وذهب. أخذ الأطفال يدقون فى المطبخ، حيث كنت أقف، جيلى، بوب، جاسبر وكيت. أهلا، أهلا ، أهلا، أهلا، فى كل مكان. لقد بات الأمر واضحًا أن أولاد جورجى شياطين بشعة ومدللة لدرجة الفساد، ولكن قد يصبحوا أفضل حينما يكبرون. أنا الخالة الساحرة القادمة من لندن و الحياة المرفهة. أرسل لهم هدايا مالية فى الكريسماس. حينما نلتقى أقول لهم إنى أعتقد أنهم بشعون وأنهم جيدون بلا طائل. يقولون لى إن ذلك بسبب أننى لا أفهمهم. إنها لعبة مرحة من الإهانة المتبادلة. و لكنى أعتقد بالفعل أنهم بشعون. لا أفهم كيف يسمحان لهم بأن يفعلوا ما يشاءون، يحصلون على ما يريدون، ويذهبون إلى حيثما يرغبون. لم أسمع أبدًا توم وجورجى و هما يقولان لمرة واحدة، لا، لا يمكنك أن تحصلى على ذلك. أبدًا. البيت مزدحم بممتلكاتهم، ملابسهم، أشيائهم، ألعابهم، أغلبها غير مستخدم أو استخدمت لمرة أو اثنتين. ظللت أفكر فى أن يمضى المرء طفولته خلال الحرب ولا يحصل على أى شىء. ومؤخرًا كنت أفكر فى الحرب العالمية الثالثة وأنا لا أملك شيئًا. ستقول جورجى، بالطبع، إن هذا مألوف، مزاجى، أن تنتاب

المرء مثل تلك الأفكار، ولكن، كما كانت ستقول، أن يأتى فى وقت متأخر أفضل من ألا يأتى مطلقًا.

على أية حال، جلست فى المطبخ، وأخذت أستمع لحديث هؤلاء الأطفال المنتشر فى فضاء المنزل كله، وعادت جورجى، وكنت أستطيع أن أرى أنه بإمكانها التحدث ، إن أردت، ولكننى فجأة وجدت نفسى أقول لها، "جورجى، لديك ما يكفى من انتقاد لى، ولكن انظرى إلى أطفالك هؤلاء".

"أجل، أعرف ما تفكرين به، وأدارت ظهرها لى. وعرفت فى الحال أن هذه نقطة مؤلمة.

"أخبرينى،" قلت لها، "متى قاموا بشىء لم يكونوا يريدون أن يفعلوه أبدا؟ هل حاولتما أنت وتوم فى يوم من الأيام أن تلقنوهم درسًا أن العالم ليس فضاء من الحليب مع كريمة اللبن تطفو هناك لدى ضغطة على الزر؟"

"قد تكونين محقة. لا أقول أنك مخطئة،" قالت، محاولة أن تجعلها مزحة، " والآن علىّ أن أجهز الغداء. إن أردت أن تساعدى، ابقى، إذا لم ترغبى، اذهبى وتحدثى مع توم".

التزمت بكلامها، ذهبت إلى توم، ولكنه لم يتحدث معى، حيث كان منشغلاً بشىء ما. وجدت أن هذا الجو الحاسم فى المنزل غير محتمل، لبست حذاء البوت الكبير وذهبت للسير فى الثلوج، وعدت ثانية من أجل الغداء. كالعادة، كان الأبوان مجرد إضافة لمشهد الأطفال الأربعة، الذين لم يسمحوا لهم

باستكمال حوار، إن كان لهما الشجاعة لكى يبدآ حديثا، أو يقاطعوا الحديث من كل طرف، لقد كانوا يتصرفون بالضبط، وكأن جورجى و توم هما خادمان نافعان يمكن أن يعاملاهما كما يفضلون.

كيف تطور الأمر حتى أصبح هذا هو شكل الأسر الآن؟ فى حجرة المعيشة، فى فترة بعد الظهيرة، كان هذا هو المشهد. كانت جيلى، وهى فى السابعة عشرة، تواصل إلحاحها، لأنها أرادت أن تزور صديقًا ولم تستطع لسبب ما، ولهذا فقد كانت تشعر بالضيق حيال نفسها وتجعل المنزل كله يدفع ثمن ذلك. أما بوب، فى السادسة عشرة، وهو طفل وسيم ممتلئ الجسم، فقد كان يتمرن على الجيتار وكأن لا أحد سواه فى المنزل، بينما يلح جاسبر، فى الخامسة عشرة، على أبيه أن يرافقه إلى مباراة كرة قدم محلية. أما كيت، فى الثالثة عشرة، ذات خدين متوهجين، وشعر هائج، تذرع الغرفة جيئة وذهابًا وهى ترتدى أحد فساتين جورجى ، بنوع من الهستيريا المكتومة، كما تتصرف المراهقات. لقد كان ذلك لصالحى، لأنها كانت تريد الذهاب إلى لندن وتصبح "عارضة أزياء". يا للفتاة المسكينة ! كان توم يجلس فى إحدى الزوايا محاولا أن يقرأ، ويجيب فى الوقت ذاته على أسئلة من أبنائه بصوت متضايق و منشغل، وجورجى كانت تنتظر الجميع، بقدر عالٍ من المرح و الصبر، تصرخ من وقت لآخر لكى يصبح صوتها مسموعًا. أجل، حسناً، كيت. نعم، جيلى، سأفعل ذلك غداً. أجل يا جاسبر، إنه تحت سريرغرفة المخزن. وهكذا.

قلت فى النهاية، "حسناً، هذه الخالة الشريرة ستنصرف. لا ، لا تزعجى نفسك، سأذهب للمحطة بمفردى.

وبقدر كبير من الارتياح أدرت ظهرى لمشهد من حياة هذه الأسرة المعاصرة السعيدة و ذهبت للباب الخارجى، تتبعنى جورجى.

" حسناً"، قلت، "لا تقوليها، إننى لا أفهم من هم الأطفال، وأنا غير مؤهلة لأن أتفوه بكلمة فى هذا الشأن، بسبب طفولتى الأنانية، ولكن كل ما أود أن أقوله هو...".

"ومن المحتمل أنك على صواب،" قالت، بالصوت المرح الناكر للذات الذى تستخدمه مع الأطفال.

سرت خلال الثلج الإسفنجى فى طريقى إلى المحطة، وانتظرت قليلا. أحب المحطات، السرية، حرية أن تكون وحدك وسط الزحام. أحب أن أبقى وحدى. فاصل زمنى.

وهنا، أنا وحدى. ينبغى أن أذهب لمودى.

ينبغى، فى وقت قريب، أن أفكر فى كل ذلك.

ولكن ما أعرفه هو أنه حينما يموت الناس، فما نندم عليه هو أننا لم نتحدث معهم بشكل كاف. لم أتحدث إلى جدتى، لا أعرف كيف كانت تبدو. لا أكاد أتذكر الجد. وكذلك الأم. لم أكن أعرف رأيها فى أى شىء، غير كونى غبية وأنانية. (وهو ما أظنه حقيقياً بالنسبة لشياطين جورجى الصغار). ماذا كان رأيها فى

توم؟ جيورجينا؟ الأحفاد؟ ماذا كان يعنى ذلك لها، اضطرارها أن تراعى الجدة، بالإضافة إلى زوجها؟ لقد استغرق الأمر، أخشى أن أقول، أربع سنوات تقريبًا. كيف كانت تبدو حينما كانت صغيرة؟ لا أعرف. لن يتسنى لى أن أعرف الآن أبدًا. بالطبع، هناك أمر فريدى: أرقد وأنا مستيقظة فى بعض الأحيان، وما أريده هو، ليس أنه ينبغى أن يكون هنا لنتبادل الحب معًا، على الرغم من أننى أفتقد ذلك بشكل مرعب، ولكن لأننى أريد أن أتحدث معه. لماذا لم أتحدث معه حينما كان هناك؟

لم أكن أريد ذلك، هذه هى الإجابة. لم أكن أريد أن أعرف.

مساء الإثنين.

صحوت هذا اليوم وأنا مرتعبة ، قلبى يدق، عيناى تلسعانى من الألم، وفمى جاف. قلت لنفسى، إنه مجرد حلم سيئ، هذا كل ما فى الأمر، ولكنه ظل باقيًا. فى طريقى للعمل، أدركت أنه من المحتمل أن يكون رحيل جويس للولايات المتحدة هو السبب. بخلاف افتقادى لها، كل شىء سيتغير فى العمل. سيعرض على تولى أمر التحرير، ولكن ليست هذه هى المشكلة.

نظرت فيليس إلىّ بحدة، وأنا أسير فى غرفة السكرتارية ، ثم جاءت خلفى، و سألت، هل أنت بخير؟ تستحق الدرجة النهائية فى الملاحظة. عرفت بالطبع أنها أدركت أننى قلقة بشأن رحيل جويس.

ولكننى حينما جلست على كومة عند طاولتى، وجلبت لى فيليس قهوة داكنة وقالت لو أحببت ستقوم هى بإنجاز جلسة المصورين، أرى أنها فكرت فى الأمر برمته. تناولت كومة من الملفات من على طاولتى، ورأيت نظرتها، نظرة طويلة باردة، مصوبة إلى طاولة جويس، المكان الذى تجلس فيه جويس، و كانت تفكر، هذه ستكون لى.

ولم لا ؟

لأنها ليست جويس. أعنى، بشكل خاص، أنها فى الثلاثين من عمرها، فتاة جادة، ذكية، لديها قدرة عالية على الملاحظة، ولكنها ليست ـ ناضجة. أعرف تمامًا أننى لا أحبها، لأنها تذكرنى بما كنت عليه. ولكن هناك أكثر من ذلك. أسأل نفسى، محاولة أن أكون عادلة، ليس يهم ما تريدين، هل تملك ما تحتاجه ليليث ؟

جلست هناك فى مكتبنا، مكتبى أنا وجويس، وقررت ألا أفكر فى فيليس. ما زلت لا أستطيع التعامل مع هذا الأمر. كنت أفكر فى جويس: ما الشىء الذى لم أعرفه عنها والذى جعلنى أعتبر عدم ذهابها لأمريكا أمرًا مسلمًا به! ولكننى كنت أحكم على زواجها من خلال تجربة زواجى. بالطبع، لديها أطفال، ولكن لا ، ليس هذا هو السبب. إنه رجل لطيف تمامًا. لا أعرفه. لم أتحدث إليه أبدًا: نحظى بعلاقة ساخرة.

كنت أريد أن تأتى جويس مبكرًا ، ولكن الآن تقريبا وقت تناول الغداء. كانت تبدو مرعبة، مريضة، غير منظمة. جلست، ثم نهضت ثانية، لتجلب لنفسها القهوة، جاءت بها مرة أخرى، جلست وأرخت جسدها وأشعلت سيجارة، جعلت الدخان يخرج، عبثت بأوراقها، سقت النباتات الموضوعة على جانب النافذة، فعلت كل شىء، عدا السماح لنفسها بالنظر لى.

ثم أخذت تتمتم بشىء ما، جاءت فيليس، قالت جويس، "لست راضية عن الخمور، لقد كتبت بعض الملاحظات، أرجو أن تذهبى و تستشيرى خبيرالخمور لدينا، ما اسمه. ما اسمه ـ وعنوانه، أين هو؟"

"لا تقلقى" قالت فيليس، "أعرف أين يكون".

أخذت ملاحظات جويس، وابتسمت بلطف، وخرجت.

والآن سمحت لى جويس بابتسامة قصيرة، ابتسامة حقيقية، وفى الواقع نظرت نحوى. ضحكنا.

نظرنا إلى فيليس، من خلال الباب المؤدى إلى الأرشيف. لاحظنا ملابسها، شعرها، مكياجها، حذاءها. إنها العادة، ثم فقدت جويس اهتمامها بها، وعادت لأفكارها.

ليس لفيليس أسلوب بعد. ليس كما هو الأمر بالنسبة لى أنا وجويس. جلست هناك وأنا أتعجب إن كان يمكننى أن أساعد فيليس فى تطوير أسلوبها، كما ساعدتنى جويس. الآن فقط، وأنا أجلس لكتابة هذه

السطور، أدرك كم كنت أفكر فى فيليس بشكل شاذ وكيف يمكن أن تبدو، حينما كنت أشعر بالأسى الشديد إزاء جويس، كنت أريد أن أقول، من أجل خاطر الله، تحدثى. كنت أعرف أنها قد قررت الرحيل، وكانت تشعر بالاستياء إزائى. كنت أحتاج لأن نتحدث معًا.

جويس هى الإنسان الوحيدة التى تحدثت معها طيلة حياتى. وبالرغم من ذلك، فكنا نتحدث بالابتسامات، الصمت، الإشارات، موسيقى بلا كلمات، أو يكفى ما قيل.

فى النهاية لم أستطع التحمل، قلت، "جويس، أريد أن أعرف السبب. يجب أن تشعرى بذلك".

كانت متحولة بنصف جسمها عنى، وخديها على يديها. صنعت إشارة تنم عن ضيق، مفادها اتركينى وشأنى.

جلست هنا فى الواحدة صباحًا، أدون ذلك. ذهنى صاف جدًا، ومتقد، يموج بالأفكار. كان لدى الآن فقط فكرة جديدة هى هذه: الكتابة بأسلوبى. إننى أكتب طوال الوقت، ملاحظات لنفسى، ملاحظات لفريق العمل، موضوعات، وكل شىء يتعلق بأفكار اللحظة الراهنة، إلخ، إن لم يكن لنفسى فللآخرين. لم أدع الأفكار تطير فى الهواء، أكتبها لتبقى، أمثلها، أقترح وجهة نظر العين الخارجية. وهذا ما أفعله الآن. أرى، أننى وأنا أكتب هذه المذكرات، أفكر بهذه العين

الملاحظة. هل هذا يعنى أننى أنتوى بالفعل نشر هذا؟ لم يكن بذهنى مطلقًا حينما بدأت الكتابة. إنه أمر مضحك، هذه الحاجة لأن تكتب أشياء ما، وكأن لا وجود لها طالما لم تسجل. تقدم. حينما أستمع لحديث مودى، يكون لدى هذا الشعور، بسرعة، أريد أن أمسك به، لن أجعله يفلت منى، أسجله. وكأنه ليس صحيحًا، إلا لو كتبته بالفعل.

أوه، أفكارى تطن برأسى، اقبضى عليهم...

كنت أجلس هناك مع جويس، كلانا تشعر بالبرد والإعياء، امرأتان بائستان، وكنت أختبر كلانا، بحكم العادة، كما كنت اختبر فيليس. محررتان، محررتا مجلات نسائية (يقرؤها الكثير من الرجال) من الدرجة الأولى، فى نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات.

حينما قرأت مذكرات من الماضى، ما كان يدهشنى هو ما كانوا يكتبونه، ما كانوا يتناولونه من أطعمة، كل التفاصيل. ليس من الصعب إذًا تخيل ما كان الناس يفكرون به تقريبًا ـ ليس مختلفا للغاية، عما نفكر فيه، أعتقد - ولكن كيف تسوى المرأة سريرها، أو تجهز طاولتها، أو تغسل ملابسها التحتية، ما كانت تتناوله فى الإفطار، فى عام١٧٨٠، فى منزل ينتمى للطبقة الوسطى، فى مدينة بريطانية إقليمية؟ كيف كان يوم من حياة زوجة مزارع، فى شمال إنجلترا، فى تاريخ معركة ووترلو؟

حينما جاءت جويس للعمل هنا جعلتنا كلنا واعين بأننا كنا فوضويين! فوضى ـ منتصف الستينيات! وعلى الرغم من ذلك فإن أسلوبها، كما كانت تقول، كان غجريًا من الدرجة الأولى، والذى يبدو فوضويًا بسهولة. تبدو جويس طويلة و نحيفة، وشعر كثيف أسود مجعد ومموج، لا نظام معتنى به، ووجه نحيف شاحب. أو هكذا يبدو وجهها، يظهر من بين كل هذا الشعر. عينان سوداوان صغيرتان حقًا، ولكنها تبدو وكأنها ضخمة ودرامية. ملابسها مكلفة جدًا. ترتدى اليوم جونلة سوداء مخططة بلون الأوكسيدية وصدارى و(جاكت) حريريًا أسود وسلسلتها الفضية السميكة بقطع مدلاة ذات لون بنى مائل للصفرة. مجوهراتها جيدة جدًا، لا ترتدى أبدًا أية جواهر شرقية، نصف ـ قمامة تلك التى أقدر على دفع ثمنها بسبب أسلوبى فى ارتداء ملابسى. حافظت على اللون الأسود لشعرها. قريبًا ستضطر لتغيير أسلوبها، لكى يناسب سنها الذى لم يعد صغيرًا.

كنت مازلت أرتدى فساتين قصيرة، عقود، ذات ألوان صارخة، ملابس مزركشة، حينما أخذت جويس بيدى. تغير أسلوبى منذ ذلك الحين وأصبح كلاسيكيًا، ومكلفًا. أرتدى بلوزات حريرية وجوارب حريرية، وليس تلك المصنوعة من النايلون، وفساتين تبدو من النظرة الأولى وكأننى لا أحاول أن أبدو بمظهر مختلف. وجدت ترزى فساتين ممتاز، يهتم بكل غرزة، وأصبحت أبحث عن أزرار خاصة فى المتاجر، وياقات مصنوعة

يدويا، وأجلب سترات وبلوزات قصيرة مفصلة خصيصًا لى. لى أسلوبى الخاص: فى البداية لا يلاحظ الناس، ثم ترتد أعينهم ويختبرون التفاصيل، واحدة تلو الأخرى، الغرز على الياقة، صف من الأزرار اللؤلؤية. لست نحيفة، ولكنى متماسكة. شعرى منسدل باستقامة، يبدو فى أبهى شكل دائمًا، ذهبى بلمسة فضية. عينان رماديتان، كبيرتان بشكل طبيعى، ويبدوان أكبر حجمًا.

لم نستطع أن نكون أكثر اختلافًا، جويس وأنا، فيما عدا المتاعب التى نواجهها. ولكن كان لجويس نصيب أقل بسبب أسرتها.

فيليس فتاة قوية، جذابة، نوعًا ما. شقراء. دوما منشغلة بالموضة الجديدة، ولهذا فإنه لا شىء هناك يمكنك ملاحظته. كنت أراها وهى تراقب جويس، وبشكل حقيقى، تنبذ أسلوبها. رأيتها تراقبنى: كيف يتسنى لها فعل ذلك؟ سأريها إن طلبت منى ذلك، آخذها إلى الترزى والمرأة التى تصنع الغرز، وأدعها تختار مصفف شعر مناسب لها.. هذا ما كنت أفكر فيه وأنا أجلس هناك مع جويس، ونحن فى كل هذا البؤس: كان عقلى معطلاً وأحاول أن أعبر عن ذلك من خلال الأقمشة، ومن خلال أساليب الموضة!.

وعلى الرغم من ذلك، ليس لدى نية واعية للاستسلام.

فى موعد الغداء شربنا القهوة ودخنا السجائر. ثم قالت، "يجب أن أذهب للمنزل"، وصرخت، "جويس!"

قالت،"ألا ترين، لا يمكننى أن أفعل ذلك، لا أستطيع!"، وقلت، "جويس، لا يمكنك أن تغادرى المنزل هكذا فحسب، أريد أن أعرف".

أحنت رأسها و جلست، تماسكت، ثم، حقيقة، نظرت إلىّ.

"ماذا تريدين أن تعرفى؟"

"أريد أن أفهم. لا أفهم كيف تتخلين عن كل هذا و... لأجل من ؟"

قالت، "هل جربت أن، تكتشفى فجأة أنك لم تكونى تعرفين نفسك ؟"

"بالطبع، حدث ذلك!".

"كنت أعتقد أننى يمكن أن أوافق على الطلاق بسهولة".

"ألديه صديقة؟"

"أجل، تلك الفتاة ذاتها، التى تعرفينها. إن لم أرحل معه، سيأخذها بدلا منى".

"لقد كان متزوجًا طيلة هذا الوقت كله منكما أنتما الاثنتين، إذًا؟"

"يبدو ذلك. قال لى فى مرحلة ما، لديك عملك، سأصاحب فيليستى".

كنت أجلس هناك، حذرة، لأننى لم أكن أريدها أن تطير عائدة للمنزل، وأعرف أنه يمكنها بسهولة أن تفعل ذلك". كنت أفكر فيما أطلق عليه الأفكار

التحررية للنساء. إن لديه عمل بالطبع، و لكنها حينما يكون لها عمل هى الأخرى، فإنه يدعم نفسه بامرأة أخرى على الهامش. ولكننى مللت من هذه الأفكار، ليست هى النقطة الأساسية، لم تكن أبدًا، ليس بالنسبة لى، ولا بالنسبة لجويس. فيليس تندرج فى إطار النساء المتحررات، ذوات الوعى المرتفع، وتجعل من الواضح أن جويس وأنا لسنا متحررتين. لقد ناقشنا أنا وجويس هذا الأمر، ولكن ليس غالبا ـ لأنها ليست القضية الأساسية! فى إحدى المرات قالت جويس لفيليس، وقد تغلب عليها حس فضولى أكثر من كونه جدليًا، فيليس، لدى وظيفة ممتازة بمرتب مجز. لدى زوج و طفلان، وأدير أمور منزلى وأسرتى. ألا تقولين أننى امرأة متحررة، رغم ذلك؟ أليس هذا بكاف؟ ابتسمت فيليس ابتسامة المرأة التى تعرف أكثر ووافقت: خطوة فى الطريق الصحيح. وبعد ذلك ضحكنا أنا وجويس. تنتابنا إحدى نوبات الضحك المفاجئة، موسيقى بلا كلمات، تلك هى من بين أفضل الأشياء فى صداقتنا.

"إن لم تذهبى للولايات المتحدة، هل سيصطحب فيليستى؟"

"سيتزوجها"

"أهذا ما تهتمين به؟"

هزت رأسها نفيًا. ومرة أخرى لم تكن تنظر إلىّ. كنت مرتبكة، لم أكن أعرف ما الذى تخشاه، من مواجهتى. وأخيراً قالت، "إنك مكتفية بذاتك تمامًا".

كان هذا آخر ما توقعت سماعه ـ أنا الطفلة ـ الزوجة، الطفلة ـ الابنة ـ و قلت، "أنا ؟ مكتفية ذاتيًا؟"

وهزت رأسها فحسب، أوه، إن هذا يفوق احتمالى كثيرًا، وانثنيت بجذعى، ممسكة المكتب بكلتا يداى، شاخصة النظر إليها، وهى مثبتة سيجارة بين شفتيها. رأيتها مثل عجوز شمطاء، السيدة فاولر: وجه صغير حاد، الأنف والذقن يكادا يلتقيان. بدت هرمة. ثم أطرقت ثانية، اعتدلت، والتفتت إلىّ.

"لا أستطيع مواجهة أمر كونى وحيدة،" قالت، بشكل مباشر وصريح، " هذا كل ما فى الأمر.

إن قلت إن عقلى كان يموج، فإن هذا ما كان الأمر عليه بالفعل.

أردت أن أقول، ولكن، جويس ـ لقد مات زوجى، يبدو الأمر الآن وكأنه قد حدث بين يوم و ليلة ـ ما الذى تعولين عليه؟ كان يمكننى أن أقول، جويس، إذا ألقيت بهذا العمل جانبًا وذهبت معه، قد تجدين نفسك بلا شىء فى النهاية. كنت أستطيع أن أقول... ولم أقل شيئا، لأننى كنت أصيح بنوع من الدهشة الغاضبة، باستحالة ذلك، والأسوأ من ذلك، لأننى كنت أفكر بأننى لم أعرف جويس على الإطلاق ! لم أكن لأصدق أنها ستقول ذلك، أن تفكر به. الأكثر من ذلك: إننى أعرف أننى لم أكن أستطيع أن أقول لجويس، سلوكك غبى حقًا، خاطئ، إنك مثل طفلة! ليس الأمر كذلك، ما الذى تخافين منه؟ أن تكونى وحيدة ـ ما هذا الهراء!.

لأننى اكتشفت أننى رحلت بعيدًا عن جويس، وفى وقت قصير. لقد توفى زوجى، توفت أمى: أعتقد أننى لم أتأثر بهذين الحدثين، لقد سلحت نفسى. وعلى الرغم من ذلك، فقد تغير شىء ما بى، بشكل عميق تمامًا. وهناك مودى فاولر، أيضًا.

بدا لى، وأنا أجلس هناك، بينما أنا أصرخ وأحاول التوقف، وأنا أعض على منديلى المصنوع من أفخر أنواع اللينو؟ إن جويس طفلة. أجل، كانت طفلة فى النهاية، ولم أستطع أن أقول لها شيئًا عما تعلمته، أو ما كنت عليه الآن.

هذا كان سبب بكائى.

"لا تفعلى،" قالت جويس، "لم أكن أقصد أن أفتح جروحًا جديدة".

"لم يحدث ذلك،ليس الأمر كذلك". ولكن كان هذا هو الأقرب لما كنت أنوى التحدث فيه، أعنى بذلك، أن أقول ما كان برأسى. لأننا تحدثنا وقتها، بحس من الحديث الجاف، عن كل الأشياء. وليس الأمر أننى لا أقدر ذلك. لأننا لم نتحدث، ولمدة طويلة مضت، بهذه الطريقة. الطريقة التى تتواصل بها النساء، بالإيماءات والإشارات و الابتسامات، إنه أمر جيد للغاية، أمر يجلب السعادة والمتعة ومن أكثر الأشياء التى استمتعت بها. ولكن حينما تتحطم الأشياء، لم أكن لأستطيع أن أقول لجويس لم كان علىّ أن أبكى.

قالت: "أنت مختلفة عنى. كنت أراقبك وأستطيع أن أرى ذلك. ولكنه إن ذهب إلى الولايات المتحدة سأكون وحيدة. لن أتزوج ثانية. أعرف ذلك، وعلى أية حال، إن كنت متزوجة رجلاً ما، ، لايمكنك أن تلقيه جانبًا فحسب و تأخذين آخر - إنهم يستطيعون فعل ذلك".

"أو يظنون أنهم يستطيعون".

"أو يظنون انهم يستطيعون فعل ذلك، أعنى دون عقاب. ولذلك فأنا لا أعتقد أننى سأتزوج رجلاً آخر. لا يريد الأطفال أن يذهبوا للولايات المتحدة، و لكن إن رحل هو وأنا بقيت، سيسافرون جيئة وذهابًا، وسيرحلون إلى هناك فى النهاية، وسيعيشون هناك بدلا من هنا، من المحتمل أن هناك فرصًا أفضل للشباب. سأكون وحيدة. لا أعرف كيف أكون وحدى يا جان،"

ولم أستطع أن أقول لها، جويس، زوجك فى الخامسة والخمسين، وهو مدمن للعمل...

" هل أنت مهيأة لتكونى زوجة متفرغة؟"

قطبت جبينها حينما سمعت هذه الجملة. "لن أحصل على مثل هذه الوظيفة، بالطبع لا. ولكننى، أتوقع أن يكون هناك شىء ما".

وهى ترحل، قالت: " لا إننى لم أقرر بشكل نهائى. أعرف كم سأفتقد كل ذلك ـ و أنت يا جان. ولكن ليس لى خيار آخر". وهكذا خرجت، وهى لا تنظر إلىّ.

وهـذه هـى الحـالـة الـتى تـركـتـنـى عـلـيـهـا. إنه ليس لديها اختيار.

كـانت جويس أفـضـل مـحـررة فـى تـاريخ المجـلـة. لم تـضـع يـومًـا بـيـتـهـا وأسـرتـهـا فـى المـقـام الأول... وعـلـى الـرغم من ذلـك...أرى كيـف حـيـنـمـا جـاءت، كـانت مـرنـة بـدرجـة رحب بـهـا الجـمـيـع: كـانت تـعـمـل من المـنـزل مستخدمة التليفون، تعمل فى وقت متأخر من الليل أو فى الـصـبـاح الـبـاكـر وقت الـضـرورة. قـلـنـا جـمـيـعًـا، إنـهـا طـريـقـة المرأة فـى الـتـعـامل مع الأشـيـاء، ليس المهم هو الالـتـزام بـسـاعـات الـعـمل فـى المكتب، ولـكن إنجاز مـا هـو ضـرورى. والآن، أنـا أفـكـر أن مـا كـان ضـروريًـا هـو زواج جويس، بيتها.

كـانت بسهولة تبقى بعد سـاعـات الـعمل لتتناول الـعـشـاء معـى، فـى المكتب، أو فـى مطعم: عـشـاء عـمل. وعلى الرغم من ذلك، وفى أوقات أخرى كان عليها أن تـبقـى فـى الـبـيـت. لـقـد كـنت أنـا الـسـبـب الـذى جـعـل كل ذلك ممـكـنًـا: لم أقل أبـدًا لا، لا أسـتـطـيـع الـبـقـاء فـى المكتب فى وقت متـأخـر كـالعـادة، علىّ أن أعـود لـلـمنزل. أو كـان يـحـدث ذلك فـقـط حـيـنـمـا كـنـا نـقـيـم حـفـلات الـعـشـاء أنـا و فـريـدى. لم أقل أبـدًا، يـجـب أن أعـود للمنزل مبكرًا هذا المساء، لأن فريدى سيعود مبكراً. ولـكن يـبـدو لـى أن شـيـئًـا مـشـابـهًـا لـذلـك كـان يـحـدث مع جويس: زواجها، أطفالها، عملها. كانت تنجز كل ذلك بشكل متكامل، بطريقة مرنة ساحرة. "هل يمكنك أن تقودى الجبهة اليوم، يا جان؟" بشكل ما، كنت أنا جزءًا

من زواجها، مثل تلك الفتاة فليسيتى! كنا جزءين من هذا الكيان الكبير، كنا نعلم ما يحدث حقيقةً، و كيف تسير الأمور ... هذا ما كان يسحرنى دومًا، أكثر ما يثير اهتمامى. وعلى الرغم من ذلك، كان لدى اعتقاد أننى كنت ـ بشكل ما ـ جزءًا من زواج جويس.

سترحل جويس إلى أمريكا. ستتخلى عن عمل رائع. يحصل القليل جدًا من النساء على عمل مثل ذلك. ستتخلى عن الأسرة، الأصدقاء، البيت. لقد كبر أطفالها، تقريبًا. ستكون فى بلد حيث سيتحتم عليها أن تتعلم أن تحب وضعها الجديد، مع رجل كان يمكن ان يكون سعيدا لأن يرحل مع فتاة أخرى أصغر. ليس لديها اختيار.

حسناً، نساء متحررات، فيليس، ما الذى يمكن أن تقوله إزاء ذلك؟

ماذا، فى بياناتك المعلنة، صفعك للأبواب فى وجوه الرجال، حديثك، هل قلت أبداً ما يلمس ذلك؟ فى حدود علمى، لا شىء. وصدقينى، إن فيليس متأكدة من أن كل تلك الدعاية متاحة لى، منشورة على المكتب.

إن السبب الذى يدعو الفتيات فى هذه الأيام يجتمعن مع بعضهن فى جماعات وقطعان ويجعلهن يغلقن السبل لعدم وصول الرجال إليهن، أو كلما يستطعن، هو أنهن يخشين، ـ السلطة التى يملكها الرجال ـ تلك التى تجعل جويس تقول، ليس لدى خيار آخر.

أستطيع أنا أن أعيش وحيدة، وأحب ذلك. ولكن بعد ذلك، لم أتزوج أبدًا حقيقة.

بعدما وصلت للمنزل، رن جرس التليفون: جاء صوتها منقطع النفس و ضئيلا. لأنها بكت حتى جفت دموعها، أعرف ذلك. قالت، "جان، نحن نصنع اختياراتنا قبل أن نعتقد أننا قد قررنا بالفعل بوقت طويل! يا إلهى، ولكن ذلك مرعب. هل تفهمين ما أعنيه؟"

"أجل،" قلت، "أعرف ما تعنيه.

أعرف. هو أمر مرعب. ما الخيارات التى اتخذتها، وأنا لست واعية بها حتى الآن؟.

لم أذهب لمودى فاولر منذ ليلة الجمعة.

الثلاثاء

جويس ليست فى العمل. تولينا القيادة أنا وفيليس. ذهبت بعد العمل لمودى فاولر. استغرق الأمر وقتًا طويلاً حتى فتحت الباب، ووقفت تنظر إلىّ لوقت طويل، لا تبتسم، ليست سعيدة، وفى النهاية وقفت جانبًا حتى أتمكن من الدخول، سارت أمامى عبر الممر، دون أن تنطق بكلمة. جلست على جانب المدفأة، التى كانت مشتعلة، وانتظرت أن أبدأ الحديث.

كنت غاضبة بالفعل، أفكر، حسناً، ليس لديها هاتف، أهذا خطئى؟

قلت، " لم أعد إلا فى وقت متأخر جدًا من مساء الأحد، وبالأمس كنت متعبة جدا" .

"متعبة، حقًا؟" ثم قالت، "انتظرتك ليلة الأحد، كان لدى بعض طعام العشاء لكلينا".

لاحظت التتابع المعتاد لمشاعرى: إحساس التورط، ثم الرغبة فى الهروب، ثم ـ بالطبع ـ الإحساس بالذنب.

"أنا آسفة يا مودى، قلت.

أدارت رأسها، وحدقت فى المدفأة، فمها مفتوح قليلاً، تلتقط نفسها.

"هل كنت بحالة جيدة؟"

"جيدة جدًا"

كنت أفكر، انظرى، لقد قمت بتحميمك من الرأس إلى القدمين، من قذارتك العفنة، والآن، أنت... ولكننى يجب أن أفكر أيضًا، بأننى قد قطعت على نفسى وعدًا، ولم أنفذه. لا يجب أن أفعل ذلك ثانية أبدًا.

استغرق الأمر ساعة تقريبًا قبل أن تلين، تنهض لتعد لنا الشاى. اضطررت للمكوث ساعتين أخريين. قبل أن أرحل كانت تتحدث بحرية مرة أخرى. حكت لى قصة طويلة عن امرأة أبيها الساحرة، التى جعلت من مودى خادمة لها، الآن، وقد توفت والدتها "بشكل لائق وآمن". أعلم أننى قلت لك كل شىء عن ذلك.

"لقد سممت أمى، أعلم أنها فعلت ذلك، وإن لم يعلم أحد آخر، وصدقتنى خالتى مارى. قالت إنه لا

فائدة من اللجوء للشرطة، لن يأخذوا أبدًا بكلامى ضد أبى، فقد كان يتعاون مع الشرطة، لقد كان يتعاون مع أى شخص تأتى من ورائه منفعة، كان يأتى بالمفتش فى الكريسماس من أجل احتساء الويسكى وتناول الكيك، وكان يرسل هو وامرأته الساحرة برميلا من البيرة للأولاد فى المخفر مع لحم الخنزير وحلوى البودنج. لو إننى ذهبت إلى المخفر، وأنا مجرد فتاة، وكنت مرتعبة، وأنا أحمل فى قلبى هذه الشكوى، وقلت إن امرأة أبى قد وضعت السم لأمى، والآن تفعل الأمر ذاته معى، إنه أمر مفجع - حسنًا، هل كانوا سيستمعون لى؟ قالت عمتى مارى، انظرى، اتركى المنزل، وتعالى إلىّ حينما تستطيعين دون أن تثيرى قلقًا. لن أستطيع مواجهة أخى أو أدخل معه فى عراك. ولكن، حينما يأتى الوقت المناسب، ستجدين لدى السرير والقليل من الطعام. حسناً، أصبحت أكثر مرضًا وضعفًا. وسار الأمر هكذا لشهور تالية. حاولت ألا أتناول طعامًا فى المنزل ، كنت أذهب ركضًا لأختى، تلك التى ماتت - لا لم أذكرها، تجعلنى أشعر بأننى حزينة جدًا. كانت دومًا الأضعف. كانت تثير أعصاب والدى و زوجته، وقد تزوجت وهى فى الخامسة عشرة. لقد تزوجت ضد رغبة أبى، و قال لا تظهرى هنا أبدا. كان زوجها سيئًا ولم يستطع الاحتفاظ بها. كان لديها ثلاثة أطفال صغار، وكانت أمى ترسلنى إليها ببعض الحلوى أو الخبز، تلك الأشياء التى لا تفسد، وكنت أجدها شاحبة جدًا وضعيفة، والأطفال جائعون. كانت تأخذ قضمة

صغيرة، لكى تحافظ على قوتها، ثم تدع أطفالها يأكلون ما تبقى. ماتت أمى، ولم يعد هناك ثمة طعام فى ذلك البيت على الإطلاق. ذهبت لأبى وقلت له، أختى تموت من قلة الطعام وشدة البرودة. قال، قلت لها ألا تتزوجه، وهذا كان كل ما قاله. لقد ماتت، ولم يذهب إلى الجنازة. أخذ الزوج الطفل الوحيد المتبقى على قيد الحياة، ولم أسمع أكثر من ذلك. قبل أن تموت، كنت أجلس معها، أكاد أن أفقد الوعى من الجوع، لأننى كنت أخشى أن أتناول الطعام فى المنزل، وكانت هى تموت من شدة الجوع لأنه لم يكن هناك طعام، كنا شركاء. لقد كان وقتًا بشعًا، لا أدرى لم يقول الناس: "أيام زمان الحلوة"، لقد كانت أياما مقيتة. فيما عدا أناس مثل أبى..." ومضت مودى تتحدث طويلاً عن والدها.

حينما سألتها، "ماذا عن أختك الأخرى؟" قالت، "لقد تزوجت ورحلت، لم نكن نسمع عنها الكثير، كانت تبتعد عن طريق أبى، لم يكن يحب زوجها أيضًا. فى إحدى المرات، ذهبت إليها وقلت لها، شقيقتنا ميوريل تتضور جوعًا، وأطفالها معها، كل ما قالته، حسناً، ليس لدى ما أوفره لها. وعلى الرغم من ذلك، كان طعامها آمنا، الكثير من الكعك و الكسترد.

"بعد أن ماتت ميوريل، لم يكن لدى حتى أى مكان أذهب وأجلس فيه، و كنت آكل أقل قدر من الطعام كلما استطعت لأننى كنت أعرف أنه مسموم. كانت تأتى إلى حجرتى وكانا يضعانى فى الطابق الأعلى،

تماما وكأننى خادمة- ويضعان بجانبى اللبن والحساء، ويقولان لى، اشربيه، اشربيه، وكنت أصبه فى سلة الغسيل، ثم أتسلل إلى الطابق السفلى لأفرغ السلة حتى لا تلاحظ. كنت أختبر السم فيه، كنت أعرف أن هناك سما. فى بعض الأحيان كنت أذهب لكى ألتقط الخبز الذى يرميه الناس للطيور، ولكن كنت أخاف أن يرانى الناس. كنا معروفين، كما تعلمين، كان ينظر لنا الناس باحترام، الأب، بسبب قدومه وذهابه، وعربته وطرقه الحرة، وهى بسبب حانتها. كنت الابنة التى لديها منزل، كان الناس يحسدوننى بسبب حياتى السهلة. وعلى الرغم من ذلك، كنت أرقد على سرير رفيع فى أعلى طابق فى المنزل، دون همسة دفء، لم يأتنى يوماً فستان جديد، أو أى شىء يخصنى، فقط ملابسها القديمة بعد أن تقص لكى تلائمنى، وأخاف أن أتناولها. حسنًا، فى إحدى الأمسيات، انتابتنى كل الأفكار دفعة واحدة، لأننى كنت فى الفراش، كنت ضعيفة ومريضة جدًا، لا أقوى على النهوض، وكان لديها كوب ملىء بالحليب المحلى، وقالت، سأجلس هنا حتى تشربى الكوب. لا أريده، قلت، لا أريده. ولكنها قالت، سأجلس هنا.

"كانت ترتدى فستانًا حريريًا وردى اللون ، بريش رمادى له كشكشات من القطيفة حول الرقبة ، وقبقاب عالى الكعب وردى اللون. كانت قد تحولت إلى امرأة سمينة بسبب حبها لتناول الطعام والشراب، وكانت محمرة الوجه، وكانت تطرق برأسها وهى تقول، يا

إلهى، إن الجو بارد هنا فى الأعلى. وبرغم ذلك، لم تفكر أبدا أننى كنت أضطر لأن أقفز لأعلى وأسفل الدرج، ولا أننى أعيش فى هذه البرودة. و برغم ذلك ، كانت هناك غرفتان شاغرتان فى الطابق الذى يعيشون فيه. فيما بعد، قالت لى عمتى مارى، بالطبع لم يكونا يريدانك فى هذا الطابق معهما، لم يكونا يريدانك أن تسمعى ما يدور بينهما. ما الذى يدور بينهما؟ قلت، لأننى لم أكن أهتم بكل ذلك، كنت أكره كل ذلك، إننى مثل أمى. إننى أغلق عقلى إزاء ذلك. وإلى جانب ذلك، لم يكونا متزوجين. لقد كانت لديها زوج فى مستشفى فى مكان ما، ولهذا لم يكن فى إمكانها أن تتزوج من أبى. الآن، أفكر مرة أخرى فى كل ذلك، كان الناس ملتزمين فى تلك الأيام، وعلى الرغم من ذلك، لا أذكر أنها كانت تعانى من الحياة مع أبى خارج رباط الزوجية. ولكن لم أكن لألاحظ: كل ما فكرت فيه كيف أنها لم تأكل فى هذا المنزل. تلك الليلة، أصرت أن أشرب اللبن فى النهاية، على الرغم من أن مذاقه قد أصابنى بالغثيان ثم تظاهرت بأننى نائمة، وذهبت وهى تسير بثقل إلى الطابق السفلى أخيرًا. وضعت أصبعى تحت حلقى وتقيأت اللبن. ثم وضعت فستانى الآخر فى حقيبة أمى الصغيرة وتسللت خارج المنزل.

لم يكن لدى أى أموال، لم يعطنى أي مال قط، أبدا، على الرغم من أننى كنت أحافظ له على البيت نظيفًا، كنت أفعل كل شىء. سرت حتى وصلت إلى

القرية التى كانت تقطنها عمتى. إنها جزء من لندن الآن، لا تعرفين أنها كانت قرية حتى وقت قريب جدًا، كانت خلف نيسدين. وصلت هناك و كانت الشوارع مليئة بالحناطير والضوضاء. كدت أسقط وأنا أسير. وصلت إلى بيتها وضربت الجرس لمرات حتى جاءت لتلطقتنى وأنا أسقط. قالت إنه بإمكانى البقاء معها، وأن أدفع لها، حينما أتمكن من العمل وكسب الرزق.

كتبت عمتى لأبى أن مودى جاءت لتمكث معها لفترة قصيرة، هكذا وصفت الوضع. ولم يقل أبى أى شىء على الإطلاق، على الرغم من أننى انتظرت طويلا من أجل إشارة منه. استغرق هذا الأمر سنوات حتى اعترف بوجودى. وقامت عمتى بتغذيتى وإطعامى. كانت هى نفسها فقيرة. لم تستطع أن تمنحنى ما قالت إننى ينبغى أن أحصل عليه، الكريمة، والخمر، وتلك الأشياء، ولكنها فعلت ما استطاعت أن تفعله. كنت ضعيفة ونحيفة و كنت أرتعش كلما سرت بضع خطوات، ولكنى تحسنت، ثم أرسلتنى عمتى للتدرب لدى صانع قبعات نسائية فى الطرف الغربى. حصلت على المال من أبى. لا أدرى ما قالته، ولكنها حصلت عليه".

كانت الساعة قد بلغت العاشرة تقريبًا حينما وصلت للمنزل. كنت ممتلئة بالشاى الثقيل الأسود الذى تصنعه مودى وأشعر بالإعياء، ولهذا فلم أستطع أن أتناول الطعام. التعاطف، بلا شك، مع شعور بنقص الشهية للطعام، لأننى أفترض أن هذا ما كانت تعانى

منه مودى المسكينة بعد موت أمها. أخذت حمامًا قصيرًا وعالى الجودة ، وانتهيت من كتابة هذه الكلمات، والآن يجب أن أذهب إلى الفراش. ولكننى حقيقة أردت أن أكتب الأفكار التى جاءتنى فيما يخص المكتب.

قلت لمودى أننى لن أذهب إليها ليلة الغد، ولكننى مؤكدًا سأذهب لتناول الشاى معها يوم الخميس.

الأربعاء

لم تكن جويس فى المكتب، ولم تكن هناك رسالة. لم يحدث ذلك أبدًا. الجو فى المكتب مفعم بالحركة، بالنشاط، مثل المدرسة حينما يسود حس من اللايقين. عملنا أنا وفيليس طوال اليوم، بدون أن نتبادل كلمة حول ما يمكن فعله لتهدئة الأمور. كنا نعمل بنشاط وكفاءة وحافظنا على ذلك. سنعمل بسهولة معًا، ولكن أوه إنها صغيرة جدًا، صغيرة جدًا، إنها الأبيض والأسود، أو الأبيض فقط أو الأسود فقط، ولتأخذ الأمر أو تهمله برمته. فمها الصغير اللطيف. ابتسامتها المنعشة التى تنم عن شخصية تنافسية. لقد اشترت فيليس شقة خاصة لها، وقد ساعدناها، نحن، أقصد الشركة. إنها تعيش لكى تعمل، من ينبغى أن يعرف ذلك أفضل منى؟ إنها ترى أنها تقوم بتحرير المجلة. لم لا ؟

أكتب ذلك، وأتعجب منه.

الآن سأكتب عن تاريخى الوظيفى، لأن ذهنى واضح جدًا فى هذا الأمر بسبب الصدمات والضغط

الذى حدث فى الأيام القليلة الماضية، مع جويس، ثم اضطرارى لأن أكون متيقظة طوال الوقت مع فيليس.

التحقت مباشرة بالمكتب بعد انتهائى من المدرسة. لم ألتحق بالجامعة، لم يكن هناك ما يكفى من المال، ولم أكن جيدة بما يكفى للالتحاق بالجامعة! لم يبد الأمر كاحتمال فحسب.

حينما بدأت العمل فى نساء صغيرات ـ افتتحنا أنا وجويس تلك المرحلة من المجلة، بإيجاز ـ كنت أشعر بالارتياح والسعادة الفائقة لحصولى على هذا العمل المرموق، فى الصحافة، لم أكن أتطلع لأكثر من ذلك. كان جو الحرب ما زال سائدًا فى عام ١٩٤٧ . كانت المجلة تخرج فى شكل غير أنيق، وورق سيئ، بسبب الحرب: كانت المجلة تحتوى على الكثير من الموضوعات حول كيفية أن تستخدم قطعًا رخيصة من اللحم، وبودرة البيض. كيف يمكنك أن تصنع أى شىء من شىء آخر ـ كما تصفه جويس. أنا، مثل أى شخص آخر، كنت أشعر بالغثيان من كل ذلك. كيف تقنا جميعًا لأن نتخلص من مرحلة ما بعد الحرب، الترشيد، البؤس. كانت هناك رئيسة للتحرير فى ذلك الوقت أيضًا. لم أكن أنتقد رؤسائى، لم تكن رؤيتى تتجاوز كونى سكرتيرة لمدير الإنتاج. فقط لم أفكر فى نانسى ويسترنجهام. كانوا جميعًا آلهة و آلهات. الآن أرى أنها كانت جيدة جدًا بالنسبة لتلك المرحلة من عمر المجلة. كان لها أسلوب قديم، مثل أمى وأختى، ذات كفاءة، ملتزمة، جميلة ـ ولكنى أعنى ذلك جميلة،

طيبة، ولم يكن تخمينى فكرة أصيلة فى حياتها.
تخمينى: إن كان هناك شىء واحد أندم عليه، هو أننى لم أكن متيقظة بشكل كاف خلال تلك المرحلة لكى أدرك ما كان يحدث: كيف تتطور الأمور داخل المؤسسة، ما الذى تتطلع إليه، كيف تسير الأمور.

كانوا يغيرون المجلة بالفعل، ورق أفضل، مواضيع براقة أكثر، ولكن لم يكن الأمر كافيًا. كان لابد من وجود رئيس تحرير جديد، وكان ينبغى أن أرى ذلك، كان ينبغى أن أراقب ما يحدث. لم يتوقف الأمر عند عدم قدرتى على الملاحظة: كنت مخمورة للغاية كونى صغيرة، جذابة وناجحة. فى المدرسة، لم يفكر أحد أبدًا فى احتمال أن تكون لى قدرات ما، وبالتأكيد لم يفكر بذلك والداىّ أيضًا. ولكن، فى المكتب كنت قادرة على أن أدير كل الأمور. فى وقت قصير أصبحت الشخص الوحيد القادر على أن أتولى عمل أى موظف مريض أو غير قادر على القيام بعمله. لا أستطيع أن أتذكر أية متعة فى حياتى تناظر ذلك: الارتياح الذى يمنحه، الحماسة، التعامل مع عمل جديد و معرفة أننى قمت به بشكل جيد. كنت أعشق الذكاء، مع نفسى. وذلك الأمر المتعلق بمظهرى الجيد. بالطبع، لم تكن الخمسينيات وقتًا مثيرًا تمامًا فيما يتعلق بالملابس، ولكن بالرغم من ذلك، كنت قادرة على إثارة اهتمام أى شخص بما أرتديه. كان أسلوبى فى اختيار الملابس مثيرًا، ولكن جميل و مثير، فقط قليلاً بما يفوق حافة التقليد الساخر : بنوع من التوقع

للستينيات والطريقة التى كنا كلنا ننتقد بها بشكل ما الطريقة التى كنا نرتدى بها ملابسنا.

أنا مستعدة الآن لأن أنفق الكثير من المال لكى أعرف كيف أصبح بوريس رئيسًا للتحرير، ولكن الوقت قد تأخر الآن. حينما أسأل الكبار الذين لايزالون يعملون معنا، فإنهم لا يدركون ما أقصده لأنهم لا يفكرون بهذه الطريقة.

على أية حال، أصبح بوريس رئيسًا للتحرير فى عام ١٩٥٧ ممثلا لـ"الموجة الجديدة"، ولكن لم يكن هناك أى جديد بداخله. كنت فى ذلك الوقت فى الموقع الذى تحتله فيليس الآن: الفتاة المتوهجة التى يتوقع الجميع أن تحقق المزيد. الفرق هو، أننى لم أعرف ذلك. كنت أحب أن أتقن كل شىء، ولم أمانع فى العمل فى كل ساعات اليوم. كنت أعشق كل ما يخصص لى من عمل. كنت بالفعل أقوم بكل أنواع العمل بما يفوق ما أتقاضيه، أبعد من تسميتى الوظيفية. كنت سكرتيرة إنتاج. فى ذلك الوقت، بدأت أراقب ما كان يحدث حقيقة. الحقيقة المباشرة الواضحة هى أن أداء بوريس لم يكن فعالا بقدر كاف. كان ودودًا، اجتماعيًا، منفتحًا ـ كل ذلك، أجل. لقد عين من قبل مجلس الإدارة حينما استقالت نانسى، أو طلب منها أن ترحل. كان لديه الغرفة الكبيرة التى يشغلها المصورون الآن، مكتب كبير، سكرتيرة لها سكرتيرة بدورها، و فتاة للعلاقات العامة. كان دائمًا فى اجتماع، يتحدث فى التليفون، يتناول طعام الغداء،

يدلى بأحاديث صحفية عن دور ووظيفة المجلات النسائية. لم تكن "تحرر النساء ؟" قد ولدت بعد، على الرغم من أننى لم أتذكر ذلك سوى الآن حينما بدأت أكتب هذه السطور.

ما كان يحدث فى الحقيقة، إنه كان هناك من يقوم بالعمل عوضًا عنه، أنا من بينهم. لم تتوافق البنية الرسمية للمكتب مطلقًا مع ما كان يحدث. لقد تنوعت الموضوعات بالمجلة بشكل مبهج أكثر قليلا، وكان (السيد صائب) متضمنًا فى كل مكان. لم نفكر فى ذلك بشكل واضح، ولكننا واصلنا العمل كما كنا نفعل من قبل، مستخدمين ورقًا أفضل، وصورًا جيدة المستوى.

فى اللحظة التى وصلت فيها جويس، أصبحنا كلنا على وعى بما كنا نفعله فى الواقع، ومن هم قراؤنا. تحليل السوق، تقارير من خبراء: أخذنا فى الاعتبار كل ذلك مؤكدًا، ولكن كان لنا أفكارنا الخاصة. العمود الفقرى، وهيكل المجلة ، ما يهمنا أكثر، هو المعلومات. تنظيم الأسرة، الجنس، الصحة، المشاكل الاجتماعية بشكل عام. معظم المقالات التى كانت لدينا عن هذه المواضيع كانت مستحيل أن تنشر فى نساء صغيرات، كل شىء كان يجب أن يغطى صحفيا. هذا هو الجانب الذى أقوم به فى المجلة. بالنسبة للملابس، الطعام، الخمور، الديكور، تطور مستوى التصوير الفوتوغرافى. ليس كما يقال، الموضة هى الموضة، والطعام هو الطعام، ولكن كيف نقدم ذلك. حينما بدأت العمل هناك، كان هناك الكثير من

المقالات مثل: "أنا أرملة كيف يمكننى أن أربى طفلتين؟ " أو "أنا متزوجة من رجل يعانى من شلل نصفى" أو "أليس امرأة عمياء ولكنها تدير مدرسة أعمال". لقد ولى كل ذلك: لم يعد مناسبًا للسوق مطلقًا! بشكل عمدى اتخذت ليليث خطوة جادة فى العالم، وساعدناها على حدوث ذلك.

لقد قلت إنه حينما جاءت جويس فى منتصف الستينيات غيرتنى: وغيرت كل شىء آخر. ما يثير اهتمامى الآن هو أن هذا التغيير جاء فى مواجهة البنية الواضحة. كانت هى مديرة الإنتاج وكنت أنا السكرتيرة الخاصة بها. كنا نحن الاثنين معا فى المكتب الذى لدينا الآن. لقد كنا ندير المجلة نحن الاثنين معًا. كان من الواضح لنا، أننا نديرها ولكن بوريس لم تلحظ ذلك.حرصت جويس على أن تقول إنها قد اعتادت فى عملها السابق أن تعمل عوضًا عن رئيسها فى العمل، الذى سمحت له أن يظن أنه يقوم بالعمل برمته. ولهذا، فإنه لم يتغير شىء بالنسبة لها. وبعيدًا عن الاستياء من ذلك كله، كنا قلقتين أن يلاحظ الناس هذا الأمر. وبالطبع كانوا يلاحظون. الآن نتعجب، لماذا ظننا أنهم لا يلاحظون. ما أريد أن أوضحه هنا، هو أننا أحببنا العمل بالفعل، أحببنا تغيير المجلة. اعتدنا أن نحضر اجتماعات مجلس الإدارة، نجلس هناك فى هدوء، على جانب، بينما يجلس بوريس على رأس المائدة، وممثلو المجلس على الجانب الآخر، ولم نكن نفتح أفواهنا إلا بصعوبة.

اعتدت أن أنقل لبوريس بشكل موجز قبل الاجتماع ما ينبغى أن يقوله.

البنية الحقيقية للعمل فى ذلك الوقت كانت أنا وجويس. كنا ندير كل شىء، مع المصورين، الذين أخذوا موقعًا بارزًا، كان ذلك حقيقيًا فى الستينات. كانت كل القرارات تتخذ فى مكتبنا، كان دائمًا ما يعج بالناس. وبشكل مفاجئ ـ وقد مر على جويس عامان فقط ـ أصبحت رئيسا للتحرير ومنحت الحرية الكاملة. صيغة جديدة، كل شىء جديد. كانت ذكية. كان هناك العديد من المجلات التى كانت تتأرجح فى الستينيات بقوة، ولكن الصيغة التى ابتكرتها جويس ـ التى ابتكرناها ـ نجحت فى الاستمرار.

وبشكل مفاجئ تقريبًا، أصبح الهيكل الواقعى هو الهيكل الرسمى، الهيكل المعتمد. حينما رحل بوريس، تحول مكتبه الكبير الميت إلى مكتب للمصورين، ثم لاحظت كم الجهد والضغط العصبى اللذين تداخلا فى كل شىء حينما ما كان يحدث حقيقة لم يكن ملائمًا للمؤسسة الرسمية. الآن، وأنا أنظر حولى إلى المكاتب الأخرى، أعمال أخرى، أرى كيف أنه يوجد ـ غالبًا، صراع ما.

وما كان ينمو بداخل هذه البنية، ماذا عن المستقبل؟ الآن أعرف أن الأمر لا يتعلق بى أنا وجويس! ولكن أتعجب إن كان الأمر حقيقة سيتعلق بى أنا وفيليس؟ ما الذى يمكن أن أكون قد أغفلته بسبب ارتباطى للغاية بما يحدث الآن؟ يبدو لى أن الأشياء

تتغير بشكل مفاجئ، بين يوم و ليلة، أو تبدو كذلك: ولكن التغيير كان ينمو من الداخل. لا أستطيع أن أرى أى تغيير من الداخل: وعلى الرغم من ذلك أفكر فى الأمر مليا.

كل ما أستطيع أن أراه الآن أن هناك دخلاً أقل بكثير مخصص للإنفاق. وبالتالى فإن صيغتنا المرفهة يمكن أن تذهب بلا عودة، ويحل محلها شىء ما أكثر صرامة وإخلاصًا.

إخلاصًا لماذا تحديدا؟ حسناً لو أننى أستطيع التنبؤ بذلك ! لا أشعر بأية سعادة أو برغبة فى أن أكون جزءًا منه حينما أفكر أننا ربما "سنصنع كل شىء من أى شىء آخر". الملابس التى تعمر - حسناً، لقد بدأ ذلك بالفعل - اللحم بوصفه رفاهية بدلاً من كونه مكونًا أساسيًا، شراء المجوهرات كنوع من الاستثمار...الأمر الأخير ولكنه الأكثر أهمية، إننا بدأنا فى طباعة وصفات الطعام التى تعود لأيام الحرب، كمزحة، ولكن بالنسبة لهؤلاء الذين كانوا شبابًا خلال الحرب، وبعدها، كان الأمر بمثابة مزحة. سمعت الفتيات فى غرفة الجمع وهن يضحكن، كانت فيليس تهزأ بطريقة صنع كرات اللحم. يمكننى أن أكتب مقالاً عن أنواع الطعام التى تتذكرها مودى. أتوقع أن تقع الفتيات فى ضحك متواصل إذا ما سمعن قصة مودى وهى تحكى أنها حينما كانت طفلة، قامت سيدة الأسرة بعمل بودنج ؟ كبير، لكى تملأ معدتهم، وهكذا يرضون بقدر ضئيل من اللحم، ثم بعد

اللحم، قدر كبير من البودنج ثانية، مع المربى. حينما أفكر فى الحرب، فى تلك الطريقة التقشفية، وذلك الروتين المميت، أوه لا أستطيع أن أواجه كل ذلك ثانية، لا أستطيع، لا أستطيع... ولكن حتى الآن، لم يقل أحد أنه يجب علينا أن نواجهه.

تزوجت عام ١٩٦٣حدث ذلك قبل أن تأتى جويس بوقت قليل. لقد كتبت كل ذلك التاريخ، ولكن الآن فقط فكرت فى أن أذكر أننى متزوجة.

مر أسبوع منذ أن كتبت ـ لا عشرة أيام.

ذهبت إلى مودى كما وعدتها، على الرغم من أننى كنت مهتاجة بسبب العمل. لم أمكث طويلاً، أجىء وأخرج، ثم ذهبت للمكتب: لم تكن جويس هناك، ولم تترك رسالة أيضًا، للمرة الثانية. تعاونا أنا وفيليس. تعاون الجميع. مزاج نوستالجى رثائى، يحاول استرجاع الأوقات الجميلة المفقودة. لقد صنعت ليليث، ولكنها إن لم تأت للعمل، لأيام متتالية فإنه ليس هناك ثمة فخرج بانتظارها. لم يذكرها أحد إلا نادرًا. ولكن، من المؤكد أنهم يفكرون بها، على الأقل، أنا أفكر بها. أنا أفكر، أنا ا كانت بداخلى ثورة، أشعر بالأسف حيال ما يحدث. لا أشعر بالارتياح، أشعر بالخزى، أفكر بأن فريدى قد مات، أمى ماتت، ولم أذرف دمعة واحدة، فقط فراغ بارد، ولكن جويس تنسحب خارجة من حياتى فأشعر بحزن عميق. فى البداية ، فكرت، انظروا لى، يا لى من امرأة شريرة، ولكن بعدئذ عرفت أننى حيث سمحت لنفسى أن أحزن من أجل جويس،

اعترفت ـ بالحزن الشديد، اعترفت بالبكاء. كنت أستيقظ فى الصباح وأنا أغرق فى دموعى، من أجل فريدى، ومن أجل أمى، يعلم الله من أجل ماذا أيضًا.

ولكن ليس لدى وقت لذلك. إنى أعمل مثل شيطان. بينما أغلى بشعورى بالأسى. لا أظن أن هذه بالضرورة خطوة نحو النضوج. ينبغى أن يقال الكثير لقلب متجمد.

حينما ذهبت لمودى بعد ذلك، وجدتها غاضبة وباردة. أكانت غاضبة منى؟ لا، يبدو أن السيدة الأيرلندية التى تقطن الطابق العلوى قد شغلت الثلاجة مرة أخرى "لتهينها". قلت، "سأذهب للطابق العلوى لأتحدث معها"، وذهبت، بينما مودى تصيح فى وجهى، "لماذا تأتين هنا لتتدخلى فى شئونى؟" صعدت للطابق العلوى، الطابق الأرضى. فتح الباب لى صبى طويل ونحيف وجهه منقط، و سمح لى بالدخول، وجدت الفتاة الأيرلندية الجميلة الكبيرة ذات العينين الزرقاوين المتعبتين، وثلاثة أطفال آخرين منقطين ذوى لون بنى، مرتخين بينما يشاهدون التلفاز. الثلاجة ضخمة الحجم، ابتاعوها غالبًا من محل يبيع الأشياء المستعملة فى الشارع المجاور، وكانت تعمل حينما كنت أنا هناك، محدثة صوتًا هادرًا كان يهز الشقة كلها. لم أستطع أن أقول، أرجوك فلتبيعى الثلاجة. يمكنك فقط أن ترى مشهدًا فقيرًا. أعنى فقر السبعينيات. لدى معيار مختلف الآن، بسبب معرفتى بمودى. كل

شىء رخيص، ولكن بالطبع، الأطفال يبدون فى ملابس نظيفة، وصحة جيدة.

قلت، يبدو لى أن السيدة مودى مريضة، هل قمت بزيارتها؟

بدت على وجه الفتاة نظرة يبدو لى أننى أراها فى كل مكان الآن، لا اكتراث مقصود، تهرب. "أوه، حسنًا ، ولكنها لم تطلب منى يومًا شيئًا، ولم تعطنى شيئًا، ولذلك فقد يأست منها".

كانت تنصت طوال الوقت - وفى الواقع جاء الزوج، رجل أيرلندى نحيف وداكن البشرة و عصبى، ومخمور جدًا. تبادل الأطفال نظرات صريحة وغابوا بعيدًا فى الغرفة الداخلية. كانوا خائفين، وكذلك كانت هى أيضًا. رأيت أن لديها علامات أعلى ذراعيها.

شكرتهما ورحلت، وسمعت الأصوات الغاضبة قبل أن أغلق الباب. حينما نزلت الدرج، جلست فى مقابل تلك المرأة العجوز ضئيلة الحجم، الغاضبة، وهى تشيح بوجهها الأبيض الصغير بعيدًا، وقلت: " لقد رأيت الثلاجة. ألم يكن لك مثلها أبدا؟ إنها قديمة للغاية، ومزعجة".

"ولكن لماذا تقوم بتشغيلها فى الواحدة صباحًا، أو حتى فى الثالثة أو الرابعة، فى الوقت الذى أحاول أن أستريح فيه؟".

حسناً، جلست هناك و أنا أوضح لها. بعقلانية. أحترمها. كنت أفكر فى مودى. أحبها. ولهذا، فلن

أهينها أو أعاملها كطفلة... هذا ما قررت فعله. ولكننى وأنا أجلس فى مواجهتها تلك الليلة، وهى حبيسة رعشة بيضاء مغلقة، وجدت نفسى ألطف الأمور.

"إذًا، رائع، إذا كان الأمر كما تقولين، لماذا تقوم بتشغيلها فقط حينما أخلد للنوم؟"

" ولكن، من المحتمل أنها يجب أن تعمل عندما تتوفر الكهرباء".

"وهكذا، يتاح لى الكثير من الوقت لكى أنام، صح؟"

ونحن نجلس هناك، بدأت تشغيل الثلاجة، فوقنا تمامًا. اهتزت الحوائط، والسقف أيضا، ولكن لم تكن حقيقة ضوضاء غير محتملة. على الأقل، يمكننى أن أنام و هى تعمل.

كانت تجلس وهى تنظر لى بنظرة تنم فى جانب منها على الانتصار، أترين، يمكنك أن تسمعى صوتها الآن، إننى لا أبالغ! جانب آخر: الفضول ـ إنها تشعر بالفضول إزائى، لا تستطيع أن تفك شفرتى.

كنت قد انتويت أن أخبرها عما يحدث فى المكتب بالضبط، و لكن الأمر كان صعبًا.

"يجب أن تصمتى، فالملكة النحلة تطن هناك،" قالت.

قلت، "أنا مساعدة رئيسة التحرير". ليس الأمر أنها لم تتقبل الحديث، ولكنها كانت تنكره ـ أنا ـ

الموقف. جلست و قد أشاحت بوجهها، رفعت يدها لأعلى لتفصلنى عنها.

قالت أخيرًا، "أوه حسناً، وهكذا لن ترغبى فى المجىء إلى هنا، صح؟".

قلت، "هذا الأسبوع فقط، فى الحقيقة، كانت الأمور شديدة الصعوبة. ولكننى سأمر عليك غداً، إن كنت ستقبليننى".

هزت كتفيها بأسف. قبل أن أرحل، ألقيت بنظرى إلى المطبخ، كان المخزون لديها قليلاً. قلت، "سأحضر لك المزيد غدًا، فيم ترغبين؟"

بعد صمت طويل طويل، ظننت أنها لن تقطعه أبدا، قالت، "الطقس سيئ، سأذهب بنفسى. إنه الطعام المعتاد للقطة، وأنا أرغب فى قطعة من السمك..." إنها لم تكمل الجملة يعنى أنها قد قبلتنى، إنها تثق فىّ بشكل ما. ولكننى بينما أستعد للرحيل رأيت تلك النظرة المحدقة الباهتة إلى وجهى، شىء ما هستيرى، وكأننى قد قمت بخيانتها.

فى اليوم التالى، لا أثر لجويس فى المكتب. اتصلت بها فى المنزل. أجابنى ابنها. وهو مضبوط على إيقاع معين. حذر. لا، إنها فى المطبخ. أعتقد أنها مشغولة.

لم تكن جويس "مشغولة" أبداً من قبل. كنت غاضبة جداً. جلست هناك أفكر، يمكننى أن أذهب لمودى فاولر وأساعدها،و لكن لا يمكننى الذهاب

لجويس، صديقتى. وفى تلك الأثناء كانت فيليس تتابع الخطابات. ليس وهى تجلس على طاولة جويس، ولكن وهى تجلس على كرسى و تستند على طاولة السكرتيرات. الدرجة النهائية للدبلوماسية. قلت لها، "هذا جنون. سأذهب لرؤية جويس الآن. تولى أمر القلعة". وذهبت.

ذهبت لمنزل جويس مائة مرة، دومًا، برغم ذلك، كمدعوة، أو كزائرة متوقعة. فتح لى فيليب، الابن الباب. حينما رآنى بدأ يتلعثم، "إنها ـ إنها ـ إنها،" قلت عوضًا عنه..."فى المطبخ". مضى بعيدًا عن النظر: غيب نفسه. هذه النظرة ثانية! ولكن ربما لم ألحظها أنا من قبل؟سطح معد، بشكل أو بآخر، الدفاعات محصنة جيدًا.

دلفت إلى المطبخ. جاء الابن خلفى، مثل سجان، أو هكذا شعرت (بالضبط). فى المطبخ، مطبخ يليق بأسرة، كله من الخزف المعلق فى كل مكان، السيراميك، تجلس الابنة على الطاولة، تشرب القهوة، وتنجز واجبها المدرسى. جويس تقف لدى الحوض. كانت تبدو بعيدة جدًا عن صورة الغجرية المتكلفة، أكثر فقرًا. شعرها غير ممشط، متشابك، ترتدى ثوبًا باليًا، ماكياجها غير موضوع بعناية، أظافرها حادة. أظهرت لى عينين فارغتين، ووجه ميت، وقلت، "جويس، هذا ليس أمر جيد،"، ثم عادت إلى داخلها لتحدق برعب. ترقرقت الدموع فى عينيها، التقطت أنفاسها، استدارت بسرعة بعيدًا، ووقفت أمامى بظهرها، وهى

ترتعش مثل مودى. جلست إلى المائدة، وقلت للطفلين، "أريد أن أتحدث مع جويس، إذا سمحتما لى". تبادلا النظرات. يمكنك أن تقول بطريقة غير مهذبة، أو يمكنك أن تقول مرتعبة. أدركت أن الأمر يستغرق وقتًا ضئيلاً جدًا لكى أشعر بالأسى العميق إزائهما: لأمر واحد، هو اضطرارهما لترك مدرستهما والذهاب للولايات المتحدة، حيث كل شىء جديد. ولكننى كنت غاضبة، غاضبة.

"ناولينى بعض القهوة،" قلت، وأعطتنى فنجانًا، وجلست فى مواجهتى.

نظرنا إلى بعضنا البعض، بشكل مباشر، استغرقنا وقتًا طويلاً، نظرات جادة.

"لا أستطيع احتمال هذا الأمر، إنك لا تقولين شيئًا، لا تقولين شيئًا".

"لا شىء يقال هنا أيضًا".

"أهما ينصتان من وراء الباب؟"

"ألا ترين، لقد وقعت الأم أسيرة. عائدة من المكتب".

" أتقصدين أنهما قد أبديا استياءهما، إنك كنت ناجحة، وكل ذلك؟"

"لا، إنهما فخوران بى".

"و لكن"

"لقد تساقط كل شىء حولهما، ولم يدريا لشهور من ستكون أمهما، فيليستى أم أنا. الآن، يعرفان أنها أنا، الأمان، ولكنهما مرتعبان. بالتأكيد، ترين ذلك؟". كان صوتها يبدو تمامًا مثل صوت أختى العزيزة جورجى، وهى تتحدث إلى الخارجة عن القانون ـ أنا ـ ولم أكن لأقبل بذلك.

"أجل، بالفعل" قلت، " ولكننا نتحدث عن شاب وشابة، إنهما ليسا بطفلين."

"دوروثى فى السابعة عشرة، وفيليب فى الخامسة عشرة."

نظرت إلىّ بعنف، ونظرت إليها بغضب، وقلت، "كيف نصل إلى هذه الدرجة من شدة التراخى، شدة الغباء، شدة الطفولة؟ كيف؟"

"أوه يا إلهى، أوه يا إلهى ! أوه يا إلهى ـ جانا!"

"أوه يا إلهى، جويس" قلت لها. " ولكننى أعنى ذلك. ولا تهيننى. هل ما أقوله لأى شخص فيه ما يستحق التقدير؟"

" يا للجحيم! ما الذى تتحدثين عنه؟"

الآن، نحن الاثنتين غاضبتين ونحب ما نحن عليه. علا صوتانا، تخيلنا نحن الاثنين "الطفلان" وهما ينصتان.

"إننى أتحدث عن الشيطانين المدللين الهشين بشكل مرعب، هذين الطفلين اللذين أنتجناهما."

"إنك لم تنتجى أى شىء"

"أوه ، شكرًا لك ـ هذه هى نهاية الأمر، إذًا، نهايتى! أشكر الله أننى لم أنتج أى شىء إذًا. حينما أنظر إلى".

"أنصتى إلىّ يا جانا" تلفظتها مثل بلهاء. "أليسْ هناك حقًا، ما يتوجب علىّ أن أسديه إليهما؟ إن أباهما كان له تقريبًا منزل ثانٍ لسنوات. ومؤخرًا بدءا يتقبلان أن والديهما سيطلقان. والآن، سنبقى الأسرة معًا..."

"وماذا يتوجب عليك إسدائه لنا، للعمل، لى؟"

جلست هناك، والملعقة فى كوب القهوة، ثم أخذت ترن بها على جانب الكوب بتناغم مع ارتعاشتها.

"أزمة فى المنزل، اختيار، أتتعجبين لو أنه ربما عليك أن تعيشى وحدك لبعض الوقت، مع بليون امرأة أخرى ـ وكل ما وضعتيه فى عملك لا يساوى شيئًا، ينهار إلى أشلاء".

عند هذه النقطة، كنا نحن نرتعش معًا، ونشعر بالخجل. يمكننا أن نرى نفسينا، امرأتين تصيحان فى بعضهما فى منزل ساكن.

"انتظرى، جانا" قالت، "انتظرى". وقامت، لكى تضع براد الشاى مرة أخرى، وأخذت وقتها فى الجلوس. ثم، "أتتخيلين أننى لا أشعر بالأسى تجاهك، صداقتنا؟ إننى أتألم". كانت تصيح ثانية. "هل

تفهمين؟ إننى أتألم. لم أشعر بمثل هذا الشعور من قبل فى حياتى. إننى مقسومة نصفين، ممزقة إلى أشلاء. أريد أن أعوى، وأصرخ و أتلوى... ولهذا فأنا أقوم بطهى الوجبات، والمساعدة فى العمل المنزلى. على نحو غريب حقًا".

" وأنا، على نحو غريب حقًا، أتالم أيضًا".

فجأة، بدأنا نضحك، بطريقتنا القديمة، وضعنا رأسينا على طاولة المطبخ وضحكنا. جاء "الأطفال" وهما يسمعانا: بابتسامات مرتعبة. فقد كنت أمثل أنا، جانا سومرز، "المكتب"، كل نتفة من مخاوفهما. حينما رأيت هذين الوجهين المرعوبين، كنت أعرف أننى سأستسلم، إن لم أشاهدهما: ولكن عقلى كان يقول أنا محقة، أنا محقة، أنا محقة...

وربما أنا لست محقة، فى نهاية الأمر.

قلت: " من الأفضل أن أعود إلى العمل،"

قالت: "أعرف أنك وفيليس تقومان بعمل جيد جدًا بدونى".

"جيد جدًا".

"حسناً، إذًا"

وعدت بأقصى سرعة إلى المكتب. لمنزلى الحقيقى. تاركة جويس فى منزلها الحقيقى.

فيما بعد.

أخذت الأشياء إلى مودى وجلست معها. كنتُ متعبة جدًا، ورأت هى ذلك.

قالت بصوت عجوز عصبى، "لم يكن ينبغى عليك أن تفكرى أن تأتى إلى هنا، إن كنت متعبة".

"ولم لا؟" قلت لها. "إنك تحتاجين بعض المساعدة، أنت تعرفين ذلك". وأضفت، "إننى أحبك. أحب أن أعرفك، يا مودى".

أطرقت، بطريقة رسمية محسوبة، وكانت هناك ابتسامة صغيرة سعيدة. "أنا لا أقول أنا لست الأفضل لذلك الأمر، لأننى الأفضل".

خرجت للمرة الثانية للمتجر المقابل لأننى قد نسيت أن أجلب الشاى.

كانت الأرض مكسوة بالطين. حصلت على قطع الخشب للمدفأة من المخلفات. على طول تلك الشوارع، البيوت مصنوعة ؟. أربعة منها فى شارع مودى القصير. أربعة صناديق للمخلفات مملوءة "بالقمامة". متضمنة كراسى متقنة الصنع، مراتب، طاولات وكميات من الخشب فى حالة جيدة. الناس يتسللون من أجل الحصول على الخشب. لابد أن هناك عددًا قليلاً نسبيًا من المدافىء فى تلك البيوت. ولكن ليس لوقت طويل، ليس حينما يكونوا قد "استوفوا احتياجاتهم".

خرجت من المتجر، و هناك على الرصيف كانت هناك امرأتان عجوزتان. ملفوفتين مثل طردين بريدين. أدركت وجه: من النافذة المقابلة.

تجمدت. وأردت العودة للمنزل.

ولكننى كنت أعرف بالفعل أن هذه المواقف لا يمكن الاستعجال فيها.

المحادثة:

"عفواً، أردت أن أعرف كيف حال مودى فاولر؟"

"تبدو فى حالة جيدة".

"أأنت ابنتها، يا عزيزتى؟ أنت تعتنين بها جيدًا".

"لا، أنا لست ابنتها".

"هل أنت جارة طيبة؟"

"ولا ذلك أيضًا،" ضحكتُ، وأظهرا لى ابتسامات صغيرة مهذبة.

أقول امرأتين عجوزتين، وهذا شىء يحسب ضدى، لا أضفى عليهما أى شخصانية، مجرد "امرأتين عجوزين". ولكنهما يبدوان كذلك بالفعل، امرأتان قصيرتان سمينتان وعجوزان، وجهاهما تبدوان مرئيتين تمامًا خلف كوفيات، معاطف وقبعات ثقيلة.

"لقد أبقت مودى فاولر نفسها منعزلة لوقت طويل، وكنا نتعجب".

"حسناً،" قلت، "لقد تجاوزت التسعين، أليست كذلك؟"

صمت احتجاجى. "إننى فى الثانية والتسعين، يا عزيزتى، والسيدة بيتس التى تقف بجوارى فى الواحدة والتسعين".

"حسناً، كنت أقول إن مودى تشعر بوطأة السن عليها".

لقد كان ذلك حديثًا مباشرًا جدًا، وكنت أعرف ذلك، ولكننى بدأت الحديث هكذا، ولم أستطع أن أغير مساره. أوه، نعم، أعرف الآن أن تلك المحادثات كان ينبغى أن يسمح لها بالتطور.

"أتعرفين السيدة روجرز، أتعرفينها، عزيزتى؟"

"السيدة روجرز؟"

"إنها واحدة من مؤسسة الرفاهية".

" لا ، لا أعرفها".

يحدث كل ذلك بينما الطين اللزج يعصف عبرنا وتحولت وجوهنا للون الأزرق.

"إنها تريد أن تراك، هكذا قالت".

"حسناً، ما الأمر؟"

"باعتبارك جارة طيبة، إذًا هناك شخص آخر يحتاج ذلك،"

"حسناً، إننى لست جارة طيبة،" قلت.

"إذًا، مع السلامة يا عزيزتى. لا ينبغى أن نبقيك فى البرد". ومضيا معًا يسيران بتؤدة على طول الرصيف، وذراعهما متشابكتان، ببطء شديد.

عادت جويس فى اليوم التالى، وجلست إلى مكتبها واندمجت فى العمل، وأنجزت، ولكنها لم تكن هناك. إنها ببساطة ليست معنا. بدت فظيعة، ترتدى

ملابس رديئة، متربة، وشعرها يأخذ لونًا رماديًا عند الجذور، وحافة رمادية لسترتها السوداء.

وأنا أنظر إليها، أخذت موعدًا مع مصفف الشعر فى الحال. وعقدت العزم على أن أخصص مساء يوم ما للاعتناء بنفسى.

هذا هو ذلك المساء. أخذت حمامًا حقيقيًا، أمضيت ساعات. قلمت أظافر يدى، أظافر قدمى، حواجبى، أذناى، سرة بطنى، والجلد الجاف على قدمى.

ما شكلنى، لسنوات طويلة، هذه المرأة المهندمة جيدًا، التى ينظر إليها الجميع، ويفكرون كيف تستطيع أن تفعل ذلك؟ هو أمسيات الآحاد. لم أدع أى شىء يتداخل أبدًا مع ذلك. اعتاد فريدى أن يلقى نكاته حول هذا الموضوع، ولكننى كنت أقول، أطلق النكات، إننى لا أهتم، ينبغى أن أقوم بذلك. فى أمسيات الآحاد، بعد العشاء، لسنوات وسنوات كنت أختار ملابس لكل يوم من الأسبوع القادم، وأتأكد أنه ليس هناك ثنية أو بقعة فى الملابس، ألاحظ الأزرار وذيل الملابس، أنظف الأحذية، وأفرغ حقائب اليد وألمعها، أنظف القبعات بالفرشاة، وأضع أى شىء مهما كان قليل الاتساخ فى الغسالة أو أرسله للمغسلة. أمضى الساعات، مساء كل يوم أحد، وحينما تختبرنى كل تلك الأعين المدربة والمتيقظة وأنا أعمل، لم يكن هناك أبدًا، حرفيًا، شعرة واحدة فى غير مكانها. التهندم. حسناً، إن لم أتمكن من الحفاظ عليه، فإن أسلوبى فى

ارتداء الملابس سيذهب إلى سلة المهملات، تمامًا مثلما تبدو عليه جويس الآن. غجرية من الطبقة العليا تحولت إلى امرأة قذرة، غريبة الشأن، إن أهملت فى طريقة ارتدائى لملابسى، فلن يتبقى سوى شىء عتيق.

والآن، سأقوم بذلك: الأزرار، الأحذية، الياقات، الكى، الكى، الكى، لا ينبغى أن يكون هناك خيط مفكوك من رباط على سترة ما.

مضى أكثر من ثلاثة شهور

أصبح الاختيار بين حمام ملائم وكتابة المذكرات. كان على أن أتمسك بشىء ما.

عادت جويس إلى العمل، ولكنها كانت شبحًا، إنسان آلى. أعلنت فيليستى أنها حامل، الزوج هو جاك، وطلبت من جويس أن تكون كريمة، قالت جويس إنها تمنت أن يتخذ قرارًا، قال إنك حقيرة، قالت، لابد أننى مجنونة لكى أرغب فيك أصلا. الطفلان المسكينان سيصابان بالجنون، ويعاقبان جويس، كما قالت.

لم يكن الأمر أنها لم تقم بعملها كالمعتاد، ولكنها ليست منشغلة به. بالنسبة لما كنت أعتمد عليه كثيرًا، المناخ الجيد، الطريقة التى كنا نعمل بها معا وكأننا شخص واحد ـ لا، لقد انتهت. نحن ـ أنا وفيليس ـ كنا نساندها، طوال الوقت، المهارة، المهارة، المهارة، أوه درجات نهائية لنا جميعًا، كل واحدة تقوم بالتحرير، وأنا أراقب كل ذلك، مسحورة، بسبب الطريقة التى

يحدث بها ذلك. المرأة التى صنعت المجلة، بسبب ما فعلت، تلك الدفعة التى قامت بها، هذه المرأة تخور قواها. رأيت فيلما فى التلفاز، أفيال تساند بزلوماتها صديقة تُحتضر. ذكرنى ذلك بالمشهد. لأن جويس تحتضر. لا يمكن أن يستمر الأمر بهذا الشكل، هى الفكرة غير المنطوقة. أمر غير منطوق، أيضا، هو أننى سأكون رئيس التحرير الجديدة. فى هذه الأثناء، قالت جويس إنها ستبقى فى لندن، مع الطفلين، وستحصل على الطلاق. وللمرة الأولى يتصل الطفلان هنا، يطلبون أشياءً. أشياء سخيفة، مثل أين المربى، أين وضعتى سترتى؟ كانت جويس صبورة، ومتألمة. تجاههما. أمر رائع، ولكن هناك حدودًا للناس الذين يمكن أن تتأسف من أجلهم. أتعلم حدودى: حدودى الصغيرة. مودى فاولر هى كل ما أستطيع النجاح فيه.

لقد كان لزجًا، باردًا، كئيبًا. تقريبًا كل مساء بعد العمل كنت أذهب لمودى. لقد تخليت حتى عن التفكير بأنه ينبغى عليها أن "يعاد تسكينها": قلته لمرة واحدة، واستغرق الأمر منها ثلاثة أيام لكى تكف عن اعتبارى عدوة، كواحدة "منهم". إننى فى منزل بالفعل، تقول، وهى تسعل، تسعل، تسعل، لأنها تضطر للخروج فى الطقس البارد إلى الحمام المتجمد، ومن الوقوف للغسيل فى المطبخ غير المكيف. ولكن، لماذا أقول ذلك؟ النساء اللواتى بلغن التسعين يعشن فى رفاهية هن ضعفاء.

إنه بمثابة روتين الآن. أذهب إليها فى حوالى الساعة السابعة أو الثامنة بعد العمل، وأجلب لها ما

طلبته فى الليلة الماضية. غالبًا ما كانت تنسى شيئًا ما، وأخرج ثانية إلى المتجر الهندى. يبدو الرجل الهندى شاحبًا ضخمًا، شاحبًا ذا لون رمادى، حقيقة، إنه يعانى أيضًا من هذا الطقس، دائم السؤال عنها، ويهز رأسه، ويعطينى شيئًا صغيرًا من أجلها: القليل من الحلوى أو بعض البسكويت. حينما أعطى تلك الأشياء لمودى، تبدو غاضبة وعنيفة: إنها تشعر بعزة نفسها ولكنها متأثرة بما يفعله.

بينما أقوم بالتسوق، تجهز هى الشاى لنا. تقول إنها لا تستطيع أن تهتم كثيرًا بالطهى بشكل ملائم. لا تريدنى أن أضيع وقتًا فى الطهى لها، "لأنه سيقتطع من وقت جلوسنا معا". حينما قالت ذلك، أدركت كم تقدر الوقت الذى نمضيه معًا نجلس ونتحدث معًا: لسبب ما لم أستطع أن أرى ذلك، لأننى متشككة وأشعر بالذنب تجاهها، وكأننى مسئولة عن كل الأشياء الفظيعة التى حدثت لها. كنا نجلس هناك، فى تلك الرائحة والجو الفاسد سيئ التهوية ـ ولكننى تقريبًا استطيع أن أفصل نفسى تمامًا حينما أدخل، حتى لا ألاحظ الرائحة، تمامًا مثل رفضى لملاحظة الفناجين المتسخة. وهى... تسلينى. لم أدرك أن الأمر كذلك. ليس قبل أن تقول لى ذات يوم، "أنت تفعلين من أجلى الكثير، وكل ما أستطيع أن أفعله من أجلك هو أن أحكى لك قصصى القصيرة، لأنك تحبين ذلك، أليس كذلك؟ أجل، أعرف أنك تحبين ذلك". وبالطبع أنا أحب ذلك. قلت لها عما كنت أفعله، ولم يكن على أن

أخبرها بالكثير. حينما أكون فى حفل استقبال شخصية مهمة، أو حفل كوكتيل أو ما شابه. أستطيع أن أجعلها تتخيل ذلك كله. لقد تضمنت خبرتها ما يعد رفاهية وكان هناك والدها: "فى بعض الأحيان، وأنا أنصت إليك، يجعلنى ذلك أن أتذكر، كيف أعتاد أن يأتى للمنزل ويخبرنا أنه كان فى (رومانوز) أو (كافيه رويال) أو (ميوزك هول)، ويقول لنا ماذا تناول الأصدقاء وماذا شربوا.". ولكننى لا أحب أن أذكرها بأبيها، لأنها تجلس ووجهها منخفض، عيناها منخفضتان ومختبئتان، متقبلة المعاناة وهى تحدق بتنورتها. أحبها حينما تومض عيناها اللتان تشعان حياة و عنفًا وتضحكان: أحب النظر إليها، لأننى الآن نسيت المرأة العجوز، وأستطيع أن أراها بسهولة تمامًا كما كانت، شابة.

فى تلك الأمسيات كانت ترتدى رداءً قطنيًا لونه أزرق وبه نقاط بيضاء كبيرة، وصدارى مصنوع من فستان كانت ترتديه وهى شابة صغيرة. قلت إننى أحبه للغاية، ولهذا فقد قصت الأكمام وأنقصت الظهر: وأصبح لديها صدارى.

الملابس السوداء الثقيلة التى ألقيتها فى صندوق القمامة، قامت باستعادتها. لقد رأيتها ملفوفة فى جريدة فى الغرفة الأمامية. متعفنة. لم تلبسها، على الرغم من ذلك. هناك صورة لها، وهى امرأة صغيرة قبل أن تتزوج، ملمح حاسم فى الوجه، عينان

عدوانيتان، شعر كثيف لامع. شعرها قبل أن يتحول للون رمادى. كان لونه أصفر متألقًا وكثيفًا.

جلسنا على جانبى الموقد الأسود، الشعلات تعلو وتنخفض وحول براد الشاى المتربع أعلى الموقد، متسخ، مسالم، رمادى... لماذا أخوض مرات ومرات فى الوسخ؟ وضعنا فنجانينا على مسندى الكرسيين، طبق به بسكويت موضوع على كرسى فى المنتصف بيننا. تجلس القطة بجوارنا تنظف نفسها أو تنام على الأريكة. مريح، اوه، أجل. فى الخارج، مطر بارد، وفى الأعلى، الأسرة الأيرلندية، تتعارك، أقدام الأطفال تدق على الأرضية غير المفروشة بالسجاد، والثلاجة تهتز محدثة ضجيجًا.

تحدثنى عن كل الأوقات فى حياتها، أوقاتها السعيدة. تقول إنها سعيدة الآن، بسببى (وهذا من الصعب قبوله، إنها تجعلنى أشعر بالغضب، إن هناك القليل جدًا يمكن تغييره فى الحياة)، ولذلك فهى تحب أن تفكر فى الأوقات السعيدة.

سعادة.

"فتاى الألمانى، كان ينبغى أن أتزوجه، و لكننى كنت غبية. اعتدنا قضاء عطلات الأحد معًا. كنا نركب الباص بقرش واحد ليصل بنا إلى المكان الذى نجلس فيه الآن، أو ربما لمحطة أبعد. المراعى الخضراء، ومجارى المياه و الأشجار. كنا نجلس على حافة جسر، نراقب المياه، أو نعثر على حقل يخلو من الأبقار ونأكل

طعامنا. ماذا كنا نأكل؟ كنت أقطع اللحم البارد من اللحم المحمر بالكمية التى أرغب فيها، لأن أمى لم تكن قد توفت فى ذلك الوقت، وكنت أضعها بين قطعتى خبز، ولكنى أحب طعامه أكثر، لأن أبويه كانا خبازين. أتعرفين أن غالبية الخبازين كانوا فى ذلك الوقت من الألمان؟ حسناً، كان أبواه يستطيعان القراءة والكتابة فحسب، ولكنه كان ذكيًا حقيقة، كان عبقريًا. لقد أنجز بشكل رائع فيما بعد، غبية أنا كثيرًا، كان من الممكن أن يكون لى منزل و حديقة. ولكننى لم أتزوجه، لم أفعل. لا أدرى لماذا. بالطبع، لم يكن أبى يفضل أن أتزوج من أجنبى، ولكنه لم يحب من تزوجته، لم يقل نعم أبدا لأى من اختياراتنا، إذًا فما الاختلاف؟ لا، لم أرد أن أفكر فى ذلك، قضيت ما يكفى من الوقت حينما كنت أصغر سنًا وأنا أفكر. أوه، يا لى من غبية، حينما عرفت كنه الرجال. ترين، لم أكن أعرف وقتها. كان هانز طيبًا، كان رجلاً بحق، كان يعاملنى كملكة. كان ينزلنى من الدرج الخشبى برقة شديدة وبلطف، وكنا نفرد قماشًا أبيض قليلاً وكنا نضع اللفائف البيضاء الجميلة والكيك الذى كنا نأتى به من المخبز. كنت أقول، لا، يجب أن أتناول طعامى، فلتتناول طعامك أنت، وكان ينتهى الأمر بأن نلقى بطعامى للعصافير.

"أفكر فى تلك الأيام، أيام الآحاد تلك. ومن سيصدق ذلك الآن؟ حيث نجلس فى هذه الشوارع، كانت هناك مجارى مياه متدفقة وعصافير... ماذا

حدث لمجارى المياه؟ قد تفكرين. أنا أعرف، أعرف كيف أقرأ وجهك الآن. حسنًا، قد تتعجبين أين ذهبت كل تلك المياه الآن. إنها تحت أساس نصف المنازل هنا، هذا هو مكانها. حينما قاموا ببناء كل تلك الأبنية، وغطوا الحقول، اعتدت أن آتى وحدى وأراقب البنائين. وحدى. كان فتاى الألمانى قد رحل فى ذلك الوقت، لأننى لن أتزوجه. لقد كان البناءون ينجزون عملهم بسرعة، كما يحدث الآن، بعض الأشياء لا تتغير. كان من المفترض أن يجعلوا المياة تجرى فى قنوات ملائمة، بعيدًا عن البيوت، ولكنهم لم يزعجوا أنفسهم. فى بعض الأحيان، حتى الآن، وأنا أسير على طول الطريق، أتوقف عند بيت، وأفكر، أجل لو أن البدروم لديكم رطب، فإنه بسبب الماء المتبقى من تلك المجارى المائية القديمة. هناك منزل، رقم سبع وسبعين، إنه يتبدل عليه الملاك، لا يمكنه أن يحتفظ بمالك لفترة طويلة، هذا بسبب أن موقعه هو مكان التقاء ثلاثة مجار مائية، وقد وضع البناءون قوالب الطوب الخاصة بالطبقة الأساسية فى التربة الطينية جاعلا المياه تجد طريقها. لقد قاموا بعمل قناة حقيقية للمياة السفلية، إنها تجرى على الطريق الرئيسى هناك، ولكن المجارى الصغيرة التى كنا نستخدها للجلوس بجوارها ووضع أقدامنا فيها، فقد تركت لتصنع طريقها الخاص. وبعد أيام الآحاد تلك، حينما كان يحين وقت الغروب، أوه، كيف كان كل ذلك جميلاً، كان سيقول، أيمكننى أن أضع ذراعى حول

وسطك؟ وكنت أقول لا، لا أحب ذلك ـ يا لى من غبية. وكان يقول، إذًا تأبطى ذراعى، على الأقل. وهكذا كنا نسير وذراعانا متشابكتان حتى نصل إلى الباص، ونعود للمنزل ليلا. لم يدخل المنزل قط، بسبب أبى. كان يقبل يدى، ويقول، مودى أنت زهرة، زهرة صغيرة".

السعادة

تدربت مودى لدى صاحب ورشة وعملت معهم بشكل متقطع لسنوات. كان التدريب شاقًا. كانت تعيش مع عمتها الفقيرة جدًا، كانت تقدم لها الإفطار والعشاء وليس أكثر من ذلك، كان على مودى أن تتعايش بدون وجبة منتصف اليوم أو كانت تسير معظم الطريق إلى العمل. كانت الورشة بجوار شارع ماريليبون. كانت تحسب إذا ما كان الحذاء الجلدى سيكلفها أكثر من الأجرة. قالت إنه بإمكانها أن تتسول بعض الأحذية المستعملة من ابنة عمتها، التى لم تكن تستهلك أحذيتها تمامًا، أو أن تشترى الأحذية عالية الرقبة المستعملة من السوق، ولكن كان ينبغى أن تبدو مهندمة وهى ذاهبة للعمل، وكانت تلك مشكلتها الكبرى. عمتها لم يكن لديها مال من أجل ملابس مودى.

منحتها زوجة صاحب العمل فى إحدى المرات تنورة وبلوزة. كانت تقدرنى، ترينى ذلك. كان ينبغى أن نظهر بمظهر جيد لأن المشترين قد يدخلون إلى غرف العمل. أوه، لا أعتقد أن الأمر جاء من أعماق قلب طيب، لأنها لم يكن لديها قلب. لم تكن تريد أن

تفقدنى. حدث ذلك قبل سنوات قبل أن أتمكن من شراء فستان بنى جميل، وحذاء لى من مالى الشخصى. وحينما قمت بشرائهما، أوه، لن أنسى ذلك اليوم لقد رحلت بدون الكثير من أجل هذا الفستان. وارتديته أول الأمر يوم الأحد، لكى يتمكن لورى من رؤيته. ومن أعطاك ذلك؟ قال، لأن ذلك ما كان يحبه، يجذب ذراعى ويؤلمها. من هو، أخبرينى. ليس أنت، قلت له، وبينما أنا أجذب ذراعى منه، انقطع الفستان من عند الإبط. لم يكن القطع كبيرًا، ولكن الفستان قد فسد. أوه شخص ما ترك علاماته عليه بالكامل. أتعرفين ماذا أقول؟ ولكننى لم أعرف ذلك فى وقتها. ولكن لم يستغرق الأمر وقتًا طويلاً قبل أن أكتشف أنه يفعل ذلك فى كل شىء، فعل ذلك من قبل فى فستان كنت أرتديه للمرة الأولى. لا يهم الأمر، فقد أصلحته، ولم يظهر القطع، وذهبت لغرفة العمل واستدرت، وصفقت جميع البنات وغنين "القليل مما تبدين عليه يا ساحرة يجعلك بمظهر رائع".

حدث ذلك قبل أن أنتقل لوظيفة أفضل، وفى الحال جلبت فستانا آخر، رداء أزرق، ولكننى لم أحب أبدا أى فستان مثلما أحببت الفستان الذى اشتريته أول مرة بنفسى.

"أوه، كم كان وقتًا عجيبًا ذلك الذى أمضيناه فى غرفة العمل. كنا خمسة عشر، من المتدربين وأصحاب ورشة العمل. جلسنا جميعًا حول طاولة طويلة وصناديق الزخارف موضوعة على حامل خلفنا،

والقبعات البرانيط التى كنا نعمل عليها على أشكالها أمامنا. اعتدنا أن نغنى ونمزح. وحينما كان مزاحى يزيد قليلا، كانت تأتى وتقول، من الذى يحدث كل هذا الصوت المزعج؟ إنها مود ! القاعدة هى أن تصمتى وأنت تعملين. ولكنى كنت أحب أن أغنى، كنت أستمتع بنفسى، وفى الحال كنا جميعًا نغنى، ولكنها لم تكن تريد أن تفقدنى، أترين.

"هل قلت لك كيف عرفت قيمتى بالنسبة لها؟ إن كنت قلت لك، سأقول لك ثانية، لأننى أحب أن أفكر فى هذا الأمر. تعرفى، لقد اعتاد أن يذهب إلى باريس، لكى يرى قبعات الموسم الجديد فى المحلات، وفى بعض الأحيان فى غرف العمل فى الورش الباريسية، لأنه كان يعرف بعض الناس الذين يمكنهم أن يطلعوه على نظرة خاطفة داخل الورش. عرف كيف يتذكر قبعة أو بونيه تناسب الورشة. اعتاد أن يحتفظ بكل التفاصيل فى ذهنه، ثم يعتصرها بسرعة ويرسمها. لم يكن فى الحقيقة يستطيع أن يرسم، ولكنه كان يرسم الأشياء الأساسية، شكل، أو مجموعة شرائط. ثم كان يعود، ويقول، اصنعى هذه القبعة، إنها من هذا الشكل، واللون، مصنوعة من الحرير أو الساتان، افعلى ما تستطيعين. حسناً، يبدو الأمر وكأننى كنت أرى القبعة الحقيقية من وراء ذلك الرسم المبعثر على الورق، وكنت أعمل هناك بعيدًا، وأتمها، وكنت أقول له، ألهذه القبعة أية علاقة قريبة بما فى رأسك، سيد رولوفسكى؟ وكان يرفعها لأعلى ويحدق

بها ويقول، حسناً، إنها ليست سيئة جدًا، يا مودى. كان ذلك يسعدنى. ولكن بعد ذلك، كنت ألاحظ كيف كان يأتى ليقف خلفى ويراقبنى بينما أعمل، دائمًا ما يراقبنى أنا وليس الأخريات، والطريقة التى يخطف بها القبعة حينما أنتهى منها، لأنه كان نهم جدًا، ترين، لم يتمكن من إخفاء ذلك. كنت أفهم وقتها أننى صنعت شيئًا يقارب ما رآه فى باريس. والبنات كن يعرفن أيضًا، وكنا نتغامز. فى ذلك الوقت كانت ترانا، وكانت تقول، يكفى هذا، لا أرى ما هناك لكى تتغامزن من أجله. لأنها كانت ذكية، ولكن ذكاءها لم يتجاوز حدود عملها، الذى كان يتلخص فى كيف يمكن لغرفة العمل أن تنتج نقودًا. هل صادفت ذلك أبدًا؟ يمكن للمرء أن يكون ذكيًا بقدر استطاعته، فى اتجاه واحد، وغبى فى اتجاه آخر. لقد ظننت أننا لا نعرف ما تحاول أن تداريه، وبرغم ذلك كان الأمر كله واضحًا بالنسبة لنا. كان لدى موهبة، ترين، كان لدى موهبة فى أصابعى وعينىَّ وذهنى المشتعل، وكان ذلك يساوى الكثير بالنسبة لهم، لأنه حينما كان يأتى المشترون، كان دائمًا ما يريهم عملى أولا، وكان دائمًا ما يضع ثمنًا أكبر للقبعات التى أصنعها.

"وقفت خارج حجرات العمل، فى مكان متفرع فحسب من شارع بوند، ونظرت إلى القبعات فى فترينة العرض، فقط اثنتان أو ثلاث بالطبع، ليست مزدحمة مثل ازدحام فترينات محال القبعات الرخيصة، وكانت القبعات دومًا من صنعى. وانتهزت

الـفـرصـة فـى الحـال بـقـدر مـا اسـتـطـعـت، وألـتـقـطـت أشكال القبعات التى يمكننى أن أصنعها.

"أجل، يمكننى أن أرى من وجهك ما تودين قوله، وأنت محقة. لم أتلق قرشًا واحدًا زيادة من أجلها. كنت أحصل على الأجر الأعلى من أجل ما أقوم به، ولكن لم يكن ذلك كثيرًا أبدًا، ليس كثيرا بقدر ما يجعلنى أنشغل عن التفكير فى المستقبل. أجل، أنت محقة مرة أخرى، أتعتقدين أننى لم أفكر مرارًا فى الذهاب لمكان آخر، أو أن أقول له، اعطنى قدر ما أستحق، وإلا سأرحل. ولكن لأمر واحد، إننى أحببت هذا العمل للغاية، أحببته كله، الألوان وملمس المواد، ثم الفتيات الأخريات، كان قد مضى وقت طويل ونحن نعمل معًا، وكنا نعرف بعضنا جيدا، وكل متاعبنا، ثم...حسناً، بالطبع كان هناك أكثر من ذلك. بشكل ما، كانت تلك غلطتى جزئيا. كان يريدنى أن أذهب إلى باريس. أوه، لا، لو أنه يفكر بأى شىء آخر، لا يمكن أن يكون هذا الأمر. قال، ستأتى الزوجة أيضًا، لا تقلقى، سيكون الأمر كله صحيحًا وعادلا. ما أراده هو أن أذهب معه إلى غرف العمل، حينما يستطيع أن يدخل نفسه خلسة، وأن أنظر إلى القبعات بنفسى. لقد كان معجبًا بعملى بدرجة فائقة، وكان يتخيل عودتى إلى لندن وأن أقوم بنسخ كل تلك القبعات والبونيهات، المئات منها، أخمن ذلك، وليس فقط القليل من القبعات التى كان يتمكن من الاحتفاظ بها فى ذهنه.

وقال إنه سيدفع لى مقابل ذلك بشكل معقول. وبرغم ذلك، لم أستطع أن أقنع نفسى، قلت لا.

"كانت تلك المرة الثانية التى أدعى فيها إلى فرنسا، حينما كنت فتاة، مرة مع السيد بريفت ومرة مع زوج الـ.... ذلك. مرة مع سيدة حقيقية ثم مع اثنين من الباحثين عن القروش، الطيب والشرير.

" أجل أعرف ما تفكرين به. كان لورى هو السبب. لم يكن يدعنى أبدًا أسمع نهاية ما يقولونه إن كان الأمر يتعلق بذهابى إلى باريس، حتى وإن كنت فى حماية حرس يحرسوننى، كان يثنينى عن عزمى دائمًا. وكان هذا الأمر سيئًا بهذا الشكل، فقد كنا لم نتزوج بعد حتى، كان لدى ندب فى ذراعىّ، وكان السؤال المستمر، من هو؟ من نظر إليك؟ من أعطاك ذلك المنديل؟ ـ لأننى اعتدت أن أدخر لكى أتمكن من شراء مناديل من اللينوه، أحببتها، أحببت تلك الأشياء الجميلة، ولكنه لم يعرف أبدًا إنه كان بإمكانى الذهاب لباريس فى ذلك الوقت. ولو كنت فعلت، لربما كنت بقيت هناك، وتزوجت من فرنسى. كان بإمكانى أن أتزوج المانيا، أليس كذلك؟ فى بعض الأحيان، أعود بنظرى للماضى وأرى أن حياتى كان بها تلك الفرص، المؤدية إلى شىء رائع، من كان يدرى؟ وبرغم ذلك، لم أستغل أى منها، كنت دائمًا ما أقول لا ، لا، لكل ما يقدم لى.

"و بالرغم من ذلك، كان لدى وقت ممتع حقًا، أعتقد فيما عدا جونى كانت تلك الأيام هى الأفضل

فى حياتى، أفضل حتى من هانز وأيام الآحاد التى جمعتنا معًا. أحب أن أجلس هنا، وأفكر فينا نحن الفتيات وقتها، ونحن نجلس حول تلك القبعات الجميلة، اوه كم كانت جميلة تلك القبعات، كنا نغنى، ونمزح، ونقص الحكايات، وكانت هى دوما حولنا، مودى هنا، مودى هناك، إنه أنت دائما من يحرك ويقود الأمور، كانت تقول، ولكننى كنت المفضلة لديها، وكانت تعرف ذلك، وعلى الرغم من إنها كانت لا تود رؤيتى، لأنه كان يضع عينه علىّ، وكان الجميع يعرف ذلك، كان عليها أن تحتملنى، أليس كذلك؟ ولم أكن أهتم. كنت أغنى، كنت أغنى ـ هل أغنى لك واحدة من أغنياتى؟ أجل، سأفعل..."

وجلست مودى لتغنى أغانيها القديمة، بعضها لم أسمع به مطلقًا. صوتها ذو نغمة عالية الآن؟ يستمر فى التشرذم، ولكن يمكنك أن تسمع ما كان عليه فيما قبل من ضحكتها.

السعادة

"لابد أننى حملت فى ليلة زواجنا. تسعة أشهر باليوم، كان الأمر كذلك. و كان لورى سعيد جدًا حينما علمنا. هل تصدقين ذلك، كنت غبية جدًا، لم أكن أدرى ما أصابنى! ذهبت للطبيب وقلت، إننى أشعر بالإعياء، إننى أحتضر. أشعر أننى مريضة جدًا. أشعر بهذا وذاك. وتمددت وفحص معدتى، ثم جلس خلف طاولته وضحك. أوه، كانت ضحكة لطيفة، لم تضايقنى، ولكننى شعرت أننى غبية. قال، سيدة

فاولر، ألم يخطر ببالك أنك حامل؟ ماذا تقول؟ قلت أنا. سيكون لك طفل، قال. أوه، استمر، قلت، لا يمكن ذلك ـ لأننى لم أتوقع ذلك أو أفكر فيه أبدًا.

"ثم قلت للورى، وصاح، كان سعيدًا جدًا. كنا فى الغرفة الأمامية لمنزل فى شارع مجاور لهذا الشارع. لقد دهن الحوائط بلون جميل، لأنه كان عاملاً جيدًا، لا أحد يمكنه أن يقول غير ذلك، دهنها بلون كريمى مضىء، والكرانيش التى على السقف دهنها بلونين ذهبى وأزرق و أطر الصور بلون أزرق. واشترى صندوقًا صغيرًا ودهنه بلون أزرق، و أخذ يشترى معاطف صغيرة وقبعات ـ أوه، مقاسات كبيرة جدًا، لم يتمكن جونى أن يرتديها إلا بعد سنتين أو ثلاث بعد أن تركنى لورى. ولكننى كنت سعيدة. فكرت بأننى ملكة فى تلك الأشهر القليلة. كان يعاملنى و كأننى قطعة من الكريستال أو كأس جديدة. أخذ يشترى لى كل الأشياء الممتعة، لأننى كنت أميل إلى المخللات والشيكولاتة وتلك الأشياء، وكانت تكلفه مالاً كثيرًا.

"ثم بعد ذلك، ولد الرضيع، جونى. و لن تخمنى أبدًا. من تلك اللحظة و إلى ما بعد ذلك، لم يقل لى كلمة طيبة واحدة. كيف يمكن لرجل ناضج أن يتصرف مثل طفل؟ كان يغار، يغار من الرضيع! ولكننى لم أعرف وقتها أن الوضع سيستمر هكذا. تعودت أن أغيظه، وكان وقتها يضربنى. كل الأوقات السعيدة مضت. اعتدت أن أجلس هناك على كرسى الرضاعة، الذى صنعه من أجلى، وأرضع الرضيع، وأنا

أنظر إلى السقف المدهون بشكل جميل، وأفكر، أوه، إننى جائعة جدًا، جائعة جدًا، لأن جونى كان طفلا يتغذى بمعدل كبير، كان يمص، ويمص. كنت أقول، لورى، فلتحضر لى قطعة من اللحم، من أجل أن أطبخه على نار هادئة. وكان يقول، فيم سينفعنى المال؟ وكان فى العمل. حسناً، لن أملأ أذنيك بالمأساة حينما فهمت ما كان المستقبل يبشر به، لأن ما أحبه هو، أن أنظر للوراء وأفكر بى وأنا أجلس مثل ملكة فى تلك الغرفة الجميلة، جالسة على كرسىّ جميل، مع جونى، وأفكر بأنه حينما يعتاد لورى على الأمر، سنكون كلنا سعداء".

بعد شهر.

لم أعمل أبدًا بهذه الجدية من قبل! لو أننى أبقيت على استمرار كتابة المذكرات بهذه الطريقة، إذًا، ربما فى وقت لاحق...

تحاول جويس المحافظة على تماسكها، ولكنها ليست معنا. إننى أقوم بإجراء كل الحوارات، الحفلات، أركض من هنا إلى هناك، حفلات الغداء، المؤتمرات. نبقيها خارج مجال النظر فى معظم الأحوال، إن دفاعاتها بداخلها ليست مثلى فيما يظهر منى، ملابسى، شعرى، وغيره. تبدو بشعة، فوضاوية. بالإضافة إلى هذه السلسلة من المقالات بوصفها تعبيرًا عن المزاج السائد فى السبعينيات، الستينيات، والخمسينيات. أرادوا المزيد. يبدو أننى لن أفقد ذلك أبدًا، التقليل من شأن نفسى. لم أفكر فى نفسى

بوصفى قادرة على الكتابة لمجلة سوسيولوجية جادة، ولكن هأنذا. ولهذا، فإنى أستيقظ فى السادسة لأقوم بذلك العمل.

أرى مودى كل ليلة، وإن لم أتمكن من ذلك، أتأكد أننى قد أبلغتها بعدم قدرتى. أدخل، وأنا منهكة، ولكنى بعد ذلك أتسوق و أقوم ببعض التنظيف، ثم أسقط متهالكة وأستمع لها، وأستمع. فى بعض الأحيان يكون حديثها لطيفا، و تضحك، و هى تعرف أنها تسعدنى. و فى أحيان أخرى تتمتم، و تكون عنيفة، لا تنظر إلىّ وأنا أرتدى ملابسى الجميلة. لقد اشتريت ملابس جديدة كاملة، باهظة الثمن. أشعر وكأنها ؟ فى مقابل الفوضى. إنها تقترب وتنحنى فوقى حتى تشعر بملمس البلوزة الحريرية، ليست من ذلك النوع الصينى الرخيص. إنها تضرب بلوزتى، ثم تنظر لأعلى إلى وجهى، بعلامة ما، لأنها تعرف مدى جودة أشيائى، من أفضل منها؟ ثم تحول وجهها الصغير بعيدًا وترفع يدها إلى خدها لتداريه، وتحدق فى النار. إنها تغلقنى. ثم بعد ذلك، تبدأ ثانية، تسامحنى بضحكة صغيرة: إذًا، ماذا كنت تفعلين اليوم؟ ولكنها لا تريد أن تعرف، إن عالمى كبير جدًا بالنسبة لها، إنها تريد أن تتحدث...

"ثم، فى أحد الأيام تركنى، قال لى، أنت لا تهتمين بى الآن، لقد حصلت عليه، وحمل أدواته و رحل، لم أصدق ذلك. انتظرته أن يعود، لسنوات، لم يأت، ولكن هكذا كنت، بلا أى أموال لأسدد الإيجار. ذهبت

لرولوفسكى وطلبت منها ـ أوه كم كان ذلك قاسيًا، لم أتسول منهم من قبل. قلت إننى كنت أتزوج، كما ترين، و عاملتنى بقسوة، جعلتنى أعمل لطيلة كل الساعات، لكى تستغلنى بقدر ما تستطيع لتعوض ما لم تستطع استغلاله قبل أن تفقدنى. وهكذا أصبحت ثانية، بعد ما يقرب من عامين. حسناً، لقد استغلت ذلك. وهناك من أصبحت المرأة الأساسية الآن. لم يكن الحال كذلك فى غرفة العمل. لأمر واحد، هو أننى لم يكن لدى قلب لأغنى وأرقص. وضعت جونى مع مشرفة أطفال. لم تكن امرأة سيئة، ولكنها لم تكن من أردتها له. كنت قلقة إلى حد المرض، هل أعطته الدواء، أو حليبه؟ لأنه كان رقيقًا، كان يشكو دومًا من سعال. ولكن كان لدى ما يكفى من مال ليبقينا على قيد الحياة. ثم قال أصحاب المنزل الذى أقطنه إنهم يريدون غرفتى. لا يريدون رضيعًا، كان ذلك هو ما يعنيه قولهم. وكانوا يريدون كل تلك الدهانات الزرقاء والذهبية لأنفسهم. وهكذا، قدمت إلى هنا. لم تمانع المرأة صاحبة المنزل فى أن يكون هناك رضيع، ولكن كان علىّ إبقاؤه هادئا، قالت. كنت وقتها فى الطابق العلوى، الحجرة الخلفية الصغيرة. كانت رخيصة، وكنا ننظر للأشجار هناك، كم كانت جميلة. ولكنى وجدت أنه من الصعب أن أسدد ثمن كل شىء. ذهبت إلى عمتى، ولكنها كانت بالكاد تستطيع أن تدبر حالها. قالت، اذهبى لأبيك. ولكنه قال من قبل، إن تزوجت لورى فإننى لا ينبغى أن أظهر عند بابه أبدًا. وكان محقًا، لمرة واحدة... هل أخبرتك عن زفافى؟"

وجلست مودى تضحك، و سحبت درجًا، وأظهرت صورة. امرأة صغيرة الحجم تحت قبعة هائلة الحجم ومنقوشة بالورود، فى فستان جميل ومحبوك. "أجل"، قالت، "كنت أبدو مثل فوضى ملائمة". كنت أقول نعم ولا، نعم ولا، لأن ما كان سيحدث أننى إن قلت لا، فإنه يبدأ فى مغازلتى واعتصارى، وكنت أقول أجل، وهو يقول، أفترض أن هارى (وهو صبى آخر كان يسحرنى) لن يحصل عليك، ولهذا فقد كنت أقول ، لا. ولكن فى النهاية توصلنا لأن نقول نعم فى الوقت ذاته. استعرت أفضل قبعات ابنة عمى فلو، وقفازاتها التى تذهب بها للكنيسة. كان الفستان يخصنى. أرسلت رسالة لأبى وقلت إننى سأتزوج يوم الأحد. جاء إلى بيت عمتى، وكان لورى هناك، ووقف عند مدخل البيت وقال لى، لو تزوجته ستكون هذه هى المرة الأخيرة التى سترينني فيها. حسناً، لم أكن قد رأيته منذ عشر سنوات. قلت، ألن تأتى و ترانى و أنا أتزوج على الأقل؟

"فى هذا الصباح كان لورى فى أسوأ حالاته منذ أن عرفته، جاهز لأن ينفجر، ذو مظهر سوداوى، ووجهه مكرمش ومعترض. سرنا إلى الكنيسة مع عمتى، وكنا نتعارك طوال الطريق. كان هناك الأب، بملابسه المخططة وقبعته العلوية، أوه كيف كان حسن المظهر! وكانت هى هناك أيضًا، كانت قد أصبحت سمينة جدًا، ولم أستطع إلا أن أطلق ضحكاتى المتقطعة سرًا، كانت تسير بصعوبة، كل ما ترتديه من الريش

البنفسجى و الأسود، وفى ذلك الوقت كنت أستطيع أن أميز بين الثمين والغث، واستطعت أن أدرك أنها لا شىء، لم نكن لنستخدمها فى حجرة العمل، ولكننى كنت لا شىء أيضًا، فى ذلك اليوم، كان يمكننى أن أجلب قبعة من حجرة العمل لكى أرتديها يوم الزفاف، ولكننى لم أكن أريد لرولوفسكى أن تسدى لى معروفًا. و هكذا تزوجنا، ونحن مبتئسان، ولا ننظر لبعضنا البعض. بعد الزفاف، كان هناك مصور التقط لنا هذه الصورة، ثم حينما توجه أبى إلى العربة معها، ركضت وراءهما وقلت، هل يمكننى أن آت معكما؟ ولكنك تزوجت للتو، قالت، وكانت مندهشة للغاية، وأنا لا ألومها. وقال الأب، هذا صحيح، تعالى إلى البيت ولا تضيعى وقتك معه. وهكذا فقد ركبت فى العربة وتركت لورى فى الكنيسة..." وعند هذه الكلمة ضحكت مودى وضحكت، ضحكتها القوية كفتاة.

"بعدما استمتعت بنفسى فى البيت لوقت قليل، وأكلت ما يملأ معدتى من كل شىء، فكرت، حسنًا، إن لدى زوجًا، وقلت لهما، شكرًا، ولكن من الأفضل أن أغادر المنزل، ورحلت، والأب يقول، لا تظهرى لدى الباب ثانية. ولم أفعل، لأنه كان قد رحل بعد وقت قليل إثر أزمة قلبية. ولم يخبرونى بموعد الجنازة.

"ولكن أختى كانت هناك، فى الوقت المناسب. وعلى نحو مفاجئ بدأت تظهر بمظهر لائق وتشترى لنفسها الملابس، ثم انتقلوا إلى منزل أفضل. عرفت أن الأب قد ترك شيئًا لنا معًا، وذهبت إليها وقلت، أين

ما تركه الأب لى؟ ولم تستطع أن تنظر إلى وجهى. ما الذى جعلك تظنين أن هناك أى شىء لك؟ قالت. إنك لم تأت أبدًا لزيارتنا، أليس كذلك؟ ولكن من طردنى؟ قلت. وتعاركنا و تعاركنا وصرخت فى وجهى. ذهبت إلى أختى، وأنا أدفع نفسى للذهاب إليها؛ لأنها كانت دومًا ما تعاملنى بشكل سيئ، وقلت، بولى، أين نصيبى من المال؟ لقد حصلت هى عليه، قالت أختى. عليك أن تذهبى إلى محام. حسنـاً، كيف أفعل ذلك؟ أنت تحتاجين لأموال لكى تذهبى إلى محام. كنا أنا ولورى وقتها مثل حمامتين جميلتين، ووجدنا نحن الاثنين إن هذا تغيير جميل حقًا، لم نكن نريد أن نضيعه.

"فيما بعد، حينما كنت مكتئبة وفقيرة للغاية وفى حاجة لكل شىء، ذهبت لأختى، ولابد أنه قد أخبرتها، إنه فى يوم من الأيام بعدما عدت من العمل قالت صاحبة المنزل إن سيدة ضخمة ترتدى معطفًا من الريش الأحمر ؟ كانت هنا وتركت لى صندوقًا. لقد كان به بعض ملابس أمى، فحسب، وحقيبة نقودها، وجنيهان ذهبيان بداخلها. وكان ذلك كل ما أخذته من أبى ابدًا. هذا لأننى لم أرها مرة أخرى أبدًا.

أوقات مودى العصيبة

"عملت بجهد شديد، بجهد شديد. اعتدت أن أستيقظ مبكرًا جدًا وآخذ جونى إلى المشرفة، ثم أذهب للعمل، وأعمل طوال اليوم حتى السادسة أو السابعة، ثم أعود ثانية بعد ذلك لأجلب جونى، وكنت أجدها غاضبة معظم الوقت، لأننى كنت أتأخر، وكانت

هى تريد أن تتخلص منه. وكنت أعود للمنزل ولا أجد طعامًا كافيًا لى وله. كنت أكسب القليل من المال وقتها. لم تسامحنى السيدة رولوفسكى أبدًا حينما تزوجت وتركتها ثم عدت ثانية. لم أعد الحيوان الأليف المدلل، وكانت دومًا ما تتحين الفرص لتغرمنى، أو تعطينى قبعة تستغرق عملها ضعف ما تستغرقه القبعات الأخرى من وقت. كنا نتلقى أجرًا على ما كنا ننجزه، أنت تعلمين. ولم أستطع أبدًا أن أؤدى عملى بغير اعتناء. كان علىّ أن أنجزه على نحو جيد، حتى لو كنت أعانى. ومن ثم كنا نتعطل عن العمل. كنا نتعطل عن العمل طيلة فترة الصيف. أوه، لم يكن هناك ضمان اجتماعى وقتها، ولا معاشات، لاشىء. كانت تقول، التقطوا كروتكن وانتن خارجات ، واتركن عناوينكن، وسوف نتصل بكن حينما يتوفر العمل.

"تلك الحرب كانت قادمة، علينا تقريبًا، وكانت الأوقات سيئة. لم أعرف ما يمكننى أن أفعل. كان لدى القليل من المدخرات، وليس الكثير. جلبت جونى إلى المنزل، وكان هذا أمر هام، لأننى لم أكن أراه مستيقظًا إلا فى أوقات قليلة حينما كنت أعمل، ولكن كيف يتسنى لى إطعامه؟ قالت صاحبة المنزل، لا، لا يمكننى قبول تأجيل الإيجار، ولهذا فقد حافظت على استمرارى فى دفع الإيجار، ولكن وفى معظم الأحوال كنت أذهب للسرير، وقد تناولت كوبًا من الماء البارد حتى يمكن لجونى أن يحصل على كوب من الحليب.

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

استمر ذلك لوقت طويل، وكان صيفًا رائعًا. كنت أشعر بالتوحش بسبب الجوع. كنت أذهب للحدائق لأرى إن كان هناك خبز قد تركته العصافير ولم تأكله. ولكن كان هناك من يجيئون للسبب ذاته، وكنت أصل هناك أولا، أتجول، متظاهرة أننى لا أراقب بينما ينثر الناس الخبز للعصافير. فى إحدى المرات قلت لامرأة عجوز، إننى أحتاج لذلك أكثر من العصافير. قالت، فلتكسبى رزقك إذًا. لن أنسى ذلك أبدًا، ولن أنسى ما قالته. لأنه لم يكن هناك عملا. حاولت أن أحصل على عمل كمنظفة، ولكنهم لن يسمحوا لى بأن أنظف ومعى طفل يتجول حولى.

"ثم وعلى نحو مفاجئ، ظهر لورى، ووجدنى فى السرير فى ظهيرة يوم أحد، وذراعاى يطوقان جونى. شعرت بالغثيان الشديد والإعياء، أنت تعلمين. أوه، يا للثوران، ما يمكننى أن أفعل حيال ذلك ! أولا، بالطبع كان الأمر كله صياح متبادل. لماذا رحلت دون أن تخبرنى؟ ثم، أنت تعلمين أننى لم أكن لأتركك هكذا محتاجة للطعام! إذًا أثبت لى ذلك، قلت. خرج، ورجع عائدًا بالبقالة. كان يكفينى الشاى والبسكويت والبازلاء الجافة وأشياء أستطيع الاحتفاظ بها، ولكن

لا، لأنه لورى فقد جاء بأنواع فاخرة من الكيك و لحم الخنزير. حسناً، لقد أكلت، وجونى أيضًا، وبعد كل ذلك، دعانا للخروج لتناول الطعام. أنا بابا، قال لجونى، وبالطبع شعر الولد الصغير بالسعادة، ثم رحل. سأعود فى الغد، قال لورى، ولكننى لم أره لشهور بعدها.

"فى تلك الأثناء، كانت قد أعيتنى الحيلة، فذهبت إلى مكتب الإنقاذ. فى تلك الأيام كان مجلس إدارة مكدسًا بسيدات ورجال متغطرسين، كنت تقفين هناك، ويقولون لك، لم لا تبيعين إكسسواراتك الذهبية إن كنت فقيرة جدًا ـ كانت لأمى ـ هل لديك أية ممتلكات شخصية، لا يمكننا أن نحتفظ بمن لديهم مواردهم الخاصة. مواردهم الخاصة ! تقولين إن لديك ولدًا صغيرًا، ويقولون لك، حسنًا ينبغى عليك أن تدفعى زوجك للمساهمة. إنك لا تستطيعين أن تشرحى لمن على شاكلتهم كيف يبدو لورى ومن على شاكلته. حسنا، قالوا إنه يمكننى أن أحصل على شلنين كل أسبوع. كان ذلك فى منتصف الصيف مازال، ولا نهاية له فى مدى البصر. أرسلوا رجلا للاستقصاء. كنت قد قايضت كل شىء، فيما عدا غطاء لجونى، لأننى كنت أنام تحت معطفى. دخل غرفتنا. سرير ومرتبة ولكن بدون ملاءات، طاولة خشبية ـ هذه الطاولة هنا، التى تحبينها. كرسيان خشبيان. رف كان عليه قليل من السكر ونصف رغيف من الخبز. وقف هناك، بملابسه الجيدة، ونظر إلىّ أنا وجونى، ثم قال،

هل بعت كل ما استطعت بيعه؟ وكنت قد فعلت، حتى جواهر أمى. ثم انحنى للأمام و أشار إلى هذه..." جعلتنى مودى أشاهد تلك العصا الخشبية السوداء الطويلة التى تدفعها وتفتح بها الستائر. "ماذا عن هذه؟ قال. كيف يمكننى أن أفتح وأغلق الستائر؟ هل تتوقع منى أن أبيع الستائر أيضا. هل ينبغى أن أبيع السرير وأنام على الأرض، إذًا؟

"شعر الرجل بالقليل من الخجل وقتها، ولكن ليس كثيرًا، لم تكن وظيفته هى أن يخجل مما عليه أن يكتب فى تقريره. وكانت تلك طريقة حصولى على الشلنين كل أسبوع".

"وهل كنت تستطيعين أن تعيشى بهذا القدر؟"

"ستدهشين مما قد تستطيعين العيش عليه. كنا نأكل أنا وجونى الخبز، و هو يتناول بعض الحليب، وهكذا عشنا حتى مقدم الخريف، حينما وصلتنى رسالة من رولوفسكى: إنهم سيقبلونى هذا العام ولكنهم سيدفعون مالا أقل. بسبب الأوقات العصيبة، كان يمكننى أن أعمل بنصف ما أتعاطاه من أجر. استعدت الأغطية ثانية من محل المقايضة، من أجل الشتاء، واستعدت وسائدى، ثم...فى إحدى المرات ذهبت لمشرفة الأطفال، ولم يكن هناك جونى. جاء لورى وأخذه بعيدًا. توسلت، و صرخت، ثم توسلت، ولكنها قالت إنه والد الطفل، لم تستطع أن ترفض إعطاء طفل لوالده ـ و جننت، أخذت أركض عبر الشوارع، أذهب إلى كل مكان. لم يسمع أى شخص عن

أى شىء. لا أحد يعرف، كنت مريضة جدًا فى ذلك الوقت. رقدت فى السرير، ولم أهتم ، فكرت أننى سأموت ورحبت بالأمر. فقدت وظيفتى عند رولوفسكى، وكانت هذه هى نهايتهم، بالنسبة لى. حينما تعافيت، حصلت لنفسى على وظيفة منظفة، لكى أنظم نفسى، لأنه بدون طفل كانوا سيقبلوننى. وحينما وفرت ما يكفى من المال ذهبت إلى محام. قلت، كيف يمكننى استعادة طفلى؟ ولكن أين زوجك؟ قال. لا أعرف، قلت. لابد أن تعلنى عنه، قال، ولكن أين؟ قلت. أليس هناك طريقة لكى أعرف، أين الناس؟ أجل، ولكن الأمر يتكلف مالا، قال. وأنا ليس لدى مال، قلت.

"ثم جاء نحوى، و تحسس جسمى قائلا، حسنًا جدًا، مودى أنت تعرفين ما يمكنك أن تفعلى إن أردت أن أساعدك. وركضت، ركضت خارج ذلك المكتب، وخفت أن أقترب من أى محام مرة أخرى.

"طوال الوقت كان لورى و جونى فى الريف الغربى مع امرأة كان يرافقها. بعد ذلك بوقت طويل، حينما قابلت جونى مرة أخرى، أخبرنى أنها كانت تحسن معاملته. وليس أبيه، لأن أباه كان قد رحل بعد وقت قليل، لامرأة اخرى. لم يكن يستطيع أبدًا أن يبقى مع امرأة واحدة. لا، هذه المرأة قامت بتربيته. ولم يكن يعرف أن لديه أمًا، لم يكن يعرف شيئًا عنى. ليس، إلا فى وقت قريب جدًا، ولكننى سأقول لك فى وقت آخر، إننى أشعر أن جسمى كله يرتعش، أشعر

بالغضب كلما فكرت فى هذا الأمر برمته، وكنت عزمت على إخبارك بأمر لطيف هذه الليلة، فى وقت أحب التحدث عنه، ليس فى وقت سيئ..."

وقت لطيف

كانت مودى تسير فى ساى ستريت، ورأت بعض القبعات فى فترينة العرض. شعرت بالانزعاج الشديد لطريقة صنع القبعات. دخلت المحل، وقالت لسيدة كانت تصنع قبعة، ألا تعرفى كيف تصنعين قبعة؟ وقالت المرأة لا، لقد واجهت الحياة كأرملة لديها القليل من المال، وفكرت أنها قد تستطيع أن تصنع قبعة. حسنًا، قالت مودى، عليك أن تتعلمى كيف تصنعين قبعة، كما تتعلمين كيف تمسحين الأرض، أو تخبزين رغيفًا. سأعلمك. كانت متضايقة قليلا فى البداية، ولكنها أرادت أن تتعلم.

"اعتدت أن أذهب إلى هناك، كانت ترينى ما أنجزت، وكنت أجعلها تعيدها إلى قطع ثانية، أو كنت أصنع لها قبعة كاملة، حيث إن أصابعى كانت لاتزال تتمتع بمهارتها. ولا زالت حتى الآن، أعلم ذلك. أجل، أستطيع أن أرى من وجهك ما تفكرين به، وأنت محقة. لا، لم تكن تدفع لى مالا. ولكنى أحببت هذا الأمر، أنت تفهمين. بالطبع لم يكن الأمر مثل رولوفسكى، ليس مثل ويست اند، لا شىء مقارب للحرير و الساتان الحقيقيين و بتلك الجودة. ، فقط أشياء رخيصة. ولكن ، الطريقة هى ذاتها، فيما بيننا، صنعنا بعض القبعات الجميلة وحصلت على شهرة بسببها. وبعد

قليل باعت المحل للنوايا الحسنة ـ ولكننى أنا كنت تلك النوايا الحسنة، حقيقة، ولم يكن ذلك وفقًا لعقد، ولهذا، فلم أعرف ما حدث بعد ذلك...".

وقت لطيف

كانت مودى تعمل لدى ممثلة فى المسرح الشعرى، فى هامرسميث. كانت معدة لرحلة على مدى ساعة إلى هناك ، وساعة أخرى لكى تعود من هناك، لأن هذه المرأة كانت مرحة جدًا وضحوكة ودائمًا ما تلقى النكات. "كانت تعيش وحيدة، بلا رجل، ولا أطفال، وكانت تعمل. أوه، إنهن يعملن كثيرًا، هؤلاء الممثلات المسكينات، واعتدت أن أجهز لها طعام العشاء، كانت فقط تضعه فى الفرن، أو أعد لها طبقًا كبيرًا من السلاطة فى طبق، وأعد لها المدفأة، وأعود للمنزل وأنا أفكر كيف ستشعر بالسعادة حينما تدخل إلى منزلها وترى كل شىء جميلاً جدًا. فى بعض الأحيان، بعد حفل مبكر، كانت تقول، اجلسى يا مودى، شاركينى طعام العشاء، لا أعلم ماكنت سأفعل بدونك. وكانت تخبرنى بكل شىء عن المسرح. لم تكن نجمة، كانت ما يطلق عليه ممثلة شخصية. حسناً، لقد كانت شخصية جيدة بالفعل. ثم ماتت. كيف ماتت؟ كنت حزينة جدًا، ولم أرد أن أعرف السبب. كان موتًا مفاجئًا. وصلتنى رسالة فى يوم من الأيام، وكان فحواها، أنها ماتت، فجأة. ولهذا فلم أعد ثانية، برغم من أننى كان لى مال مستحق".

"متى كان ذلك؟"

لأننى كنت أحاول طوال الوقت أن أكون ما يشابه خريطة لحياتها.

"متى؟ أوه ، لقد كان ذلك بعد الحرب. لا، الحرب الأخرى، الحرب الثانية".

مودى لا تتحدث عن الحرب الأولى بوصفها حربًا. كانت تشعر بالإعياء بسبب قلقها على جونى، لأنها ظنت أن زوجها قد يكون فى الحرب، وأين كان جونى؟ ذهبت "إلى الجيش" وسألت، "هل يعرف أحد شيئًا عن لورى فاولر؟ وقالوا، ولكن من أى جهة من البلاد جاء؟

"كنت يائسة جدًا، جثوت على ركبتى. لم أكن أعلم أنى سأفعل ذلك، ولكن، هأنا هناك، وكل هؤلاء الضباط من حولى. قلت، أرجوكم، أرجوكم. كانوا يشعرون بالارتباك، وأنا لا ألومهم. كانت دموعى تتساقط مثل نهر. قالوا، سنرى ما نستطيع أن نفعله. سنعلمك بالأمر.

"وبعد وقت طويل، وكنت أنتظر كل زيارة لساعى البريد، وصلتنى بطاقة: لم نستطع تعقب لورانس فاولر. وكان السبب، لأنه التحق بالجيش من اسكوتلاندا، وليس من إنجلترا، لأنه كانت هناك امرأة فى اسكوتلاندا، كان يريد الهروب منها".

هذا إذًا ما حدث خلال شهر من زيارة، مكتوبًا! ولكن ماذا عن ذلك المساء حينما قلت لنفسى، إننى

متعبة جدًا، متعبة جدًا، لا أستطيع، ولكننى ذهبت إليها فى النهاية. كان ذلك بعد الوقت المعتاد بساعة. وقفت خارج ذلك الباب المنهار،مهتاجة قليلاً بعينين زرقاوين متوهجتين.

"ماذا تريدين؟"

"أنا هنا لزيارتك"

صرخت فى وجهى، "ليس لدى وقت، و الجرجرة خلال هذا الممر، وإحضار الفحم، هو أمر سيئ بما يكفى".

قلت لها، ، وأنا أستمع لنفسى ببعض الدهشة، إذًا، فلتذهبى للجحيم، يا مودى،" ورحلت دون أن أنظر للخلف. حدث ذلك، بدون غضب حقيقى من جانبى، وكأننى أقرأ سطورًا من مسرحية تقريبًا. ولم أكن قلقة أيضا تلك الليلة، ولكننى قمت باستغلال هذا الوقت الإضافى استغلالا جيدًا، وأخذت حمامًا حقيقيا.

فى اليوم التالى، فتحت لى الباب بعد الدقة الثانية، وقالت، "ادخلى"، وهى تقف جانبًا، ووجهها مقلوب وتعس. قالت فيما بعد: "ليس عليك أن تأخذى تفاهتى بجدية".

"أجل ، يا مودى، بالطبع، إنى آخذ الأمور بجدية، إن قلت شيئًا، فعلى أن أصدق ما تقصدينه".

وبعد أيام قليلة، كانت صارمة وصامتة، "ما الأمر يا مودى؟"

"لن أفعل، لن أترك هذا المكان، لا يمكنهم أن يجبرونى على ذلك".

"من هو هذه المرة؟"

"هى قالت ذلك"

"من هى؟"

"و كأنك لا تعلمين"

"أوه، إذًا ستعودين لهذه الطريقة، إذًا. إننى أتآمر ضدك!".

"بالتأكيد أنت متآمرة، كلكم متآمرون".

كنا نصيح فى وجه بعضنا البعض. إننى لست خجلة مطلقًا مما فعلت، على الرغم من أننى لم أتعارك بهذا الشكل، منذ أن كنت طفلة: تعاركت بدون إحساس بالضغينة أو الانفعال، حتى باستمتاع ما. على الرغم من أننى أعرف أنه ليس أمرًا مسليًا بالنسبة لمودى. إنها تعانى بعد ذلك.

"و لكن، هل هناك شخص ما رأيته، إذًا؟"

" أجل"

"ما اسمها؟"

بنظرة زرقاء متوهجة، قالت، "روجرز، بودجرز، بلودجرز، اسم مشابه لذلك"، وبعد قليل،" إنهم لن يفلحوا فى إخراجى من هنا، هل يمكنهم؟ هذا المنزل مملوك من قبل أفراد؟ "

استقصيت الأمر. لو أن الشقة محل نزاع، فإن عليها أن ترحل، بأى معيار سكنى معاصر، سيكون هناك نزاع حولها. طبقًا لأى معيار إنسانى، ينبغى أن تبقى حيث تعيش. أريد أن أتصل بالسيدة روجرز. أعرف أن بإمكانى أن أتصل بـ"الرفاهية" وأسأل، ولكن لا تسير الأمور بهذه الطريقة ـ أوه، لا، يجب أن تدع الأمور تسير بطريقتها الخاصة، يجب أن تلتقطى شيئًا ما فى الوقت الصحيح.

مرة أخرى وجدت السيدتين اللتين كانتا فى انتظارى فى اليوم السابق. السيدة بولز والسيدة بيتس. كومتان من المعاطف والإيشاربات، ولكن قبعتيهما كانتا مزينة بالورود والشرائط الملونة. إنه الربيع.

"أوه، إنك تتجولين هنا،" قالت السيدة بيتس، وكيف حال مودى فاولر؟"

"إنها على الحال نفسها"

"كانت السيدة روجرز تسأل عنك، " قالت.

" هل تعرفين ما الأمر؟"

"أوه، إنها كانت دومًا جيدة حقًا، السيدة روجرز، تتجول مثلك تمامًا".

هكذا تسير الأمور. الآن أنتظر أن أواجه السيدة روجرز فى مكان ما.

انقضت خمسة أسابيع أخرى. لم يتغير شىء... وبرغم ذلك كان يتعين حدوث شىء ما. الحال ذاته فى

المكتب، مع جويس، الحال ذاته مع مودى. ولكننى التقيت فيرا روجرز. على الرصيف، كانت تتحدث مع نساء عجائز كن ينادين عليها، التفتت، ابتسامة شغوفة ودودة، فعبرت الطريق لتكون الآن بجوارى. هى فتاة صغيرة الحجم ونحيفة. كنت فى الواقع أنتوى أن أكتب : مقاس ١٢ . متى سأتوقف عن التفكير فى الناس أولا بلغة ما يرتدونه؟ سألتنى فيليس مؤخرًا، ما هو شكل أختك، و قلت، إنها ترتدى بدلا لطيفة من الجيرسيه وأحذية مناسبة وترتدى الكاشمير. ضحكت فيليس تلك الضحكة بالضبط التى ضحكتها عليها منذ عام مضى فقط.

وقفت فيرا أمامى على الرصيف الذى تجتاحه رياح، وهى تبتسم ابتسامة تنم عن الاعتذار والشغف. عينان بنيتان ودودتان. أظافرها مطلية بلون وردى ولكنها مقصفة. أجل، بالطبع، هذا ينم عن شىء بداخلها. إنها تعمل كثيرًا. ملابسها من سوق جايجر، لطيفة ولكنها ليست مثيرة. عرفت أنها هى، "المقصودة". لم تكن هناك حاجة كبيرة للبدايات. قالت، "أجل أحب كثيرًا أن أتحدث معك عن السيدة فاولر،" قلت، "إنها مرتعبة من أنهم سيجبرونها على تغيير المنزل،" قالت: "أجل ولكن يمكننا أن نتجنب هذا الأمر قليلاً؟". قلت،" وفى تلك الأثناء، ما قد يساعدها كثيرًا هو تناول الوجبات على كرسى متحرك" قالت: "إنها نشيطة، كما ترين، يمكنها أن تقوم بأشياء، إنها غير مؤهلة لذلك فى الحقيقة...

ولكن إن كنت تظنين..." قلت: " إنها لم تعد تستطيع أن تطهى لنفسها، كما تعرفين، إنها تعيش على القليل من الطعام".

بدأت تضحك. قالت، "يجب أن أقول لك شيئًا مضحكًا حقًا، حدث لى الأسبوع الماضى. ذهبت لرؤية واحدة من الحالات التى أشرف عليها، إنها فى الرابعة والتسعين. إنها صماء، تعانى من آلام موجعة، ولكنها تقوم بكل شىء لنفسها، إنها تطهو، تنظف، وتتسوق. كنت هناك، أراقبها وهى تعد الغداء. قطعة من اللحم، كرنب مطهو فى الصودا، ثم كيكة بالكريمة. قلت لها، ألا تأكلين أبدًا أى طعام طازج، سلاطة، أو فاكهة؟ ماذا؟ صرخت فى وجهى".

كانت فيرا تشعر بسعادة وهى تروى لى هذه القصة، ولكنها كانت قلقة أيضًا، فى حالة ألا أجد ذلك مضحكًا، ولمست ذراعى مرة أو مرتين، وكأنها تريد أن تقول، أوه، أتمنى أن تضحكى.

" يجب أن تأكلى الفاكهة و الخضراوات، صرخت فى وجهها. أنت بحاجة إلى الفيتامينات. كل مرة سآتى لرؤيتك، لا أرى أى أثر للون الأخضر، أو تفاحة أو برتقالة. وقالت، ماذا، ماذا، ماذا؟ على الرغم من أننى أعلم أنها تستطيع سماع صوتى، ثم حينما أعدت كلامى، قالت، قلت لى كم هو عمرك، يا عزيزتى؟ ثم فكرت فى كل آلامى وأوجاعى، وكنت أتناول كل الأشياء الصحيحة منذ أن كنت طفلة".

وهكذا ضحكنا، وبدت مرتاحة.

"يجب أن أذهب للبيت من أجل الرجل العجوز،" قالت. "سأعد أمر الوجبات على الكرسى المتحرك. ولكن إذا استطعنا أن نحصل على وقت قصير، يمكن أن يكون بيننا حديث حقيقى". ومضت تركض عبر الشارع لتركب فولكس فاجن صفراء واختفت بمهارة فى زحام المرور.

تشعر مودى بالسعادة الغامرة إزاء الوجبات التى تصلها ظهر كل يوم، على الرغم من أنها ليست جيدة جدًا. فهى، ثقيلة ، بطيئة الهضم، وغير مطهية جيدًا.

أدركت كم هو ثقيل كل شىء بالنسبة لها. أجل، كنت أعلم ذلك من قبل، ولكنها لم تكن، أوه، لا، ليست هى !".

"هل سألتها؟" قلت.

"ما الفائدة، سألت بما يكفى، ولكنهم قالوا إنى بحاجة لمساعدة منزلية".

"أجل، أنت تحتاجين لذلك بالفعل".

"أوه، حسناً، هكذا الأمر إذًا، قولى ما يدور بذهنك ! لقد كنت أعتنى بنفسى من قبل وأستطيع الاستغناء عنك".

"أوه، إنك صعبة المراس، يا مودى. ما المشكلة فى المساعدة المنزلية؟"

"هل جربتها يوما؟"

عند هذه الكلمة ضحكت، ثم ضحكت هى.

الآن نحن تقريبًا فى الصيف.

ما حدث منذ أن جلست آخر مرة لكتابة مذكراتى البائسة هذه؟ و لكنى لا أريد أن أترك هذا الأمر.

قابلت فيرا روجرز مرات عديدة، وتحدثنا ونحن نقف على الرصيف، ومرة واحدة اختلسنا نصف ساعة فى أحد المقاهى. كنا نتحدث بإيجاز شديد، فلم يكن لدينا وقت.

فى إحدى المرات سألتنى كيف ارتبطت بمودى هكذا، وحينما سمعت، قالت، بإيماءة، " كنت أتمنى أن تكونى جارة طيبة بالفعل، لأننى أعرف شخصًا ما قد يوافق على جارة طيبة. إنها صعبة، ولكنها وحيدة".

كان ذلك طلبًا، وضعته برقة وبارتباك، ولكننى قلت إن مودى تكفى.

"أجل بالطبع، إنها تكفى،" قالت فى الحال.

قلت لها ما أقوم به من عمل، ثم كان ينبغى أن أقول لها ما السبب. وكأننى أنا نفسى أفهم السبب! لماذا أنا مرتبطة بمودى فاولر بهذا الشكل؟ ولكننى قلت فحسب، "إنى أحبها، أحبها بالفعل."

"أوه، نعم، إنها رائعة، أليس كذلك؟"، قالت فيرا بدفء. "و بعضهم تودين خنقه. اعتدت أن أشعر أننى شريرة حينما بدأت هذا العمل، كنت أعتقد أن علىّ أن أحبهم جميعاً. وبعد ذلك، حينما أضطر لمجالسة امرأة

عجوز عنيدة لمدة ساعة، ولا أستطيع الذهاب إلى أى مكان، كنت أجد نفسى أفكر، يا إلهى، سأضربها فى يوم من الأيام، سأفعل".

"حسناً، لقد ساورنى الشعور ذاته إزاء مودى فى أوقات كثيرة".

"أجل، و لكن هناك أمر آخر"

"أجل، أنت محقة".

قلت لمودى كم تحبها فيرا، ولكنها حبست مشاعرها فى قناع مشدود وغاضب، فسألتها " ولكن، لماذا يا مودى؟"

"إنها لم تكلف نفسها مشقة لتساعدنى .

"ولكن، كيف يمكنها ذلك إن لم تخبريها بما تريدينه؟"

"كل ما أريده أن تتركنى و شأنى"

"هأنت الآن، أترين ما تقولينه"

"أجل، هأنا وحيدة، فيما عدا وجودك أنت".

" ليس لفيرا روجرز شخص واحد لتزوره، فى بعض الأحيان تزور عشرة أشخاص أو أكثر فى اليوم الواحد، وهى دوماً ما تنظم الأمور وتنفذ أشياء عبر الهاتف. إنى أراك كل يوم، ولهذا أعرف ما تريدين".

قالت، "سيكون عليهم أن يحملونى وأنا أصرخ فى وجوههم،".

"إنها تقف فى صفك، إنها تحاول أن تمنعك من الانتقال"

"هذا ما تقوله لك. لقد جاءوا هنا مرة أخرى اليوم"

"من؟"

"هل تعلمين ما قاله، ذلك اليونانى؟ قال يمكنك أن تبقى فى غرفة واحدة، وسنتولى أمر الغرفة الأخرى، ثم حينما ننتهى من ذلك، يمكنك أن تتحركى فى المكان. أنا، فى كل هذا التراب و الفوضى. ويستغرق الأمر منهم شهورًا لكى يطوروا المكان".

"إذًا، لابد أن هذا هو مالك المنزل، أليس كذلك؟"

"أجل، هذا ما قلته. إنهم يتكاتفون مع بعضهم جميعًا فى هذا الأمر

عند محل الرجل الهندى، كنت أتجول حتى قال المالك، السيد باتل،" لقد خرجت السيدة فاولر للشارع بالأمس، كانت تصرخ وتصيح".

"أوه، حقًا؟ ماذا كانت تقول؟"

"كانت تصرخ قائلة، لم يكن أحد منكم بجوارى ليجلب لى ماء ساخنًا، حينما كان لدى طفل رضيع، لم يهتم بى أحد حينما لم يكن لدى طعام لأطعم وليدى. لقد عشت حياتى كلها بدون ماء ساخن من الصنبور، بدون حمام، وإن عدتم ثانية سأطلب الشرطة".

قال السيد باتل كل ذلك ببطء، بينما تعكس عيناه المعبرتان قلقًا حقيقيًا، ولم أجرؤ على أن أبتسم. أبقى

عينيه على وجهى، جادتان ومعاتبتان، "حينما كنت فى كينيا، قبل أن يتوجب علينا الرحيل، ظننت أن كل من فى هذه البلاد هم من الأغنياء".

"الآن، أنت تعلمين الأمور بشكل أفضل".

ولكنه أراد أن يقول شيئًا آخر، شىء مختلف. انتظرت والتقطت علبة بسكويت، ثم أعدتها، واستبدلتها بعلبة طعام للقطة.

وفى النهاية قال بصوت خفيض، "ما دامت معنا، لن نسمح بواحدة من المسنين الذين يقطنون معنا أن يعيش مثل تلك الحياة. ولكن الآن، الأمور تتغير بالنسبة لنا".

شعرت أننى أنا شخصيًا أود أن أعتذر. فى النهاية قلت، " يا سيد باتل، لم يعد هناك الكثير من أمثال السيدة فاولر"

"يجيئنى ستة، أو سبعة منهم كل يوم إلى متجرى. كلهم مثلها، وليس لديهم من يعتنى بهم. وأنا فى النهاية متجر واحد".

يبدو وكأنه يتهمنى. إنه يدين ملابسى، أسلوب ارتدائى لها. لا مكان لى فى مثل هذا المتجر الصغير. ثم، لأنه شعر بأنه قد أخطأ معى، أخذ قطعة من الكيك من فوق الرف، النوع الذى تفضله مودى، وقال، "اعطيه لها".

تلتقى عيوننا مرة اخرى، هذه المرة بشكل مختلف: نحن مرتاعون، مرتعبون، إن الأمر شاق جدًا بالنسبة لنا.

كان ذلك منذ ثمانية أيام

قد تذهب جويس بعد كل ذلك إلى الولايات المتحدة. لقد قامت صديقته بإجهاض نفسها، غضب الزوج بسبب ذلك كثيرًا: كان يريدها أن تحتفظ بالجنين. كان لديه نوع من الانهيار العصبى، وكانت جويس تهدئ من روعه. استمر ذلك لأسابيع.

حينما قالت لى:

"يبدو أنه كان يشتاق أن نرزق بطفل".

"هل كنت تعرفين؟؟"

"حسناً، كنت أعرف أنه لن يمانع، ولكن لم أكن أدرى أنه كان يهتم بهذا الأمر كثيرًا".

"وإن كنت عرفت؟"

"أجل، أعتقد أننى كنت سأفعل ذلك"

" إذًا أنتما الآن تلومان المرأة الأخرى؟"

"أجل"

تتأرجح سيجارة فى فم جويس، عينان مزمومتان، وهى تمسك الصور وترفعها لأعلى، واحدة تلو الأخرى، أجل، حتى هذه الصورة. ليست تلك الصورة. صبغت شعرها مجددًا، ولكن بمظهر مترب.لا تعتنى جيدا بيديها. إنها تبدو فى الخمسين من عمرها. أمر غريب قد أصابها، تبدو ملامحها كساحرة شريرة. قلت لها: "جويس، ينبغى أن تغيرى طريقة ارتدائك

لملابسك، إنه يدل على شابة صغيرة"، وقالت: "حينما أعرف إن كنت سأذهب أم لا، سأعرف أيها سأختار، ألن أفعل؟"

جويس دومًا على حافة البكاء. كلمة، مزحة، طبقة صوت - إنها ستدير رأسها بحدة، تضم عينيها، تحدق فى وجهى، فى فيليس، فى أى شخص، الدموع تترقرق. ولكنها تنثرها بعيدًا، وتتظاهر بأن لا شىء هناك. بينى أنا وفيليس كان هناك ذلك الشىء غير المنطوق: نراقب كل مقطع، كلمة، اقتراح، حتى لا تخون جويس نفسها بشكل مفاجئ، وتبدأ فى البكاء.

فيما بعد. كم مضى من الوقت؟ نسيت.ربما بعض الأيام.

قالت لى جويس اليوم إنها قالت لجاك، إن مشكلتك هى، أنك تريد أن تنقل هذا الوضع معك إلى الولايات المتحدة. البيت، الأولاد، الزوجة المريحة العاطفية - والصديقة أيضًا، فى مكان منفصل. إنك لا تستطيع الاختيار. هذا يفسر لم تبدو مريضًا هكذا.

وأجابها بأنها بلا قلب و باردة.

حدث ذلك قبل أربعة شهور من رحيله. كان ينبغى أن يبلغهم هناك، إن كانت هناك زوجة أم لا، إن كان هناك أطفال أم لا.

"ربما سينتهى الأمر بأن يذهب بمفرده" قلت بلهجة تنم على التأمل، متناسية حرصى على عدم إغضابها.

أدارت رأسها بتلك الطريقة السريعة المذهلة التى لديها الآن، تميل إلى الأمام غاضبة، تحدق فى وجهى. صديقتى القديمة جويس، إنها على بعد آلاف الأميال، فى مكان مظلم، و هى تحدق فى وجهى تفكر، من تلك البلهاء المتهالكة؟

"وحده!" قالت، بصوت سريع لناظرة مدرسة.

"و لم لا؟"

"هناك شىء مفقود فيك، دائمًا ما كنت أقول ذلك،" قالت ببرود، محاولة إبعادى عنها.

"أو ربما هناك شىء مفتقد فيك أنت"

حكيت لها عن مودى فاولر، التى عاشت حتى الآن لمدة تقارب الستين عامًا. نهضت جويس وأنا أتحدث، التقطت حقيبتها، حقيبة أوراقها، جمعت أشياء من مكتبها.

"كيف تعرفت عليها؟"

قلت لها، و أنصتت جويس.

قالت فى النهاية، "الشعور بالذنب". "الذنب، إن أردت أن يتملكك، فهذا شأنك".

كانت فى طريقها إلى الباب. قلت، "جويس أريد إخبارك بهذا الأمر، بشكل مناسب، أريد حقًا. أريد أن أتحدث عن هذا الأمر".

قالت، "حسناً، ليس الآن".

إنه الصيف. لم أر منه الكثير.

متى مرضت جويس؟ يبدو أن الأمر قد تجاوز الشهر الآن. الحقيقة هى أننا ارتحنا جميعًا، لأن الحقيقة أصبحت واضحة بشكل رسمى. كنت ألهث من الصباح للمساء. فى المستشفى، هذا المشهد: زوج جويس، الطفلان عاهرة الزوج السابقة، وصديقها الجديد. ترقد جويس على ظهرها، وتنظر إليهم كلهم من داخل ذلك المكان المظلم الذى توجد فيه، تبتسم حينما تتذكر. الآن، يريدها أن تذهب إلى أمريكا، ولكنها تقول إنها ليست لديها طاقة لتفكر فى ذلك. ولكنها بالطبع ستذهب.

بسبب كل ذلك، لم أكن أبقى لوقت طويل لدى مودى، على الرغم من أننى لم أفوت يومًا واحدًا. إنها تفهم السبب، حكيت لها. ولكن ما تشعر به هو أننى أخذلها. أجلس هناك، محاولة ألا أنظر فى ساعتى، وهى تتذكر فقط الأشياء السيئة. أقول: "أخبرينى عن اليوم الذى ذهبت إلى هيث مع جونى، ووجدت الكريز الأسود وصنعت منه كعكة؟" ولكنها أطرقت، وجلست تفرك أصابعها المتشققة تلك لأعلى وأسفل تنورتها المتسخة. ثم حكت لى...

أختها، بولى، التى كان لديها سبعة أطفال، كانت دومًا ما تستدعى مودى لكى تراعى أطفالها. كانت مودى تشعر بالسعادة، حتى أنها كانت تتخلى عن أية وظيفة لديها، وتخصص وقتها لأختها، وتعتنى بكل شىء لأسابيع، ولشهور لأكثر من مرة. ثم، قالت مودى، كان الأمر مشابهًا دومًا، كانت الأخت تشعر بالغيرة،

لأن مودى أحبت الأطفال وأحبوها. ولكنها أفلحت فى أن تجد عذرًا لتقوله: إنك تحولين أطفالى ضدى، إنك تسعين إلى الوصول لزوجى. أهذا من المحتمل، قالت مودى، إنه أمر مجنون! يا لها من أسرة بخيلة. لقد كان زوجها يلقى الطعام لى باستياء شديد، وكنت أتناوله وأنا أعمل مثل العبيد. كان يقول، لو وضعت قطعة صغيرة من اللحم فى طبقى، فإن علينا أن نشترى قطعة إضافية من اللحم يوم الأحد بينما تشرفنا مودى بحضورها. بينما كنت أعمل ثمانى عشرة ساعة فى اليوم من أجلهم. بين كل ولادة وأخرى لم تكن مودى تسمع أى شىء من أختها ولكنها لم تكن قلقة: كان هناك طفل رضيع آخر، كنت أعرف ذلك، لأنه كان ينبغى عليه أن يفعل ما كان ينبغى عليه فعله.

تتحدث مودى الآن كثيراً عن الجنس، وأرى أنه كان أمرًا ضخمًا وبشعا بالنسبة لها، وهى لم تفهمه أبدًا ولم يتوقف عن أن يكون أمرًا معذبًا بالنسبة لها. إنها تقول زوجها، فى الأوقات التى كان لا يزال يعاملها كملكة، يقفز عليها مثل نمر، مثل كائن وحشى. تقول إنها لم تستطع فهم ذلك، فى لحظة يكون هادئًا لطيفًا، وفى اللحظة التالية ينشبون أظافرهم فى جسدك. زوجها كان يطارد امرأة تلو الأخرى، وكانت هى تأسف على حالها طوال حياتها: لماذا؟ لأن مودى نامت مع رجل واحد، زوجها البشع. إنها تعرف أن هناك نساء يفضلن ذلك، وهى تنظر إلىّ بينما

تتحدث، بحس ما من التحفظ و الاختلاف، لأننى قد أتضايق لو علمت أنها كانت تتساءل إن كنت "من هذا النمط".

بالرغم من ذلك، كانت لديها تجارب أخرى. كانت تعيش فى الطابق العلوى لبضع سنوات، كانت هناك امرأة أصبحت صديقتها و تلك المرأة كانت تحب "ذلك الأمر". اعتادت أن تخبر مودى كيف أنها كانت تنتظر اليوم كله حتى يجىء الليل، لأن حياة أخرى تبدأ ليلا، وكانت حياتها الحقيقية. قالت لى مودى، "قالت لى حينما ينتهيان من كل ذلك، كان عليها أن ترقد خلف ظهره، حتى يمكنها أن تمسك بشيئه. ذلك الشىء،" صاحت مودى، كادت أن تعول مشمئزة، متعجبة، غير مصدقة. "أجل كان ذلك ينم عن الاحترام، قالت لى" وكانت مودى تجلس هناك، مندهشة، بعد مرور ثلاثين أو أربعين عامًا من التفكير فى هذا الأمر. على نحو مفاجئ لم أكن لأمنحهم كل هذا الرضاء، إنها العصا التى يضربونك بها!".

ثم ضحكت (ولم أكن مرتاحة مطلقًا، أفكر فى أفكارى الخاصة، لأن ذلك على ما يبدو قد قام بتلخيصها، بغض النظر عن حياتنا الجنسية الرائعة، أنا و فريدى)، وقالت، "كنت أراقب وجهك. أستطيع أن أرى أنك تفكرين بشكل مختلف. ولكنى لم أفلح فى تغيير طريقتى تلك. والآن يتحدثون طوال الوقت، فى المجلات والجرائد طوال الوقت عن الجنس، الجنس،

الجنس، وفى بعض الأحيان أعتقد أننى أنا المجنونة، هل هم مجانين؟

ضحكتُ كثيرًا، ضحكت هى أيضًا. ولكنها ضحكة وحشية تعسة، ليست مطلقًا ضحكتها الطفولية التى أحب سماعها.

هذه هى قوة الـ - ؟ - تلك التى تجعل مودى تشير إلى زوجها البشع، حتى الآن، بوصفه رجلى. لقد رأته ست مرات فى نصف قرن. فى أحد الأيام، طرقات على الباب، و كان زوجها يقف هناك. ولكن هذا الرجل الشاب قال، "أمى؟ أنا ابنك جونى". "حسنًا، ادخل إذًا،" قالت، "لقد نسيت الأمر ، تعرف، لقد مرضت بالقلق. فى إحدى المرات، كان علىّ الذهاب للطبيب، وقال لى، يا سيدة فاولر، إما أن تجدى طفلك أو لا تفكرى به مطلقًا. كيف يمكننى أن أجده؟ قد يكون فى أمريكا أو تيمبوكتو ! و ببطء نسيته. ولهذا، فحينما ظهر ذات مرة - قائلا أنا ابنك جونى - أصبحنا صديقين، فقد شعرنا بألفة تجاه بعضنا الآخر، ثم بعد ذلك كانت الحرب. لقد أبلى بلاء حسنًا فى الحرب، كان مهندسًا، وتزوج من فتاة إيطالية، ولكن لم ينته الأمر نهاية طيبة، فقد رحلت مع رجل آخر، أتعلمين ما حلمت به الليلة الماضية؟ أوه لقد كان حلمًا بائسًا، سيئًا وكئيبًا. حلمت بأن هناك شجرة كريز رائعة، مثل شجرة الكريز التى كانت هنا خلف المنزل قبل أن تسقط إثر عاصفة قوية. كريز أسود كبير، ناعم، و لطيف، ومضىء. وأنا كنت أقف على

أحد جانبيه، وكان جونى المسكين يقف على الجانب الآخر، وكنا نحاول أن ننثنى، نقفز لنصل إلى الكريز، حاولنا مرارًا، ولكن لا فائدة من محاولة جذب الأفرع لأسفل، فإنها ترتد ثانية، ويظل الكريز بعيدًا عن أصابعنا... ووقفنا هناك، جونى وأنا، وكنا نبكى".

بعد أن أصبح جونى رجلاً ناضجًا بفترة طويلة، وبعد أن ذهب لأمريكا، حيث اختفى، وبعد أن تركها لورى بأربعين عامًا، بعد أن سرق طفلها، كتبت مودى خطابا لزوجها، طلبت منه أن يقابلها. تقابلا على مقعد فى متنزه ريجنتس.

قال "حسناً، ماذا تريدين؟"

"كنت أفكر فى احتمالية أن نبنى بيتًا لجونى" قالت له. شرحت أنهما قد يجدان منزلا ـ لأنها كانت تعرف أنه كان لديه مال دومًا ـ ونجعله جميلاً، ثم ننشر إعلانًا فى جريدة فى أمريكا للعثور عليه.

"هذا لأن جونى لم يكن لديه أبدًا بيت جميل،" شرحت لزوجها.

"وماذا قال؟"

ابتاع لى وجبة سمك للعشاء، ولم أره لمدة خمس سنوات تالية"

يوم ساحر أزرق ساخن

قلت لفيليس، "تولى أمر القيادة"، وركضت خارج المكتب، فليذهب للجحيم. ذهبت لمودى، ولما فتحت

الباب، قلت ببطء، ببطء، وأنا أرسم تكشيرة على وجهى، "سآخذك اليوم إلى المتنزه للترويح عن نفسك". حدقت فى وجهى، بغضب. "أوه، لا تفعلى،" قلت لها. "أوه، يا عزيزتى مودى، لا تفعلى، أرجوكى، لا تدعى نفسك للغضب، تعالى فحسب".

"ولكن كيف يمكننى ذلك؟" قالت،" انظرى إلىّ !"، ثم حدقت فى السماء متجاوزة رأسى. إنها زرقاء جداً وجميلة، وقالت، "ولكن...لكن...لكن..."

ثم على نحو مفاجئ ابتسمت. لبست معطفها الأسود السميك، قبعتها الصيفية، ريشة سوداء، ثم ذهبنا إلى مطعم روز جاردن. وجدت لها طاولة بعيداً عن الناس، بجوارها شجيرات وردية، وكومت كيكات الكريمة على صينية، وجلسنا هناك طوال فترة ما بعد الظهيرة. أكلت، وأكلت بطريقتها البطيئة تلك وهى تلتهم الطعام، وكأنها تقول، سوف ألتهم هذه فى جوفى بينما هى هنا.! ـ ثم جلست، جلست ببساطة وأخذت تجول بنظرها. كانت مبتسمة وسعيدة. أوه، الأعزاء، لقد استمرت فى الغناء، الأعزاء...إلى العصافير، إلى الورود، إلى طفل رضيع فى كرسيه الهزاز بجوارها. أستطيع أن أرى أنها كانت بجوار نفسها بفرحة عنيفة وغاضبة تقريبًا، هذا العالم الملون المضاء بوهج نور الشمس كان مثل هدية رائعة. لأنها نسيته، هناك فى ذلك القبو السفلى المرعب، فى تلك الشوارع الخالية من الحياة.

كنت قلقة بأن كل ذلك سيكون كثيرًا جدًا بالنسبة لها وهى بداخل تلك القوقعة السميكة السوداء، وكان الجو حارًا جدًا ومزعجًا. ولكنها لم ترد أن ترحل. جلست هناك حتى حان موعد إغلاق المطعم.

وحينما أخذتها للمنزل كانت تغنى برومانسية لنفسها وأخذتها إلى بابها، وقالت، "لا، اتركينى، اتركينى، أريد أن أجلس هنا وأفكر فى الأمر".

ما أثار انتباهى وأنا أراها هناك وهى فى ضوء الشمس الكامل: كم كان لونها أصفر. عينان زرقاوان مضيئتان فى وجه يبدو أنه مدهون بلون أصفر.

بعد ثلاثة أيام

مساء آخر رائع. ذهبت إلى مودى و قلت: "تعالى إلى المتنزه".

قالت فى ضيق: "لا، لا، لا اذهبى أنت، لا أستطيع".

"هيا يا مودى،" قلت " أنت تعرفين أنك تحبين ذلك بمجرد أن تصلى إلى هناك".

وقفت ممسكة بمقبض الباب، مستاءة و غاضبة ومنزعجة. ثم قالت: "لا، أوه هذا مرعب، مرعب، مرعب" وأغلقت الباب فى وجهى.

كنت غاضبة. كنت أفكر وأنا أقود السيارة متجهة لمنزلها، كيف أنها جلست فى حديقة الورود، وهى تغنى بسعادة. عدت إلى المكتب، وأنا غاضبة. عملت حتى

وقت متأخر. لم أذهب لمودى. شعرت بالذنب، وأنا أستمتع بانزلاق الماء الساخن على جسدى الذى يصنع منى امرأة جديدة: أخذت أنظر كيف أنها كانت تقف هناك، وهى تحاول الثبات على موقفها، وتسمع همهماتها، مرعب، مرعب...

مضى أسبوع ممل و بارد مرة أخرى. نهاية الصيف؟ تبدو لى مودى، ربما، مريضة حقًا؟ ...أعرف القليل للغاية عن المسنين! لأن كل ما أعرفه عنهم، أن كل تلك الأعراض طبيعية ! ما زلت أفكر بها من وقت لآخر، ولكنى منشغلة جدًا، مشغولة، مشغولة. إنى أركض إليها، على مدار اليوم، أقول لها، أنا آسفة يا مودى، لدى الكثير من العمل. فى الليلة الماضية ذهبت للمنزل فى وقت متأخر، ونمت فى كرسيها. فى هذا الصباح اتصلت بالمكتب وقلت إننى لا أشعر أنى بصحة جيدة. فى كل سنواتى هناك، أظن أننى لم أمرض سوى مرتين، ولم أتعطل عن العمل قالت فيليس، "حسناً، لا بأس. سأتولى أمر الجبهة!"

يوم مودى

إنها تستيقظ فى ثقل أسود خانق، لا تستطيع أن تتنفس، لا تستطيع أن تتحرك. لقد دفنونى حية، تفكر، وتصارع. انتقال الأثقال. أوه، إنها القطة، إنها جميلتى ، تفكر، وتسحبها. انتقال الأثقال، مرة أخرى، وتسمع صوت دقة والقطة تصل إلى الأرض. بيتى؟ تناديها، لأنها ليست متأكدة أنها بجوارها، إن المكان مظلم جدًا، وضلوعها صلبة جدًا. إنها تسمع القطة

تتجول فى المكان، وتعلم أنها على قيد الحياة. ودافئة... وفى السرير...أوه، أوه، تقول بصوت عال، ينبغى أن أذهب إلى الحمام، وإلا سأبلل الفراش ثانية. رعب! هل الفراش مبتل بالفعل؟ يداها تكتشفان السرير. تتمتم، مرعب، مرعب، مرعب، مرعب، وهى تفكر كيف منذ أيام قليلة، بللت الفراش وما تلا الأمر من انزعاج، وصعوبة أن تبقى الفراش جافًا.

ولكن يبدو الأمر و كأن يدها قد اختفت، لا تستطيع أن تشعر بها. إنها تقبض يدها اليسرى وتبسطها، لكى تعلم أن لديها يدين، وتنتظر أن تبدأ اليد اليمنى فى الارتعاش. يستغرق الأمر وقتًا طويلاً، ثم تجذب اليد اليمنى نصف المنملة من تحت الملابس وتستخدم اليسرى فى تدليكها كى تصحو. لا تزال لا تعلم إن كانت قد بللت الفراش. فى غالبية الأمر، تغوص ثانية فى سوادالفراش، سواد النوم، و لكن أعماقها تتحرك وتشم رائحة عطنة. أوه لا، لا، لا، تبكى، وهى تجلس هناك فى الظلام. تقول لا، بصوت مرتعب، لأنها تظن أنها قد تبولت فى الفراش. فى النهاية، بجهد و انزعاج كبيرين، قفزت من السرير، ووقفت بجواره، تستشعره لكى تعرف ما هناك. إنها لا تستطيع التأكد. تستدير، بحذر، محاولة أن تجد مفتاح الإضاءة. لديها بطارية بجوار الفراش، ولكن البطاريات أصبحت ضعيفة، انتوت أن تطلب من جانا أن تحضر لها بطاريات جديدة، ونسيت. تفكر، من المؤكد أن جانا ستبحث بنفسها، إنها تعلم كم أحتاج

البطارية! وجدت مفتاح الإضاءة، و أضاءت المكان..وبقلق اقتربت لتفتش الفراش، الذى كان جافًا. ولكن عليها أن تذهب إلى المرحاض. لم تستخدم المرحاض أبدًا سوى من أجل أن تبول. لابد أن تذهب إلى الحمام الخارجى. ولكن هناك قوة دافعة ساخنة مبللة فى أعماقها، وقد وصلت هناك فى الموعد المناسب. جلست هناك، تهز نفسها، تجثو على ركبتيها. مرتعبة، مرتعبة، لأن عليها الآن أن تأخذ الوعاء للخارج، وهى تشعر أنها مكتئبة جدًا، وبحالة سيئة.

جلست هناك لوقت طويل، متعبة جدًا، لا تقوى على النهوض. حتى أنها نامت قليلا. نملت مقعدتها. جذبت نفسها لأعلى، تبحث عن ورق. لا مناديل للحمام هناك، لأنها لا تستخدمها هنا. لا يمكنها أن تجد أى شىء لتستخدمه. فى النهاية، جاهدت للوصول إلى الدولاب، مقعدتها مبتلة تمامًا وكريهة، تجد ملابس داخلية قديمة، تمزق قطعة، و تستخدمها لتنظيف نفسها، وتغلق الغطاء على الرائحة ـ والأسوأ، لمدة وجيزة تسمح لنفسها بنظرة خاطفة خائفة، ترفض أن تدع عقلها يعترف بأن ثمة شيئًا خاطئًا فى كرسيها الخشبى. مرتعبة، تتمتم، تعنى الأشياء التى تتوالد فى أعماقها هذه الأيام، وتدفع الستائر ثانية بعيدًا عن النافذة.

إنه الضوء فى الخارج. ولكنه الصيف، قد يكون الوقت ما زال فى منتصف الليل. لم تستطع أن تتحمل

التفكير فى صعوبة أن تعود ثانية إلى الفراش، ثم النهوض منه ثانية. أدار منبهها الصغير وجهه عنها، لا تريد أن تعبر الغرفة لتصل إليه. جذبت شالاً قديمًا ولفته حول نفسها وتكومت فى الكرسى بجوار المدفأة المنطفئة. ليس ثمة عصافير بعدُ: تفكر، هل جاء الفجر ورحل، أم أننى فى انتظاره؟ تفكر، كيف أنها، كطفلة، كانت ترقد مع أخواتها فى الفراش فى كوخ السيدة العجوز فى أمسيات الصيف، وتستيقظ بسبب عنف حاد بسبب أصوات الفجر المتناغمة، ثم تنام مجددًا، تفكر فى اليوم الساخن التالى، اليوم الذى ليس له نهاية، كله لعب وسعادة ووجبات لذيذة متعددة.

وهكذا تخلد مودى للنوم، ولكنها تستيقظ، ثم تنام، ثم تستيقظ لبضع ساعات، فى كل مرة تتذكر أن تحرك يديها حتى لا يتصلبان كثيرًا. وفى النهاية تستيقظ على ضربات واهتزاز القطة حول ساقيها. المتصلبتان. إنها تختبر يديها. اليد اليمنى راحت مرة أخرى. باليد اليسرى تحنو على القطة، حيوانى الأليف الجميل، الجميل، الجميل، وباليمنى تحاول أن تفك وتثنى الأصابع حتى تصبح مكتملة ثانية.

الصباح...أوه، يا لصعوبات الصباح، مواجهة اليوم...كل مهمة و كأنها ثقل خاص به ...إنها تجلس هناك، تفكر، ينبغى أن أطعم القطة، ينبغى...ينبغى أن أقوم بذلك... وفى النهاية، تسحب نفسها لأعلى، قلقة، لأن ما بداخلها يهددها ثانية، ممسكة بمقابض

الباب، مساند الكرسى، توصل نفسها إلى المطبخ. هناك علبة من طعام القطة، نصف فارغة. تحاول أن تفرغها فى طبق، لا يريد أن يندلق. يعنى ذلك أن عليها أن تحضر ملعقة. طريق طويل بعيداً، فى الحوض، تكمن ملاعقها وشوكاتها، إنها لم تغسل الصحون منذ أيام. تلتقط طعام القطة بأطراف أصابعها، كرمش وجهها ـ هل تنبعث منه رائحة ربما؟ جعلت الطبق يسقط من ارتفاع صغير ليقع على الأرض، لأن الانحناء للأمام يجعلها تشعر بالغثيان. تلك القطة تشمشم فى الطعام وتمضى، مطلقة مواءً قصيراً. ترى مودى أن هناك أطباقا صغيرة تحت الطاولة، عظم جاف و فارغ. تحتاج القطة إلى لبن، تحتاج إلى ماء، ببطء ببطء تتجه مودى إلى الحوض، تخرج من طبق صغير متسخ، لم تكن لديها طاقة لتغسله، أو تجعل المياه تجرى فيه. وجدت نصف زجاجة من الحليب. هل تسرب منها؟ إنها تشمشم. لا. بشكل ما جلبت الطبق على الأرض، وهى تتشبث بالطاولة و تقترب من السقوط. تشرب القطة الحليب كله، وتعرف مودى أنها جائعة.

تحت الطاولة لا توجد الأطباق الصغيرة فحسب، واحدة، اثنتان، ثلاثة، أربعة، خمسة ولكن أيضًا الفوضى التى صنعتها القطة. ذكر هذا مودى بأن عليها أن تدع القطة تخرج. تحركت جاهدة صوب الباب، أخرجت القطة وأسندت ظهرها على الباب، أخذت تفكر. تخطيط عام لحملة لا يمكن أن يستخدم

ذكاء أكثر مما تفعل مودى، حيث إنها تفوق ذكاء على ضعفها وتعبها المرعب. إنها بالفعل عند الباب الخلفى: الحمام على بعد خمس خطوات، لو أنها ستذهب الآن ستدخر رحلة فيما بعد...أدخلت مودى نفسها إلى الحمام، استخدمته، تتذكر أن هناك وعاءً مملوءًا بالوسخ تنبعث منه الرائحة فى غرفتها، بشكل ما تدخل نفسها فى الممر المؤدى إلى غرفتها، بشكل ما تخرج الوعاء من تحت القاعدة العلوية المستديرة، وبشكل ما تجلب نفسها هى والوعاء إلى المرحاض. نثرت قليلا وهى تفرغه، و، تنظر، تشم، على عقلها أن يعترف أن هناك شيئًا ما خاطئ جدًا. ولكنها تفكر، طالما أنها (تقصد جانا) لا ترى ما أصنع، فلن يعرف أحد. ولن يخرجونى من هنا...

حينما فرغت من كل ذلك بدا لها أن وقتًا طويلاً قد مضى، على الرغم من ذلك تعلم أن الوقت مازال مبكرًا، لأنها لا تستطيع أن تسمع هؤلاء الشياطين الأيرلنديين المزعجين. تحتاج بشدة إلى كوب من الشاى، لقد بذلت كل طاقتها مع القطة.

تقف بجوار طاولة مطبخها، تتشبث بها، تفكر كيف ستحمل الشاى الساخن المتوهج إلى الغرفة المجاورة، ولكن الشاى الساخن يجعلك تركضين، لا، الأفضل أن أضيف اللبن البارد. وضعت اللبن البارد فى الكوب. هذه هى نهاية اللبن. إنها تحتاج إلى: لبن، مناديل ورقية للحمام، طعام القطة، كبريت، شاى، ومن المحتمل الكثير فوق ذلك، إن كانت تستطيع أن تفكر فى كل ذلك.

ربما ستأتى جانا فى الحال و ...

تنظر بلا تعاطف إلى الفوضى التى أحدثتها القطة، التى تبدو لها مثل طريق طويل منحدر، تقيسها فى رأسها بالحاجة لأن تنثنى للأمام، وتفكر، جانا سوف...

تنهض بنفسها وباللبن وتذهب للغرفة المجاورة. تجلس. ولكنها تشعر بالبرودة الآن، سواء كان الجو صيفا أم لا. تجلس على كرسيها القديم ذلك، لدى الضيق البارد، وتستشعر السخونة المتسرية منها. ينبغى عليها أن تشعل المدفأة. هل ينبغى عليها أن تضع الوصلة الكهربائية؟ ولكنها تستهلك الكثير من الكهرباء، إنها فقط توازن احتياجاتها بما يتناسب مع معاشها. فى النهاية تواصل صراعها وتضع وصلة الكهرباء. للغرفة ذلك الوهج الأحمر المنبعث من المدفأة، يبدو أن ساقيها الآن تنفكان وتصبحان كساقين حقيقيتين. إنها تجلس هناك وتحتسى اللبن، وتتمتم مرعب، مرعب، مرعب. ثم تنساق إلى حلم بأن جانا أخذتها إلى منزلها وتعتنى بها. إنها تمتلك هذا الحلم، ، تدلله وتبالغ فى الاعتناء به، تسحبه للخارج وتضيف إليه كلما جلست هناك مع نفسها، وتعرف أنه لن يتحقق. لا يمكن أن يتحقق. لكن لم لا؟ لقد كان من المستحيل أن تندفع جانا بالشكل الذى قامت به، من سيفكر فى أن يقوم بذلك أبدًا؟ ثم كيف تدخل وتخرج، بنكاتها، وورودها والكيك والأشياء التى تجلبها، كل ما تقصه عما يدور فى مكتبها، من المحتمل أنها تختلقه،

على كل حال، كيف يمكن لامرأة عجوز مسكينة، أن تعرف إن كانت جانا قد اختارت أن تزين كل ذلك قليلا؟ فلماذا لا يحدث إذًا أمر مستحيل آخر، كأن تأخذها إلى شقة جميلة دافئة، هناك حيث سيتم الاعتناء بها، وتحجز الأشياء من أجلها...

أو أن تأتى جانا إلى هنا وتعيش. هناك تلك الحجرة فى الناحية المجاورة...هذا ما تحتاجه مودى حقًا. إنها لا تريد أن تترك هذا المكان. احصل لنفسك على مكانك الخاص ولا تتركه ينفلت منك، تكرر مودى هذه العبارة كلما تم إغراؤها بالكلام ـ مثل الآن ـ أن تترك هذا المكان وتذهب للعيش هناك، تعتنى بها، وكيف أنها حينما تستيقظ فى المساء، وحيدة و مرتعبة وكأنها فى القبر، يمكنها أن تنادى، وتسمع جانا وهى تجيبها.

ولكن سرعان ما دفعتها قواها الداخلية للنهوض. على الرغم من أنها أفرغت الوعاء، فإنها لم تقم بغسله، إنه يثير اشمئزازها. ولهذا فهى تذهب إلى الحمام فى الخارج، تدخل القطة، التى تنتظر وتذهب إلى الطبق الممتلئ بطعام ذى رائحة، تزدريه، وتدخل الغرفة بصبر مع مودى. من، وقد نهضت من مكانها الآن، سيقرر أن يشعل المدفأة. يستغرق الأمر منها أكثر من ساعة، التعثر فى الممر من أجل أن تجلب الفحم، التعثر عائدة، تجميع بقايا الفحم المحترق، إشعال المدفأة. نفخت فيه نفخات صغيرة ومضمحلة، لأنها تكون دائخة، ولهذا فإنها تأخذ وقتا حتى تشتعل.

ثم تجلس مرة أخرى، مشتاقة لكوب من الشاى، ولكنها تنكره على نفسها، لأنها قبل أى شىء آخر ترتعب مما تطالب به أعماقها. تفكر، أن الوجبات الجاهزة ستكون هنا فى الحال...الساعة الحادية عشرة فحسب، على الرغم من ذلك. ربما يأتون مبكرًا اليوم؟ إنها جائعة، جائعة جدًا، إنها لا تستطيع الآن أن تميز بين قرصات جوعها ورغبتها فى أن تذهب إلى الحمام. قبل السيدة المرحة التى تجلب الوجبات الجاهزة، ضربات قوية على الباب من الداخل والخارج، مرحبًا، سيدة فاولر، هل أنت بخير؟ ـ كان عليها أن تخرج للمرحاض مرة أخرى.

الوقت مبكر. الساعة الثانية عشرة ونصف فحسب. فى الحال تأخذ مودى العلبتين الملفوفتين إلى الطاولة، وبصعوبة تنظر إلى ما بداخلهما، وتأكل كل شىء. تشعر بتحسن كبير. تفكر، أوه، لو تأتى جانا الآن، وإن قالت تعالى إلى المتنزه، فلن أثور فى وجهها، أحب أن أذهب، ولكنها تنظر من النافذة وترى أن الجو ممطر. ياله من صيف، تتمتم. تقف القطة على الطاولة تشمشم فى العلبتين الفارغتين، وتشعر مودى بالاشمئزاز إزاء طمعها، لأنها كانت تعلم أن القطة جائعة وكان يجب أن تشاركها.

تخرج إلى المطبخ البارد ذى الرائحة النفاذة وتحاول الوصول ـ نعم، أوه، مرحى، هناك علبة كاملة غير مفتوحة. فرحة جدًا، مودى، لدرجة أنها ترقص رقصة سريعة هناك، وهى تضم العلبة إلى صدرها.

أوه، يا جميلة ، يا جميلة، تنادى، يمكننى أن أطعمك. فى النهاية فتحت العلبة، برغم أن مودى قد جرحت إصبعها بفتاحة العلبة. تلتهم القطة كل قطعة. تفكر مودى، والآن ينبغى أن تخرج لكى توفر علىّ إخراجها فيما بعد... ولكن القطة لا تخرج، إنها تعود ثانية إلى الغرفة إلى المدفأة، تغوص فى سرير مودى لتنام. السرير الذى لم يرتب بعد. تفكر أنه ينبغى على مودى أن ترتب سريرها، ليس لطيفًا بالنسبة لجانا. لم تفعل، ولكنها تجلس فى الكرسى بجوار المدفأة، وتميل للأمام لتملأها بالفحم، ثم بعد ذلك نامت كالموتى لمدة ثلاث ساعات. على الرغم أنها لا تعرف كم الوقت، الخامسة بعد الظهر، حينما تستيقظ، لأن ساعتها قد توقفت.

مازالت القطة نائمة، والمدفأة مشتعلة...إنها تغذيها بالفحم ثانية. إنها تستطيع أن تقوم بذلك ببعض الفحم. عليها أن تتناول كوبًا من الشاى. إنها تصنع لنفسها برادًا كاملاً، تجلب البسكويت، وتصنع عيدًا صغيرًا على طاولتها. إنها تشعر بأنها مرتاحة للغاية لتناول الشاى لأنه من السهل التخلص منه، أن تذهب إلى المرحاض مرة، مرتين، ثلاث مرات. إن دواخلها تبدو مثل عدو غاضب هناك فى الأعماق، مهتاج ومتطلب. ما الأمر إذًا؟ تصيح، وهى تربت على بطنها المتكومة بحركات دائرية. لماذا لا تتركيننى وشأنى؟

ينبغى أن تستحم... ينبغى..ينبغى... ولكن جانا ستأتى، جانا ستأتى...

ولكن مودى تجلس هناك، تنتظر، وجانا لم تأت، وتنهض مودى لتخرج القطة العنيدة، وتجلب مودى الفحم، ومودى تلزم المدفأة، ومودى تبحث عن القليل من البراندى، لأنها، على نحو مفاجئ ـ تشعر أنها فى حالة سيئة، تشعر أنها مرتجفة، يمكن أن تسقط على الأرض وترقد هناك، ، إنها فارغة ومرهقة للغاية...لا يوجد براندى، لا شىء.

يمكنها أن تخرج إلى محل مرخص لبيع المشروبات الكحولية، لكى تجلب زجاجة للمنزل. لا، لا، من المحتمل أنها لن تقدر على صعود الدرج. لم تأت جانا، والظلام يوشك أن يحل. هذا يعنى أن الساعة تقترب من العاشرة. لن تات جانا... ولا يوجد حليب، ولا شاى، ولا طعام من أجل المسكينة بيتى، لا شىء.

ومودى تجلس إلى جوارها تثير المدفأة الغاضبة وتفكر بمرارة فى جانا، التى لا تهتم، جانا القاسية الشريرة البخيلة... ووسط كل ذلك، ضربات عالية على الباب، وينفجر ارتياح مودى إلى صيحة خشنة: اوه، حسناً، أنا قادمة. وتمضى متعثرة عبر الممر، مثل الأخطبوط؟، إلى الباب، تخشى أن تمضى جانا قبل أن تصل إلى هناك. بشع، بشع، تتمتم، وجهها وهى تفتح الباب صورة للعنف والاتهام.

"أوه يا إلهى، مودى" تصيح جانا، "دعينى أدخل، إننى ميتة. يا له من يوم".

أوه، إذًا، إن كانت متعبة فلن أستطيع أن أطلب منها شيئاً..تفكر مودى، وتقف جانبًا بينما تأتى جانا إلى الداخل مقتحمة، بكل طاقتها وابتسامها.

فى الحجرة، ترى مودى جانا وهى تبتسم، وهى ترى المدفأة الرائعة، وترى أيضا أنفها المكرمش.

تقول جانا، "قلت للرجل الهندى، لا تغلق، لأنه كان يغلق متجره، انتظر، يجب أن أحضر بعض الأشياء للسيدة فاولر".

"اوه، إنى لا أحتاج لأى شىء،" قالت مودى، وهى تحاول أن تبدى رد فعل إزاء ملاحظة الرجل الهندى لها، والذى تتشاجر معه تقريبًا كل يوم حينما تذهب إليه...إنه يغالى فى السعر، إنه يغشها فيما يتبقى من نقود.

لم تلحظ جانا، ولله الحمد، أى شىء، ولكنها تدور فى المطبخ، لتبحث عما ينقصه، ثم تخرج منه مسرعة حاملة سلة، قبل أن تتذكر مودى المسكينة البطاريات. إنها دومًا مسرعة هكذا! و كلهن مثلها، يأتين مسرعات ويمضين مسرعات، قبل أن يتاح لى وقت للالتفاف.

وفى وقت قصير عادت جانا، صفقت الباب الخارجى، تدق بعنف على هذا الباب، بالسلة المليئة بالمشتريات، تفحصها مودى، بارتياح كبير وامتنان. كل شىء هنا، سمك جيد طازج من أجل القطة وعلبة أوفالتين. فكرت جانا فى كل شىء.

هل لاحظت الفوضى التى أحدثتها القطة، والصحون المتسخة فى الحوض....؟

تذهب مودى ببطء لتجلس بجوار المدفأة، وابتسامة من جانا تقول ، لا عليك. جانا تنظف الفوضى التى أحدثتها القطة، تنظف الصحون، وتضع الأطباق بعيدًا، ولا تفكر، لأنها صغيرة وبصحة جيدة جدًا، لن تترك على مائدة المطبخ ملاعق أو أطباق أو فتاحة العلب، حتى لا تضطر مودى لأن تنحنى وتحدق وتبحث حولها. تجلس مودى وتنصت لجانا وهى تعمل، إنها تعتنى بى، تفكر، أوه، لو نست أمر الكمودينو...

ولكن حينما تدخل جانا، فإنها تجلب منها زجاجة براندى وكأسين، و هى تناول مودى كأسها قالت، " إننى سوف..." وقرعت ؟ الوعاء المتسخ وأخذته بعيدًا.

أرجو أن لا يكون هناك شىء ما بداخل الوعاء، تتمتم مودى قلقة. ولكن حينما تعود جانا بالوعاء القديم، تنبعث منه رائحة طيبة مثل فاكهة الغابات، لم تقل مودى شيئًا.

تدع جانا نفسها لتتحطم على الكرسى المجاور للمدفأة، تبتسم لمودى، وتلتقط كأس البراندى خاصتها، تبتلعه فى رشفة واحدة وتقول، "أوه مودى، يا له من يوم، دعينى أخبرك بما حدث...". ثم أطرقت، تثاءبت ـ ونامت. ترى مودى ذلك، ولا تصدق ما يحدث، تعرف أنه كذلك ولكنها فى حالة من الاهتياج، الغضب. لأنها كانت تنتظر من يحادثها، من يستمع

إليها، واتصال طبيعى بشكل ما، ربما كوب من الشاى لدقيقة، بصرف النظر عما يدور فى أعماقها، وها هى جانا تخلد بسرعة للنوم.

الظلام داكن فى الخارج. ترفع مودى الستائر عاليا. تخرج مودى للباب الخلفى وترى أن كل الأطباق المتسخة قد اختفت من تحت الطاولة، والفوضى التى أحدثتها القطة كذلك، وكان هناك عطر معقم. دعت القطة تدخل، واستغلت الفرصة لأن تزور الحمام زيارة قصيرة. عادت، ولكزت المدفأة، وجلست فى مقابل جانا، التى تنام مثل...الموتى.

لم يكن لمودى مثل تلك الفرصة من قبل، أن يكون لها القدرة على أن تنظر، تحدق و تفحص هكذا بشكل مفتوح، وتمعن التفكير فى الدليل، وجلست وقد مالت بجسمها للأمام، تنظر كما يحلو لها إلى وجه جانا، وقد أتيحت الآن بقدر وافر من اللطف.

إنه وجه راض، تفكر مودى، ولكن هناك شيئًا ما...حسنًا، بالطبع، إنها شابة، هذا هو الأمر المزعج، إنها ما زالت لا تفهم. ولكن انظروا إلى عنقها هذا، مطوية لأعلى؟ يمكنك أن ترى العمر هناك، ويداها، إنها نظيفة جدًا ومطلية، ليستا يدين لامرأة شابة.

ملابسها، أوه ملابسها الجميلة، انظروا إلى هذه الملابس الحريرية هناك، مقتنصة نظرة، هذا حرير حقيقى، أوه أعرف كم يساوى هذا، وما نوعه. وحذاؤها الجميل...لا تلبس أى شىء ردىء، أبدًا. وهى

لم يحدث لها أى تغيير لما دفعته من أجل قبعتها! انظروا إليها، لقد ألقتها على السرير، تلك القبعة الجميلة، حيث تجلس القطة تقريبا فوقها.

انظروا لتلك الريشات البيضاء الصغيرة التى تعلوها هناك... اعتاد آل رولوفيسكى أن يقولوا إنهم لم يسمحا لأحد مطلقًا أن يمسنى لأننى أصنع تلك الريشات الصغيرة. يمكننى أن أصنعها الآن، مازال كل شىء هنا، المهارة فى أصابعى...أتعجب لو أن...

تنهض مودى بحذر، تذهب للفراش، تلتقط القبعة الجميلة، وتعود بها لكرسيها، الطريقة التى خيط بها اللينوه ـ بالأحرى يتباهى بها، أوه أجل، من قامت بعمل هذه القبعة تعرف كيف تجيد عملها تماما ! والريشات البيضاء الصغيرة...

نامت مودى نومًا خفيفًا ثم استيقظت بسبب هدير الثلاجة فى الطابق العلوى. ولكنها توقفت بشكل مفاجئ ـ إن ذلك يعنى أنها كانت تعمل منذ وقت طويل ، لأنها تعمل لمدة ساعة أو أكثر. لا تزال جانا نائمة. إنها لم تتحرك. إنها تتنفس بخفة فائقة لدرجة أن مودى تخشى، و تحدق فيها لتتأكد من ...

جانا تبتسم وهى نائمة؟ أم هى تلك الطريقة التى اعتادت أن تستلقى بها. أوه، إن رقبتها ستتخشب لا محالة...هل ستبقى هنا طوال الليل إذًا؟ حسناً، ما المتوقع أن أقوم به؟ أجلس هنا حتى ينقضى الليل؟ إن هذا مطابق لشخصياتهم، إنهم لا يفكرون سوى بأنفسهم، إنهم لا يفكرون بى...

الغضب يغلى بداخل مودى فاولر، وهى تجلس تعتنى برفق بالقبعة الجميلة وتنظر إلى جانا النائمة.

ترى مودى أن عينى جانا مفتوحتان. تفكر، أوه يا إلهى، هل ماتت؟ لا إن عينيها تطرفان. إنها لا تحرك أى شىء آخر، ولكنها ترقد هناك على الكرسى وعيناها مفتوحتان، تنظر إلى ما وراء مودى إلى النافذة التى أغلقت منذ ساعات، وأوقفت الليل المبتل والعاصف بتلك الستائر الصفراء القديمة التى تعلوها بقع دهنية.

تفكر مودى، يبدو أنها قد أخذت وقتًا طويلاً لتفوق من إغمائها، مؤكدًا؟ ثم تحركت عينا جانا إلى وجهها، إلى وجه مودى: تنظر جانا، بشكل مفاجئ، مرتعبة، وكأنها تود أن تنهض وتركض، ـ وللحظة تجمعت كل أعضائها فى وثبة واحدة، وكأنها ستغادر. ثم أصبحت اللحظة الرهيبة ماضيًا، وقالت جانا، "أوه مودى، لقد كنت نائمة، لماذا لم توقظينى؟"

"كنت أنظر إلى تلك القبعة الساحرة،" تقول مودى، وهى تضربها بأصابعها الممتلئة الخشنة.

تضحك جانا.

تقول مودى، "يمكنك أن تقضى الليلة فى الغرفة المجاورة، إن أحببت".

تقول جانا، "ولكن ينبغى أن أكون فى المنزل لكى أسمح للرجل بالدخول من أجل أعمال الكهرباء".

تعرف مودى أن هذه كذبة، ولكنها لا تهتم.

إنها تفكر، لقد كانت جانا نائمة هنا لمنتصف الليلة، وكأن هذا المكان مكانها!.

تقول: "كنت أفكر بأن هذا هو أفضل أوقات حياتى".

تجلس جانا مستقيمة فى كرسيها، لأن، كونها صغيرة السن، فلم تتصلب أعضاؤها، ثم تميل للأمام وتنظر إلى وجه مودى، جادة، بل ومصدومة.

قالت: "مودى، لا يمكنك ان تقولى ذلك!".

" ولكن ذلك حقيقى" تقول مودى. "أعنى، أننى لا أتحدث عن الأيام القصيرة المرحة، مثل تلك التى حملت فيها جونى، أو نزهة هنا أو هناك، ولكن، أعنى الوقت الحاضر، لأننى اعلم أنك ستأتين دومًا، ويمكننا أن نكون معًا".

كانت الدموع تملأ عينى جانا، ثم طرفت بعينيها ثانية وقالت: " من أجل كل ذلك يا مودى..."

"هل يمكنك أن تتذكرى أن تجلبى لى بعض البطاريات من أجل كشاف الضوء؟" قالت مودى، بالطريقة المتواضعة، ولكن العدوانية أيضا التى تطلب بها أشياءها.

قالت جانا، "سأخبرك بأمر ما، سأجلب لك كشاف الضوء من سيارتى، ويمكنك أن تحتفظى بها".

خرجت، بطريقتها المعتادة فى الخطو، ولكنها عادت لتقول، "مودى لقد حل الصباح، إن السماء مضاءة".

وقفت السيدتان فى مدخل مودى لتشاهدا الضوء الرمادى فى الشوارع.

لم تحب مودى أن تقول إنها الآن سترقد فى سريرها، وقد أسدلت الستائر، وتبقى هناك لبضع ساعات. كانت تشك فى أن جانا تنوى ألا تنام مجدداً تلك الليلة. حسناً، إنها صغيرة السن، يمكنها أن تفعل ذلك. إنها ترغب بشدة فى الاحتفاظ بكشاف الضوء خاصة جانا، لأنه فى نهاية الأمر، قد لا تأتى جانا غدا ـ لا، اليوم.

ولكن جانا تقبلها، وتضحك، وتغادر مسرعة على الأرصفة المبتلة القذرة. لقد نسيت قبعتها.

يوم جانا

جعلنى صوت المنبه أجلس فى السرير. فى بعض الأحيان أقوم بإغلاقه، وأغوص ثانية فى الفراش، لم أفعل ذلك اليوم: كنت أجلس فى الصباح المضاء بالفعل، فى الخامسة، و أنظر إلى اليوم من بدايته" لا يمكننى أن أصدق أنه مع الوقت الذى انتهى فيه ينبغى أن أكون قد أنجزت الكثير. دفعت نفسى للقفز من على السرير، وصنعت لنفسى القهوة، أنا الآن أكتب على آلتى الكاتبة بعد عشر دقائق من استيقاظى. كان ينبغى علىّ أن : لقد أفرغت ما بداخلى، ولكنى لازلت "صغيرة" ولا أعد ذلك من بين الأشياء التى ينبغى أن أقوم بها ! ولكن اليوم سأدون ما أقوم به من زيارات، وإلا فكيف سأقارن يومى مع يوم مودى؟ المقالات التى

كتبتها بشكل متردد، وبلا ثقة، فى العام الماضى، قد أصبحت كتابًا. يبدو أنه قد أوشك على الانتهاء. لقد قلت إنه سينتهى مع نهاية هذا الشهر. لأننى قلت إنه قد يكون كذلك. أننى أفعل ما أقول يمنحنى مثل هذه القوة ! وبعد ذلك، هناك مشروع لا يعلم عنه أحد: رواية تاريخية. لقد كانت مودى هى من منحتنى هذه الفكرة. أفكر فى هذا الأمر بوصفه حديثًا تمامًا، زمن جدتى، ولكن فيرا روجرز تتحدث عنه كما قد أتحدث عنه، لا أدرى، دعونا نقول ووترلو. أخطط لرواية تاريخية، تدرك وتكتب بوصفها واحدة، تتناول حياة صاحب مصنع فى لندن. أشتاق لكى أبدأ فى كتابتها.

أعمل بجد حتى الثامنة. ثم أحتسى القهوة وآكل تفاحة، ثم حمامًا سريعًا، أنا بداخل ملابسى، أخرج، فى نصف ساعة. أحب أن أكون هناك فى التاسعة، وأنا أفعل ذلك دومًا. اليوم، جاءت فيليس متأخرة. لا وجود لجويس. قمت بتجميع الخطابات التى أتت لنا نحن الثلاثة واتصلت بالسكرتيرة وانتهى الأمر، وخرجت للطريق فى العاشرة، المؤتمر. فيليس معتذرة دوما: إنها مثلى، لا تتأخر أبدًا، لا تبتعد أبدًا،لا تمرض أبدًا. المؤتمر كالعادة مفعم بالنشاط، رائع. قالت جويس إنه سيكون مثل مركز أبحاث. لقد تم تشجيع الجميع بدءًا من موظفى العلاقات العامة، ومساعدى المصورين إلى مجلس التحرير، لأن يقدموا آراءهم، لا يهم ان كانت وحشية، مجنونة، لأنك لا تدرى أبدًا. كالعادة، تدون فيليس كل شىء، لقد تطوعت هى للقيام

بذلك، وكنا نعرف وقتها أنا وجويس أنها حينما قامت بذلك كانت تعتقد أنه منصب مهم. لا تدع فيليس تلك الأفكار تتسرب، إنها تسجلها فى قوائم، وتنسخها لتضع نسخًا منها على كل المكاتب فى جميع الإدارات. فقد تخفق فكرة ولكنها تعاود الظهور فى السنة التى تليها. لقد أنعش اليوم واحدة من تلك الأفكار، المتعلقة بسلسلة "أزياء النساء الرسمية" فقال إنها ينبغى أن تتضمن أنواع الملابس التى تلبسها مذيعات التليفزيون، على سبيل المثال، أو النساء الذاهبات إلى العشاء مع زوجاتهن فى حفل عمل. هذا هو نوع معين من ملابس العشاء، كملابس رسمية.. يجعل من أسلوبى زيًا رسميًا! ولكنى أعرف ذلك! إننى أرتدى هذه الملابس طوال الوقت. حتى فى السرير، كما قال فريدى. لا أرتدى أى شىء سوى الحرير الطبيعى، القطن الجيد، ؟ فى الفراش، اعتاد أن يمزح قائلا إن ارتديت ملابس نوم من النايلون، سيكون الأمر بالنسبة لى وكأننى ارتكبت جريمة.

وأنا فى المكتب أفكر بفريدى، أفاجئ نفسى بدموع تنساب، وكنت سعيدة أننى قلت إننى سأجرى مقابلة مع مارتينا، وذهبت لفندق براونز فى الموعد المحدد. إننى لا أتأخر أبدًا. من السهل إجراء حوار معها، مهنية، كفء، لا وقت يمكن إضاعته، درجات نهائية. عدت ثانية فى الثانية عشرة والنصف، وسألت فيليس إن كان بإمكانها أن تقوم بحفل الغداء النسوى المميز. قالت لا، بشكل حازم، إنها لا تستطيع، يجب

علىّ أن أقوم بذلك. إننى أعمل كبديل لجويس، المرأة المميزة، ولكنها مريضة، وفيليس محقة بالفعل، كان من الصائب أن تبدو مفاجئة: لأنه ليس ملائمًا لفيليس أن تقوم بهذا الأمر. لم أتفوه بمثل زلة اللسان هذه من قبل، ولكن الحقيقة أن عقلى بدأ ينشغل أكثر فأكثر بالكتابين اللذين أريد إنجازهما، الذى أوشك على الانتهاء، وسأبدأ فى روايتى التاريخية الجميلة فى الحال.

نظرت لنفسى فى الحمام. نسيت أمر حفل الغداء هذا الصباح، لن آخذ علامات من أجل ذلك. إنى أنزلق. هناك زر يتدلى من خيطه، وشعرى ليس فى حالة جيدة. قمت بتقليم أظافرى فى التاكسى. حفل الغداء متفق عليه، وألقيت كلمة بالنيابة عن جويس.

فى طريق عودتى من حفل الغداء، أذهب إلى دبينهامز، ثم للطابق العلوى، وهناك أبحث عن نوع الصداريات الذى ترتديه جويس، صوف حقيقى، ملابس داخلية متواضعة، وأحذية طويلة مربوطة جيدًا. ابتعت عشرة أحذية، ثلاثة صداريات وثلاثة ملابس تحتية - لأنها تبلل أحذيتها الآن، وأحيانا أسوأ من ذلك. أقوم بكل ذلك بسرعة، بسرعة ، بسرعة، ولكنى أعود فى الثالثة والنصف. اتصلت لأحجز موعدًا مع مصفف الشعر، وآخر من أجل السيارة. فيليس قالت إنها تشعر بأنها بشعة. يبدو عليها ذلك، تعتذر كثيرًا، يا لها من مجرمة ! من أجل الله، اخلدى

إلى الفراش، قلت، وأزحت كل العمل من مكتبها إلى مكتبى. قمت بكتابة الوصفات، طعام الصيف، وموضة الصغار ، خرجت مع المصورين إلى كينوود من أجل جلسة تصوير، ثم عدت وعملت بمفردى فى المكتب، لم يكن هناك أحد آخر، بقيت حتى التاسعة. أحب أن أبقى بمفردى، بعيدًا عن رنين التليفون، لا شىء هنا، سوى الحارس. خرج من أجل أن يأتى بطعام هندى، طلبت منه أن يشاركنى، تناولنا عشاء سريعًا على زاوية مكتبى. إنه شخص لطيف، جورج، شجعته لكى يتحدث عن مشاكله، لكنه لم يخض فى ذلك، ولكن يمكننا أن نساعده، إنه يحتاج لقرض.

فى هذا الوقت شعرت بالتعب، وكنت، بشكل مفاجئ، أتوق للنوم، قمت بعمل إضافى، واتصلت بجويس فى ويلز، وسمعت من صوتها أنها تحسنت، ولكنها لم تعد بالالتزام بأى شىء. لا أهتم البتة، قالت، حينما سألتها إن كانت تنتوى الذهاب للولايات المتحدة. إنها تقول أيضًا، أنا لا أهتم بك أبدًا أنت أيضًا. على مكتبى، وفى السلة "المعقدة جدا"، هناك مقال عن التوتر، كيف أن قدرًا كافيًا من التوتر يمكن أن يسبب حالة من الاغتراب. يحدث ذلك فى زمن الحرب، فى الأوقات العصيبة. معاناة، معاناة، مشاعر، مشاعر، ثم وبشكل مفاجئ، لا اهتمام. أريد أن أنشر هذا المقال، قالت جويس، لا، لن يدرك الكثير من الناس هذا الأمر. يا للسخرية!.

قلت تصبح على خير لجورجى فى التاسعة والنصف، واستقليت تاكسيًا إلى حيث تركت سيارتى،

وقدت إلى المنزل، وأنا أفكر، لا ، لا، لا يمكننى الذهاب لمودى، لا أستطيع ببساطة. حينما طرقت الباب، كنت أشعر بحساسية ما، كنت متعبة، كنت أفكر. آمل أن تكون فى الحمام، ولا تسمع صوتى. ولكنها حينما فتحت الباب، كنت أستطيع أن أرى من خلال وجهها... دست على كل أزرار التشغيل بداخلى، ودفعت بكل الحيوية والمرح إلى السطح، لأنى كنت أخشى مزاجها الكئيب، لأنها بمجرد أن تبدأ لا أستطيع أن أنقلها لمزاج آخر. لهذا السبب وصلت، الأب الأنثى فى حفل الكريسماس، جلالة الملكة، ماما، مبتهجة تمامًا، على أن أوقف غضبها وتنهدها. حينما وصلت لغرفتها الخلفية، كانت حارة وتنبعث منها رائحة ما، صعقتنى العاصفة، ولكنى أدفع نفسى للابتسام وأنا بجوار المدفأة. أستطيع أن أرى من وجهها ما تحتاج إليه، وأذهب إلى المطبخ، لأنى أعرف أن البقال الهندى قد أوشك على الإغلاق، وركضت عبر الطريق وأنا أقول، "أرجوك لحظة أخرى، أحتاج بعض الأشياء للسيدة فاولر". كان صبورًا وطيبًا، ولكنه لونه كان أميل للرمادى البنفسجى بسبب كونه متعبًا". فى بعض الأحيان يكون هنا من الثامنة وحتى الحادية عشرة ليلاً. غالبًا بمفرده. إنه يقوم بتربية ثلاثة أولاد وفتاتين... يسألنى "كيف حالها؟" أقول، "أعتقد أنها ليست بخير"، يقول،كعادته دائمًا، "يتعين أن يراعيها أهلها فى هذا الوقت".

حينما عدت، قطعت جزءًا من السمك من أجل القطة. لا فائدة، لا أستطيع أن أجبر نفسى على

الإعجاب بالقطط، على الرغم من أن ذلك يجعلنى غبية لا تتسم بالحساسية. أنظف الفوضى التى أحدثتها القطة، أحضر البراندى والكئوس. أدرك أننى قد نسيت الصديريات والملابس الداخلية فى المكتب. حسناً، غداً سأجلبها معى. أخرجت طاولتها الصغيرة، لأنها لا تنظر إليها ، بهذا الكبرياء المرتعش على وجهها، الذى أصبحت أعرفه جيدًا الآن. وأنا أنظفه، أفكر، هنا شىء ما خاطئ جدًا. سينبغى على أن أخبر فيرا روجرز. شطفت الطاولة من الداخل بعناية، واستخدمت الكثير من المعقم.

حينما جلست فى مقابلها، وكأسين من البراندى لى ولها، كنت أنوى أن أحكى لها تماما عن حفل الغداء، وأخبرها عن كل النساء الشهيرات، أعرف أنها ستحب ذلك - ولكن كان ذلك آخر ما تذكرته، قبل أن أفوق من إغماءتى، من مثل ذلك النوم العميق، لم أستطع أن أجد نفسى حينما استيقظت. كنت أنظر إلى عجوز شمطاء صفراء اللون وقليلة الحجم فى كهف ساخن تنبعث منه رائحة كريهة، بجوار مدفأتها المتأججة، يظهر دخانها ؟ الأصفر، لأنها لم تكن ترتدى حذاءً منزليًا وساقاها مفتوحتان، وعلى حجرها احتفظت بقبعتى، وكانت تستخدمها لغرض سيئ ما... شعرت أننى مرتعبة، ثم تذكرت بشكل مفاجئ، أننى جين سومرز، إننى هنا، فى غرفة مودى الخلفية، وغرقت فى النوم.

لم تكن تريدنى أن أذهب. أشارت إلى موضوع البطاريات كعذر. ذهبت إلى الباب وخرجت للشارع، وكان الوقت صباحًا. وقفنا هناك، ننظر لأعلى ـ أوه، إنجلترا، كآبة ؟، فجر مبلل و رمادى. كانت الساعة الرابعة والنصف حينما وصلت للبيت. أخذت حمامًا طويلاً جدًا واعتنيت بنفسى، ثم مرة أخرى أجلس لأعمل فى كتابى.

ولكننى لا أستطيع التركيز. إننى أفكر فيما قالته مودى "هذه هى أفضل أوقات حياتى". ما لا أستطيع أن أفهمه هو، هو أننى أصدق أنها تعنى ذلك. زيارتى لها فى نهاية اليوم، ساعة أو ساعتين، قليل جدًا، لكى تقول لى ذلك. أريد أن أصرخ حينما أفكر فى ذلك. كما أننى أشعر بالتورط أيضًا. قد تعيش لسنوات طويلة، إن الناس يعيشون لمائة عام هذه الأيام وأنا حبيسة مقولتها "هذه أفضل أوقات حياتى"، جانا اللطيفة الكريمة، تركض للداخل و الخارج. إننى أفهم أمورًا أكثر عنها، ولكن هل هذا حقيقى؟ يمكننى فقط أن أكتب تجربتى الخاصة معها، ما سمعتها تقوله، وما ألاحظه... فى بعض الأحيان أصحو بيد مخدرة تمامًا... ولكن ما الذى لا أستطيع أن أعرفه بخلاف ذلك؟ أعتقد أن الأمر هو أننى لم أتخيل قط أنها ستقول، "هذه أفضل أوقات حياتى"، والحرمان والوحدة المتوارية خلفها، ولهذا لا أستطيع أن أعرف ما المعنى المتوارى خلف همهماتها، "إنه مرعب، مرعب" والغضب الشديد الذى يجعل عينيها الزرقاوين تلمعان وتشتعلان.

أرى أنني لم أدون، في يوم جانا، شيئًا عن الذهاب إلى المرحاض، أتبول بسرعة هنا، براز سريع، أغسل يدى ...طوال اليوم ينبغى لهذا الحيوان أن يفرغ ما بداخله، عليك أن تمشطى شعرك، تغسلى يديك، أن تستحمى. أسرع بوضع فنجان تحت الصنبور وأشطف زوجًا من الملابس الداخلية، الأمر يستغرق بضع دقائق... ولكن ذلك لأنى "صغيرة السن" فقط فى التاسعة والأربعين.

ما الذى يدفع مودى لأن تعمل وتزأر طوال يومها كله، إنه العمل المضنى بسبب الإصلاحات. كنت سأقول، إنه لا شىء بالنسبة لى، ولكن الحقيقة هى، أننى بمجرد أن أستحم حمومى المناسب كل ليلة، كنت أغسل وأعتنى بملابسى الجميلة كل ليلة سبت، أغسل وأنظف نفسى، ولكنى الآن لا أفعل ذلك، لا أستطيع. إن الأمر تجاوز الحد.

فى آخر الصيف، كم أمقته، عاصف، لا لون له، مترب،، خضرة غبية، سماء صماء، ضوء الشمس، حينما يوجد، يكون مثل مربى البعوضة، بعوض تحت صندوق القمامة، لأننى لم ألمس أى شىء فى منزلى منذ أيام.

لقد مرضت مودى ثانية. مرة أخرى، كان علىّ التواجد هناك مرتين فى اليوم، قبل الذهاب للعمل وبعده. مرتان فى اليوم، تقف بجوار الطاولة، تميل عليها، تضع ثقلها فى كفيها، عارية، بينما أصب الماء فوقها حتى ينقضى الخراء والبول ذو الرائحة الكريهة.

الرائحة المقززة. جسدها، قفص من العظام، صفراء، ناشفة، حجرها مثل حجر طفلة صغيرة، لا شعر، ولكن هناك شعر رمادى طويل تحت إبطيها. لقد أهلكتنى تمامًا. قلت لها، "سيرسلونك إلى مصحة لكى يغسلونك"، وصرخت فى وجهى، "أخرجى إذًا، لم أطلب منك شيئاً".

لقد كنا نحن ـ الاثنتين ـ متعبتين للغاية، متوترتين للغاية، كنا نصرخ فى بعضنا مثل ...ماذا؟ بدون حس أدبى، أقول، امرأة سليطة ولكنها ليست سليطة اللسان،إنها شعلة، جسد عجوز جدير بالاحترام، أو لأنها كانت مختفية لمدة ثلاثة عقود. رأيت صورة، كانت مودى فى الخامسة والستين، صورة تنم عن تهذيب غير متفق عليه...لا أعتقد أننى كنت سأحبها فى ذلك الوقت. قالت لنفسها، أحب الأطفال، إنهم يحبوننى، إن أختى لن تسمح لى بالاقتراب منهم الآن، لأنها ليست منشغلة بالتربية، إنها لا تحتاج لخدماتى. ولهذا فقد نشرت إعلانًا فى جريدة ويليسدن، وأجابتها أحد الأرامل. كان لديه ثلاثة أبناء، فى الثامنة، والتاسعة، والعاشرة. خصصت لمودى أريكة فى المطبخ، ووجباتها فى مقابل: تنظيف المنزل، إصلاح ملابسه، وملابس الأطفال، إعداد ثلاث وجبات يوميًا، والخبيز، ورعاية الأبناء. لقد كان بائع سمك. حينما كان يجىء فى وقت الغداء، ويجد مودى تستريح، كان يقول لها، ألا تجدى شيئًا لتفعليه؟ كان يعطيها جنيهين لإطعامهم كلهم طوال أسبوع، وحينما

قلت إن هذا مستحيل، قالت إنها كانت تستطيع تدبر الأمر. كان يجلب معه السمك بلا مقابل، ويمكنك أن تشترى الخبز والبطاطس. لا لم يكن فقيرًا، ولكن، قالت مودى، ولكنه لم يكن يعرف كيف يتصرف، تلك كانت مشكلته. ومودى التصقت بالمنزل، من أجل الأطفال، ثم بعد ذلك قال لها، هل ستأتين لنشاهد فيلما معى؟ ذهبت، ورأت الجيران ينظرون إليهما. كانت تعرف ما يفكرون به، ولم تستطع تحمل ذلك. كانت تنظف المنزل كله، من أعلى لأسفل، وتتأكد من أن كل شىء قد تم إصلاحه، تخبز الخبز، وتعد الشاى، وتترك ملحوظة: لقد استدعتنى أختى، وهى مريضة ، المخلصة، مودى فاولر.

ولكنها بعد ذلك أخذت معاشها، وفى بعض الأحيان كانت تقوم ببعض الأعمال الصغيرة الإضافية.

مودى تلك المرأة الحكيمة، الجادة. فم مغلق كتوم.

صرخنا أنا و مودى فى بعضنا البعض، وكأننا أسرة واحدة، كانت تقول، "اخرجى إذًا، أخرجى، ولكننى لن أستقبل موظفات الرفاهية هنا" ثم أصرخ، "مودى إنك مستحيلة، إنك بشعة، لا أعرف ماذا سأفعل بك".

ثم، فى وقت ما، انفجرت ضاحكة، يبدو الأمر ساذجًا جدًا، هى هناك، عارية تمامًا، تلفظ بغضبها نحوى، وأنا أشطف خراءها وأقول، "وماذا عن أذنيك؟"

بدت صامتة وهى ترتعش. "لم تضحكين علىّ؟"

"أنا لا أفعل، إننى أضحك على كلينا. انظرى إلينا، ونحن نصرخ فى بعضنا البعض!".

رجعت خطوة للخلف فى الحوض الذى كانت تقف فيه، تحدق فىّ، بنداء غاضب.

وضعت الفوطة الكبيرة حولها، تلك التى جلبتها من حمامى، فوطة بلون وردى، وبدأت تجفيفها برقة.

تجد الدموع طريقًا عبر تجاعيدها.

"لا عليك يا مودى، من أجل الله، دعينا نضحك، أفضل من أن نبكى".

"إنه أمر مرعب، مرعب، مرعب" أخذت تتمتم، وهى تنظر أمامها، عيناها واسعتان وبراقتان. مرتعشة، مرتعدة..."إنه أمر بشع، بشع".

خلال تلك الأسابيع الثلاثة ألقيت بكل الملابس الداخلية الجديدة التى اشتريتها لها، فقد أصبحت قذرة ومقززة. اشتريت دستتين آخريين، وعلمتها كيف تملأها بقطن الصوف و هى ترتديها.

إذًا فقد عادت للمناديل.

مرعب، مرعب، مرعب...

نهاية شهر أغسطس

إننى أرقد فى الفراش أكتب هذه السطور والمفكرة تلتصق بصدرى.

فقط بعد ما كتبت كلمة بشعة الأخيرة، صحوت فى الليل، وبدا الأمر وكأن الجزء السفلى من ظهرى

قد ثبتت به قطعة معدنية. لم أكن أستطيع أن أتحرك على الإطلاق بداية من وسطى لأسفل، كان الألم بشعًا.

كان الظلام قد حل، أظهرت النافذة ضوءًا غير واضح و مبهم، وحينما حاولت أن أدير ظهرى صرخت. بعد ذلك رقدت بلا حراك.

رقدت و أنا أفكر. أعرف ما الأمر، إنه ألم الظهر: كان فريدى يعانى منه فى وقت ما، وأنا أعرف ما ينتظرنى. لم أكن أقوم بتمريضه، بالطبع، لقد قمنا بتوظيف شخص ما، وبينما قمت بإقصائه، أو حاولت أن أفعل ذلك، كنت أعلم أنه يعانى من ألم بشع، لأنه لم يستطع أن يتحرك على الإطلاق لمدة أسبوع.

لم أمرض منذ أمراض الأطفال، مثل مرض الحصبة، لم أمرض أبدًا بشكل حقيقى. فى أكثر الأحوال أنفلونزا، حرقان فى الزور، ولم أهتم بأى منهما.

ما كان يقلقنى هو أننى بلا أصدقاء. ليس هناك من أستطيع أن أهاتفه وأقول، أرجوك ساعدنى، أحتاج للمساعدة.

فى إحدى المرات كانت جويس هى من أستطيع أن أحادثها: ولكن امرأة لديها أبناء، وزوج، ووظيفة، ومنزل...أنا متأكدة أننى لم أكن لأقول أبدًا، "من فضلك، تعالى وقومى برعايتى". بالطبع لا. لم أستطع أن أهاتف أختى ـ الأبناء، البيت، الزوج، الأعمال

الخيرية، وعلى أية حال فإنها لا تحبنى. فيليس: لقد كنت أعود دوما لفيليس، متعجبة من ترددى، وأفكر أن هناك شيئًا ما غير صائب يتعلق بى يجعلنى لا أريد أن أطلب منها، إنها مهذبة تمامًا ولطيفة حقًا... ولكننى حينما أفكر بفيرا روجرز، إذًا أعلم أن فيرا روجرز، هى الشخص الوحيد الذى أعرفه الذى يمكن أن أقول لها، "أرجوك تعالى و ساعدينى"، ولكن لديها زوج، أبناء و عمل، وآخر شىء ترغب فيه هو "حالة" جديدة.

تمكنت بعد نصف ساعة من الكفاح المضنى أن أصل للتليفون وأرفعه من على طاولة التليفون ووضعته على صدرى، ولكنى لم أستطع الوصول إلى دليل التليفون، كان على الأرض، ولم أتمكن من الوصول إليه. اتصلت بخدمة الاستعلامات، وحصلت على رقم أطبائى، ورقم خدمتهم الليلية، وتركت لهم رسالة. فى تلك الأثناء كنت أحاول أن أرتب الأمور. الشخص الوحيد الذى سيكون سعيدًا ـ فى النهاية ـ لكى يقوم بتمريضى هى السيدة بينى. على جثتى. إننى معدة لأن أعترف بأننى عصبية المزاج، أى شىء تحبه، ولكن لا يمكننى الاعتراف بها، لن أفعل...

كنت أفضل طبيب خاص، ولكن فريدى كان دومًا اشتراكيًا نوعًا ما، كان يريد خدمة الصحة القومية. لم أكن أهتم ما دمت لا أمرض. لم أكن أنتظر زيارة الطبيب، ولكنه لم يكن بحالة سيئة. صغير السن، متردد، قلق. من المحتمل أنه عمله الأول.

حصل على المفاتيح من الشقة التى فى الدور السفلى، وأيقظ السيدة م، ولكنها تعاملت مع الموقف بلطف. سمح لنفسه بالدخول، ودخل غرفتين "حسنًا، ما الأمر؟"قلت له، ألم فى الظهر، وما أريد: ينبغى أن يدبر أمر ممرضة، تأتى مرتين يوميًا، ؟ ترمومتر؟ ـ قلت له كل شىء بالضبط.

جلس عند نهاية سريرى ، وهو ينظر إلىّ، ويبتسم قليلا. كنت أتعجب إن كان يرى امرأة عجوز، امراة كبيرة السن، أو امرأة متوسطة العمر؟ أعلم الآن أن ذلك يتوقف تمامًا على عمر الشخص، وما الذى يراه.

"من أجل كل ذلك، أعتقد أنه من الأفضل أن أفحصك" قال، ومال فوق جسدى، وجذب الملابس التى كنت أشدها حتى ذقنى، وبعد حركتين دفع، اللتين لم أستجب لهما سوى بالصياح، قال، "إنه ألم فى الظهر بالفعل، وكما تعلمين لا علاج له، سوف يتحسن وفقًا لوقته الخاص. وهل تريدين مسكن للآلام؟".

"بالطبع أحتاج ،" قلت، "وفى الحال، لأننى لا أستطيع التحمل".

كتب روشتة طبية، ثم قال إنه من غير المحتمل أن تأتى ممرضة قبل الليل، وما الذى اقترحت أن أقوم به فى هذه الأثناء؟ قلت: إننى إن لم أتبول فى الحال فسوف أبلل الفراش؟ فكر فى الأمر للحظات، ثم عرض؟. فعل ـ بسرعة، وبلا ألم. كان عليه أن يعثر على برطمان ؟ فى المطبخ، لا برطمان بالطبع، كما

يبدو أنها لا نهاية لسيل التبول، ركض إلى المطبخ وبحث بعصبية شديدة عن أى شىء، وعاد بطبق للخلط، تحولت نهاية الأنبوبة المطاطية فيه. " يا إلهى"، قال معجبًا بهذه الكمية من البول.

"كيف ستتدبرين الأمر؟ "سألنى،" إن لم يكن هناك ممرضة؟ أليس هناك من جارة؟ أليس من جيران فى هذا الطابق؟"

"لا،" قلت. أدركت فى وجهه النظرة التى رأيتها، على سبيل المثال، على وجه فيرا، وشعرت بها على وجهى: التسامح من أجل غرابة، ضربة مفاجئة لا يمكن تفاديها.

"يمكننى أن أنقلك إلى مستشفى...".

"لا، لا، لا" أخذت أتمتم، حتى بدا صوتى مثل صوت مودى.

"أوه، حسنًا جدًا".

ثم رحل مرحًا، متعبًا، بشكل مهنى.لا تعلم أنه طبيب على الإطلاق، يمكن أن يكون محاسبًا، أو تقنيًا. لم أكن أحب هذا النمط، كنت أفضل سلوكا طبيًا مغايرًا به نوع من السلطة ـ ولكن الآن أتفهم وجهة نظر فريدى.

من الباب، قال، "كنت تعملين كممرضة، أليس كذلك؟"

جعلنى كلامه هذا أضحك، و قلت، "أوه، لا تجعلنى أضحك، سأموت".

ولكنه إن استطاع أن يقول ذلك، فإننى يجب أن أشكر مودى من أجل ذلك.

ما الذى يمكن أن يظنه فى فريدى الآن؟

جاءت ممرضة فى حوالى الساعة العاشرة، و بدأ الروتين يأخذ مساره حول احتياجات تلك الحيوانة. يجب أن يتخلص الحيوان من كمية من السوائل ونصف رطل من الخراء، على الحيوان أن يبتلع كمًا هائلاً من السوائل وقدًرا هائلا من السليلوز والسعرات الحرارية. لمدة أسبوعين، كنت تمامًا مثل مودى، تمامًا مثل كل هؤلاء العجائز، أتعجب بقلق وبشكل ملح، هل سأستطيع أن أتماسك، لا، ليس لدى فنجان من الشاى، قد لا تأتى الممرضة، قد أبلل الفراش... فى نهاية الأسبوعين، عندما استطعت فى النهاية أن أغير الملاءات مرتين فى اليوم، وأن أسحب نفسى إلى الحمام عرفت أننى لمدة أسبوعين كنت أجرب مدى فشلهم. كنت أقول لنفسى، مثل مودى، حسنا، لم أبلل الفراش أبدًا، وهذا أمر يحسب لى.

الزوار: فيرا روجرز، فى اليوم الأول، لأننى اتصلت بها وأخبرتها أنه ينبغى أن تجلب شخصًا ما من أجل مودى. جاءت أولا قبل أن تذهب لمودى. نظرت إليها، من حيث أرقد وأنا مسطحة تمامًا، ظهرى تنتابه موجات ألم، وجهها المرح الصغير اللطيف، ملابسها المستهلكة، يداها متسختان قليلا، ولكنها كانت تتعامل مع بعض العجائز الذين لن يذهبوا للمستشفى، على الرغم من أن لديها انفلونزا.

قلت لها إن حالة مودى أسوأ، ووجدت نفسى أخبرها عن كراسيها البشعة، التى تنبعث منها رائحة سيئة. وقلت أنه لا فائدة هناك ترجى من توقع دخول مودى إلى المستشفى، إنها تفضل أن تموت بدلاً من ذلك.

"إذًا" قالت فيرا، "هذا من المحتمل ما ستفعله".

كنت أرى أنها قلقة، لأنها قالت ذلك، وجلست تراقب وجهى. أعدت لنا بعض الشاى، على الرغم من أننى لم أجرؤ سوى على شرب القليل منه، وتحدثنا. أستطيع أن أرى أننى أصبحت دبلوماسية. وفى الحال فهمت أنها تحذرنى من أمر ما. تحدثنى كيف أن الكثير من العجائز يموتون بسبب مرض السرطان. إنه وباء السرطان، قالت، أو هذا هو ما تشعر به.

فى النهاية قلت لها، "هل تعتقدين أن مودى تعانى من مرض السرطان؟"

"لا أستطيع أن أقول ذلك، أنا لست طبيبة. ولكنها، نحيفة جدًا، إنها تتألف من عظام فقط. وفى بعض الأحيان تبدو صفراء جدًا. وينبغى على أن أتصل بطبيبها. يجب على، لكى أؤمن نفسى، كما تفهمين. إنهم دائمًا ما يتجاهلوننا، بسبب الإهمال أو شىء ما. لو لم آخذ ذلك فى الاعتبار، سأتركها وحدها. ولكنى لا أريد أن أجد نفسى على صفحات الجرائد فجأة، أن ناشطة اجتماعية تركت سيدة عجوز ذات ٩٠ عامًا تموت بسبب السرطان".

"ربما من الأفضل أن تجربى ممرضة مرة أخرى، لكى تحممها؟ يمكنك أن تجربيها مع المساعدة المنزلية؟"

"هذا إن سمحت لنا بالدخول أصلا" تقول فيرا. وتضحك. تقول: "عليك أن تضحكى وإلا ستصابين بالجنون. إنهم من أسوأ أعدائك"

" ويجب أن تخبريها أنى مريضة، ولهذا فإنى لا أستطيع الذهاب إليها".

تقول فيرا، "أنت لا تدركين، إنها لن تصدق الأمر، ستعتقد أن الأمر مكيدة؟"

"أوه، لا،" قلت بصوت أجش، لأننى لم أستطع التوقف عن الزمجرة، كان الألم مهلكًا (مرعب، مرعب، مرعب !") "أرجوك يا فيرا ، حاولى أن تدخلى الأمر فى رأسها...".

ورقدت هناك، و ظهرى منقط، ظهرى مثل حديد، وأنا أزأر وأتصبب عرقًا، بينما فيرا تخبرنى "أنهن" جميعا مصابات بالانفصام، بطريقة أو بأخرى، دائمًا ما تشك الواحدة منهن أن مكيدة مدبرة لها ، ودائما ما ينقلبن ضد أعزائهن، والقريبين منهن. ولأننى الأقرب لمودى، فيبدو.. فإننى أتوقع ذلك.

"إنك مغرمة بها للغاية" أعلنت فيرا. "حسناً، يمكننى أن أتفهم ذلك. إن لديها شيئًا ما. بعضهن يمتلكن شيئًا ما، حتى فى أسوأ حالاتهن يمكنك أن ترى هذا الأمر فيهن. الآخرين بالطبع..." ثم أطرقت، أطرقت مثلما يفعل إنسان حقيقى، لم تكن مفتعلة. كنت أرى فيرا روجرز وهى تكاد تطير فوق الأرصفة بين "حالة" وأخرى، يدها محملة بالأوراق والملفات،

قلقة، غاضبة، متضايقة، ثم فيرا روجرز ومعها "حالة"، بلا عناية على مدى البصر، مبتسمة، منصتة، طوال الوقت فى العالم... وهكذا كانت معى، على الأقل فى تلك الزيارة الأولى، ولكنها جاءت مرات عديدة، ثم توقفت بسبب حاجتها لأن تظهر عنايتها، وتعيد التأكيد على ذلك، كنا نتحدث، نتحدث فى الحقيقة عن عملها، وفى بعض الأحيان كنت أضطر، بشكل مضحك، لأن أطلب منها أن تتوقف، لأننى لم أكن أتحمل مغبة الضحك، كان الضحك أمرًا مؤلمًا جدًا.

زارتنى فيليس، ذات مرة. هذه هى (من ستخلفنى؟). إنها امرأة شابة، مكتفية بذاتها، لطيفة، جميلة نوعًا ما، وكان علىّ أن أقارنها بفيرا. أخذت فرصة أن أفعل ما أعرف أنها كانت تريده وتحتاج إليه. كانت تحاول محاكاة "أسلوبى" فى ارتداء ملابسى، وقلت لها، لا، لا تحاولى أن تصلى لحل وسط أبدًا أبدًا، لابد أن تظهرى بأفضل مظهر ولو سيكلفك ذلك أموال الأرض. نظرت بعناية إلى فستانها: "فستان صغير" مزين بورود ومصنوع من الكريب، قصير جدًا، لطيف تمامًا، قلت لها، "فيليس، إن كان هذا هو نوع الفساتين التى تريدين ارتداءها، إذًا فاحرصى على أن تفصل خصيصًا لك على الأقل، استخدمى قماشًا راقيًا، اذهبى إلى..."أمضيت ساعتين، أعطيتها عناوينى، الترزى الخاص بى، مصفف الشعر؟، كانت تفكر بعمق، تركز، كانت تريد بشكل ملح ما قدمته لها. أوه، إنها ستقوم بكل ذلك

بشكل جيد، وبذكاء، بلا تقليد أعمى. ولكنها طول الوقت كانت هناك، كنت فى عذاب، ولم أستطع أن أقول لها، "فيليس، إننى أتألم، من فضلك ساعدينى، ربما نستطيع معًا أن نزيح جسدى سنتيمترًا واحدًا، قد نفلح..." بالمقارنة بفريدى أو أمى اللذان كانا يقصداننى للمساعدة.

كانا يطلبان منى تغيير ملاءات السرير.

رأت السيدة بينى بابى مفتوحًا، وتسللت للداخل، حذرة من إحساسها بالذنب، مبتسمة، غاضبة، تزأر، كل ذلك بالتثاوب. "أوه، إنك مريضة، لماذا لم تخبرينى، كان ينبغى أن تطلبى منى، إننى دومًا مستعدة لأن،..."

جلست على الكرسى الذى رحلت عنه فيليس للتو، وبدأت الحديث. تحدثت. تحدثت. سمعت كل ذلك من قبل، كلمة كلمة، إنها تكرر كلامها: الهند، كيف تغلبت على مصاعبها هى وزوجها حينما تدهور الراجا، الخدم الذين كانوا يعملون لديها، المناخ، الملابس، وكلابها، راجا. لم أستطع أن أعرها انتباهى، وأنا أراقبها، علمت أن ليس لديها أدنى فكرة إن كنت أصغى لها أم لا. عيناها تحدقان، مثبتتان ، أمامها، على لا شىء. نطقت بكلمات، كلمات، كلمات.فهمت فجأة أنها مسحورة. لقد سحرت نفسها. أثارتنى هذه الفكرة، وكنت أتعجب، هل من المعتاد أن نسحر أنفسنا دون أن نعرف وكم يحدث ذلك عادة، حينما غبت فى النوم. صحوت، لابد أن ذلك حدث قبل نصف ساعة،

وكانت لا تزال تتحدث بشكل إجبارى، وعيناها مثبتتان. إنها لم تلحظ أننى وقعت منها.

بدأت أتضايق، وأشعر بالتعب. أولا فيليس، ثم السيدة بينى، كلاهما يسحبان طاقتى. حاولت أن أقاطعها، مرة، مرتين، ثم فى النهاية رفعت صوتى: "السيدة بينى !" استمرت فى الحديث، سمعت صوتى بشكل ارتجاعى، توقفت، بدت مرتعبة.

"أوه يا عزيزتى" كانت تتمتم.

"سيدة بينى، يجب أن أستريح الآن".

"أوه يا عزيزتى، أوه يا عزيزتى، أو يا عزيزتى" تجولت عيناها بعيدًا عنى، نظرت إلى ما حولها فى الغرفة، التى شعرت أنها معزولة عنها بسبب برودى، أطرقت. صمت، ثم ومثلما تهب الرياح من مسافة بعيدة، قالت بصوت خافت، "ثم حينما جئنا إلى إنجلترا..."

"سيدة بينى" قلت بحزم.

نهضت، و بدت وكأنها سرقت شيئًا ما. حسناً، لقد قامت بذلك.

"اوه يا عزيزتى" قالت. "أوه يا عزيزتى، ولكن عليك أن تخبرينى فى أى وقت تحتاجين لأى شىء..."ثم تسللت للخارج مرة أخرى، تاركة الباب مفتوحًا.

تأكدت بعد ذلك، من إغلاق الباب بعد أن يخرج أى أحد، ولم ألحظ حينما يدير أحدهم المقبض،

عصبية ولكن مصرة، وسمعت صوتًا ينادى، السيدة سومرز، سيدة سومرز، هل يمكننى أن أجلب لك أى شىء؟

هل من المفترض أننى سأكتب يوميات السيدة بينى ؟ أوه لا،لا، لا، لا أستطيع حقيقة أن أواجه ذلك. لا أستطيع.

كنت أتحدث على الهاتف مع جويس فى ويلز لساعات. لم يتسن لنا أن نتكلم مطلقًا منذ أشهر مضت، ولكن الآن، تهاتفنى هى، أهاتفها، ونتحدث. فى بعض الأحيان نكون هادئتين، لدقائق، نفكر فى كل المجالات، الحواجز، الجبال، الوقت الذى يمر بيننا. نتحدث عن زواجها، أطفالها، زواجى، أمى، عملى. لا نتحدث عن مودى. لقد جعلت الأمر واضحًا تمامًا، لا. لقد قالت إنها ستذهب إلى الولايات المتحدة. ليس الآن، لأنها تخاف أن تكون وحيدة حينما تكبر، لأنها تعرف أنها وحيدة ولا تهتم. ولكن الأبناء هم السبب، فى النهاية عدم شعورها بالأمان، البؤس، إنهم يريدان أبوين فى منزل واحد. حتى لو كانا ناضجين؟ لم أستطع سوى أن أصر على رأيى، و جويس تسخر منى.

قلت لها: "جويس، أريد أن أخبرك عن مودى، أنت تعرفين، المرأة العجوز".

وقالت جويس: "انظرى، لا آريد أن أعرف، هل تفهمين؟".

قلت لها: "أنت لا تريدين أن تتحدثى عن الشىء الحقيقى الوحيد الذى حدث لى؟"

"إنه لم يحدث لك"-عنيفة ومصرة -" لسبب أو لآخر، سمحت لها أن تحدث".

" ولكن الأمر مهم بالنسبة لى، إنه مهم".

"ينبغى أن تكون هى، هذا أمر مؤكد" قالت، بهذا الاستياء الجاف الذى تسمعه فى أصوات الناس حينما يشعرون بعبء ثقيل.

قلت لها: "ألا تعتقدين أنه أمر شاذ، يا جويس، كيف أننا جميعًا نعتبر الأمر مفروغًا منه أن كبار السن هم شىء ما ينبغى أن نخدعه، مثل عدو، أو مكيدة ولا نعاملهم باعتبار أننا ندين لهم بأى شىء؟"

"أنا لا أتوقع أن يعتنى بى أبنائى".

وشعرت بيأس، لأننى أشعر الآن أننى بصدد مسجل جرامافون قديم. "هذا ما تقولينه الآن، ليس ما ستقولينه وقتها".

"إننى سأذعن، حينما أصبح لا حيلة لى، سآخذ إجازة".

"هذا ما تقولينه الآن".

"كيف تعرفين، لم أنت واثقة بأمر يتعلق بى؟"

"لأنى أعرف الآن أن الجميع يقولون الأمر ذاته فى مراحل من حياتهم".

"ولهذا، سينتهى بى الأمر، كعجوز شمطاء متجعدة الوجه، عجوز شمطاء مصابة بسلس بولى - أهذا ما تقولين؟"

"أجل.

يمكننى أن أخبرك أننى سعيدة بأمر واحد. أن آلاف الأميال تفصلنى عن أبى. إنه حيوان أليف عجوز مدلل. ولكننى فعلت ما يكفى".

من سيعتنى به؟"

إنه سيذهب إلى منزل مسنين، كما أتوقع، هذا ما سوف أتوقعه".

ربما"

وهكذا تحدثنا، أنا و جويس، لساعات، أنا أرقد مسطحة على ظهرى فى لندن، محاولة أن أخدع نوبة تشنج أخرى ستزيد عقدة من عقد ظهرى، إنها كرسى عليه قماش قطنى مطبوع فى كوخ على جانب الجبل، "فى إجازة" من ليليث. و لكنها أرسلت استقالتها.

لم أتصل بأختى. لم أتصل بأبناء أختى. حينما أفكر بهم، أشعر بالغضب. لا أعرف السبب. أشعر تجاه هذين المراهقين الطفوليين الشعور ذاته الذى تشعره جويس تجاهى أنا ومودى: نعم، حسنًا، حسنًا، ولكن ليس الآن، سأفكر فى الأمر فيما بعد، أنا ببساطة ليس لدى طاقة من أجل ذلك.

أربعة أسابيع من الفراغ....

ولكننى كنت أفكر. أفكر. ليس كلامًا حادًا، كلام حاد، حدس ـ وأحكام مفاجئة، ولكنه أفكار طويلة بطيئة. عن مودى. عن ليليث. عن جويس. عن فريدى. عن طفلى جورجى الملعونين.

قبل أن أعود ثانية للمكتب، زرت مودى. وجهها العدائى الصغير، ولكنه كان وجها أبيض اللون، ليس أصفر، جعلنى ذلك أشعر بتحسن إزاءها فى الحال. "مرحبًا"، قلت، ونظرت لى نظرة مرعبة لأننى فقدت الكثير من الوزن.

"إذًا، فقد كنت مريضة بالفعل، حقًا، ؟" قالت بصوت ناعم منزعج، وهنا تجلس فى مقابلى بجانب تلك المدفاة الساحرة. حينما أفكر بها، أرى المدفأة: تلك الغرفة المرعبة الدنيئة، ولكن المدفأة تجعلها تتوهج، ترحب بك.

"أجل، بالطبع كنت مريضة يا مودى، وإلا كنت سآتى لك".

حولت وجهها جانبًا، رفعت يدها عاليًا لتحميها منى.

"لقد جاء الطبيب،" قالت فى النهاية، بصوت ضعيف ضائع.

"لقد قامت هى باستدعائه".

"أعرف، قالت لى".

حسنًا، إن كانت صديقة لك!"

"تبدين أفضل مما كنت سابقًا، قد يكون ذلك بسبب الطبيب!".

"ألقيت بأقراص الدواء فى المرحاض!".

"كلها؟"

انفجرت ضحكة من خلال غضبها. "إنك حادة!".

"ولكنك تبدين أفضل حالاً".

"هكذا تقولين".

"حسنًا" قلت، مخاطرة، "قد تموتين قبل أن تضطرين إلى أخذ الدواء".

تيبست مودى، وجلست تحدق بعينيها بعيدًا عنى وإلى المدفأة.

بدا وقتًا طويلا، ثم تنهدت، ونظرت إلىّ مباشرة. نظرة رائعة، مرتعبة ولكن شجاعة، عذبة، ملتمسة، ممتنة، وبمرح لاذع أيضًا.

"هل تعتقدين أن الأمور ستسير هكذا؟"

"من أجل القليل من أقراص الدواء،" قلت.

"إنها لها تأثير مميت على عقلى"

"إذًا فلتتناولى ما يمكنك أن تتناوليه منها".

حدث ذلك منذ عام مضى. لو أتيحت لى الفرصة لأن أحتفظ بهذه المذكرات بشكل ملائم، لبدا أنها مساحة لبنّاء؟ أشلاء وأمور غريبة مكومة، متراكمة، لا شىء فى مكانه، شىء ما ليس أكثر أهمية من غيره. أنت تجول خلالها (زرت واحدة من أجل مقال الأسبوع الماضى) ورأيت كومة من الرمل هناك، ركام من الزجاج هنا، بعض الدعامات المعدنية العشوائية،

أكياس من الأسمنت. هذه هى الفكرة من وراء كتابة المذكرات، أشلاء الأحداث، كلها تتداخل مع بعضها وتصنع فوضى خاصة بها. ولكنى الآن أعاود أنظر، أتأمل فيما حدث خلال العام وأبدأ أعرف ما كان مهماً.

وأهم شىء على الإطلاق كان أمرًا لم ألحظه تقريبًا. ابنة أختى كيت جاءت لى ذات ليلة، بدت فى سن العشرين وليس الخامسة عشرة، الطريقة التى يبدون عليها هذه الأيام، ولكنها كانت تبدو مجنونة، مترددة، مخادعة، وتدير حدقتى عينيها. لقد هربت من المنزل لتعيش معى، قالت لى ذلك، وتنتوى أن تصبح عارضة أزياء. صارمة ولكنها طيبة (فكرت وأفكر)، قلت إنها ستعود للمنزل فى الحال، ولو جاءت لتمضية أمسية معى، فعليها أن تتأكد أننى لن أكون مثل أمها، إننى لن أغسل فنجانًا قد تناولت فيه شيئًا ما. وهكذا رحلت، آسفة على نفسها. مكالمة هاتفية من الأخت جورجى: كيف يمكنك أن تتصرفى هكذا وكأنك ينقصك التعاطف الإنسانى الطبيعى؟ هراء، قلت. مكالمة هاتفية من ابنة أختى جيل. قالت: "إننى أهاتفك لأقول لك إننى أختلف عن كيت كليةً".

قلت، "أنا سعيدة لسماع ذلك".

"إن عشت معك فلست بحاجة لأن تعتنى بى مثل طفلة. ترهقنى أمى بأعمال كثيرة، إننى فى صفك".

"ليس بقدر إرهاقها الدائم".

"خالتى جين، أريد أن آت وأقضى نهاية الأسبوع لديك".

أستطيع أن أحدس بسهولة من نبرتها كيف ترى الخالة جين الساحرة، فى لندن المتوهجة، ونزهاتها العبقرية.

جاءت. أحببتها، أعترف بذلك. فتاة جميلة طويلة، نحيفة. متأنقة، هذه هى الكلمة الصحيحة، كما أعتقد. ستقع، إن لم تكن حذرة. شعر أسود منسدل: يمكن أن يبدو بلا حيوية وغبيًا. عينان رماديتان واسعتان: عيناى.

راقبت عينيها و هما تمعنان النظر فى شقتى: لكى تنسخ بيتها الخاص، تعجبت لأمرها ـ تمرد المراهقين، ربما، ولكن لا، يبدو أنها كانت تفكر كيف سيناسبها المكان حينما تعيش هنا معى.

"أريد أن آت و أعيش هنا معك، خالتى جين".

"أتريدين أن تعملى فى ليليث، وتصبحين جزءًا من حياتى الأنيقة الساحرة، العبقرية؟"

"إننى فى الثامنة عشرة من عمرى. لا أريد أن ألتحق بالجامعة، أنت لم تدرسى بالجامعة، أليس صحيحًا؟"

"تعنين، أنك تريدين أن تعيشى معى بصفتى بطاقة للعبور إلى أشياء أفضل؟ ألست بحاجة إلى شهادة؟"

"حسناً، أجل"

"هل حققت نتائج طيبة فى امتحاناتك؟"

"سأفعل، أعدك بذلك. سأمتحن فى الصيف".

"حسناً، لنفكر فى هذا الأمر فى حينها إذًا".

لم أفكر فى الأمر. لقد كان الأمر غريبًا للغاية: الأخت جورجى تبدأ تتسلل إلى حياتى، هكذا رأيت الأمر.

ولكن جيل جاءت ثانية، وأخذتها معى لزيارة مودى لغرض ما برأسى، و أخبرتها فقط أنها صديقة قديمة لى. أصبحت مودى فى حالة صحية أفضل مؤخرا. مأساتها الأساسية، عدم قدرتها على التحكم فى تبولها، إنها تقوم بجولاتها الشرائية، وتأكل بشكل جيد. وكنت أستمتع بمرور خاطف عليها وتبادل نميمة سريعة مع فنجان من الشاى، ولكنى اعتدت عليها كثيرًا، ونسيت كيف أن مظهرها من الممكن أن يصدم آخرين. بسبب هذه الغريبة، الفتاة الجميلة النظيفة، كانت مودى متصلبة، تشعر بالحرج وتلومنى لتعريتى إياها. شخص ضئيل بارد غير ودود، كانت تقول فقط نعم، ولا، ولم تقدم لنا الشاى، وحاولت أن تخبئ البقع الموجودة فى الطرف السفلى من ردائها حيث أوقعت الطعام.

تحلت جيل ابنة أختى بالأدب، وارتعبت سرًا. بسبب أعمال الأخت جورجى الخيرية لن يجد أطفالها

ذلك شيئًا مفاجئًا، ولكن المفاجأة هى من الربط بين الأعمال الخيرية والعجائز، والخالة جين الرائعة.

فى تلك الليلة ونحن نتناول عشاءنا معًا، درستنى بنظرات طويلة خفية ذكية، بينما أخذت تثرثر بحكايات لا معنى لها عن أولاد العائلة وقصصهم المضحكة.

"كم مرة تذهبين لرؤيتها عادة" سألت برقة كافية، وعرفت مدى أهمية هذه اللحظة.

"كل يوم و فى بعض الأحيان مرتين،" قلت فى الحال بصرامة:

"هل يأتى الكثير من الأصدقاء، هل تقيمون الحفلات ، وتخرجون معًا لحفلات العشاء؟".

" لا أفعل ذلك أبدًا. إننى أعمل كثيرًا".

" ولكنك تجدين وقتًا رغم عملك الكثير لزيارة تلك العجوز...لزيارة..."

"السيدة فاولر، لا"

أخذتها فى جولة شرائية لتشترى بعض الملابس المناسبة. أرادت أن تبهرنى بذوقها، وكانت مبهرة بالفعل.

ولكن ذلك قد حدث فى وقت أصبحت الأخت جورجى وأبناؤها بعيدين جدًا وفى آخر سطر من أجندتى الشخصية.

لقد عملت، أوه كيف عملت طوال هذا العام، كيف استمتعت بكل ذلك. لقد جعلونى رئيسة للتحرير. لم أقل إننى سأتولى المنصب لمدة عام فقط أو ما شابه، لقد قبلت فحسب المنصب من أجل مميزاته، المعاش الأفضل، وخطط أخرى. فهمت فى النهاية أننى لست طموحة، كنت سأشعر بالسعادة لو عملت للأبد، فقط كما كانت الأمور تسير مع جويس.

غادرت جويس من أجل أن تعيش فى أمريكا. قبل أن تغادر حادثتنى تليفونيًا، مكالمة جافة، لا مبالية.

قلت لفيليس، من الأفضل أن تحصلى على مكتب جويس، لقد كنت تقومين بعملها لوقت طويل فعلا. رتبت أشياءها وحولتها إلى هناك فى نصف ساعة. نظراتها تنم عن الانتصار. راقبتها، وأنا أظلل وجهى بيدى. (مثل مودى) . أخبئ أفكارى.

انقصى من خسائرك يا جانا، انقصى من خسائرك، جين!.

قلت، حينما تستقرين، يمكننا أن نناقش بعض التغييرات المحتملة. يقظتها الحادة برزت من رأسها: الخطر. لم ترد حدوث أى تغييرات. أحلامها هى أن ترث كل ما كانت تريده لوقت طويل، وأن تستمر فى الحسد.

الحسد، الغيرة و الحسد، كنت دائمًا ما أستخدمهما بشكل متغاير. شىء مضحك: فى زمن ما كان من الممكن أن يتعلم طفل كل ذلك، الخطايا السبع

المهلكة، ولكن امرأة فى منتصف العمر ينبغى أن تفتش عن كلمة حسد فى القاموس. حسنًا، لا تشعر فيليس بالغيرة، ولا أعتقد أنها كانت تشعر بالغيرة يومًا ما. لم تكن تريد هذا القرب وتلك الصداقة التى كانت بينى وبين جويس، ولكن المنصب و السلطة. فيليس حسودة. طوال اليوم، تلقى بنقدها البارد والحاد، تقلل من قيمة كل من حولها، كل شىء. بدأت بجويس. وجدت نفسى أستشيط غضبًا ، اخرسى، قلت لها، يمكنك أن تكونى؟ عن جويس مع أناس آخرين، ليس معى.

مناقشات لأشهر، نستمتع بها جميعًا، حول إمكانية أن نحول ليليث إلى مارثا. هل تصلح ليليث لفتاة فى زمن الثمانينيات القلق الصعب؟

مجادلات حول مارثا. نحن نريد شيئًا أكثر عملية. أقل من تحفيز للحسد، صورة للإرادة، لشىء ما أكثر مرونة، لخدمة ذكية.

مجادلات من أجل ليليث. يحتاج الناس شيئًا ما ساحرًا. فى الأوقات الصعبة يحتاج الناس إلى الترفيه. يقرأ الناس عن الموضة فى مجلات الموضة وكأنهم يقرءون روايات رومانسية، ليهربوا. إنهم لا ينوون أن يتبعوا الموضة، إنهم يستمتعون بالفكرة من ورائها.

لم يكن لدى آراء صارمة، بطريقة أو بأخرى، توزيع المجلة يقل بشكل طفيف فقط. سوف تبقى ليليث. لن يتغير المحتوى.

جلبت معى للمنزل الأعداد الاثنى عشر الأخيرة من ليليث لأقوم بتحليلها.

إنه أمر مضحك، بينما كنا أنا وجويس ليليث، بإمكاننا أن نجعل كل شىء يحدث، إرادتنا خلف ما نقوم به، لم يكن لدى لحظات متوترة، أتساءل، أما زالت الحياة تنبعث منها، هل الحافز ما زال هناك، أمازال يحدث ذلك فى شكل تيار متصاعد؟ أعرف أن الحافز لم يعد هناك الآن، أصبحت ليليث مثل قارب تأخذه الموجة، ولكن من صنع الموجة يقبع بعيدًا جدًا.

يمكننى أن أقول إن ثلثى ليليث مفيدان، يحتويان على معلومات، ويشكلان خدمة.

فى عدد هذا الشهر: واحد. مقال عن تناول الكحوليات.

تقريبًا كل أفكارنا مسروقة من المجتمع الجديد والعالم الجديد. (ولكن هذا الأمر صحيح بالنسبة لمعظم المجلات والجرائد الجادة). فى إحدى المرات خضت معركة مع جويس من أجل أن نعترف بمصادرنا، ولكن معركتى باءت بالفشل: قالت جويس إن ذلك سوف يبعد عنا قراءنا. أعادت فيليس كتابة المقال، وأسمتها: الخطر الكامن لك و لأسرتك. اثنان. مقال عن قوانين الإجهاض فى بلدان مختلفة. ثلاثة. مقالى عن مطبخ القرن الثالث عشر. كله ثوم وتوابل ! الفواكه واللحوم مختلطة معًا. السلاطة بها كل شىء من الحديقة. ثم، التحقيقات المعتادة، الموضة، الطعام، المشروبات، الكتب، المسرح.

بدأت فى كتابة روايتى التاريخية. أوه، أعرف بشكل جيد جدًا لم نريد أن نجمل تاريخنا. يبدو الأمر غير محتمل الاحتفاظ بالوزن الثقيل والطويل للحقيقة هنا، كله مؤلم وقاس. لا، ستكون قصتى عن أعماق لندن رومانسية. (على أية حال، حينما يحين موت مودى فلن تفكر فى أن تسوق قدميها إلى ذلك الحمام المتجمد ذى الرائحة الكريهة، ولكنها ستفكر فى الحقول الخضراء المرحة فى كيلبورن، وفى رفيقها الألمانى، وفى الألعاب الساذجة التى كانت تلعبها مع زميلاتها وهن يصنعن القبعات الجميلة، التى تليق بباريس. إنها ستفكر أيضًا، كما أفترض، فى "رجلها". ولكن هذه فكرة لا تحتمل، لا يمكننى أن أحتمل ذلك).

وأنا أقود سيارتى بالأمس، متجهة للمنزل، رأيت مودى فى الشارع، عجوز بالية، تتشح بالسواد، تكاد ذقنها تلتقى بأنفها، رموش رمادية عنيفة، تتمتم وتلعن وهى تدفع بسلتها أمامها عبر الطريق، وبعض الأولاد يستفزونها.

الشىء الذى ظننت أنه سيصير أسوأ تحولا لأن يكون ليس سيئًا على الإطلاق، بل مفيدًا، بل باعثًا على السعادة، كما أعتقد.

كنت أقف عند رف الحسابات فى محل لبيع التليفزيون والراديو عبر الطريق، أشترى راديو ملائمًا لمودى. بجوارى، امرأة عجوز تنتظر بصبر، حملت حقيبة مفتوحة، بينما تعبث بأصابعها فيها باحثة عن نقود.

كان المساعد الهندى يراقبها، وكذلك أنا. فى الحال كنت أقارن ما رأيت بلقائى الأول بمودى. " لا أعتقد أنه بحوزتى هنا، ليس لدى ثمنه" قالت بطريقة مرتعبة يائسة، وهى تدفع بالراديو الصغير باتجاهه. كانت تعنى أن يأخذه مقابل إصلاحه إياه. استدارت، ببطء وبتثاقل، لتغادر المحل.

فكرت فى الأمر كله بسرعة، وأنا أقف هناك. هذه المرة لم أفتقد الحيلة إزاء احتياج هائل بسبب عدم الخبرة، عرفت من النظرة الأولى أمر هذا الشىء القديم. النظرة الرمادية المترية الكئيبة. الرائحة الكريهة النفاذة. الحذر البطىء.

دفعت ثمن إصلاح الراديو، وأسرعت الخطى وراءها، وعثرت عليها وهى تقف تنتظر من يساعدها على عبور الطريق. ذهبت للبيت معها.

من أجل الاستمتاع، طلبت بوس - إن - بووتس حينما عدت للمنزل.

"هل أنت الشخص الذى رأيته مع السيدة فاولر؟"

"أجل، أنا".

صمت.

"هل تمانعين فى أن أقول شيئًا ما؟" قالت بكفاءة، لا تخلو من تعاطف إنسانى. "لهذا السبب غالبًا نجد إنسانًا ذوى نوايا طيبة لكنهم يجعلون الأمور تبدو أسوأ كثيرًا دون أن يقصدوا ذلك".

"أسوأ لمن؟"

كنت آمل أن تضحك، و لكنها ليست فيرا روجرز.

"ما أعنيه، بشكل خاص، هو أن الناس ذوى النوايا الطيبة يهتمون ببعض ؟ ـ بعجوز ما، ولكن حقيقة إنه تعليق لهم، أنت ترين، إنهم يحلون مشكلاتهم فى الحقيقة".

"يمكننى أن أقول إن هذا أقرب للحقيقة بطريقة أو أخرى" قلت، وأنا أستمتع بكل دقيقة من الحديث.

"ولكن بينما قد يكون أو قد لا يكون ذلك سيئًا بالنسبة لى، فإن العجوز المسنة الفقيرة التى نتحدث عنها سعيدة على الأرجح، حيث إنها بلا أصدقاء ووحيدة".

صمت آخر. من الواضح أنها شعرت أنها مجبرة لأنها اضطرت أن تعيد التفكير فى ملاحظاتى واستنتاجاتى التى وصلت إليها، فى ضوء تدريبها. بعد وقت قالت: "أتعجب أن كنت وجدت مجموعة المواجهة أمرًا مفيدًا؟".

قلت: "آنسة ويتفيلد، هناك تلك المرأة العجوز، ألا تعتقدين أنه ينبغى أن تمرى عليها لتزوريها؟"

"إن كانت بحالة سيئة للغاية، فكيف لم يضعها طبيبها ضمن جدوله؟"

"كما تعلمين، معظم الأطباء لا يقتربون أبدًا من العجائز ولا يضعونهم على قوائمهم، لأنهم يخافونهم. بشكل صحيح أو خاطئ. يخافون أن يتم استبعادهم."

"هذا حقيقة، مفهوم قديم جدًا"

"فى الحقيقة، أنه فى وقت ما، يتم استبعادهم بالفعل".

"فقط حينما لا يكون هناك خيار آخر".

"حسنًا، فى الوقت الحالى، هناك آنى ريفز المسكينة".

"سأنظر فى الأمر، " قالت: "أشكرك كثيرًا لانشغالك فى الأمر بينما من الواضح أن وقتك محدود للغاية".

اتصلت بعد ذلك بفيرا.

قالت فيرا، ما اسمها؟ عنوانها، سنها، حالتها. أجل إنها تعرف بأمر السيدة بيتس، التى تعيش فى البدروم، ولكن آنى ريفز كانت ترفض دومًا أية مساعدة.

قلت لها: " لن ترفضها الآن".

تقابلنا أنا وفيرا عند البيت. أخذت عطلة هذا الصباح من العمل. فتحت مسز بيتس الباب، بردائها الأزرق المطرز بالريش، وشعرها مربوط بشبكة زرقاء.

نظرت إلىّ طويلا، ونظرت لفيرا. قالت: "لقد أخذوا السيدة ريفز إلى المستشفى الليلة الماضية". " لقد سقطت على الأرض. فى الدور العلوى. لم تكن

تلك هى المرة الأولى، ولكنها جرحت ركبتيها. هكذا ستبدو".

تبخرت بيننا أنا وفيرا و السيدة بيتس كل أنواع الفهم، ونظرات السيدة بيتس المحتجة كان معنى بها أن نراها.

"حسناً، ربما هو شىء جيد، يمكننا أن ننظف غرفها".

"لو كنت تعتقدين أنك تستطيعين أن تقومى بمهمة ثلاثين عامًا من التنظيف فى صباح واحد"، أعلنت بينما وقفت جانبًا لتدعنا ندخل.

لقد بنى البيت فى عام ١٨٧٠ .لا شىء محدد أو فى غير موضعه. درجات سلم جيدة، يمكن للمرء أن يطأها بأمان. غرفات جميلة، بنسب معقولة، نوافذ كبيرة.

الغرفة الأمامية، المطلة على الطريق، أكبر من الغرف الأخرى. مدفأة، طريق مسدود أمامها. ورق حائط بنى اللون، الذى يظهر، بعد اختباره، يظهر أشكالا جميلة بنية و أوراقاً وردية اللون وزهور ذابلة جدًا ومبقعة. فوق حد الصورة، كان الورق منزوعًا ومرتخيًا، لأن المياه كانت قد تسربت من السطح. كان هناك كرسى قديم و عليه وسادات زرقاء ممزقة لدرجة أن الحشو يظهر منها، بجوار المدفأة. بعض الطاولات المستخدمة للتزين ومجموعة أدراج. مشمع الأرضية مشقق ولا لون له. والسرير ـ ولكنى أشعر

أننى لا يمكننى أن أصدر حكمًا عادلاً على هذا السرير. سرير مزدوج ، بحافة خشبية للرأس وأخرى عند القدمين. كيف يمكننى أن أصفه؟ المرتبة قد استهلكت تمامًا من جهة واحدة، حيث يرقد عليها شخص ما، ولهذا فقد اختفت الخياطة البارزة والحشو بالداخل أصبح فوضى من الكتل الصلبة والفراغات . الوسائد بلا أغطية، وكانت مثل المرتبة، كتل متجمعة بارزة. كانت هناك مجموعة متداخلة من البطاطين القذرة المتسخة. كانت متسخة، كانت تثير الاشمئزاز. وعلى الرغم من ذلك لم نر أى قمل فيها. كانت مثل عش قديم جدًا لعصفور، مستخدمًا لسنوات طويلة. يبدو المرء مثل ـ لا أستطيع أن أتخيل أن أى شخص ينام فيه أو عليه.

فتحنا الأدراج. حسنًا، لقد رأيت هذا من قبل، مع مودى، على الرغم من أن هذه أسوأ. وتعجبت، وأتعجب الآن كيف يمكن لهؤلاء من يسمحون بتراكم القمامة أن يروها هكذا كل يوم؟

يحتوى أحد أدراج آنى ريفز ـ وأنا أضع هذه القائمة فقط للتسجيل: نصف ستارة خضراء قديمة من قماش الساتان، وعليها خروق بسبب السجائر، حلقتان مكسورتان من النحاس تستخدمان لحمل الستائر، تنورة، مبقعة، و ممزقة من المقدمة، مصنوعة من القطن الأبيض، زوجين من الجوارب الرجالى، مليئة بالثقوب، صدارى مقاس ٣٢ يمكننى أن أحكم أنها تنتمى لموضة ١٩٣٧مصنوعة من القطن الوردى،

علبة غير مفتوحة تحتوى على فوط صحية، ملفوفة فى قماش المناشف لم أر ذلك أبدًا من قبل، كنت أشعر بالاندهاش، بالطبع، ثلاثة مناديل قطنية بيضاء مبقعة بالدم، ذكريات عقود قديمة ـ نزيف الأنف، زوجان من الملابس الداخلية وردية اللون وقد تركوا متسخين، مقاس متوسط، ثلاثة مكعبات من اوكسو، لباسة احذية مصنوعة من صدف السلحفاة، علبة من مبيض جاف ومسحوق لأحذية السيدات الصيفية، ثلاثة إيشاربات من الشيفون، وردى، أزرق وأخضر، حزمة من الخطابات مكتوب عليها ١٩١٠ قصاصة من الديلى ميرور تعلن بدء الحرب العالمية الثانية، بعض حبات خرز لعقود كلها مكسورة، جونلة تحتية من الساتان الأزرق تمزقت من الناحيتين حتى الوسط لكى تناسب مقاس الحزام المتزايد، بعض أعقاب سجائر.

تبدو تلك الأشياء وقد اختلطت معا حول بعضها، ولهذا فإن الفوضى تبدو فى سياق وحدها، خيط تلو الآخر. حسناً، لم يكن لدينا وقت للتعامل مع ذلك الأمر: الأشياء الأهم ستعالج أولا.

بدأنا أنا وفيرا فى العمل. قدت سيارتى إلى أول متجر أثاث وابتعت سريرًا فرديًا جيدًا ومرتبة. حالفنى الحظ، سوف يجلبونه ذلك الصباح. عدت خلف العربة مع شابين صغيرين لنتأكد أنهم قاموا بالتسليم، وحملوها للأعلى. حينما رأوا ما كان هناك، بدا أنهم غير مصدقين. رشوتهم لكى يأخذوا السرير القديم لأسفل، مع المرتبة، إلى صناديق القمامة. فى

تلك الأثناء، كانت فيرا قد اشترت أغطية، ملاءات، وسائد، و مناشف. كان هناك بالضبط نصف منشفة واحدة قديمة فى المكان، و كانت سوداء. حينما نظرنا للخارج من النوافذ المتسخة، كنا نرى الجيران فى الحدائق يفكرون فى أمر المراتب، وهم يهزون رءوسهم وشفاههم مغلقة. صارعنا أنا وفيرا من أجل وضع المراتب فوق عربتى، و أخذناها إلى كومة القمامة التابعة لمبنى الحى.

حينما عدنا كان فريق التنظيف الخاص ينتظر لدى الباب؛ حيث إن المكان كان بعيدًا جدًا عن مجال المساعدة المنزلية الطبيعى، فقد استدعت فيرا فريق الخبراء الشجاع ذلك. كانا شابين على درجة عالية من الهشاشة، ودودين، كسولين، من المحتمل بسبب تناولهما طعامًا جاهزًا. وقفا فى الطابق العلوى فى الغرفة الأمامية، يبتسمان وتعلو وجهيهما علامة الاستهجان من القذارة، ويقولان: " ولكن ما الذى يمكن أن نقوم به؟".

"يمكنكما أن تبدآ بوعائين من الماء الساخن والصودا،" قلت. فيرا كانت تبدو ساخرة.

لم أشر بعد إلى المطبخ. إن ذهبت إليه، ستجده طبيعيًا. طاولة جيدة مربعة من الخشب فى المنتصف، موقد غاز مناسب، كرسيان خشبيان جيدان، كلاهما يساوى هذه الأيام ما يساوى ما أدفعه لقاء شراء طعام لشهر بأكمله، ستائر ممزقة ذات لون هزيل، الآن ذات

لون أسود، كانت خضراء منذ قليل. ولكن الأرض، الأرض ! وأنت تسير فوقها، وحين اختبارها، تعطيك شعورًا بأنك تسير فوق طبقة من الدهون والقذارة.

البطلان الشابان قد أعيتهما الحيلة بسبب الأرض التى تلتصق عليها أحذيتهما، وقالا، كيف يمكنهما استخدام المياة الساخنة، بينما لا مياه ساخنة هناك؟

"يمكنكما تسخينها على الموقد:" قالت فيرا بصوت لطيف.

"انظرا" قلت، "ألستما تعملان فى الأعمال الشاقة فى المساعدة المنزلية، ألا تستطيعان أن تقوما بذلك؟"

"أجل، ولكن هناك حدودًا، أليس كذلك؟" قال أحدهما بحذر:

"لابد أن يقوم بذلك شخص ما" قلت.

قاما بمسح الغرفة الأمامية، ودفعا المسحة بسرعة على الأرض. ولكن أرضية المطبخ قد أصابتهما بالشلل فتوقفا عن العمل. "نحن آسفان، " قالا، وغادرا المكان، وقد حافظا على تهذيبهما حتى النهاية.

دفعنا أنا وفيرا الطاولة الكبيرة للخارج، مع طاولة التزين والكرسيين، على الرغم من أنهما كانا ملتصقين بالأرض بسبب الدهون. قمنا بإزالة ثلاث طبقات من الدهون.

ثم اضطرت فيرا للعودة للمنزل بسبب مشكلاتهم الأسرية.

فى عطلة هذا الأسبوع قمت بتنظيف الأرضية وغسلت الحوائط والأسقف، وأفرغت محتويات الأدراج، ودعكتها بفرشاة خشنة، ونظفت الموقد المغطى بأوساخ تراكمت عبر ثلاثين عامًا. وأخيرًا، ملأت الحقائب البلاستيكية بهذه القصة الصامتة، حطام نصف حياة، وأخذتها إلى مركز قمامة الحى.

لاحظت السيدة بيتس مجيئى وذهابى صعودًا ونزولا على الدرج، تجلس فى غرفة معيشتها، تحتسى الشاى، ومن وقت لآخر تقدم لى فنجانًا.

"لا لم أصعد إلى هناك، منذ عشر سنوات،" قالت. "إذا منحتها شيئًا ضئيلاً، فإنها تطلب على الفور فنجانًا من الشاى، أو فلتحضرى لى هذا أو ذاك. إننى تقريبًا أكبر منها بعشر سنوات. هل ستصبحين جارتها الطيبة، هل يمكننى أن أسأل؟ لا؟".

وجهها الوردى الصغير كان كئيبًا ومحتجًا. "لقد وضعت مرتبتها القديمة فى الخارج هناك ليراها كل الناس. خارج منزلى ـ سوف يظنون... ويداك فى كل ذلك الوسخ والقذارة...".

ما كان يغضبها حقيقة أكثر من أى شىء آخر، هو أنه لا يليق بسيدة متأنقة مثلى أن تقوم بهذا العمل القذر.

أعطتنى مفتاحًا. أخذته منها وأنا أعلم أنها تمنحنى شيئًا أكثر مما كنت مستعدة لتلقيه. أوه، أنا لا أخضع لأى أوهام الآن! فى كل شارع هناك العديد، وربما العشرات من النساء العجائز، الرجال المتقدمون

فى العمر، هؤلاء الذين يستطيعون فقط أن يتعاونوا، أو قد لا يستطيعون ذلك فجأة، هؤلاء الذين يحلمون بناتهم وأبنائهم و أحفادهم الغائبين، ومن يقترب منهم ينبغى أن يكون حذرًا، حذرًا ! لأنه فى هذا الفراغ المرعب يمكن أن تخور قواك قبل أن تعلم بذلك. لا ينبغى أن أضع نفسى ثانية فى الحالة التى وضعت نفسى فيها مع مودى، التى لها صديقة واحدة فى العالم بأسره.

قمت بزيارة المكان، لبضع دقائق، بوصفى الشخصية التى خصصوها لى، لأننى لا أناسب أى من الفئات الأخرى، إننى أمر غير قابل للتفسير، كرم تلقائى متمرد. إن مشكلتى الأساسية هى أن مودى لا ينبغى أن تعرف أننى أزور شخصًا غيرها، لأنها ستعدها خيانة. إليزا بيتس، آنى ريفز، يعيشان بالقرب من مودى.

لو أحضرت هدية لآنى، ينبغى أن أجلب واحدة لإيليزا، لأن إيليزا تراقبنى وأنا أصعد أمامها للطابق العلوى. كانت إليزا فى الخدمة، وتعرف ما هو جيد وتجلبه، وهكذا تحلل الأمر، كما أفترض، لهؤلاء الذين سيمنحون الهدايا. جلبت خبزا من خباز جيد، رواية رومانسية جديدة، نوع معين من الشيكولاتة السويسرية، زهور بيضاء بريئة وأوراق خضراء. تعرف آنى ما تحبه و أن كل ما هو بريطانى هو الأفضل دائما، وأخذت الشيكولاتة التى جلبتها لها تلك التى

تشبه قطعة من الطين اللزج اللذيذ، ممزوجة بخمر مثير للاشمئزاز مصنوع خصيصًا للنساء العجائز، وزهور جميلة مربوطة بشريط من الساتان.

أمضت آنى ريفز ستة أسابيع فى المستشفى. لقد كسرت إحدى ساقيها وعلى الرغم من إنهم قالوا لها أنها تستطيع أن تسير مرة أخرى بشكل مناسب فإنها تستخدم إطارا للسير وترفض. إنها الآن سجينة فى قمة ذلك المنزل، لديها هذا الكمودينو الذى أفرغت أدراجه قسرًا، ووجبات جاهزة على الكرسى المتحرك، مساعدة منزلية و ممرضة.

لا تتفق إيليزا بيتس مطلقًا مع آنى ريفز، التى تتصرف بتلقائية و تتجرع الخمور هناك مع نفسها - أوه، أجل كانت تعرف إليزا بيتس ما كان يجرى ! - من الذى سمح بتراكم القذارة حتى جلست إيليزا وتتخيل أنه بإمكانها أن تسمع صوت الحشرات وهى تزحف على الحائط والفئران وهى تركض مسرعة. "أنا لست مثلها" قالت لى إيليزا بنبرة حاسمة ، وهى تبدى شعورًا بالتعالى.

"أنا لست مثلها" قالت آنى، تعنى أن إليزا منافقة، لم تكن مهتمة أبدا بالكنيسة إلى أن مات زوجها، والآن انظرى إليها.

تشتاق آنى لصداقة إليزا. قضت إليزا سنوات تعزل نفسها عن المرأة التى تسكن الطابق العلوى، تلك التى انهارت وتكسرت إلى قطع صغيرة، ومن لا يشعر بالخزى

الآن من أن ينتهى به الحال لأن يستند على إطار معدنى كى يستطيع التحرك، بينما ليس هناك حاجة لذلك، فهناك جيش من العمال الاجتماعيين من أجلها كل يوم. إنهما يناديان بعضهما السيدة بيتس، السيدة ريفز. لقد عاشت فى هذا المنزل لمدة أربعين عامًا.

تحاول مؤسسة الرفاهية أن "تعيد تأهيل" آنى. كنت بالفعل سأظهر ردًا إزاء الدعوة لتلك الحملة، فقط لو حدث ذلك منذ ثلاثة أسابيع، بشىء من السخرية، وكنت سأصيح و لكن هذه قسوة! منذ ذلك الوقت، رأيت كيف تعيش إليزا، وفهمت كيف يتعامل هؤلاء الخبراء مع إرهاق السن لسيدة أو رجل فى سن التسعين أو أكبر.

أصبحت مغرمة بإليزا، هذا بغض النظر عن إعجابى التام بها. سأكون مثلها حينما أبلغ التسعين! كلنا نصرخ، ونشعر بتهديد العدو مسبقًا.

يوم من حياة إليزا بيتس

تصحو فى حوالى الساعة الثامنة، فى الغرفة الكبيرة الأمامية التى كانت تنام فيها فى السرير المزدوج الكبير مع زوجها. ولكن لديها سرير فردى جميل الآن، بجواره طاولة جانبية، ومدفأة كهربائية صغيرة. . تحب أن تقرأ فى الفراش، روايات رومانسية فى أغلب الأوقات. فى الغرفة أثاث ذو طابع قديم: مرة أخرى خليط من "الأنتيكات" وأشياء لا يكاد يبلغ ثمنها خمسين بنسًا. إن الجو بارد جدًا، ولكنها اعتادت

عليه، وتذهب للسرير و هى تربط شالاً حول كتفيها و تحمل زجاجات مياه ساخنة.

تصنع لنفسها إفطارًا حقيقيًا، حيث تعلمت منذ زمن طويل، كما تقول، ألا تدع نفسها تتكاسل أبدًا فى تجهيز الوجبات. ثم تقوم بترتيب إحدى غرفها الثلاث، ولكن ليس بشكل متأن كما كانت تفعل. وفى حوالى الحادية عشرة، تعد لنفسها القهوة. ربما تأتى واحدة من صديقاتها الكثيرات. لديها صديقة خاصة، امرأة أصغر عمرًا بكثير، فى حوالى السبعين، من الجانب العكسى، "تبدو صغيرة جدا بالنسبة لسنها"، ترتدى قبعات و ملابس ساحرة وهى بمثابة منشط لإيليزا، دائمًا ما تأتى إليها و هى تحمل شيئًا ما قامت بطهيه، أو تجعل إليزا تخرج معها لمشاهدة فيلم سينمائى. تذهب إليزا كل يوم إلى نادى غداء، تديره مؤسسة الرفاهية للعجائز، ويمكنها بعد ذلك أن تعطى تفاصيل لكل شىء، مثلا أن اللحم قد تم غليه لدرجة مبالغ فيها، أو أن السبراوتس كان ناشفًا جدًا، أو أن بودنج الأرز قد وضع به المقدار الصحيح من المكسرات. لأنها كانت فى يوم من الأيام تعمل طباخة لدى أسرة. حتى وقت قريب، كانت تمضى بضع ساعات فى "العمل": يصنع المسنون النتائج الورقية يلونون بطاقات الكريسماس، يعملون كل أنواع العمل البسيط، يؤدون بعضه بشكل جيد جدًا، لأنهم قد يستخدمون مهارات العمر كله. ولكن الآن، تقول إليزا، لا بد أن تبدأ فى تقليل ذلك قليلا، فهى لم تعد قوية

كما كانت. بعد طعام الغداء، و فنجان من الشاى وثرثرة، ستذهب هى و واحدة او اثنتان أو ثلاث من صديقاتها للتسوق. هؤلاء هن النساء العجائز اللاتى لم أكن أراهن أبدًا من قبل ولكن، منذ أن عرفت مودى، كنت أراهن يمشين بتثاقل عبر الطرق بحقائبهن و سلالهن - ولم أكن أستطيع أن أخمن أبدًا، إن الإنس هو الأمر المهم فى حياتهن، السرور. إنهن يعشقن التسوق، هذا أمر واضح، والمحل الذى سيتسوقون منه أم لا فى يوم محدد هو نتيجة موجات شعورية دقيقة ومتحولة. هذا الهندى لا يحافظ على محله نظيفًا، ولكن إحداهن قد لاحظته و هو يمسح محله بالأمس، ولهذا فقد قررن أن يمنحوه فرصة ثانية. سيذهبون إلى السوبر ماركت هذا الأسبوع، لأن هناك فتاة جديدة ذات ابتسامة رائعة تضع الأشياء فى سلالهن عوضًا عنهن. الرجل الذى يقف عند القسم تحدث مع واحدة منهن بجفاء الأسبوع الماضى، ولهذا فسوف يخسر خمسة أو ستة زبائن لأسابيع قادمة، إن لم يكن للأبد. إن ذلك يبدو أكثر أهمية من وجهة نظرهم من الحصول على عدد أكبر من البسكويت الأرخص سعرًا أو الأقلال من سعر الزبدة لكبار السن. بعد التسوق، تجلب إليزا واحدة منهن معها إلى البيت من أجل تناول الشاى، أو تذهب إليهن. حينما تعود للمنزل تجلس قليلا عند نافذة المطبخ، حيث يمكنها أن ترى حبال الغسيل كلها التى ترقص فى السماء حينما تكون هناك رياح، ثم تنظر لأسفل فى غابة

الحديقة، وتتذكر كيف زرعت زهور الليلك فى مساء ما منذ خمس وثلاثين عامًا مضت، وهذا الركن الآن قد تزايد الزرع فيه حتى أصبح مثل صورة.

إنها بشكل ما تخشى الليل المبكر، هذا ما اكتشفته. فى إحدى المرات، وأنا ذاهبة لآنى، رأيتها وهى تضع خدها على يدها. أدارت وجهها للناحية الأخرى وأنا أقول، أوه إليزا، مساء الخير ! ـ ثم، حينما دخلت، أشارت، بقلق، إلى الكرسى الخشبى الآخر وجلست.

"أترين؟" قالت، "ينبغى أن تظلى مشغولة، لأنك إن لم تفعلى، فإن الحشرات النائمة ستكون فى انتظارك..." ثم مسحت عينيها وجعلت نفسها تضحك.

ثم، وعلى نحو مدهش، ارتدت قبعتها مرة أخرى.

"إليزا، ألن تخرجى؟ ألا ينبغى أن تستريحى؟"

"لا ، لا ينبغى. يجب أن أظل فى حالة حركة، إن أحسست أننى مكتئبة..." ثم خرجت مرة أخرى، تزحف حول المربع السكنى الذى تقطنه، امرأة قصيرة وسمينة قليلة الحجم و شجاعة تسير فى وقت الغسق.

لا تهتم بوجبة العشاء، غالبًا ما تتناول قطعة من الكيك، أو سلطة. بعد العشاء، غالبًا ما تزورها صديقة تسكن فى الجانب المقابل، أو تستمع إلى الراديو. إنها لا تفضل التليفزيون. وهكذا تمضى

مساءها، حتى تذهب إلى الفراش، فى وقت متأخر جدًا، غالبًا بعد منتصف الليل.

ولمدة أسبوعين أو ثلاثة، من الربيع وحتى الخريف، تخرج فى رحلات إلى أماكن شهيرة، أو أماكن تنعم بالجمال، تنظمها مؤسسة الرفاهية أو واحدة أو أخرى من الكنيستين اللتين تذهب إليهما. لأن إليزا متدينة جدًا. إنها معمودية. تذهب إلى الكنيسة مرتين يوم الأحد، مرة فى الصباح وأخرى فى المساء، وتذهب إلى حفلات الشاى والبازارات التى تقيمها الكنيسة والتخفيضات، وإلى محاضرات مساعى الإرسالية فى الهند وإفريقيا. وتحضر بشكل مستمر حفلات الزواج والتعميد.

حينما سألتنى ماذا فعلت و أخبرتها، وأنا أخفض نبرة صوتى قليلا، فهمت كل شىء، لأنها كانت تعمل مع أشخاص ذوى مسئولية، وسألتنى كافة أنواع الأسئلة التى لم تخطر ببالى أبدًا، مثل: هل فكرت بالأمر جيدًا، بسبب أننى ليس لدى أبناء، وأتولى وظيفة رجل قد يكون مسئولا عن أسرة لينفق عليها وتحب أن تتحدث عن ـ ليس الملابس التى كانت ترتديها لمدة نصف قرن مضى ـ ولكن أنواع الموضة التى تراها فى الشوارع والتى ترتديها الفتيات، والتى تدفعها للضحك، كما تقول، يبدو منظرهن مجنونًا، يبدو أن الفتيات يقضين وقتًا طيبًا. إنها تحب أن تراهن، ولكنها تتعجب إن كن يعرفن ما معنى ألا يكون

لديك فستان جديد، فقط أن يكون عليك أن تجدى مقاسك فى محل الملابس المستعملة.

لأن أبيها قد ترك أمها فى يوم ما. رحل ولم يسمع عنه أحد ثانية. كان لديها ثلاثة أطفال صغار، بنتان وولد. لم يكن الصبى، تقول إليزا، يصلح لأى شىء، فقد ولد كسولا، ولن يعمل أبدًا ليساعد الأسرة، ورحل هو أيضًا حينما كان فى الرابعة عشرة من عمره، ولم يرسل حتى بطاقة تهنئة بالكريسماس. كانت أم إليزا تعمل من أجل الطفلتين. محل الملابس الذى عند ناصية الطريق كان لديه ملاءاتهم وملابسهم غالبًا من يوم الإثنين وحتى يوم الجمعة، حينما يتم استبدالهم مرة أخرى. اعتادت المرأة التى تقوم على إدارة المحل أن تضع جانبا معطفًا جيدًا من أجل الفتاتين، أو زوج من الأحذية تعرف أنه سيناسبهما. وكانت تقول، "حسنًا، إن لم تستأجره فتاة مسكينة فى وقت ما، فستكون لكما الفرصة الأولى".

أحضرت إليزا فى إحدى الأمسيات بطاقة بريدية، تعود للحرب العالمية الأولى، لفتاة يتيمة حافية القدمين. حينما تفحصتها، فكرت كم هو رومانسى، لأن هذه هى الصورة التى كانت تقدم بها الفتاة الفقيرة، كل القسوة قد أبعدت عن الحقيقة، قالت إليزا: "هذه الطفلة هى أنا. لا، أعنى، أننى كنت على هذه الحالة. حينما كنت فى الثانية عشرة، خرجت أنظف السلالم من أجل اللوردات فى مقابل قرش واحد. و لم يكن لدى أى أحذية، وكانت قدمى متعبة

من البرد، وكان لونها أزرق، أيضًا..كانت أوقاتًا بشعة" تقول إليزا. "بشعة. وبرغم ذلك يبدو أننى أتذكر أننا كنا سعداء. يمكننى أن أتذكر ضحكى، وغنائى مع أختى، برغم أننا كنا جائعتين معظم الوقت. وأمى المسكينة ضئيلة الحجم تبكى لأنها لم تكن تستطيع المواصلة..."

إليزا لا تحب مشاهدة التلفاز، ولكنها ستعبر الطريق لتشاهد مسلسل الناس اللى فوق، الناس اللى تحت. يجعلنى ذلك غاضبة، ولكنى بعد ذلك، أسأل نفسى، لم إذًا أكتب روايات رومانسية؟ الواقع غير محتمل، وهذا هو ما يمكننى فعله إزاءه!.

سيدة كريمة !

خطر ببالى أن هرميون ويتفيلد وبقيتهم (ذكورًا وإناثًا) وفيرا وأنا نمثل - بالفعل الورثة الحقيقيين للسيدة الفيكتورية الكريمة المانحة، وقد أخذنا مكانها.

هذه هى روايتى الرومانسية الجديدة:

بطلتى هى سيدة بلا لقب، ولكنها زوجة رجل ثرى جدًا فى المدينة. تعيش فى بيسووتر، فى واحدة من المنازل الكبيرة بالقرب من كوينزواى. لديها خمسة أبناء، تخلص كأم فى تربيتهم. زوجها ليس رجلا قاسيا، ولكنه فظ. لقد وصفته مستخدمة لغة مسروقة بشكل صريح من خطاب من إحدى جرائد الحركة النسائية القوية التى اعتادت فيليس أن تتركها على مكتبى. إنه غير قادر على فهم نقاط دقيقة

متعلقة بها. لديه عشيقة يحتفظ بها فى مايدا فال، وقد أراح هذا بطلتنا كثيرًا. بالنسبة لها، فإنها زيارة الفقراء الموجودين بكثرة، تشغل معظم وقتها. لا يستاء زوجها من هذه الأنشطة، لأنها تبعدها عن تفكيره. تخرج كل يوم، ترتدى ملابسها البسيطة والجميلة فى آن، وترافقها خادمة صغيرة جميلة تساعدها فى حمل أوانى الحساء والبودنج المغذى.

بالطبع، لا أسمح لهؤلاء العجائز غير المقبولين الذين تقوم بمساعدتهم بطريقة ما بأن يتواجدوا بشكل ما على صفحات روايتى (على الرغم من أنها تصف أحدهم وكان قد أصيب فى الحرب الكريمانية بابتسامة هازئة بوصفه رجلاً صعبًا). لا يصرخ أحدهما أو يهتاج، مثل مودى، أو يكرر عشر أو أثنتى عشرة جملة ذاتها خلال زيارة تدوم ساعة أو اثنتين، وكأنك لم تسمعها من قبل مئات المرات، أو يكون فى مزاج سيئ أو كئيب. لا، قد يعيشان فى فقر مدقع، لا يعرفان أبدًا من أين تأتيهما اللقمة التالية، يعيشان على الشاى، والخبز والبطاطس (فيما عدا ما تقدمه لهما السيدة الكريمة) قد لا يكون لديهم ما يكفى من الفحم، أو قد يكون لديهم أزواج أشرار وحشيون أو زوجات تحتضرن بسبب السل أو الحمى، ولكنهم دوما أناس يتسمون بالبطولة ويستمتعون هم ومارجريت انستروثر بصداقات مبنية على تقدير صفات بعضهم البعض. لا تمتلك مارجريت بالتأكيد نوبات الاكتئاب، الإعياء، إننى لا أسمح باقتراح ما قد يكون عرضًا

لأحد الأمراض العقلية المرعبة التى عانت منها هؤلاء النساء الفقيرات. لأنها لا تسمح لنفسها بأن تصاب بالملل، و هو السبب الرئيسى للنوم لسنوات طويلة على أريكة و أنا أعانى من ألم فى الظهر أو الصداع النصفى . (كنت قلقة بشأن كتابة كتاب نقدى بعنوان إسهام الملل فى صنع الفن. مستخدمة هيدا جابلر، التى كان أداؤها الفريد بسبب جنونها بالملل، كمثال). لا، لم تكن مارجريت تعانى من شىء سوى حبها الصامت لطبيب شاب كانت تقابله فى مرات عديدة فى تلك البيوت الفقيرة، وكان يحبها. ولكن كان لديه زوجة صعبة وغير مجدية، وبالتأكيد تلك الأرواح الرقيقة لن تفكر أبدًا فى تجاوز الواقع. إنهم يتقابلون على فراش الموت، وفراش المرض ويلطفون الأجواء الإنسانية معًا، تتقابل العيون فى أوقات ما، أغانٍ بلا كلمات، تومض العينان حتى، بشكل نادر جدًا، بدمعة لا تسيل.

يا له من ثقل قمامة قديمة! تقريبًا مثل الناس اللى فوق والناس اللى تحت، وقد أعجبتنى للغاية أنا والجميع.

ولكن البحث الذى أجريته (بحث شامل) قادنى إلى احترام حقيقى لتلك البطولات التى لم يتغنى بها الشعراء بعد، مثل النساء الفيكتوريات اللاتى اتصفن بالسخاء، اللاتى كان أزواجهن يقومون باستغلالهن فى ذلك الوقت، من المحتمل (كيف يمكننا أن نعرف، حقيقة؟) ، ويحتقرونهن الآن. للمرء أن يشفق عليهن،

فهن غالبًا صامتات، وغالبًا ما يكتب عنهن ولا يتحدثن هن عن أنفسهن. لأنه لابد أنهن كن صنفًا صعبًا، يمارسن أعمالا شاقة ومتعبة يومًا بعد الآخر، وسنة تلو الأخرى. هذا هو ما استطاع أن يصل إليه جاك لندن وديكنز ومايهيو من خلال جولات استكشافية قصيرة فى الفقر، ثم الابتعاد مرة أخرى، بعد اكتسابهم لما يكفى من حقائق. حينما أفكر كيف كان الحال بالنسبة إليهم، الذهاب إلى تلك المنازل، فى أواخر القرن التاسع عشر، كم كان أمرًا مرعبًا، باردًا، كئيبًا، مهلكًا، نساء محطمات، أطفال غير آمنين، رجال متوحشون ـ لا، لا، لن أقول المزيد. ولكننى أعرف شيئًا واحدًا جيدًا، وهو أن مودى وآنى ثريتان و سعيدتان بالمقارنة بهؤلاء الناس..

ستقول آنى، والمساعدون يجيئون و يرحلون، "إننى أفكر فى أمى العجوز المسكينة، لم يكن لديها أى شىء من ذلك".

"ما الذى حدث لها بعد ذلك، من أعتنى بها؟"

"لقد اعتنت بنفسها"

"هل احتفظت بصحتها؟"

"كانت يداها مرتعشتين، وكانت الأطباق والفناجين تسقط من يدها دومًا. اعتادت أن تدفع كرسيًا فى المكان وتستخدمه كدعامة حينما سقطت وانكسرت عجيزتها. وكنا نجلب لها بعض الطعام والقليل من الجعة القوية الداكنة فى بعض الأحيان".

"هل كانت وحيدة فى ذلك الوقت؟"

"لقد كانت وحيدة ـ لسنوات. لقد عاشت حتى سن السبعين. لقد تجاوزت سنها بعشر سنوات أو أكثر، لقد أبليت بلاءً حسناً، أليس كذلك؟"

أعرف جيدًا أن ما أسمعه من إليزا عن حياتها ليس هو كل الحقيقة، من المحتمل أنه لا يحمل صدقًا ما ولْكنى أشدت بها، كما تفعل كاتبة قصة مروية بشكل جيد. أيام الصيف الطويلة تلك، بلا سحابة واحدة! نزهاتها تلك مع زوجها! تلك النزهات الصغيرة فى المنتزه ! أعياد الكريسماس تلك ! هذه المجموعة من الرفقاء المحبين، يجتمعون دومًا، ولا كلمة متقاطعة واحدة!.

فى أوقات ما، هناك لحظات ما حينما يرفع الحجاب، أوه، فقط للحظة واحدة. إنها محتجة دومًا، إليزا المسكينة، أخلاقية تمامًا، لا أستطيع أن أعرف كيف يمكن لهذه المرأة أن تفعل هذا أو ذلك؟ لقد كانت غاضبة لأيام عديدة بسبب خبر منشور فى الجريدة عن سيدة مسنة تركت زوجها من أجل شاب صغير. إنه أمر قذر، قذر. وبعد لحظات قليلة، وبصوت آخر، صوت متسرع، رقيق، حالم: لو كان الأمر يتعلق بى الآن، لكنت تركته، كنت تركته، وتخلصت من ...

أخشى، مرة أخرى، أن ما أرادت أن تتخلص منه هو الجنس...

لم يكن لدى إليزا أى أطفال. كانت تريد أن يكون لها أطفال.

هل ذهبت يومًا للطبيب و سألته؟

"أوه، أجل، لقد فعلت ذلك، وقال إنه ليس هناك ما يعوقنى عن الإنجاب، وأنه ينبغى أن أطلب من زوجى المجىء للفحص".

"أفترض أنه لم يرد أن يذهب؟"

"أوه، لم أكن أستطيع أن أخبره بأمر مثل ذلك، لم يكن ليسمع بهذا الأمر" بكت. "أوه، لا، السيد بيتس كان يعرف حقوقه، تعلمين..."

كانت إليزا تقطن فى البدروم، وهى مثال لنا جميعًا...

فى الطابق العلوى،تسكن الحزينة آنى ريفز.

تناولنا فيرا روجرز وأنا طعام الغداء، فى نصف ساعة، ونحن فى عجلة من أمرنا.

قلت لفيرا، " ما يهمنى فى هذا الأمر هو: متى اتخذت آنى القرار بأن تكون ما هى عليه الآن؟ لأننا نأخذ قرارات قبل أن نعلم بذلك".

"أوه، لا ليس الأمر بهذا الشكل أبداً. لقد كانت دوما إليزا بهذا الشكل، وآنى كانت دومًا على هذه الصورة!".

"يا لى من متشائمة، نحن لا نتغير إذًا؟"

"لا، انظرى إلى مودى فاولر! لقد كانت دومًا على هذا النحو، كما أتوقع. لقد قابلت ابنة عم لى مؤخرًا

بعد عشرين عامًا ـ لم يتغير شيء، لا مقطع من كلامها، ولا عادة من عاداتها".

"يا إلهى الرحيم، فيرا، إنك قد تدفعين شخصًا لأن يقفز من مرتفع جبلى!".

"لا أرى ذلك على الإطلاق. لا، يبقى الناس على حالهم، طوال حياتهم"

"إذًا، لم تحاولين بجهد كبير مع آنى؟"

"لقد وصلت إلى بيت القصيد. لا أعتقد أنها ستتغير. لقد رأيت ذلك من قبل، لقد قررت أن تستسلم. ولكن دعينا نحاول لبعض الوقت، إن كنت لا تمانعين، ثم سنعرف أننا فعلنا أقصى ما بوسعنا".

إن حملتنا من أجل آنى هى كل ما هو إنسانى وفطن. ها هى ذى، امرأة مسنة مهملة، بلا أصدقاء، هناك بعض أفراد من الأسرة فى مكان ما، ولكنهم يجدون حالتها عبئًا وفضيحة ولن يجيبوا على التماساتها، ذاكرتها تتداعى، ليس فيما يتعلق بالماضى البعيد، ولكن فقط ما قالته منذ خمس دقائق، كل العادات التى اعتادت عليها طوال حياتها تنسل خيوطها من بين أيديها، تتحول وهى تجلس وقدمها لأسفل حيث توقعت أنها تجد أرضًا صلبة...، وهى، تجلس فى كرسيها، محاطة فجأة بوجوه تعلوها ابتسامات متفائلة يعرفون تمامًا كيف يضعون كل شىء فى مكانه الصحيح.

انظروا إلى إليزا بيتس ـ الكل يصيح. انظروا كيف أن لها العديد من الأصدقاء، تشترك فى العديد من الرحلات، إنها دومًا فى الخارج، تتجول... ولكن آنى لن تحاول أن تسير بشكل ملائم، تخرج، وتبدأ حياة حقيقية مجددًا.

"ربما حينما يأتى الصيف".

بسبب إليزا بيتس فهمت كيف يمكن أن تستمتع مودى بالعديد من الأسفار، الرحلات القصيرة الممتعة، البازارات، الحفلات، الاجتماعات، ولكنها لا تفعل. افكر فى الأمر برمته. أتصل بفيرا، التى يصبح صوتها على الفور مهنيًا لبقًا، حينما تعرف أننى بصدد سؤالها عن شىء ما.

"ماذا تقولين؟" سألت فى النهاية. "تعنين أنه أمر غير ذى أهمية أن تبدأ مودى فاولر بعمل أى شىء جديد لأنه ليس من المحتمل أن تعيش لوقت طويل؟"

"حسناً، إن الأمر يقارب المعجزة، أليس كذلك؟ يكاد يقترب الوقت من العام الآن، وهى تعتمد على نفسها، و لكن..."

سلكت سبيلى إلى مودى يوم السبت، ومعى بعض محلى كريز جلبته معى من أمستردام، حيث ذهبت من أجل استعراض الربيع. مثل إليزا، تعرف مودى وتستمتع بالأفضل. جلسنا فى مقابل بعضنا الآخر نشرب، وامتلأت الغرفة برائحة الكريز. فيما وراء الستائر المسدلة مطر خفيف يقطر صانعا ضوضاء

من قناة مكسورة. رفضت أن تدع العمال اليونانيين يدخلون المنزل لإصلاح تلك القناة.

"مودى، أريد أن أسألك شيئًا ما دون أن تغضبى منى".

"إذًا، سأفترض أنه أمر سيئ؟"

" أريد أن أعرف لِمَ لَمْ تذهبى أبدا لتلك الرحلات إلى الأماكن الريفية التى ينظمها المجلس المحلى هل قضيت الإجازة معهم ذات مرة؟ ماذا عن مركز الغداء؟ هناك كل هذه الأشياء...".

جلست وهى تظلل وجهها الصغير بيد مثيرة للاشمئزاز وملطخة بتراب الفحم. لقد قامت بتنظيف المدخنة هذا الصباح. المدفأة: تقول لى إنها سببت لها كوابيس. "يمكن أن أموت فى سريرى هنا"، تقول، "بسبب الدخان ودون أن أعلم".

قالت: "لقد احتفظت بنفسى لنفسى ولا أرى سببًا يدفعنى للتغيير".

"لم أفلح سوى أن أتعجب من كل الأوقات الجميلة التى قضيتها".

"هل أخبرتك بأمر حفلة الكريسماس، أكانت قبل أن ألتقى بك؟ أقامت الشرطة حفلاً. وصعدت على المسرح وطويت ردائى لأعلى الركبة. أفترض أنه لم تعجبهم رؤية تنورتى الداخلية".

تخيلت مودى، وهى ترفع تنورتها السوداء الثقيلة

فيظهر لباسها التحتى، مترنحة قليلاً، مستمتعة بنفسها.

قلت، "لا أعتقد أن الأمر كذلك، ".

"إذًا لماذا لم يقوموا بدعوتى مرة أخرى؟ أوه، لا عليك، لن أذهب الآن، على أية حال".

"وكل تلك الأنشطة الكنسية. اعتدت أن تذهبى للكنيسة، أليس كذلك؟"

"كنت أذهب. ذهبت مرة لتناول الشاى، ثم ذهبت مرة أخرى لأن فيكار ذلك قال إننى لم أكن عادلة معهم. جلست هناك، أحتسى الشاى فى أحد الأركان، وجميعهم لم يرحبوا بى كما ينبغى، يثرثرون، يثرثرون مع أنفسهم، وكأننى كنت غائبة عن الوجود".

"هل تعرفين إليزا بيتس؟"

"السيدة بيتس؟ أجل أعرفها"

"حسناً إذًا"

"لو أننى أعرفها، لم يتوجب على أن أحبها؟ أتعنين أننا مسنتان، وهذا سبب لكى نجلس ونمارس النميمة معا. لم أكن أحبها وهى صغيرة، أنا متأكدة من ذلك، ولم أكن أحبها وهى متزوجة، لقد كانت تعامل زوجها بقسوة، لم تكن تسمى منزله منزلا له، لم أحب ما رأيته منها من ذلك الحين، إنها لم تشعر بذاتها كامرأة أبدًا، إنها دومًا ما ترافق عشرة أو أكثر، يثرثرون، هراء، هراء، فلم على أن أحبها الآن وأقضى

معها أمسيات للعشاء وأتناول الشاى معها؟ دومًا ما أحببت أن أقضى الوقت مع صديقة واحدة، وليس مع فوضى من الناس ويبقون معًا لأنه ليس هناك من مكان آخر يذهبن إليه".

"كنت أفكر فقط أن هذا قد ييسر مرور الوقت عليك".

"لست رفيقة جيدة بما يكفى لإليزا بيتس. ولم أكن كذلك طوال العشرين عامًا الماضية. أوه، إننى لا أقول إننى لم أكن أستمتع بنزهة قصيرة هنا أو هناك، إننى أذهب للكنيسة فى بعض الأحيان حينما يكون لديهم بازار، أذهب لأبحث لنفسى عن شال أو حذاء جيد طويل الرقبة، ولكن قد لا أكون هناك على الإطلاق بسبب ملاحظات نسوة الكنيسة علىّ".

"لم لا تأتى مرة أخرى للمتنزه؟ أو يمكننى أن آخذك فى رحلة نهرية. لم لا، سيأتى الصيف فى الحال؟"

"إننى سعيدة بالحال التى أنا عليها الآن، سعيدة بك حينما تأتين لتجلسين معى. أفكر فى ذلك فى المساء الذى قضيناه معًا فى حديقة روز، وهذا يكفى".

"أنت عنيدة يا مودى"

"سأراجع أفكارى، شكرًا لك".

بعد رحيلها ببضعة أسابيع، تلقيت مكالمة هاتفية من جويس، فى الخامسة صباحًا.

"هل أنت مريضة؟" هذا ما وجدتنى أقوله، وكأننى أكتب لها من مكان ما بداخلى.

"لا، هل ينبغى أن أكون كذلك؟"

"أنت تتصلين فى وقت مبكر جدًا"

"سأخلد للنوم فقط الآن. أوه، بالطبع، فرق التوقيت".

"لا بأس، سأنهض الآن ، لأبدأ العمل."

"جانا القديمة المجدة" تقول جويس بطريقة غامضة جديدة، بلكنة ساخرة.

"أوه جويس، هل أنت مخمورة؟"

"أنت بالتأكيد لست كذلك!".

"هل تتصلين بى فى الواقع لتخبرينى كيف تسير الأمور؟ الشقة؟ الزوج؟ الأطفال؟ العمل؟"

"بالتأكيد لا، يا جانا، كنت أفكر مع نفسى، كيف حال جانا، كيف حال رفيقتى القديمة جانا؟ إذًا، كيف حالك؟ و كيف حال تلك المرأة العجوز؟ "

" بقدر ما أستطيع التمييز، من المشتبه أن تعانى من السرطان".

"مبروك،" قالت جويس.

"ماذا يعنى ذلك؟"

"السرطان. إنه يجتاح العالم. حسناً، لا أرى أنه أسوأ من أى شىء آخر. ألا تعتقدين ذلك؟ أعنى

الالتهاب السحائى، تصلب الأنسجة المتعدد" ومضت جويس تستكمل قائمة طويلة من الأمراض، وجلست هناك أفكر، لا يمكن أن تكون مخمورة إلى هذا الحد. لا، إنها تتظاهر بذلك، لسبب ما. وفى الحال، بدأت الحديث كيف أن الأمراض قد انحسرت. عبارتها شديدة الغرابة. "لو قرأت الروايات الفيكتورية، كان الناس يموتون كالذباب بسبب أمراض ليست لدينا الآن مطلقًا. مثل الدفتريا. مثل الحمى القرمزية، وغيرها".

وهكذا مضت المحادثة لنصف ساعة أو أكثر. فى النهاية قلت، "جويس، إن هذه المكالمة ستكلفك مالاً باهظًا".

"أجل ستكلفنى، يا جانا المجدة ، يا صديقتى القديمة. ينبغى أن يكون لكل شىء ثمن؟"

"حسناً، أجل، لقد خبرت ذلك".

"لأنك جعلتها تجربتك"، ثم أنهت المكالمة.

ثم اتصلت مرة أخرى فى وقت قريب. فى الخامسة صباحًا.

"أحب أن أفكر بك وأنت تعملين هناك، يا صديقتى القديمة، بينما أقضى وقتى فى اللهو فى الحفلات..."

"لقد انتهيت من كتابة رواية رومانسية،" قلت لها: "إنك أول من أخبره بذلك، ولقد أعجبتهم".

"رومانسية...أنت محقة تمامًا. إننى، على سبيل المثال، لم أحظ بما يكفى منها. انظر للخلف وما أراه هو ، سنوات أمضيتها فى العمل بجدية فائقة من أجل أى استمتاع. وهذا ما ترينه يا جانا، بشكل واضح، إن نظرت للخلف".

" إننى أستمتع الآن"

صمت طويل، ممتد.

"لا تقولى لى ذلك، لأننى لن أصدق"

"إننى أستمتع بكتابة تلك الروايات الرومانسية. لقد بدأت فى كتابة رواية أخرى. السيدة الكريمة، هل تحبين الاسم؟"

"كريمة. هذه كلمة فهمتها. لقد وصلت لمفتاح فهم شخصية المرأة الأمريكية. الكرم. لقد أتت من سنو وايت، لقد شكلن شخصياتهن عليها... منحن أنفسهن بكرم لهذا وذلك فيما بعد..."

"وأستمتع بكتابة مقالات جادة"

"لابد أنك تعملين بشكل شاق لتستمتعى بنفسك".

"هراء.إننى أعمل بشكل جاد جدًا. وأنا أستمتع بصحبة السيدات المسنات. أستمتع بذلك العالم، ما يحدث، لم أشك أبدًا فى أنه كان يحدث من قبل".

"أمر جيد بالنسبة لك"

إنها جويس ثانية: "حفلة أخرى؟" سألتُ.

وقالت، "هذا ما يفعله المرء هنا"

دومًا ما أسألها ماذا ترتدى، لكى أكون فى ذهنى صورة لها، وهى دوما ما تجيبنى، تمامًا مثلما يرتدى الآخرون. لأنها تقول: إن الأمريكيين تقليديون، ربما أكثر شعوب الأرض، وحتى حينما يتمردون فإنهم يفعلون ذلك على دفعات، ودائمًا ما يرتدون مثلما يرتدى غير التقليديين. لقد علق البعض على طريقة ارتدائها لملابسها لمرات عديدة. ظننت أن تعليقاتهم كانت بسبب أنها أصبحت كبيرة السن جدًا لكى ترتدى تلك الملابس، ولكن لا، لقد سألها البعض بشكل حاد "لم يظهر البريطانيون دومًا بمظهر الغجر؟". إنها طبيعتنا الرومانسية الوحشية، أجابت، ولكنها تخلت عن أسلوبها ، وقصت شعرها، والآن لديها دولاب يمتلئ بسراويل مقصوصة جيدًا، قمصان، سترات، وعدد متنوع من الفساتين الصغيرة. تقول، حينما تدخلين غرفة، تفحصك عيون الحاضرين من قدمك لرأسك لتتأكد أنك تقعين ضمن الحدود المتفق عليها.

إنها تستمتع بنفسها، لأن هذا ما يفعله المرء. يستمتع زوجها بنفسه: لديه صديقة جديدة، التى تصادف أن تكون زميلة قديمة لجويس. يا إلهى الرحيم! تبكى جويس، فى الواحدة، فى الثانية، فى الثالثة صباحًا (هناك) قبل أن تخلد للنوم، تفصح عن حزنها لى وأنا محاطة بفناجين القهوة فى الصباح الباكر (هنا) ، حينما أفكر فى كل تلك المعاناة التافهة قبل أن أرحل ! هنا لا أحد يحلم بأن يبقى متزوجًا لأنه لم يعد أحد يستمتع بالزواج.

الأطفال أيضًا يستمتعون بأنفسهم، وينظرون إلى وطنهم الأم، باعتباره متخلفًا وبربريًا، لأننا فقراء وليس لدينا مثل تلك الثلاجات المكدسة بالطعام.

لقد حدث تطور جديد فى المكتب: السياسة التحريرية.

لا أدرى إن كنت أعتبر ذلك أمرًا جادًا، أم لا، أعتقد، من المحتمل، إنه أمر جاد. هناك شىء ما فى مناخ العمل، شىء جديد، لا أحبه، ولكنى أسايره، ولكنى لا أحب التغيير،لأنه كان مرنًا. غطرسة؟ ولكنى رأيتهم بوصفهم متغطرسين. الانقلابات ليست الخط الذى أسير عليه تمامًا، ولكنها لم تكن غائبة بشكل كامل فى حياتى كلها، ويبدو لى أننى لا أستحق أن أحتمل كما أنا. كما كنت. فقد بدأت أتردد بشكل أقل على العمل. فجأة وأنا أتجول فى المكتب، أقابل مجموعات من العاملين أو الرفقاء، الذين بدوا صامتين، وكأن ما سيتبادلونه من حديث لن يكون مفهوماً من قبل هذا الغريب عن المكان. على الرغم من ذلك، ما قالوه قد استمعنا إليه آلاف المرات، الكلشيهات السياسية المتناثرة، لا يمكننى أن آخذها على محمل الجد. بشكل عام، لا يمكننى أن آخذ الأمر بجدية، حينما يخوض هؤلاء الصغار، وكلهم ينتمون للطبقة الوسطى، فى قيم الطبقة الوسطى، فإنهم يودون تحطيمها، استبدالها، يتحدثون عن عفونتها، وضرورة فضحها. هناك، فى الحقيقة ، رجل واحد ينتمى للطبقة العاملة فى هذا المكان، إنه مصور

صحفى، ويعمل والده عامل طباعة: وهو ما يقودنى إلى تحليل طويل عن طبيعة الطبقة العاملة فى هذه البلاد التى تصطبغ بصبغة الطبقة الوسطى، ولكننى لن أتبع هؤلاء الأكاديميين إلى تصيد الأخطاء. ما يعد حقيقيًا هو ليس التنوع اللانهائى لمواقفهم الدينية، لأفكارهم المتعنتة، ولكن الحس العاطفى الذى يجلبونه لمجادلاتهم. هناك روح جديدة فى المكتب، لم تكن هناك من قبل، مناخ مجنون، حسود، هائج، يجعل من الحتمى على كل واحد أن ينتقد، أن يحطم أى شخص لا ينسجم بدقة مع رؤيته الفكرية، وأيضا، ينتقد ويدين معظم الوقت، كل من فى المجموعة ذاتها ممن يختلفون معهم بشكل مؤقت. ما يشغلنى بالنسبة لهذا الأمر هو أننا نتعلم كل ذلك من آلاف المصادر، الكتب، التليفزيون، الراديو، وبرغم ذلك يستمر هؤلاء وكأنهم يفعلون شيئًا للمرة الأولى، وكأنهم قد اخترعوا كل تلك العبارات الفاسدة.

لقد جاء الوقت حينما أصبحت منزعجة للغاية من كل ذلك لدرجة أننى فهمت ما كانت تقوله لى فيرا.

نستمتع أنا وفيرا بأوقات تناولنا للغداء معًا، فاصوليا مطبوخة، أو أومليت، وفنجان قهوة، ونحن نتجول. نحن نستمتع بما نفعل، أو بالأحرى، لكى أكون دقيقة، نستمتع بأننا نستطيع أن نفعل ذلك، ونفعله بشكل جيد.

"يا إلاااهى،" تقول فيرا، تجلس وهى منهارة، وتدفع للسقوط ملفين تبلغ كثافة كل منهما قدمين،

ليسقطا على الأرض وهى تحاول الوصول إلى سيجارة، "يا إلااهى، جانا، سأقول لك، لو أننى فقط أعرف متى بدأت هذا العمل، لا أنت تجلسين هناك وتجعلينى أنفجر، لن تصدقى ذلك أبدًا..."

"لا، لم أكن لأصدق ذلك، فى حقيقة الأمر".

ما لم أصدقه هو أنه الآن يوم الخميس، وهناك خمسة اجتماعات فى هذا الاسبوع ينبغى أن تحضرها.

"لا تتعلق هذه الاجتماعات بأمر محدد، لا شىء، جانا، أرجوك صدقينى، أى شخص عاقل سوف يقوم بإصلاح أمر ما فى خمس دقائق بخمس كلمات. هناك العديد من الاجتماعات لأنهم يعشقون الاجتماعات، الاجتماعات هى حياتهم الاجتماعية، بأمانة يا جانا، إنها الحقيقة. استغرق الأمر منى وقتًا طويلاً لكى أتفهم الأمر، ولكن بمجرد أن أدركت الأمر.... ما المشكلة معهم؟ فى البداية، حينما بدأت، سألت نفسى إن كان هناك ما يعيبنى. إنهم يقولون، تعرفين كيف تمضى الأمور حينما تكونين جديدة؟ ألن تأتى لهذا الاجتماع؟ سأذهب. هل تعلمين، إنهم فى الواقع يقيمون الاجتماعات لكى يلعب كل منهم دور الآخر، هل بإمكانك أن تهزمه؟ يقولون، الآن طونى امرأة مسنة، و فلتكن أنت زوجها. أويناقشون هذا الأمر أو ذاك. هل تعلمين أن هناك بعضًا من يعملون بالقطعة لم يخرجوا أبدًا من المكتب ويعملون فى الواقع مع

العملاء؟ إن المساعدة الخاصة بس، هكذا يطلقون عليها، تعمل لبعض الوقت، ولم تخرج من المكتب منذ صباح الإثنين، لقد كانت فى اجتماعات متواصلة. أعتقد أنها تظن أن هذه هى وظيفتها. وفى كل مساء بعد العمل، كل ليلة مزعجة. ثم يخرجون للحانة معًا، حيث يجدون الناس ذاتهم. لا يطيقون الافتراق. وإن كنت تظنين أن هذه هى نهاية الأمر، لا، هناك أعياد الميلاد، وأعياد الزواج، سأخبرك، لو أن باستطاعتهم أن يؤجروا سريرًا كبيرًا بما يكفى، فسوف يقضون حياتهم كلها معًا عليه، وهم يجتمعون. حسناً، إننى أذهب لبعضها، أفعل ما بوسعى، ثم أقول، اعتبرونى خارج الأمر. ولهذا فهم يعتبروننى غريبة جدًا الآن. إنهم يقولون لى دومًا، وكأننى نادرة الوجود، وربما أنا كذلك، على الرغم من أننى أشك فى هذا الأمر، هناك اجتماع الليلة، ألن تأتى؟ أقول، أخبرونى بكل ما دار فيه فى الصباح. يمكنك أن تشرحى الأمر كله لى، إننى غبية، كما ترين، يبدو أننى غير قادرة على فهم السياسة".

عدت ثانية إلى المكتب وأنا مسلحة بتلك البصيرة الجديدة. لقد كان الأمر حقيقيًا جدًا. إنهم يدعون للاجتماعات كل يوم، لمناقشة ساعات العمل، أوقات الغداء، أثقال العمل، الإدارة، سياسة المجلة، أنا، الانحياز السياسى للمجلة، حالة البلاد. الكثير من هذه الاجتماعات تعقد أثناء أوقات العمل. اتصلت بتيد ويليامز، ممثل النقابة، وقلت إنه بقدر اهتمامى أنه الشخص العاقل الوحيد بين مجموعة العاملين

وقلت إننى سأمنع كل الاجتماعات فيما عدا تلك التى يدعو إليها. ضحك. كان يعتقد أن انقلابات الطبقة الوسطى تلك مجرد مزحة. (دعينا نأمل ألا تكون لهم الضحكة الأخيرة).

دعوت لاجتماع لفريق العمل بأكمله، حضره مائة شخص تقريبًا، وقلت إن هذا هو الاجتماع الأخير المسموح به فى أوقات العمل فيما عدا تلك الاجتماعات التى يعقدها ممثل النقابة. ومن الآن فصاعدًا، يمكنهم أن يمارسوا حياتهم الاجتماعية خارج المكتب. صدمة. رعب، ولكن بالطبع كانوا يستمتعون بهذه المواجهة بالكامل، المواجهة مع العدو، بالتحديد أنا، بشكل محدد مع قوة رد الفعل.

تناولت الغداء مع فيرا، وقلت لها، وهى تشكو بسبب الاجتماعات العشر لذلك الأسبوع" اكبحى جماحك، يبدو أنك تظنين أن هذا مرض خاص بالعاملين فى مجال الرفاهية. لا إنه مرض قومى. إنه فى كل مكان، مثل الوباء. الاجتماعات، الحديث، إنها طريقة لعدم إنجاز أى شىء. إنها حياتهم الاجتماعية. إنهم أناس وحيدون، معظمهم، وليس لديهم منفذ اجتماعى كاف. ولهذا، فلا مخرج سوى الاجتماعات. على أية حال، لقد قمت بمنعها فى ليليث."

"لم تفعلى!"

"لقد نظمت الأمر ليكون اجتماعًا واحدًا فى الأسبوع. الكل عليه أن يحضر، وغير مسموح لأى

أحد أن يتحدث لأكثر من دقيقة، إلا إذا كان الأمر عاجلاً جدًا. أعنى لا يمكن إرجاؤه، ثم يذهبون للحانة ليعقدوا اجتماعات يناقشون فيها أمرى".

"إن الأمر هو، أن تلك الكائنات البائسة، لا يعرفون أنهم يمارسون حياتهم الاجتماعية، إنهم بالفعل يعتقدون أن الأمر يتعلق بالسياسة".

أجلس هنا، وأنظر بيقظة إلى عامى الماضى...أنظر إلى الكلمة، يقظة. إننى لن أنكرها! وأنا أنظر أفكر فى عبارة جويس الكسولة العاطفية : جانا الطيبة القديمة.

حسناً، حسناً . وأنا أجلس هنا، وأنا أنظر بعناية إلى العام الماضى، ألاحظ مرة أخرى كم عملت بجهد. وبرغم ذلك، كما قلت لابنة أختى جيل حينما اتصلت لتسأل، "آمل ألا تكونى تعملين بمشقة، خالتى جانا؟" وهى تعنى، أوه لا تعملى بكثرة، لا تكونى مملة، لا تقومى بفعل أشياء صعبة وأشياء ملزمة، ماذا سيحدث لأحلامى بالإثارة والاستمتاع السهل؟ - "إننى لم أعمل فى حياتى بمشقة كما تفعل أمك، وسيكون ذلك صحيحًا لو عملت لعشرين ساعة فى اليوم".

"هل يمكننى أن آت لأقضى معك نهاية الأسبوع؟"

"أجل أرجوك تعالى. يمكنك أن تساعدينى فى شىء ما".

جاءت. كان ذلك منذ شهر واحد.

طلبت منها أن تكتب مقالاً عن تأثير الحربين العالميتين على الموضة. راقبت وجهها. كنت قد جربت بالفعل هذه الفكرة فى جلسة التفكير. قلت إنه، فى الحرب العالمية الأولى، اعتاد كل واحد فى العالم على صور مجموعات الناس وهى ترتدى زيًا موحدًا. للمرة الأولى فى هذا المقياس. مشروطًا بفكرة الزى الموحد، فإنك ستكون أكثر رغبة لكى تتبع الموضة، اتباع الموضة، ستكون موافقًا بدرجة أكبر على الزى الموحد. فى الحرب العالمية الثانية رأى العالم الملايين وهم يرتدون زيًا موحدًا. الدولة الرئيسة لبست بنطالا ضيقًا مستفزًا جنسيًا، مع التركيز على المؤخرة. منذ الحرب العالمية الثانية،أصبح الكل حول العالم يرتدى زيًا موحدًا محكمًا مفعمًا بالطاقة الجنسية. موضة عالمية. بسبب الحرب العالمية.

قلت ذلك بشكل جاف و حقيقى، لا إثارة فيه. أردت أن أرى كيف سيكون رد فعلها. أنصتت. راقبتها. كانت عصبية، و لكنها تحاول.

"لا أعتقد أنه باستطاعتى كتابة مقال كهذا".

"ليس الآن، أم أنك لن تكتبيه أبدا؟"

"ليس الآن"

"متى تبدئين امتحاناتك؟"

"فى غضون أسابيع قليلة. أما زلت تزورين السيدة...؟"

"السيدة فاولر، أجل أزورها"

فجأة تغيرت ملامح وجهها إلى وجه محتج، اشمئزازها الحقيقى، عرفت منه كم تشعر بالتهديد.

تمامًا كما كنت سأفعل ـ يا للخسارة، ثم صاحت: "لم لا تعتنى بها أسرتها؟ لماذا لا تضعها مؤسسة الرفاهية فى منزل؟ لم ينبغى أن تفرض نفسها عليك؟"

أخذت ثلاثة أسابيع إجازة. ينبغى أن أفعل الكثير. لم آخذ دائمًا ما استطعت، حتى حينما كان فريدى حيًا. ولم يفعل فريدى أيضًا. خطر لى: هل كان مكتب فريدى هو بيته؟ لو كان الأمر كذلك فإنه بسبب ما كان يعانيه منى. كنا نذهب فى إجازات قصيرة، عادة إلى فرنسا، و كنا نأكل و ننام بشكل جيد. كنا سعداء بعودتنا للمنزل.

كانت فيليس تشعر بالسعادة بالطبع لتوليها المسئولية، كانت لها نظرة حينما تبدو راضية، ولكنها كانت تخفيها. لماذا؟ كل شىء كان يمنح لها بشكل مجانى و سهل. ملابسها على سبيل المثال. أسلوبها فى ارتداء ملابسها، وهو أسلوبى بعد أن أخضعته لذوقها، لم يكن ليتوفر لها حال أفضل من ذلك. الملابس الحريرية الناعمة، كل شىء فاخر وبراق، شعر ذهبى بنى. فى بعض الأحيان زينة قليلة عند الياقة والمعصمين ـ لا أستطيع أبدًا أن أرتدى مثل تلك الملابس، يا للخسارة، إننى صلبة جدًا. حلى رقيقة من ذهب جيد يظهر من فتحة قميص سادة بلون القهوة فتكون له إضاءة رقيقة بالفعل، سلسلة رقيقة ترى من

تحت عنقها تعكسها خطوطها الرفيعة. إنها تذهب للخياط الخاص بى ولمصفف شعرى ولمن يقوم برتق ملابسى، إنها تستخدم المحال التى أخبرتها بها. وعلى الرغم من ذلك، يبدو الأمر وكأن عليها أن تسرق هذه الخبرة منى: لأننى حجبتها عنها بشكل ظالم. ولهذا، فحينما ترانى وأنا ألاحظ ثوبها الجديد، وأنا أفكر، أوه، أحسنت صنعًا يا فيليس! فإنها تكون بحاجة لأن تخفى تلك الابتسامة المتعالية التى تفضى: أجل هذا صحيح، لقد تفوقت عليك! أيتها الفتاة المدهشة.

إننى فقط التى أتعجب إن كان أسلوب فيليس المنمق هو شىء داخلى فحسب. أراقبها وهى فى غرف المصورين. كانوا دومًا، هم، والمناطق التى يعملون فيها، مثل القطب، الميزان،، لمكتبنا أنا وجويس ـ مكتبنا أنا وفيليس. مركزين للطاقة. ميشيل الذى لم يلحظ الفتاة أبدًا، يظهر اهتمامه بها الآن. وهى مهتمة به. الأمر يختلف تمامًا عنى أنا وفريدى: فوضويون، عرضيون، متساوون. على أية حال، لم يستسلم أى منهما بقدر بوصة واحدة. أراقبهما فى مشهد مميز. هو يميل للخلف فى مقابل طاولة مستندة على قائمتين خشبيتين والساقين متعامدين، كاشفًا بذلك الطول الكامل لسراويله من القطيفة المضلعة الناعمة، العقدة الواعدة معروضة بشكل جيد. رأسه مائلة قليلاً، وهكذا فإنه يبتسم لها عبر الخط المائل الذى يصنعه خده. غنه وسيم مايكل هذا، ولكن حتى وقت قريب فقط لم أواجه به. وفيليس كانت تضع إحدى فخذيها

على المكتب، والساق الأخرى على شكل منحنى طويل مثلث. ، تعرض طول جسمها بالكامل له، فى شىء ما جميل وناعم مثل شمواه أسود، أو لون ساطع غير متوقع ، وشعرها ينسدل على وجهها وهما يتناقشان ـ أوه كم يبدو عملهما تنافسيًا. يدع عينيه ترحلان إلى جسدها بإعجاب هائل يسخر من نفسه، بينما تفتح هى عينيها بوله ساخر من العقدة الناعمة البارزة أمامها. ثم يذهبان لتناول الغداء معًا، حيث يناقشان فى معظم الوقت، توضيب الصفحات أو الإعلانات.

أستمتع بمراقبة هذه اللعبة، ولكننى لا أستطيع أن أظهر هذا الاستمتاع، لأن فيليس ستشعر، وكأن شيئًا ما قد سرق منها. أوه، جويس، ليس هناك من أشاركه هذه اللحظات.

كيف استمتعت بثلاثة أسابيع. لم أرحل بعيدًا، لأننى لا أحتمل أن أترك مودى لوقت طويل جدًا: إن كان ذلك جنونًا، فليكن كذلك.

اتصلت بى جويس. إنها تشرب أكثر مما ينبغى.

"لم لا تتصلى بى أبدًا يا جانا؟"

"من المفترض أن تتصلى أنت بى. إنك من قررت الرحيل"

"يا إلهى، إنك مصرة".

"حسن جدًا، أجل إننى كذلك"

"أراك تجلسين هناك وتكتبين ـ ما الذى تكتبينه؟ السيدة الكريمة؟"

"لقد انتهيت تقريبًا من كتابة كتاب آخر جاد ذى طابع سوسيولوجى اسمه "بنى حقيقية وواضحة".

"أعتقد أن عندك كل هذه الطاقة بسبب أنه ليس لديك حياة عاطفية؟"

"ما تعريفك للحياة العاطفية ؟ زوج، أبناء، أو حتى عشيق؟"

"حتى عشيق! ألا ترغبين أن يكون لك عشيقًا، يا جانا؟"

"أخاف أن يكون لى عشيق"

"حسناً، هذا حديث صريح، على الأقل"

"أكثر صراحة منك ، هذه الأيام، يا جويس".

"صريحة؟ إننى أكاد أسرب رائحة بسبب إخلاصى العاطفى. لقد التحقت بمجموعة مواجهة، هل أخبرتك؟ إننا عشرة. نحن نصرخ فى وجه بعضنا الآخر، ونخرج ما نعانيه من سوء معاملة، ونحيا من جديد طفولتنا المرعبة".

"لم أكن أعرف أن طفولتك كانت مرعبة"

"ولا أنا. ولكن يبدو أنها كانت كذلك"

"الحقيقة فى النهاية، أهى كذلك؟ حقيقة عاطفية؟"

"لن تعلمى شيئًا عنها يا جانا ".

"الحب هو أمر لا أعرف عنه شيئًا. أجل، أعرف ذلك."

"حسنًا؟"

"حسناً، أتعلمين؟ تلك السنوات التى قضيناها ونحن نعمل معًا، بلا كلمات متقاطعة، ونحن نفهم بعضنا، لقد كان هذا هو الحب، بقدر فهمى. أتعتقدين الآن أن الحب هو كل ذلك الصراخ والصياح و القرب؟"

"بالطبع، أنا الآن أمريكية. أتصرف كما يتصرفون".

"سأعيد النظر فى أفكارى، إذًا، أشكرك".

ومرة أخرى:

"ماذا تفعلين يا جانا؟"

"لقد انتهيت من كتابة بنى حقيقية وواضحة منذ عشر دقائق"

"إنك تنجزين بسرعة، أليس كذلك؟"

"لقد أخذت إجازة لمدة ثلاثة أسابيع".

"أليس لديك رغبة فى رحلة قصيرة لباريس، أمستردام، أو هيلسنكى؟"

"إننى أستمتع كثيرًا بمدينتى هذه الأيام، صدقى أو لا تصدقى"

"فى التحدث مع نساء عجائز مملات؟"

كيف أعشق مهرجان الاحتمالات التى تطرحها دومًا هذه المدينة ؟ ولكننى لم أعرف إلى أى حد إلى أن حصلت على عطلة لثلاثة أسابيع لطيفة، مع نفسى

تماما، أيام ربيعية طويلة، لكى أسعد نفسى فيها. فجأه وجدت نفسى محاطة بمحيطات من الزمن. فهمت أننى أختبر الزمن كما تفعل العجائز، أو كما يفعل صغار السن جدًا، يمكننى أن أجلس على حائط ممتد عبر حديقة وأراقب العصافير وهى منشغلة فى شجرة صغيرة. لا أعرف العصفور الأسود من الزرزور. أجلس فى مقهى، وأمامى فترة ما بعد الظهيرة كلها، أنصت وأنظر بينما تتضاحك فتاتان حول صديقيهما. استمتاعهما المكثف. الاستمتاع، هذا ما افتقدته فى حياتى، لم أعرف هذا الاسم إلا نادرًا، لقد كنت مشغولة جدًا، أوه، لقد كنت أعمل دومًا بشكل جاد للغاية.

كنت أتعلم بشكل بطىء حقيقة الاستمتاع الكامل من العجائز، اللاتى يجلسن على مقعد خشبى ويراقبن الناس وهم يمرون، يراقبن ورقة شجر وهى تتأرجح على حافة. ريح هادئه تحملها: هل ستسقط من فوق، تنسحق تحت العجلات؟ لا، إنها تستريح، ورقة شجر خضراء سميكة نضرة، مضيئة ومليئة بالسوائل، من المحتمل أن تكون قد انتزعتها حمامة من فرع ما. عجلات عربة التسوق تدور بجوارها، تخطئ الورقة فحسب. عربة التسوق تخص فتاة وضعت طفلاً بداخلها. إنها فى حالة حب مع الطفل، تبتسم له وتميل عليه، وهو ينظر إليها بثقة، الاثنان منفصلان عن الحياة بفعل الحب معا على الرصيف، يراقبهما العجائز الذين يشاركونهما الابتسام.

أحب أن أجلس على مقعد خشبى بجوار بعض العجائز، لأننى الآن لم أعد أخشى رؤية كبار السن، ولكنى أنتظر حتى يثقون بى بشكل يكفى لأن يقصوا علىّ حكاياتهم، المفعمة بالتاريخ. أسأل، قولى لى، ماذا كنت ترتدين يوم زفافك؟ ولسبب ما كانت هناك دومًا ضحكة تنطلق، أو ابتسامة. "تريدين أن تعرفى ذلك، إذًا، أليس كذلك، حسناً، كان لونه أبيض، أنت تعلمين، وعليه..." أو أسأل، هل حاربت فى الحرب القديمة، تعرفين الحرب من ١٩١٤ ـ ١٩١٨"يمكنك أن تقولى أجل فعلت..." وأجلس، وأنصت، أنصت.

أحب تفاصيل هذا الأمر كله، بكل ما فيه. والأكثر من ذلك، لأننى أعرف كم هو خطر. إن كان لظهرى أن ينطق فسيقول فقط، لا، توقفى! لأكسر ضلعًا فى حجم ضلع دجاجة، على فقط أن أنزلق مرة واحدة على أرض حمامى، الذى تتكثف الزيوت والعطور على مربعاته ـ فى أية لحظة، قد يصفعنى القدر بمرض من مئات الأمراض، أو الحوادث، كلها غير مرئية، ولكنها ضمنية، فى شكلى المادى أو شخصيتى، وهذا هو الحال، سأكون إذًا فى عزلة. مثل مودى، مثل كل تلك الأشياء القديمة، التى أبتسم إليها الآن، وأنا أذهب بينها، لأننى أعرفهم الآن، أستطيع أن أعرف من الطريقة التى يميلون بها بحذر شديد لكى يدفعوا عجلات عربة التسوق إلى الرصيف، من الطريقة التى يقفون بها لكى يثبتوا أقدامهم فى مواجهة عامود إضاءة ، كم هو شعور غير آمن لديهم أن عليهم أن يتحركوا بشكل مستقيم ، لأنهم قد سقطوا بالفعل

العديد من المرات، واعتدلوا، واستقاموا ثانية، كل مرة بصعوبة أكبر، وبقاؤهم على الرصيف وأيديهم مملوءة بالحقائب، وعصا للسير، إنها معجزة..وحدة، تلك الهبة العظيمة، تعتمد على الصحة، شيء مقارب للصحة. حينما أستيقظ في الصباح، أعرف أنني أستطيع أن أتسوق، أطهو الطعام، أنظف شقتي، أمشط شعري، أملأ حوض الاستحمام وأغوص فيه والآن أقدم تحية لكل يوم قائلة ـ يا له من تميز، أمر ثمين، إنني لا أحتاج لأحد كي يساعدني طوال اليوم، يمكنني أن أفعل ذلك كله بنفسي.

طرت إلى مودي، التي تبدو سعيدة لرؤيتي هذه الأيام، لأنها تشعر بتحسن، ولهذا فهي لا تصيح في وجهي ولا تصفع الأبواب.

إنها لا تجد حكايات كافية عن حياتي الساحرة. أبحث في ذاكرتي عن شيء ما أقوله لها.

"هل يمكنني أن أحتسي بعض الشاي، يا مودي؟ انصتي، أريد أن أخبرك بحدوث أمر ما..."

"اجلسي يا عزيزتي، استريحي"

"لقد حدث ذلك في ميونخ"

"ميونخ، حقيقة؟ أهو مكان لطيف، إذاً؟"

"جميل، ربما ترينه في يوم ما"

"أجل، ربما أراه. حسناً ماذا حدث؟"

"أتعرفين كيف يتعين على هؤلاء العارضات أن يغيرن ملابسهن بسرعة أثناء العروض؟ حسناً، كانت

هناك فتاة ، جاءت وهى ترتدى فستانًا أخضر اللون للمساء، ثم سقط فجأة شعرها الأسود..." راقبت وجه مودى لكى أرى إن كانت رأت ما رأيته، ولكن ليس بعد. "فستان مساء ساحر مضىء أخضر اللون، وشعرها مرفوع لأعلى، أسود و ساحر، ثم فجأة ، ينزلق لأسفل..." لقد رأت مودى المشهد، إنها تصفق بيديها، وتجلس ضاحكة. "وكلنا البائعين، والمقدمين، كل الموجودين، ضحكنا وضحكنا، وقفت الفتاة العارضة هناك، بينما تتساقط شرائح من الشعر الأسود حول ظهرها وكتفيها، تدير رأسها و تصنع مشهدًا مسرحيًا مما حدث".

"وأنتم جلستم هناك تضحكون..."

"نعم، ضحكنا وضحكنا...أترين، لم يحدث ذلك الأمر أبدًا من قبل. إنه أمر مستحيل. لهذا السبب ضحكنا جميعًا".

"أوه، جانا، أحب أن أستمع لما تفعلينه"

كان لدى وقت لأستمع لآنى ريفز، إلى إليزا بيتس.

آنى تجلس على كرسى خشبى صغير بجوار مدفأة مشتعلة من كتل خشبية مقطعة، وهى ترتدى عباءة قديمة منقوشة بورود. وبجوارها أنهار من الطعام وبقايا سجائر.

"لا تعتقدى أننى لا أقدر ما فعلتيه لأجلى، قالت لى السيدة بيتس إنك قمت بكل أعمال التنظيف من أجلى"

"أنا و فيرا روجرز"

"أفترض أنك جارة طيبة"

"لا، لست كذلك"

فترة طويلة من التفكير المتأنى.

"فيرا روجرز ليست جارة طيبة بقدر كونها ناشطة اجتماعية، أليس كذلك؟"

"هذا صحيح"

"حسناً، إن هذا أمر كثير جداً بالنسبة لى" تقول ذلك وهى تركز على كل كلمة تقولها. تتحدث آنى ريفز بشكل كامل تقريبًا بأسلوب الكلشيهات، إنها كلمات تشع بحقيقة واضحة. الإنصات إليها هو مثل سماع مرحلة مبكرة من لغتنا. تقول، "إنك لست مسنة إن كنت صغيرة بقلبك. وأنا قلبى لا يزال صغيراً". سمعت تلك الكلمات، وفكرت فيها، وتعلم أنها تنطبق عليها، وتستخدمها باحترام. تقول، "لا أحب أن أكون مع مسنين، أحب رفقة صغار السن مثلك". "لو كانوا أخبرونى حينما كنت صغيرة أن الحال سينتهى بى هكذا، لم أكن لأصدقهم". تقول، "الزمن لا ينتظر أى منا، سواء أحببنا ذلك أم لا".

عملت آنى طوال حياتها كنادلة. من سن الرابعة عشرة وحتى السبعين، حينما استقالت ضد إرادتها، انتقلت آنى من الخدمة من شباك المطعم إلى طاولة عليها بيض، بطاطس محمرة، فاصوليا مطبوخة، لحم

مقلى وسمك مقلى. عملت فى مقاه وغرف تناول الطعام والكافيتيريات الخاصة بمحلات كبرى، وفى الحربين العالميتين قامت بتغذية الجنود ورجال الدفاع الجوى من كندا واستراليا وأمريكا، وقد رغب بعضهم فى الزواج منها. و لكنها لندنية، هكذا تقول، وهى تعرف إلى مَنْ تنتمى. وصلت آنى لقمة طموحها حينما كانت فى الستين من عمرها. حصلت على وظيفة فى مقهى حقيقى للأرستقراطيين. كانت تقطع الساندوتشات وتملأ اللفائف بأنواع مدهشة من الجبن المستوردة (التى لا يمكن أن تتذوقها هى نفسها) وقدمت الاسبريسو والكابيتشينو والكيك اللذيذ. عملت لعشر سنوات تحت إدارة رجل يمكن أن يوصف بالجنون وقد قام باستغلالها، ولكنها كانت لا تهتم لأنها أحبت العمل كثيرًا. حينما بلغت السبعين، قيل لها أن ترحل. لأنها عملت فقط لعشر سنوات هناك، لم تحصل على معاش، لم يكن لديها غير ساعة كانت ترهنها حينما تبدأ الأيام الصعبة. تمركزت حياتها دومًا فى عملها، حيث إن زوجها مات، بسبب شظية أصابته فى رئته فى الحرب العالمية الأولى. انهارت بسرعة، لجأت لتناول الخمور، وهى تفكر فى الأوقات الجميلة، وكيف أنه فى المكان الأخير، فى المقهى، كيف أنها كانت على علاقة طيبة بالناس الذين عرفتهم وعرفوها، وفى بعض الأحيان كانوا يأخذونها معهم للحانات ويشترون لها نبيذًا برتغاليًا قويًا حلو المذاق، واعتاد الصبية من الباعة المتجولين بعربات يد صغيرة

أن يصيحوا فى الشوارع، هذه هى آنى خاصتنا، ويعطونها خوخًا وعنبًا. لقد ظلت طوال خمسة وخمسين عامًا، واحدة من هؤلاء النادلات المبتسمات اللاتى يفضن إحساسًا بالأمومة اللاتى يجعلن من المطعم، أو المقهى مكانًا مألوفًا فيعود الناس ثانية إليه.

فى أوقاتها الصعبة كانت تجلس لتشرب فى برايفت بارز حتى يغلقوا أبواب الحانة، ثم تتجول فى الطرقات وحدها، فلم يكن لديها أصدقاء فى منطقتها، حيث إنها لم تتواجد فيها إلا نادرًا، فيما عدا فى المساء أو فى أيام الآحاد، حينما كانت تغسل شعرها وتعد زى العمل الذى ترتديه فى الأسبوع الذى يليه. وربما تقابل إليزا بيتس المثالية فى الشوارع، وهى نفسها سيدة عجوز قذرة نصف مخمورة، كانت تسير فى اتجاه آخر وتنظر إلى فترينة محل وتتظاهر بأنها لم ترها.

تتحدث آنى عن الطعام كثيرًا. مرة أخرى أستمع إلى تفاصيل عن وجبات كان الناس يتناولونها منذ ستين أو سبعين عامًا. كانت الأسرة تعيش فى هولبورن، فى مبنى مهدم الآن كان لديه سلالم حجرية وحمامان، واحد لإحدى جهات المبنى، وواحد للجهة الأخرى. كان من المفترض أن يقوم الجميع بتنظيف الحمامات والسلالم، ولكن فى الواقع قامت امرأتان أو ثلاث فقط بهذا العمل كان الباقى يتهربون. كان الأب عاملاً. مخمورًا. كان يفقد عمله بشكل مستمر. كان

هناك ثلاثة أطفال، آنى أكبرهم. فى الأوقات الصعبة، وكانت متكررة، كان الأطفال يركضون إلى المحلات، من أجل ست بيضات بستة قروش، من أجل خبز اليوم الفائت الذى قد فقد مذاقه، والذى يحجزه الخبازون الألمان من أجل الفقراء. أما الحساء الناجم من غلى رءوس الأغنام فقد كان يمنح مجانًا للفقراء الذين كانوا يعيدون وعاء من ذلك الحساء، بينما تصنع الأم زلابية، وهذا ما يتناولونه فى وجبة العشاء. إنهم يحصلون على بقايا لحم من الجزار بما يساوى ستة قروش ويصنعون منه يخنة. أطباق ضخمة من البودنج مليئة بالفاكهة، والسكر منثور عليها، صنعت لسد الشهية ـ تمامًا كما كانت مودى تتذكر. حينما تسود حالة من الوفرة، كانت الأسرة تحصل على أفضل من كل شىء فى طابور الطعام، لأن الأب كان يذهب إلى مزاد الجزارين فى مساء السبت، حينما يوشك اللحم المباع أن يفسد ويعود بقطع كبيرة من لحم البقر بنصف كراون، أو ساق من لحم الضأن. كانوا يأكلون سمك الأنقليس والبطاطس وصلصة المقدونس، جلبوها من محل السمك فى طبق كبير، أو شوربة بسلة سميكة مع البطاطس. كانوا يحصلون على ما يلزمهم من اللبن من سيدة عجوز لديها بقرة. كانت للبقرة رأس تبرزها للخارج من فوق الباب فى منطقة مظللة خلف المنزل، وكانت تصدر صوتًا.. مووو حينما يدخل الأطفال. كانت السيدة العجوز تبيع زبدة اللبن، والزبدة والقشدة.

كانت الأسرة تشترى أشياء "مبقعة" من محل الخضراوات: التفاح المبقع بنقط بنية، أو خضراوات اليوم الفائت. كانت تبدو جيدة كالجديدة، وفى بعض الأحيان لم يكن يطلب منهم مالاً على الإطلاق حتى يتخلصون منها.

عند الخباز، لو قاموا بشراء خبز ذلك اليوم، كانت المرأة الألمانية دومًا ما تعطيهم كيكا من اليوم الفائت. وفى السوق يقف صانع الحلوى عند الكشك تحت مظلة، يغلى التوفى فوق شعلة، ثم ينثر عليها جوز الهند أو البندق أو الفستق، وكان دومًا ما يعطى الأطفال أجزاء منها حينما يكسر التوفى بقادومه.

ثم تأتى الملابس بعد ذلك. آنى، كما تقول بنفسها، كانت فتاة صالحة، ولم تتزوج إلا حينما تجاوزت الثلاثين. كانت تنفق أموالها على شراء الملابس. كانت نحيفة وتحرص على أن تموج شعرها بمكواة خاصة بنصف كراون كل أسبوع، كانت تشترى ملابس من محلات فى سوهو. كان لديها فستان أسود للرقص وعليه ورود حمراء ترتديه فى حفلات رجال الشرطة. كان لديها رداء لونه أزرق فاتح و عليه شرائط بيضاء تناسبها وكأنها ترتدى قفازًا. كانت ترتدى القبعات الصغيرة التى تتدلى منها قماشة خفيفة، لأن الأولاد يحبون هذا المنظر. تنورة بنية اللون ملفوفة، وعليها أزرار من الجانب فى حجم الملعقة. سترة بمخمل أزرق وذات صدر مطوى. فى كل مرة تستدعى فيها شبح ملابس أخرى من ستين، خمسين

أو أربعين عامًا ماضية، تقول، إنهم لا يصنعون مثل تلك الملابس الآن، تمامًا مثلما تقول عن الدهون الصفراء على اللحم، لا يوجد طعام مثل ذلك الآن، وهى محقة.

سألتها ماذا فعلت بكل ملابسها القديمة: هذا ما يثير اهتمامى دومًا، لأن القليل جدًا من الملابس تفقد صلاحيتها. "ألبسها حتى يصيبنى الملل منها" تقول وهى لا تدرى ما أردت أن أعرف.

"ماذا تفعلين أنت إذًا؟" تقول وهى تختبر ملابسى ولكن ليس كما تفعل مودى، ولكن بخبرة نابعة من معرفة معمقة. "إنك تلبسين ملابس جميلة، هل ترتدينها حتى تبليها، إذًا؟"

"لا، أعطيها لأوكسفام"

"ما هذا؟"

أشرح. ولكنها ببساطة لا تستطيع أن تفهم. على أية حال، هذا ليس كل ما لا تستطيع إدراكه: تجمد عقل آنى، أو توقف، أو وصل لمرحلة التشبع عند نقطة ما من المحتمل أن ذلك قد حدث منذ عشر سنوات. أحيانًا وأنا أقف هناك، وأنا أنصت للقصص ذاتها، أجرب شيئًا ما جديدًا.

أخبرتها أننى أعمل لمجلة نسائية. إنها تعرف الاسم، على الرغم من أنها لم تقرأها أبدًا. إنها غير فضولية. لا، إن هذا أمر غير صحيح: الآلة التى تدعى عقلها لم تعد تعترف بأى شىء خارج النموذج الموجود.

ولهذا، سأقول، اليوم ذهبت لرؤية مصممة فساتين شابة، إنها تصمم الملابس من أجل... ولكن غالبًا يجب أن أنسحب فى الحال من العام إلى الخاص، لأننى أرى من عينيها أنها لم تدرك الأمر. "رأيت فستانًا جميلا" أقول، "كان لونه أزرق و ..."

تجلس آنى عادة عند نافذتها فى الطابق العلوى، تراقب الشارع، تنتظر أن يحدث أمرًا مثيرًا. تبقى وحيدة، فيما عدا الأوقات التى يأتى فيها فريق المساعدة المنزلية، الممرضة، خدمة الوجبات الجاهزة، وهم يأتون مسرعين ويخرجون فى عجلة من أمرهم. كانت تقضى حياتها كلها، فيما عدا السنوات العشر الماضية، بصحبة شخص ما، ولم تكن وحيدة أبدًا، هكذا تقول، ولكن الناس يحتمون فى بيوتهم هذه الأيام، بصحبة تليفزيوناتهم، وليس فى الشوارع يبتسمون وهم مقبلين على مغامرة ما، كما كانت تفعل هى وشقيقتها، شيئان صغيران وجميلان وبراقان، يريان الويست إند مجالا لخدماتهما، تعرفان كيف تستخدمانه لكى تتجنبا المخاطر. قد يسمحان لنفسيهما أن يلتقطهما زوج من رجال المبيعات، ويأخذانهما إلى رومانوز، وينعمان بعشاء ممتاز ووافر، ثم حينما يطلبا منهما مقابلا لهذه الدعوة، يقولان، هل يمكننا أن نستأذنكما فى الدخول لحمام السيدات، إن لم تمانعا؟ لمدة دقيقة واحدة ـ ولكنهما كانا يعرفان طرقًا ملتوية للخروج ، وهكذا ظلا مدينين لرجلى المبيعات. أو كانا يسمحان لأنفسهما بأن يلتقطهما شابان ويذهبان معهما إلى صالة للاستماع إلى

الموسيقى أو المسرح، ثم يذوبان فى الزحام أو يلجآن إلى مركز البوليس، وهما يختلقان قصة كاذبة، أو إلى محطة المترو تحت الأرض. لأنهما كانتا فتاتين صالحتين، لقد كانتا بالفعل، كما تقول لى آنى يوم تلو الآخر. هذا الجانب من حياتها، السنوات الخمس التى سبقت زواج أختها، حيث لم تعد الأختان فى العشرين من عمرهما، آنى فى عملها الأول، تلك السنوات كانت أفضل سنوات عمرها، تجلس لتفكر فى تلك السنوات وفى المقهى. هذا ما تود رؤيته الآن، وهى تنظر خارج نافذتها، ضوضاء حية فى الخارج، ولو كان هناك باعة جائلون بعربات صغيرة و تجارة فى الشارع، فسيكون ذلك أفضل كثيرًا لها. ولكن، لا، لا توجد مثل تلك الأشياء فى الطريق هذه الأيام. وبالنسبة لهؤلاء الشباب الذين تراهم هناك عبر الطريق، فإنها لا تعلق عليهم بكلمة طيبة أبدًا. الشباب، الأبناء، فى الحقيقة، من رفاقها أيام الشباب هى و شقيقتها، عشر أو اثنى عشر صبيًا وفتاة من الشقق التى تقع عند زاوية الطريق، يتسمون بالحيوية، ذوو بشرة سوداء، بنية، بيضاء، فاسدون، سارقون، فى بعض الأحيان كانوا يتسكعون فى هذا الطريق، وهو جزء من منطقتهم. ولكن ما يرونه هو وجوه متقدمة فى العمر تنظر من النوافذ، تلك البيوت مليئة بالعجائز وكبار السن، والمنطقة برمتها مملة للغاية بالنسبة لهم، كما هى بالنسبة لآنى.

كيف تعبر آنى عن احتجاجها وشكواها، إنها مضجرة للغاية، إنه أمر ممل...

تنتمى حكايات إليزا بيتس كلها للزمن الماضى البعيد، حينما كان زوجها وأختها على قيد الحياة.

الآن، ليس لديها أحد. هناك ابنة أخت فى مكان ما، كما تظن، ولكنها فقدت عنوانها. مات أخ غير شقيق لها منذ أيام قليلة. إنها تطرق برأسها وتبدو مبتئسة حينما تشير إليه. "لقد كان الأخير، الأخير، أتفهمين ما أعنيه،" تتمتم، ثم تدفع بابتسامة إلى وجهها.

تزوجت صديقتها "الشابة"، تلك المرأة ذات السبعين عامًا، من رجل تعرفت عليه فى مركز الغداء، وغادرت البلاد لتعيش فى إسكتلندا. لقد صدم ذلك إليزا بيتس. إنها تتعرض غالبًا ما تتعرض للصدمات المرعبة. لم أفهم هذه الكلمة أبدًا قبل أن أقابل إليزا بيتس. فهى قد تسمع شيئًا ما يصدمها، وهو غالبًا ما يحدث، فترفع يديها، وتنشر أصابعها، فى مستوى كتفيها، وتتسع عيناها، ثم تلتقط أنفاسها، وتصيح أوه، أوه، أوه. لم أكن لأفكر بذلك أبدًا!

• كانت تعترض على زواج صديقتها "الشابة"، لم أكن لأصدق أبدًا أنها هذا الصنف من الناس!.

إنها تعنى، صدق أو لا تصدق، إنها تشك أن السيدة المسكينة قد تزوجت ذلك العجوزالريفى النحيف مثل عصا من أجل متعة الفراش.

تلك السيدة التى تسكن الطابق العلوى لا تبدو مثل آنى تمامًا، فى أوقات قد تبدو فى أوقات ما مثل

حكيمة عالمية، امرأة محبة للعالم قد أدارت زناد بندقيتها بينما اغتصبت إيرين فى ملحمة فورستى وجهها المحطم انتصار ساحق. شكلت آنى خاصتنا - لكى تناسب ما تعتقد أننا نتوقعه منها - شخصية خائفة، منقحة، سلبية، شخصية ينبغى أن تُحجب عنها كل الحقائق المحزنة. على سبيل المثال، تسعد آنى حينما تخبرنا كم تعود أبيها، أمها، زوجها فى أغلب الأحيان أن يخفوا عنها مشهد كلب داسته عجلات سيارة فى الطريق، أخبار عن قريب قد مات لتوه، أو حتى جنازة تمر عبر الطريق. لأنها كانت شخصية حساسة جدًا، روح رقيقة. (طفلة - ابنة! طفلة - زوجة!) أوه، أجل، آنى الجميلة التى اعتادت أن تجتاح شوارع ويست إند، تلبس ملابس حديثة وفى الوقت ذاته، تظهر بمظهر متواضع ساخر، وهو - كما أعتقد - كل ما رآه عاشقوها فيها. من المحتمل، ذلك المقاتل الكندى، الجندى الأسترالى، البحار الأمريكى، محاربون من الحربين العالميتين، كلهم "اصطحبوها للخروج معهم" واشتروا لها هدايا، رجال المبيعات والبرلنجتون بيرتيز، لم يروا أبدًا هذه المنتصرة المخادعة، الأنثى المستغلة، تلك التى حينما تنسى الآن سخريتها وتفننها، قد تغمز بعينها وتقول، أوه، كنت أعرف كيف أعتنى بنفسى، لم أمنح أحدهم أى شىء دون إرادتى!.

ولكن فى الحال ستختفى هذه الفتاة، كما تتذكر آنى الحاجة لأن تحظى بالاحترام، ومرة أخرى ستكون

فتاة صغيرة خجولة، تلك السيدة الجالسة قبالتى ذات الخمس والثمانين عامًا فى وضع ساخر لطفلة فى الثالثة من عمرها، تقول فى صمت، أوه إننى شىء رقيق صغير، حلو جدًا...

لدَّى شعور أن آنى قد فكرت كثيرًا فيما ينبغى أن تقوله ، أو لا تقوله لنا، و أن حكاياتها قد قامت بتنقيحها بدقة.

ولكن فى بعض الأحيان هناك ومضات: جملة من إعلان، أو من أغنية شعبية، وسوف ينير وجهها، ممرضة ليلية صغيرة، نادانى، غنت بصوت خافت فى اليوم الذى يليه، ثم، وبعد أن تذكرت أنى أجلس معها، أطلقت ابتسامة نصف مرتعبة ـ نصف منتصرة. أجل، ممرضة ليلية ـ حسناً أحب أن أجلس هنا وأتذكر أنه كان لى حياة طيبة.

وأنا أقود سيارتى عائدة للمنزل، رأيت صحبة من سيدات عجائز على الرصيف، كلهن يلبسن القبعات والإيشاربات فى ليلة ربيعية باردة. لقد كانوا جميعهن فى هاتفيلد فى عربة، فى نزهة تابعة للكنيسة. سيدات صغيرات عجائز، يزقزقن ويدندن. رفقة جيدة جدًا من أجل مودى. كان القس هناك مع مساعداته من السيدات. كانت إليزا هناك تستند على رفيقاتها. أدركت أنهم يتصورون أنها واهية، وتزداد وهناً. اتصلت بفيرا، قالت: " إنها فقدت قريبها الأخير، وصديقتها المفضلة تزوجت ورحلت، عليك أن تتوقعى..."

رأيت مودى مرة أخرى أيضًا، فى ضوء الربيع القاسى، تجر خطاها، تلهث. الأصفر الساطع يلون وجهها، تلك النظرة المرسومة. ليس علىّ أن أتصل بفيرا لأسألها.

فى نهاية الأسابيع الثلاثة، قررت ، ببساطة، أن أعمل بشكل أقل. لقد أعجبتهم صانعات القبعات. أعجبوا أيضًا بتغيرات الموضة. كل ما كتبت.

سأعمل لبعض الوقت، ولا بد أن يحصلوا على رئيسة تحرير جديدة، أريد أن أستمتع بنفسى، أن أبطئ من إيقاعى ...

اتصلت بى أختى جورجى، بالطريقة ذاتها التى تتحدث بها، بطريقة حذرة غير ملتزمة، تسأل عن شقيقتها غير المسئولة. قلت، بلا تفكير، إننى سأعمل لبعض الوقت وفى خلال دقيقتين كانت جيل تتحدث على التليفون.

"خالتى جين،" وهى تلتقط نفسها بصعوبة، "لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا، لا يمكن"

صمت لفترة طويلة جدًا.

كانت تبكى، "خالتى جين، لقد قطعت وعدًا"

هل فعلت؟ هل قطعت وعدًا؟

بعد تفكير، كتبت لها، وشجعتها على أن تؤدى امتحاناتها الوشيكة بنجاح، وأخبرتها أن تأتى لرؤيتى حينما تعلم أنها انتهت من أداء امتحاناتها. كنت

أستطيع أن أستمع تقريبًا للأنفاس الباردة؟ المنتقدة لأختى جورجى: حقًا يا جانا، ألا تفكرين فى أى أحد سوى نفسك؟

جويس مرة أخرى:

تقول: " كنت أعمل على إصلاح أمر شقتنا، وانتهيت لتوى من تنظيف المطبخ، و فكرت بك".

"وكيف حال الشقة الجديدة، كيف حال الزوجة التى تلزم المعسكر".

"أعتقد أننى بصدد الحصول على عمل كمستشارة"

"مجلس ماذا؟"

"لا، وظيفة استشارية، سأعمل كمستشارة."

"مستشارة لمن؟"

" هؤلاء الذين يحتاجون لاستشارة"

"بالنيابة عن من؟"

"هؤلاء الذين يعرفون الإجابات"

" ومن المحتمل بالطبع أنهم سيدفعون لك مقابل ذلك؟"

"مبلغ كافٍ. أموال من أجل المربى، ولكن فى الحقيقة المفروض أن تكونى أنت فى هذا الموقع يا جانا. إسداء النصيحة كانت نقطة قوتك أنت أكثر منى".

"لم أسد أية نصيحة لأحد"

"وماذا تعنى تلك المقالات السوسيولوجية المطولة إن لم تكن نصيحة؟"

"وما مدى حب زوجك لأمريكا؟"

"إنه يتلاءم"

" وكيف حال أبنائك المفعمين بالنشاط؟"

"إنهم يتلاءمون و ينضمون إلى مجموعات تناسب أعمارهم"

"وكيف حالك أنت، يا جويس"

"يبدو أننى كبرت جدًا، أو أننى متزمتة لدرجة أننى لا أستطيع أن أتواءم مع الحياة هنا"

"أوه، هل يعنى ذلك أنك ستعودين للوطن؟"

"لم أقل ذلك يا جانا"

"أجل، أعرف"

"اعتقدت أنك ستفعلين"

"حسنًا، إننى أشتاق إليك"

"أشتاق إليك".

"مع السلامة"

"مع السلامة"

حسنًا، هكذا مر العام. كما قالت، فرجينيا وولف، إنها اللحظة الراهنة. إنها الآن.

قلت لهم إنهم لابد أن يحصلوا على رئيسة للتحرير، إننى سوف أحضر للعمل مرتين أو ثلاث فى الأسبوع، ربما، أو فى الصباح فقط. تلومنى فيليس. إنها تعمل بشكل جيد كمساعدة محررة، تعمل معى. هل أبقى فى وظيفتى من أجل فيليس، بسبب جيل؟ هذا ما تتطلعان إليه. طلبات صامتة ـ فيليس. رغبة لفظية أكثر وضوحًا ـ جيل.

ولكن الأمور ستنغلق أمامى بسهولة تمامًا كما انغلقت أمام جويس.

يعاملنى الشباب فى المكتب بشكل متحرر ساحر، أسلوب حديث للدار ــ بالتأكيد ليس أسلوبى، ومن أين أتى؟ كل شىء أصبح بشكل متزايد تعوزه الكفاءة، فوضوى. بدءوا مرة أخرى فى عقد الاجتماعات، ساعات للغداء، واستراحات لتناول القهوة. "أوه، اعذرينى يا جانا، لدينا اجتماع".

"استمتعوا بوقتكم،" أقول لهم، وقد يأست من هذه المعركة. إنهم متمردون، هؤلاء الشباب على درجة جيدة من التعليم، يحصلون على أجر جيد، يلتهمون طعاما جيدًا، إنهم مثلى ينفقون أموالهم على شراء ملابس جديدة أكثر من إنفاقها على إطعام أسرهم. حسناً، إن بيت الثورة هذا، له العديد من المقاطعات الشاسعة، أقول لهم، وهم يتفقون على أنهم يجدون ذلك مسليًا.

ينشغل مايكل وزملاؤه فى دراسة جادة لتقنيات غسيل المخ، الدعاية، استخدام الشعارات، التحولات ــ

كل تلك الأشياء. من وجهة نظر استخدامها للدفاع عن آرائهم ولدحض الآراء المناقدة لسلوكهم وسلوك قرنائهم.

أقول، "ولكن لا يبدو أنه قد دار بذهنك أنت وموظفيك أنكم ستستخدمون هذه التقنيات ضد معارضيك ـ من المحتمل أن أكون أنا أحدهم؟"

"أوه جانا ، لا تكونى كذلك".

"لا، إننى أجد ذلك كله أمرًا لطيفًا لا أكثر" أقول، "إن لم يكن هناك احتمال جاد تمامًا أنت وجماعتكم لأن تحصلوا على السلطة. لن يستطيع أى منكم بالطبع، البقاء لأكثر من عشر دقائق. سوف تزالون مع الموجة الأولى!".

"نحن واقعيون، نحن كذلك".

"كلكم رومانسيون. ليست الرومانسية القيمة الأفضل فى الطبقة الحاكمة الجديدة".

"حسنًا، ينبغى أن تعرفى شيئًا عن الرومانسية" يقول مايكل ملوحاً بالنسخة المصححة من صانعى القبعات ماريليبون، والتى يقرؤها جميع من فى المكتب بشغف. " ما رأيك فى أن تكتبى رواية جادة عنهم؟ لقد تم استغلالهم بشكل مخز،" قال صائحًا:

"سأترك هذا الأمر لك،" قلت: "أعتقد أن الحقيقة لا يمكن احتمالها، إنها أكثر مما يمكننا احتماله، ينبغى تجميلها".

"هاربة"

"ولكننى حينما أعطيته النسخة المصححة؟ لكتابى الجاد الموضة تتغير، لم يقرأه. هذا لأنه، أعرف ذلك، أنه يريدنى أن أبقى فى فئة معينة: امرأة رجعية كبيرة السن لا تستطيع مواجهة الواقع.

مودى مريضة. تبدو مرعبة. تجلس فى مقابلى، وتسدل الستائر فى ضوء النهار حتى لا أستطيع أن أرى وجهها، ولكننى أسمع صوت تنفسها يأتى قصيرًا وهى تغير وضعها فى كرسيها، أرى يديها وهى تأخذ مكانها لتحمى معدتها. تحتسى بعض الشاى بشكل متقطع، وكأنها تخشى أن يكون مسمومًا، ثم تشرب، بشكل مفاجئ، فنجانًا وراء الآخر و كأنه قد يطرد شيئًا ما بعيدًا.

على مدى هذا العام الماضى كنت أذهب للطبيب لكى آت لها بروشتات طبية، وأصرفها لها، لأنها لن تذهب لطبيب. لن تفعل.

قلت لها اليوم، "مودى، ينبغى أن تدعى الطبيب ليراك".

"لو قررتم كلكم كذلك، إذًا فعلى أن أفعل ما تخبروننى به".

كآبة.

"لا، إن الأمر يعود لك".

"هذا ما تقولينه"

أدركت فى الحقيقة أنها تريدنى أن أتصل بالطبيب، ولكنها لا تريد أن تقول ذلك. هل سيكتب روشتة جديدة من الأدوية؟ إن أراد ديكتاتور أن يخضع شعبًا، فكل ما عليه أن يفعله هو أن يظهر على شاشات التلفاز ويقول، والآن، أنتم جميعًا، حان الوقت لتتناولوا حبة دوائكم البيضاء. فقط، تناولى حبة الدواء البيضاء من أجلى، يا عزيزتى...

لأنك لو سألت آنى، لو سألت إليزا، ما تلك الحبوب التى تتناولونها؟ لن تفكرا أبدًا فى الرد بأنها تتناول موجادون، فاليوم، ديوكسين، فروسيمايد، سيقلن، إنها حبة صفراء كبيرة، إنها حبة بيضاء صغيرة، إنها حبة وردية اللون مع خط أزرق...

جاء الطبيب اليوم. لم أكن هناك. مودى: "إنه يقول إننى يجب أن أذهب من أجل الفحص".

"سأذهب معك"

"لو سمحت ؟"

"اصطحبت مودى اليوم إلى المستشفى. ملأت الاستمارة من أجلها وقلت إنها غير مستعدة أن تفحص أمام الطلبة. حينما جاء دورنا، استدعيت أنا أولاً. غرفة بها نوافذ متسعة، طاولة سلطوية، الطبيب الكبير، والعديد من الطلبة. وجوههم الشابة الجاهلة...

سألنى: "كيف يتسنى لى أن أدرس لتلاميذى إن لم أستطع أن أريهم أى مرضى؟".

قلت، "سيشكل ذلك عبئًا ثقيلاً عليها"

"و ما السبب؟ إن الأمر لا يشكل عبئًا بالنسبة لى، وأنا متأكد أن الأمر لن يشكل عبئًا ثقيلاً عليك حينما تكونين مريضة".

"لقد كان ذلك أمرًا غبيًا جدًا فقررت ألا أتضايق. "إنها مسنة جدًا، ومرتعبة للغاية"، قلت وتركت الأمر عند هذا الحد.

"همممممممممممم!" ثم، قال موجهًا حديثه لتلاميذه، "إذًا، أفترض أننى سآمركم بأن تخرجوا"

كانت هذه إشارة لكى أستسلم، ولكننى لم أكن أنتوى ذلك.

خرج التلاميذ من الغرفة. وبقى هناك المستشار، أنا، وشاب هندى.

"عليك أن تتعاونى مع مساعدى".

تأتى مودى على مهل، لا تنظر إلينا، تستند على الممرضة. وضعت فى الكرسى المجاور لى.

"وما اسمك؟" سأل الطبيب الكبير.

لا ترفع مودى عينيها لأعلى، ولكنها تتمتم. أعرف أنها تقول إنها رأتنى أملأ الاستمارة وأننى كتبت اسمها.

"مم تشتكين؟" سأل الطبيب الكبير بصوت مرتفع وواضح.

الآن ترفع مودى رأسها وتحدق فيه وهى فى حيرة من أمرها.

"هل تشعرين بألم؟" يسأل الطبيب.

"قال طبيبى أن علىّ أن آت إلى هنا،" تقول مودى وهى ترتعش من الخوف وشدة الغضب.

"فهمت. حسنًا، سيقوم الطبيب راؤول بفحصك، ثم ستأتين إلى هنا ثانية".

نتوجه أنا و مودى إلى غرفة العمل.

"لن أذهب، لن أفعل" تقول لى بعنف.

بدأت ببساطة بخلع معطفها، مرعبة تمامًا مثل الطبيب، ثم صدمتنى الرائحة. أوه، لو أننى فقط أعتاد عليها.

"لم ينبغى على أن أخضع للفحص؟" تشكو، "ليس هذا ما أريد، إنه ما تريدونه أنتم جميعًا".

"لم لا تدعيهم يفحصونك بينما أنت هنا؟"

خلعت عنها فستانها، ورأيت أن ملابسها الداخلية كلها متسخة، على الرغم من أننى أعرف أنها ارتدت ملابس داخلية نظيفة اليوم. إنها ترتعد. نزعت عنها كل ملابسها ما عدا التنورة الداخلية، ولفتها بملابس المستشفى الضخمة.

علينا أن ننتظر لوقت طويل. تجلس مودى معتدلة على طاولة الفحص، وتحدق فى الحائط.

جاء الطبيب الهندى فى نهاية الأمر. إنه ساحر. أحبه، و كذلك مودى، التى ترقد بصبر من أجله وتسمح له بأن يفحص كل جزء منها. (أرجوك أن ترقدى من أجلى يا سيدة فاولر، أرجو أن تستديرى من أجلى، أرجوك أن تسعلى من أجلى، أرجوك أن تحبسى أنفاسك من أجلى، إنها الصيغة، المهينة، المستخدمة فى كل المستشفيات و بيوت المسنين، يستخدمها كل من يتعامل مع المسنين، هؤلاء الذين ينبغى التعامل معهم كأطفال صغار). إنه ينصت لصوت قلبها، إنه يستمع لوقت طويل لصوت رئتيها ثم، وبرقة شديدة يستخدم يديه البنيتين لكى يفحص معدتها. معدة صغيرة ضئيلة الحجم، حتى أنك تتعجب أين يذهب الطعام الذي تأكله.

"ماذا هناك؟ ماذا يوجد بالداخل؟" تسأل، بعنف.

"حتى الآن لا يوجد شىء، بقدر ما أرى" قال مبتسمًا، فرحًا.

وبشكل مفاجئ، وفى خطوات واسعة يأتى الطبيب الكبير. يصيح، "ماذا تقصد من وراء إرسال أشعة المرىء إلى السجلات؟ أريدها فى الحال".

اعتدل الطبيب الهندى، وقف ينظر إلى رئيسه من فوق جسد مودى، و يداه البنيتان على معدتها الصفراء.

قال: "لابد أننى لم أفهم ما قلت".

"ليس هناك عذر لعدم الكفاءة"

فجأة تقول مودى، "لم أنت غاضب منه؟ إنه لطيف جدًا".

قد يكون لطيفًا، ولكنه طبيب سيئ جدًا" قال الطاغية ثم انسحب.

نحن الثلاثة لا ننظر لبعضنا.

يسحب الطبيب الهندى تنورة مودى الداخلية ويساعدها على الجلوس. إنه غاضب، نستطيع أن نرى ذلك.

"حسناً، أعتقد أنه يشعر بتحسن بعد ما فعله،" تقول مودى بمرارة.

نعود مرة أخرى لغرفة الطبيب الكبير، أنا ومودى والطبيب الهندى نجلس على ثلاثة كراس فى مواجهته.

أعرف أن الأمور سيئة، بسبب قلة كفاءة الرجل وبسبب أمر ما يخص سلوك الطبيب الهندى تجاه مودى. ولكن مودى تميل للأمام، وعيناها الزرقاوان معلقتان على وجه الرجل الكبير: إنها تنتظر كلمة من الأوليمبس. تأتى الكلمة أخيرًا: أوه، لقد حدث ذلك بشكل جميل جدًا، أعجبنى ذلك، درجة نهائية.

"حسناً الآن، السيدة فاولر، لقد فحصناك بدقة، وليس هناك ما لا نستطيع السيطرة عليه. لا بد أن تتأكدى من تناول..." وهكذا استمر فى الحديث، وهو يقرأ من ملاحظاته، ثم ينظر إليها ويبتسم، ثم يعود لينظر فيما لديه وكأنه يتأكد من الحقائق التى لديه، عرض جميل. كنت أفكر، لم أكن أعرف حتى وصل

التقرير لطبيب مودى، واتصلت به فيرا واتصلت أنا بفيرا، لم أستطع أن أعرف: حيث إنه ليست صلة قرابة لى بمودى، ولكنى فقط أقرب شخص لها، فعلىّ أن أقبل الأمر لا مفر.

فى التاكسى، مودى متوترة، ترتعش بشدة وتقول، "ماذا عن آلام معدتى، ماذا عنها؟"

لم تحدثنى عن أى آلام من قبل، ولم أكن أعرف ماذا أقول، فيما عدا أن الطبيب قد يجىء.

"لم أخذتنى إلى هناك، كل هذا العرض، هذا المستشار، كيفما يلقب نفسه، اللورد ماك، وبعد ذلك كله أعود للمنزل، ولا يمكننى حتى أن أعرف".

استغرق الأمر عشرة أيام، بينما كانت مودى مريضة بالقلق. إنها تعرف أن بها شيئًا ما خطير جدًا. كتب الطبيب الكبير للطبيب الصغير. اتصلت به فيرا. ثم اتصلت بى: مودى عندها سرطان فى المعدة.

تقول لى فيرا، "إنه أمر سيئ، أمر بشع ـ ولكن أتعلمين، إنهم يستطيعون السيطرة على الألم الآن، إنهم يعرفون تمامًا كيف يفعلون ذلك. ولهذا فحينما يتوجب عليها أن تذهب للمستشفى..."

فيرا قلقة بسبب قلقى - وأنا قلقة بالفعل. قلقة جدًا. وفى هذه الأثناء أخبروا مودى أن لديها قرحة فى المعدة و أعطوها مسكنًا للآلام. ولكن لسوء الحظ فقد صنعوا بعض الفوضى فى عقلها ولهذا فإن الحبوب كان مصيرها صندوق القمامة فى الحمام غالبًا.

تلقينا أنا و فيرا مكالمات هاتفية يمكن أن يفهم مغزاها بدرجة ما يجب أن تبقى مودى خارج المستشفى لأطول وقت ممكن. لا يجب أن تقلق بشأن المساعدة المنزلية إن لم ترد ذلك، أو يمكنها الاستعانة بممرضات يأتين لتحميمها. يجب أن نتأكد أن مالك منزلها لا يأخذ إجراءات قانونية لإخراجها من شقتها، وفى هذه الأثناء سوف تتحدث فيرا مع الشخص المسئول.

وإلى متى يستمر كل ذلك؟ وجدت نفسى فجأة بشكل يائس أريد كل تلك الأمور أن تنتهى. بإيجاز، أريد أن تموت مودى.

ولكن مودى لا تريد أن تموت. على العكس. إنها تموج بحاجة عنيفة لأن تعيش. إنها فيرا، من دفعتها دفعًا للمستشفى، وهى من دفعت طبيبها للمجىء، هى من تسببت فى أن يفرض عليها تشخيص قرحة المعدة. إنها فيرا العدوة: ولكن، كما تقول فيرا، هذا أمر طيب، لأن العجائز ينبغى أن يكون لهم عدو ما (العجائز فقط؟)، ولهذا فيمكنها أن تحتفظ بى كصديقة وبفيرا كعدوة. فيرا معتادة على ذلك.

تقول لى مودى، "قرحة المعدة؟". تجلس وهى تضع يديها المنقطتين على معدتها، وتحاول أن تشعر برقة. هناك عرق على جبهتها.

تقول فيرا إن خلايا الشخص المسن تجدد نفسها ببطء، ولهذا فإن السرطان سيأخذ وقتًا طويلاً لكى

يكون فتاكًا، وقد تعيش مودى لثلاثة أو أربعة أعوام ـ من يدرى؟

تناولنا أنا وفيرا الشاى فى المقهى عند زاوية الشارع وتناولنا فاصوليا مطبوخة على شريحة من الخبز. إننا نحاول أن نجهز وجبة ما، فى مكان ما، قبل أن نفترق ويحلق كل منا فى مجال عمله.

فيرا تقول لى، نعم ربما تعلم مودى، ولكنها أيضًا لا تعرف: وعلينا أن نأخذ إشارة منها.

تخبرنى فيرا عن رجل عجوز كانت تشرف عليه كان يعانى من سرطان فى الحوض وكان يبقى نفسه متماسكًا وقابلاً للحركة (حسب كلماتها!) لمدة عامين. هو يعلم. هى تعلم. هو يعلم أنها تعلم. ألمه المبرح، احتياله على مرضه، تدهوره البطىء ـ البؤس ـ تجاهل كل منهما كل ذلك. ولكنه بالأمس قال لها، حسناً، لن يطول الأمر الآن ، ولن آسف لموتى. لقد عشت بما يكفى.

لن تحصل مودى على مساعدة منزلية. كما تقول، أرى ذلك لسنوات هذا العامل الاجتماعى أو ذاك كانوا يحاولون أن يقنعوا مودى بعدم الرفض. الحكايات التى ترويها مودى، تجعلك تعتقد أنهم مجموعة من اللصوص والنساء الكسولات ذوات مظهر قذر. ولكن الآن، أعرف المزيد قليلا، لأننى أرى المساعدة المنزلية التى تجىء لآنى. كما أن إليزا بيتس مريضة، بشكل مفاجئ تمامًا مريضة جدًا، متهالكة تقريبًا، والمساعدة

المنزلية لآنى هى المخصصة لإليزا أيضًا الآن، على الرغم من أحد الأشياء التى كانت فخورة بها طيلة كل تلك السنوات هى أنها لم تطلب من أحد شيئًا أبدًا، ولم تشكل أبدًا عبئًا على أحد.

يوم من حياة المساعدة المنزلية.

قد تكون أيرلندية، من الغرب الهندى، إنجليزية ـ أى جنسية، ولكنها غير كفء وتعول أطفالاً، ولهذا فهى تحتاج لوظيفة يمكن أن تناسب التزاماتها الأسرية. إنها صغيرة السن، أو على الأقل، ليست مسنة، لأنك بحاجة لقوة من أجل هذا العمل. لديها ساقان متعبتان/ظهر متعب/عسر هضم مزمن/ متاعب فى الرحم. ولكن تقريبًا كل النساء لديهن متاعب فى الرحم هذه الأيام. (لماذا؟)

لابد بالتأكيد أن تسكن فى شقة تابعة للمجلس وأن تكون موظفة بالمجلس، بوصفها مساعدة منزلية.

إنها تستيقظ فى الساعة السادسة والنصف أو السابعة، حينما يستيقظ زوجها. إنه يعمل فى تجارة البناء وعليه أن يرحل مبكرًا. أحدهما يضع براد الشاى ويجهز الكورنفليكس من أجل الأطفال، وكلا الأبوين يوقظا الأطفال بمرح من السرير ويساعداهما على الاغتسال وارتداء الملابس. بينما تبقى هى عينها على إفطار كل فرد من الأسرة، حالته الصحية، طعام القطة، حالة الطقس، ينافس صوتها صوت الكاسيت الخاص بالابن الكبير، والذى أبقى صوته خفيضًا

لإلحاحها على هذا الأمر. و لكنها وبشكل فورى تخطط ليومها. إنها تمطر...لابد أن يأخذ الأطفال معاطفهم..يحتاج بينى للوازم كرة القدم..ينبغى أن تجد روشتة الدواء لزوجها الخاصة بعدوى البشرة التى أعلنت عن نفسها الأسبوع الماضى ولم تبد أية إشارة للرحيل. بينما تتصل من أجل موعد مع طبيب الأسنان من أجل "طفلتها" وهى الآن فى الخامسة من عمرها، تحث الابنة الوسطى، أن تسرع ، وتحضر كوفية معطف أختها ذات الخمس سنوات، لأن الوقت قد تأخر. انتهى زوجها من طبق الكورنفليكس حتى القطعة الأخيرة والتهم و شريحة خبز بالمربى، بينما يقرأجريدة الميرور خدش رقبته وهو غائب الذهن. تبدو رقبته حمراء ملتهبة الآن. إنها لا تحب هذا المنظر على الإطلاق. يقول للصبى ذى الاثنى عشر عامًا، تعال إذًا، وهو يمر من أمام زوجته يأخذ من يدها (تلك التى لا تمسك بسماعة التليفون) حزمة الساندوتشات التى صنعتها له بينما هو فى الحمام. أراك لاحقا، يتمتم، لأنه يفكر إن كان ينبغى عليه أن يمر على الطبيب من أجل حساسية الجلد الطافحة على وجهه. تنادى من خلفه، بينى، لا تنس أشياءك الخاصة بلعبة كرة القدم، و يرحل الرجلان.

تبقى الفتاتان. صوت الموسيقى يسكن. صمت يعم المكان. تغنى "الطفلة الصغيرة" بينما تلتقط شريحة الخبز الخاصة بها، والفتاة تجلس بشكل ممتاز لتهضم شريحة الخبز و المربى.

تدع المساعدة المنزلية نفسها لتسقط على كرسى، تحضر التليفون معها، ثم تطيل سلك السماعة وتضعه تحت ذقنها بينما تصب لنفسها الشاى وتصل للتوست المغموس بالمربى الذى لم يفرغ منه ابنها لأنها لا تستطيع أن تتحمل أى فقد.

تقوم بعمل ست مكالمات هاتفية ، كلها تتعلق بالزوج والأطفال، ثم تتصل بمكتب المساعدة المنزلية لكى تعرف إن كان هناك أمر جديد. إنهم يريدونها أن تتولى أمر السيد هودجز العجوز اليوم، لأن مساعدته قد اتصلت للتو لتقول إنها لن تعمل لأنه ينبغى عليها أن تأخذ أمها إلى المستشفى. تبدو موظفة المكتب آسفة، لأن بريدجت تتولى أمر أربعة مرضى فى اليوم، وكلها حالات صعبة. إنها تحصل على الحالات الصعبة لأنها تتعامل معهم بشكل جيد جدًا.

وهى تجلس هناك، تراقب كيف تقوم "الطفلة الصغيرة"- أو انظروا لهذا، ينسكب اللبن، يا لها من فوضى ـ تخطط كيف ستتعامل بشكل مناسب مع السيد هودجز، ثم تنهض، وتقول، هيا، وقت المدرسة قد حان. تحصل من المطبخ على حقيبة اليد، حقيبة التسوق وسلال، وتسحب أوراقًا مالية من أحد الأدراج، كوفية من البلاستيك من أجل رأسها، أكياس الساندوتشات للأطفال، أشياء صغيرة كثيرة يحتاجونها فى المدرسة: الكتب، كتب التمرين، الأقلام. تبدو الأشياء وكأنها ترقص حولها، داخل وخارج الحقائب والأدراج ومن على الشماعات، ثم يبدو

الثلاثة على استعداد للرحيل، كلهن معبآت فى أكياس من البلاستيك لكى يواجهن الطقس السيئ فى الخارج.

حينما يخرجن، على الرغم من ذلك، لا يبدو الطقس سيئًا جدًا، رطب و لكنه ليس باردًا. تبعد المدرسة خمس دقائق سيرًا، إنها حياة رائعة، لا تكف بريدجت أبدًا عن الثناء لأن هذا الجزء من حياتها، على الأقل، مريح. وعند رؤية الفتاتين وهما تركضان باتجاه أرض ملاعب المدرسة، تستدير، وهى تفكر، أوه، إنها لم تعد طفلة صغيرة بعد الآن، مارى الصغيرة ليست بصغيرة، هل الوقت متأخر جدًا بالنسبة لى لأستعد لطفل آخر؟ إنها تشتاق لطفل رابع، لبعض الوقت، يقول لها زوجها إنها مجنونه حينما تنكر هذا الأمر، وهى توافقه الرأى... بينما تتحرك بخفة عابرة امرأة أخرى تأتى لتترك طفلا عند بوابة المدرسة، تبتسم بردجيت لدى رؤية طفل صغير فى كرسى الرضيع، وتفكر، الآن، توقفى عن هذا أيتها الفتاة، توقفى! تعرفين إلى أين يقودك ذلك.

تعود ثانية للمنزل من أجل دقائق قليلة كل يوم حيث يتاح لها أن تستمع بسلام كامل. تجلس عند طاولة المطبخ، وترى إن كان يتبقى شاى فى البراد ـ هناك القليل ولكنه يبدو شديد السواد ولا يسعها أن تهتم. تجلس وقد غرقت فى التفكير، تتنفس بثبات، نفس داخل وآخر خارج، ما زالت امرأة شابة، فى سنوات الأربعين الأولى، ويمكنك أن ترى فيها تلك

الفتاة الجميلة الأيرلندية التى كانت حينما جاءت إلى هذا البلد مع زوجها منذ اثنى عشر عامًا. عينان بلون زهر الذرة الأزرق، بشرة وردية، شعر كثيف مموج. على الرغم من ذلك، هى متعبة، ويبدو عليها ذلك.

تفكر بأنها وضعت قائمة بكل ما ينبغى عليها شراءه، من أجل زبائنها الأربعة المعتادين و من أجل أسرتها وبالطبع، كادت أن تنسى ـ من أجل السيد هودجز. هل هو من يهاتفنى؟ اوه، لا، الأم مارى، ساعدينى! هل يعنى هذا أنها ستضطر للخروج ثانية لتشترى له الطعام و الأشياء التى يحتاجها؟ لا، إنها ستمر عليه أولاً قبل التسوق. ضيق.

إنها لا تنظر للأمام للسيد هودجز، تعلم أنه عجوز.

تلقى بريدجت بنظرها إلى السماء، وتقرر أنه بإمكانها أن تكون فى مأمن لو خلعت معطفها البلاستيكى، ومرة أخرى تجمع حقائبها و سلالها معًا. يبعد السيد هودجز عنها بما يقدر بعشر دقائق. ليس لديها المفتاح، ولهذا فقد وقفت تدق طويلاً بيديها حتى ظهر أخيرًا رأس لرجل عجوز فى النافذة العلوية ووجدته يقول، "ماذا تريدين؟ فلتمضى بعيدًا".

"أوه ياسيد هودجز،" تصيح بريدجت بفرح، "أنت تعرفنى، إننى بريدجت. هل تتذكر؟ لا تستطيع مورين أن تأتى اليوم، إنها ترافق أمها للمستشفى".

"من؟"

"أوه، كن محبوبًا اليوم و دعنى أدخل. لم أدخل طوال اليوم".

جعله هذا التهديد يفتح الباب، و رمته بنظرتها الخبيرة السريعة، نظرة طبيب، ممرضة، محلل نفسى - أو مساعدة منزلية ـ وقررت أنه ـ الحمد لله! ـ إنه ليس سيئًا جدًا اليوم. يبلغ السيد هودجز من العمر الخامسة والثمانين. تجاوزت زوجته هذا السن وهى تعيش فى منزل، و قد أسهم فى راحة أكبر للسيد هودجز. لأنهما كادا أن يقتلا بعضهما الآخر بسبب الغضب. السيد هودجز هو نوع من الرجال المتعنتين فى آرائهم، ملابسه تبدو وكأنها معلقة على مشجب خشبى. لقد أصبح نحيفًا للغاية مؤخرًا. تعتقد بريدجت أن ذلك قد يكون بسبب السرطان؟ السكر؟ يجب أن أذكر ذلك عند ذهابى للمكتب.

وهو يصعد الدرج أمامها، أخذ يدمدم، ولم تجلب لى السكر، وليس لدى جبنة، لا شىء لآكله، ما من أحد يفعل أى شىء...

"السيد هودجز" تصيح بريدجت وهى تصل إلى الغرفتين اللتين يقطنهما ـ إن كانت تلك هى الكلمة الصحيحة لهذا ـ وتختبر كل شىء من لمحة خاطفة، "أرى أنك فى مزاج سيئ اليوم. الآن، ما الذى بإمكانى أن أفعله لك؟"

"تفعلينه لى؟ أنت تفعلين لى، " يقول بشكل مفاجئ، ثم يرتعش جسده كله، بغضب وبحكم سنه.

ليس لديه من أحد يتحدث إليه سوى المساعدة المنزلية ولساعات كل يوم يدخل نفسه فى فانتازيات غاضبة بسبب قلة حيلته. لقد كان (فقط فى اليوم الماضى، كما يبدو) رجلاً نشطًا ومعتمدًا على نفسه، الدعم الرقيق ورعاية زوجته التى تهاوت قبل أن يتهاوى هو. والآن...

ترى بريدجت أنه لا حاجة للتنظيف اليوم، المكان ليس سيئًا جدًا. إنه ليس جزءًا من وظيفتها، ولكن ما يحتاج إليه هو أن يتحدث وأن يفرغ شحنة اللوم التى لديه، ولهذا فقد اتخذت لنفسها موضعًا على كرسى المطبخ، وأخذت تستمع لشكاوى الرجل العجوز واتهاماته بينما تختبر المطبخ وتفكر فيما ينقصه.

"وماذا ينبغى أن أحضر لك؟"، سألته مقاطعة المحاضرة التى يلقيها حينما شعرت أنه يسمح لها بذلك.

"أحتاج للشاى، ألا تعرفين أن تستخدمى عينيك؟"

لم يقل شيئًا عن الجبن والسكر، وتفكر بريدجت، سأحضر له تلك الأشياء وأى شىء آخر أعتقد أنه أفضل، وإن لم يكن يريد تلك الأشياء، فقد تريدها السيدة كوليز...

تركته فى الحال، و حثته لكى يتذكر أنها ستعود مرة أخرى بعد أن تشترى له أشياءه وأنها تحتاج أن يسمح لها بالدخول. الآن، هى تعرف كل شىء ينبغى أن تشتريه، وتستقل باصا إلى سينسبرى.

ليس لديها أية قوائم، أوحتى بعض الشخبطة على ظهر ظرف، ولكنها تحتفظ فى ذهنها بما يحتاجه عشرة أفراد، وبعد نصف ساعة تقريبا تظهر على الرصيف وهى تدفع سلة بعجلات وأربع سلال ثقيلة. تفكر و هى تتقدم بثبات إلى الشارع ، ومن أجل خاطر الله، انتبهى لظهرك يا بريدجت ميرفى... أنت لست بحاجة لذلك مرة أخرى. وهكذا تسير، لا تستقل الباص، وهو ما يعنى أنها تحمل الكثير وأن عليها أن تدير كل ذلك بحكمة. استغرق الوقت منها نصف ساعة لكى تصل إلى مكان عملها. إنها تشعر بتأنيب ضمير من أجل ذلك، ولكنها تقول لنفسها، هذا معقول، أليس كذلك؟ ما فائدة أن تبقى ممدداً فى السرير؟ مرت على مسكن مودى فاولر، الذى طردت منه أكثر من مرة، وتفكر، الحمد لله أنها لم تخصص لى مرة أخرى، وإلا كانت تلك القشة الأخيرة، حقًا.

المحطة الأولي، السيدة كولز. إنها سيدة روسية عجوز كانت فى يوم من الأيام جميلة، وكانت تلصق الصور فى كل مكان حول غرفاتها لتثبت ذلك. الفراء، والقبعات الصغيرة الملفتة للنظر، الأكتاف العارية، النسيج الرقيق الشفاف ـ هذا اللحم الكثير لامرأة تجلس مخدرة على كرسى كبير معظم اليوم، تحدق فى ماضيها. إنها تشكو طوال الوقت، وتسبب الجنون لبريدجت.

تعمد بريدجت إلى أن تجعل ذهنها صافيًا حينما تذهب إليها، وتدع الصوت المدهن الثقيل يسقط

كلماته فى الحديث عن هذا الأمر أو ذلك، بينما تضع هى الخبز والزبدة وعلب الشوربة فى مكانها، محصنة، ولكنها بعد فترة تدرك أنها لا بد أن تنصت لما تقوله السيدة كولز،" وكان لونه أحمر ساطعًا..."

تسأل بريدجت بحدة، "ما الأحمر الساطع؟ ماذا كنت تأكلين، إذًا؟"

"ما الذى يمكننى تناوله؟ ما الذى يمكن أن تأكليه فيجعل لون بولك أحمر؟"

"هل احتفظت به من أجلى؟"

"كيف؟ أين يمكننى أن أحتفظ به؟"

تذهب بريدجت إلى الحمام.

لقد أعيد تسكين السيدة كولز، وهذا هو الطابق المتوسط لمنزل تم تجهيزه. تم تجهيزه بشكل جميل جدًا، ولكن السيدة كولز لا تحبه لأنها لم ترغب أن تنتقل أبدًا. جلبت معها كل شىء كانت تمتلكه. الغرفتان معبأتان بالأثاث القديم الثقيل، دولابان، ثلاث وحدات للأدراج، طاولة ثقيلة مثل صخرة. لا يمكنك تحريكها إلا بصعوبة. ولكن هناك حمام مناسب، ومرحاض جيد. تنعم بريدجت النظر. لقد سحب السيفون فى المرحاض. ولكن المكان تنبعث منه رائحة ما. ماذا؟ أهو مسحوق كيميائى؟

تعود للغرفة الأخرى، لتجد السيدة كولز جالسة حيثما تركتها، وما زالت تتحدث وكأن بريدجت لم تخرج من الغرفة مطلقًا.

"أعتقد أنه يبدو أننى أرهقت نفسى، هكذا يبدو الأمر. لقد رفعت ذلك الكرسى بالأمس، لم يكن ينبغى أن أفعل ذلك".

ولكن بريدجت كانت تطارد شيئًا ما.

"هل بدأت فى تناول تلك الأقراص المقوية مرة أخرى؟" سألت فجأة، واتخذت طريقها لغرفة النوم، وهناك وجدت علبة أقراص ضخمة، تناسب تمامًا حصانًا يجر عربة، أقراص حمراء قوية.

"أوه، يا إلهى،" قالت،" أوه ، أيتها الأم المقدسة، امنحينى بعض الصبر".

سارت عائدة وهى تقول، "قلت لك أن تقذفى بهذه القمامة بعيدًا. لن تفيدك فى شىء. سألقى بها فى الحال، إنها ما يتسبب فى احمرار لون بولك".

"أوووووووووه" تنتحب السيدة كولز، "ستلقين بها، ليس من حقك أن تفعلى ذلك..."

"أوه، احتفظى بها إذًا وتناولى الأقراص، ولكن لا تشك لى عن بولك. قلت لك حينما رأيتها، أتذكرين؟ قلت لك إنها تتسبب فى احمرار لون البول. لأن هناك شخصًا آخر من الحالات المخصصة لى فعل الأمر ذاته".

ترفع السيدة كولز يدا متسخة سمينة باتجاه زجاجة الأقراص. تضعها بريدجت فى الزجاجة. ثم ترمى السيدة كولز نفسها فى سلة وتتمتم قائلة، "طريقة جيدة للتخلص منها، إذًا"

بقت بريدجت هنا لمدة خمس عشرة دقيقة. من المفترض أن تبقى هنا لمدة ساعة ونصف، ولكن الوقت المخصص للتسوق مدمج فى هذا الوقت. وبالرغم من ذلك فهى تتسوق للجميع معًا. إنها تضمن هذا الوقت المخصص للتسوق بوصفه نصف ساعة، بشكل منفصل، فى الحساب الذهنى لكل حالة مسئولة منها. ثم تسير فى الطريق لمدة نصف ساعة. وهذا يعنى أنه يتبقى لها خمس عشرة دقيقة. تتسبب هذه الحسابات فى إرهاق ضمير بريدجت كل يوم. ولكنها عادة ما تنظم الأمور على هذا النحو: وفى النهاية تمضى نصف ساعة مع السيدة كولز. ولكن، ماذا عن هذا الوقت الذى تمضيه ركضًا من هنا إلى هناك لشراء دواء، أو استدعاء طبيب، أو أن تأتى خصيصا لإدخال عامل الكهرباء، رجل الغاز، العامل الذى أصلح التسرب فى السقف ـ ويبدو أنها لا تأخذ أجرًا من أجل تلك الأوقات. لا، ربما تتوازن الأمور كلها فى النهاية. تعلم، على الرغم من ذلك، أن السيدة كولز، مثل السيد هودجز، تعتمد عليها كرفيقة، ولهذا فهى تجلس مجددًا، على مضض، صبورة حتى ينتهى الوقت، وتنصت بينما تشكو السيدة كولز.

فى الساعة الثانية عشرة، تسمع نداء الوجبات الجاهزة فى الشارع، يلقيها عاليًا إلى النافذة، ويتأكد من أن المكان صحيح، ويقول، "حسناً إن عشاءك هنا، وسأراك غدًا".

وهكذا تركض نازلة على الدرج، لا يشغل بالها سوى آنى ريفز، وهى الحالة التالية.

تدعو، أوه، يا إلهى الحبيب، اجعلها فى مزاج طيب. لأنه فى بعض الأوقات وبعد سيل شكاوى السيدة كولز، فإن السير إلى آنى وتلقى جرعة أخرى من الشكوى المماثلة هو أكثر مما يمكن أن تحتمله. تفكر، إن كانت آنى تمر بأحد تلك الأمزجة السيئة، أقسم بالله، أنى سأقتلها.

وجدت آنى تجلس وحيدة، غارقة فى التفكير بجوار جهاز التدفئة المركزية وتلاحظ كيف تجلس السيدة العجوز، تنظر لأعلى وترمش، وجه غامض، بائس،مجهد.

بدأت آنى فى الحال، "أشعر بالتعب الشديد، ساقاى، معدتى، رأسى..."

"انتظرى دقيقة، يا حبيبتى" تقول بريدجت، وتذهب إلى المطبخ، حيث تتفقد البراد وتقوم بتشغيله. إن الأمر كثير جدًا، كثير جدًا..ربما يمكننى أن أقوم بنوع آخر من العمل، تفكر بريدجت بينما تغلق عينيها..ماذا، تنظيف؟ لا، انتظرى دقيقة..."إنى آتية" تصيح بينما تصرخ آنى، "أين أنت؟ ألأنت هنا أم لا؟"

تذهب للغرفة الأخرى وتنظم هذا و ذلك، بينما تشكو آنى. تفرغ بريدجت الطاولة الجانبية. ترى أن القطة قد تبرزت و ينبغى تنظيف المكان، ترى أن سترة آنى لونها رمادى ومتسخة و ينبغى تغييرها بالفعل.

و لكن أولا...

أفرغت الوجبات الجاهزة فى الأطباق، وساعدت آنى للوصول إلى المائدة، وأجلستها، و وضعت الطعام أمامها، وجلبت فنجانى الشاى لكليهما. وجلست تدخن سيجارتها، وتتناول سندوتشاتها.

تأكل آنى بإخلاص، وحينما انتهت دفعت أطباقها بعيدًا، وقالت ألا شهية لها. تشكو أن الشاى بارد، ولكن بريدجت لا تهتم وتشربه، معترضة، تئن وهى تعود ثانية لتجلس على الكرسى، إنها لا تخرج، لا تخرج أبدًا...

فى هذا الوقت، تقوم بريدجت، وكما تفعل كل يوم، بتسجيل الأشياء التى قد تقوم بها آنى: يمكنها أن تنزل وتخرج فى يوم لطيف و تراقب الناس وهم يمرون، يمكنها أن تسير لبعض الوقت بمساعدة إطارها المتحرك، مثل هذه السيدة المسنة أو تلك، والعجوز الأخرى، يمكنها أن تمضى يوم عطلة مع المجلس، يمكنها أن تذهب فى رحلات تدريب، مثلما اعتادت إليزا أن تفعل، يمكنها أن توافق حينما تدعوها جانا لنزهة بالسيارة بدلاً من عدم موافقتها الدائمة.

"ربما، حينما يكون الجو لطيفًا،" تقول آنى، وهى تنظر للأمطار بانتصار، وقد بدأت تتساقط. "وأفترض أنك لم تجلبى لى الأشياء التى طلبتها منك؟"

-ترفع بريدجت ذراعيها لأعلى بصعوبة وتجلب الأشياء التى أحضرتها حتى تراها آنى.

"لقد طلبت منك القليل من سمك القد" تقول آنى فى النهاية.

"لا، لم تفعلى يا حبيبتى، ولكنى سأحضر لك بعض السمك غدًا"

"وأين برتقالاتى؟"

"هنا، ثلاث برتقالات جميلة. أترغبين فى واحدة؟"

"لا، معدتى ليست جيدة. لا أشعر أننى أريد أن آكل"

تحضر بريدجيت ورقة العمل، و ترى أن آنى قد أشارت على الأماكن الصحيحة.

وهى فى طريقها لإليزا بيتس، تسمع، "ساعة ونصف! لا أعتقد تلك الأيرلندية. حثالة المجتمع. إنهم يرسلون لنا بالحثالة".

تجد بريدجت نفسها تتمتم، "أنت نفسك حثالة!". كان والدا آنى من الأيرلنديين، وحينما تكون فى حالة مزاجية أفضل، قد تقول، "أنا أيرلندية مثلك، على الرغم من أننى ولدت وأنا أسمع أجراس باو"، وسوف تحكى حكايات والدتها، التى كانت تلتقط الأصداف البحرية وأم الخلول من فوق صخور شاطئ دبلن، وكانت تذهب للسباقات وهى ترتدى قماشًا من الشاش ـ لدى آنى صورة فوتوغرافية لها ـ فى عربة متحركة، يملكها أبوها الذى بلغ طوله ستة أقدام وست

بوصات وحارب فى الجيش البريطانى فى الهند، فى الصين، وفى مصر، قبل أن يصبح عاملا، ولكنه كان يقول دومًا لأسرته، لأننى رجل أيرلندى، ولا أنسى ذلك، وكانت تحكى لها كيف أنه فى عيد القديس باتريك كان يشرب مع أمها دومًا نخب أيرلندا معًا، برغم أنه لم تتوفر لديهما أموال قط لزيارتها منذ أن غادراها.

تدق بريدجت على باب إليزا بيتس، وما من مجيب. بدأ قلبها يدق. إنها تعيش فى رعب أن تدخل بيت أحدهم فتجده ميتًا. لم يحدث لها ذلك، ولكن حدث ذلك لأحد أفراد المساعدة المنزلية. فى يوم ما، سيحدث ذلك. اتصلت بريدجت بفيرا الأمس لتقول لها إن إليزا لم تكن بحالة جيدة، لأنها كانت تنزل من التل بسرعة، وكانا يفكران أن ينقلاها لمنزل. كانت تلك طريقة بريدجت الحذرة لتقول إنها لن تتكيف مع هذا الأمر لمدة طويلة: تعيش إليزا خارج منزل بسبب ما تقوم به بريدجت من أجل إليزا بخلاف مطالب عملها.

تجلس إليزا معتدلة فى كرسيها، بجوار المدفأة الإلكترونية، وهى نائمة. إن الجو ساخن جدًا فى الغرفة الصغيرة. تغرق إليزا فى سخونة الجو، وتبرز قطرات العرق على وجهها. إنها ملفوفة فى شال وأغطية. ترفع ساقيها على بوف، لأنها و بشكل مفاجئ أصيبت بقرحة فى إحدى ساقيها، وكلتاهما ملتهبتان.

مرة أخرى تجهز بريدجت الطعام من الوجبات الجاهزة، المتروكة خارج الباب فى حاوية مسطحة من ورق مفضض، وتضعه فى أطباق. لأن إليزا ترهق نفسها فى البحث عن أطباق جميلة، لأن إيليزا مازالت تهتم وتلاحظ، على عكس آنى، التى لم تكن لتلاحظ حتى لو أكلت من طبق كلب. تعد بريدجت الشاى، وتتذكر كم كانت إليزا تحبه، ثم توقظ إليزا، التى تأتى مستيقظة محدقة ومتوحشة.

"اوه، يا بريدجت،" تقول بصوت مرتعش عجوز، وكأنها خارجة من حلم سيئ، ثم بعد أن تسمع صوتها، تغيره إلى الصوت المرح المعتاد، "أوه، بريدجت، عزيزتى بريدجت..." ولكن بسبب حلمها ، تضع ذراعيها على كتفى بريدجت مثل الأطفال.

ذاب قلب بريدجت على الفور، وأخذت المرأة العجوز فى حضنها وقبلتها و هزتها بعنف.

يمكنها أن تنتحب من أجل إليزا، كما تقول لزوجها، فقد وجدت إليزا نفسها فجأة على كرسى متحرك فقد أصبحت ساقاها معطلتين. لا يبدو الأمر مثل حالة آنى، التى تفعل كل شىء من أجل أن تنتظر مساعدة ما. لا، إليزا ليست كذلك، إنها مستقلة وتعانى. عرفت بريدجت مؤخرًا أن إليزا أفاقت لتجد نفسها غارقة فى البول: شطفت بريدجت الملاءات من أجلها. تعرف أن إليزا تخاف أن تذهب بعيدًا عن الحمام، خوفًا من حدوث الأسوأ. إليزا التى أمضت

الأعوام الخمس عشرة من حياتها فى صحبة المسنين، تعرف تمامًا ما يمكن أن يحدث فى النهاية، الذل البائس المخبأ من أجلها.

تجلس بريدجت بجوار إليزا، تقنعها لكى تأكل، وتثرثر بأخبار أطفالها، زوجها، وتقول: إن الطقس ليس جيدًا جدًا اليوم كما كان بالأمس.

تدرك أن إليزا لم تنم فى سريرها طوال الليل ولكنها باتت على الكرسى، نائمة. لم تتناول أى شىء بعد، على الرغم من أن الجارة الطيبة قد أعدت لها الشاى. "من هذه الجارة الطيبة؟" سألت بريدجت، بشراسة. "إنها تأتى أحياناً، أعتقد أنها جيدة، ولكنى لا أعرفها".

"إنها تسكن فى المنزل المجاور" تقول بريدجت. "دعيها تدخل، إنها تمر لتتأكد أنك بخير. إننا قلقون عليك، أنت تفهمين".

"لم تأت جانا منذ أيام،" قالت إليزا، ولكن بصيغة مستفهمة، لأنها تعرف أنها فى بعض الأوقات لا تتذكر من جاء إليها. لا تريد جانا أن تقول إنه من المحتمل أن تكون جانا مشغولة، وأنها تخصص ما لديها من وقت من أجل مودى فاولر، التى يبدو أنها تقضى أيامها الأخيرة ـ تلك الأشياء القديمة كلها تسبب الغيرة، يجب أن يكون المرء حذرًا فيما يقول.

"جانا لديها الكثير لتقوم به" قالت بغموض. قررت أن تترك ملاحظة لجانا على الدرج، تطلب منها إن كان يمكن أن تمر لتتأكد أن إليزا بخير.

ثم تبدأ فى مسألة إقناع إليزا بتناول الأقراص. إنها نفسها ترتعب لمنظر الأقراص التى من المفترض أن تتناولها إليزا، وهى متأكدة من أنهم يجب أن يتشاجروا معًا فى أمر المعدة المسكينة العجوز، ولكن الطبيب يقول كذلك، والممرضة تفعل ما يأمر به الطبيب، وهى، المساعدة المنزلية، فى قاع الكومة، لا يمكنها سوى أن تطيع.

"هيا يا حبيبتى" تتمتم، تتوسل، تستعطفها، وهى تمد يدها بالدواء لإيليزا، أقراص وأقراص.

تأتى الممرضة لتعطيها أقراصًا فى الصباح. وتعطيها الجارة الطيبة أقراصًا ليلاً. ولكن أقراص منتصف النهار (أو فى وقت ما من اليوم، لأن بريدجت لا تكون متأكدة أبدًا من موعد قدومها) هو اختصاصها، لأنها وافقت عليه.

تجلس إليزا هناك، بشفتين مغلقتين وهى تنظر إلى كومة الأقراص، ووجهها منقط بالاستياء، ولكن عادة الانصياع التى اكتسبتها طوال حياتها تبقيها صامتة وتبتلع الأقراص فى إذعان، ببطء، واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة.

أقسمت بريدجت إنها لن تبقى هناك لأكثر من ساعة على الأكثر، ولكنها حينما رحلت كان قد اقترب الوقت الذى أمضته هناك من ثلاث ساعات، وترتاح لاعتقاد بأن إليزا هى صورتها حينما تكبر، يقظة، مستيقظة بسبب كل هذا الاهتمام العاطفى، إنها حلوة

مثل قطعة تورتة صغيرة ربما فى تعليقاتها، ولكنها تبتسم، بل وتلقى النكات حول ضعفها، وتقول لبريدجت إنه فى يوم من الأيام ستأتى بريدجت هنا وتجدها قد رحلت.

حسناً، إنها ليست سيئة جدًا إذًا، تقول بريدجت لنفسها، إن كان بإمكانها أن تسخر من هذا الأمر، ولكن من يستطيع أن يحكم...؟

اقترب وقت إحضار طفلتيها من المدرسة. لاتدعهما أبدا تذهبان أو تجيئان من المدرسة بمفردهما، بسبب الطريق السريع الذى عليهما أن يعبراه. تركض نحو كشك تليفونات، محظوظة أن وجدت صديقة فى المنزل، تطلب منها أن تحضر ابنتيها و تأخذهما إلى منزلها.

لأن الساعة الآن الرابعة وما زال لديها السيدة برنت والسيد هودجز.

الرجل العجوز أمره هين، ينبغى فقط أن تحضر له طعامه، وكان عليها مرة أخرى أن تدق على الباب وتصيح لكى تتمكن من الدخول وتقول إنها ستأتى هى أو مساعدته الشخصية غدًا.

والآن بالنسبة للسيدة برنت، ليست بريدجت بحاجة لأن تصلى من أجل أن تكون فى مزاج طيب، لأنها كذلك دومًا، على الرغم من أنها مشلولة جزئيًا. لم تتجاوز الثلاثين بعد، امرأة شابة جميلة، لديها طفلة فى الثالثة من عمرها، ومهمة بريدجت هى

إحضار الطفلة من الحضانة حيث يقوم الزوج الشاب بتوصيلها كل صباح. فى اللحظات التى تفكر فيها بريدجت أنها لا يمكن أن تحتمل العمل أكثر من ذلك ولا ليوم واحد ـ على الرغم من أنه بشكل عام لا تمانع من أداء عملها، إنه فقط يوم مثل هذا اليوم، حينما توجد تلك القشة التى تكاد أن تكسر الظهر، هو ما يجعلها تعتقد أنها ستستسلم ـ ثم تتذكر هيلدا برنت، التى تبدو دومًا ضاحكة، حتى فى حالة سيئة مثل تلك التى تعيشها.

تركض بريدجت بقدر استطاعتها عبر طرق عديدة إلى الحضانة، وتجد الطفل جاهزًا، والمدرسة معترضة، بسبب تأخر بريدجت، ثم تذهب للشقة الصغيرة التى يعيش فيها آل برنتس. إنها تحب الطفلة الصغيرة. إنها تنتظر كل يوم من أجل هذه الساعة حينما تأخذ الطفلة لأمها، وتعد لها الشاى، لأن هيلدا لا يمكنها إعداده، وتعتمد فى ذلك على زوجها والمساعدة المنزلية. ولكنها اليوم وجدت هيلدا مستلقية على كرسيها، وعيناها مغلقتان، ووجهها الجميل كله بقع رمادية غائرة.

أوه، أيتها الأم المقدسة، تقول بريدجت لنفسها، أوه، لا، توقف، إن هذا كثير جدًا.

إنها تعرف ما حدث، هيلدا تعانى من تلك التقلبات.

"هل اتصلت بالمستشفى؟" تصيح.

تهز هيلدا رأسها بدون أن تفتح عينيها.

اتصلت بريدجت بعربة الإسعاف، ثم اتصلت بالمكتب حيث يعمل الزوج الشاب. ولكن، كما كانت تشك، لن يعود قبل السابعة، عليه أن يعمل حتى وقت متأخر.

جهزت أشياء المرأة الشابة من أجل عربة الإسعاف، وساعدت رجال الإسعاف فى إدخالها، وشاهدتها و هى ترحل، ووعدتها بألا تقلق بشأن الطفلة، ثم أغلقت الشقة، ووضعت روزى الصغيرة فى كرسى الأطفال المتحرك.

دفعتها حتى شقة صديقتها، وأخذت طفلتيها، وعادت للمنزل بثلاثتهم.

تفكر أنه فى المرة الأخيرة حينما كانت هناك حالة طوارئ، كان هناك إضراب للعمال الاجتماعيين من أجل الحصول على أجر أعلى وكان من المفترض أن يعمل أفراد المساعدة المنزلية وفقًا للقانون تعاطفًا معهم. لقد صدمها ذلك و يصدمها الآن بوصفه أمرًا فى قمة الغباء. كيف يمكن لشخص أن يعمل وفقًا للقانون فى هذه الوظيفة؟ كيف؟ أخبرنى بذلك! ولكن إحدى الشخصيات البارزة فى المجتمع قد وبخها بشكل رسمى، كان يعد فريقًا من العمال المضربين فى المكتب. ولكن ما الذى من المفترض أن أقوم به، إذًا، أترك الطفلة الرضيعة ؟ فى الشقة وحدها؟ ماذا؟

ولكن البطل الشاب قال لها، "لو فعلت ذلك مرة أخرى، فسوف تعاقبين".

حسناً، إنها تفعل ذلك مرة أخرى، ولكن مع بعض الحظ أنه لا يوجد إضراب هناك.إنها تأمل.

فى المنزل تتحرك مسرعة، تعد الشاى لزوجها. إنه يحتاج أن يشربه حينما يصل للمنزل، لأنه يعمل فى الموقع هذا الأسبوع وهو ليس فى حالة جيدة على أية حال، بسبب تلك الحساسية المقرفة التى أصابته.

يأتى الصبى. "ما الذى ينبغى أن أفعله بملابس كرة القدم خاصتى؟" يسأل، وتقول، "إلقيهم فى الحمام".

أعدت الطاولة، وجهزت الشاى، يتناول الأطفال الثلاثة طعامهم والصغيرة روزى على حجرها تشرب اللبن، حينما أتى زوجها.

مرة أخرى، تلك النظرة الخاطفة الخبيرة. إنها تعرف فى الحال أنه مريض ولم تندهش حينما قال، "سأصعد لأنام فى سريرى، هذا ما أشعر به".

"سأحضر لك القليل من الشاى، إذًا"

"لا تزعجى نفسك، يا حبيبتى، سوف أنام"

ويصعد الدرج.

ربما يمكننى أن أجد فيرا فى المكتب الآن، فى بعض الأحيان تعمل لوقت متأخر...

تتصل بريدجت، إنها محظوظة.

"أوه، شكرًا يا إلهى، فيرا" تقول: "شكرًا يا إلهى، أن وجدتك"

"إننى على وشك المغادرة" قالت فيرا محذرة:

"إنها إليزا بيتس. لا يمكنها أن تستمر. لا تستطيع."

وفجأة تنتحب بريدجت:

"أوه، هل الأمر كذلك؟ " تسأل فيرا."حسناً، لا تخبرينى، أعرف، يمكننى أن أولول، ياله من يوم، والآن يريدوننى أن أذهب إلى اجتماع فوق كل ذلك".

"إننى سوف ؟ " تقول بريدجت، و تفعل ذلك.

ولكن فى الوقت الذى تنظر فيه للأطفال الأربعة، تبتسم. إنها تنظف الخضراوات، تضعها مع دجاجة فى الوعاء وتضعه فى الفرن، تنظف مستلزمات الشاى، وتقول للطفلين الكبيرين،

"والآن قوما بواجباتكما المدرسية، ثم بإمكانكما أن تشاهدا التلفاز".

تجلس و هى تحتضن الطفلة الصغيرة، التى تشتاق لحضن مريح ومناسب، بسبب انشغال الأب الدائم ، هذا الأب الذى لديه زوجة مشلولة، وبسبب أن أمها لا يمكنها أن تمسك بها جيداً.

لقد أشبعت الحاجتين معًا، لمدة نصف ساعة هانئة، الطفلة تغنى بصوت خفيض، وهى تتمسك بالحضن، بينما تشمشم فى خصلات شعرها شهية الرائحة، التى غسلتها بنفسها البارحة (على الرغم أنه ليس من اختصاصها)، وتداعب الشفتين المكتنزتين.

ثم تقول للصبى الأكبر، "راقبهما من أجلى"، وتقول للفتاة: "إن شممت رائحة احتراق، أديرى مفتاح الفرن لدرجة ٣".

تربط شالاً على رأسها، تجذب القلنسوة البلاستيكية لأسفل وتربطها بإحكام، وتضع روزى الصغيرة داخل البلاستيك، وتمضى عبر الطرق المظلمة لشقة برنت، والتى تبعد بنصف ميل.

عاد الزوج الشاب، ممتنًا لأنها اصطحبت ابنته، ويريد أن يعرف ماذا عن الغد. لأنه مرة أخرى سيضطر للعمل حتى وقت متأخر، بالرغم من أنه أبلغهم فى العمل أن زوجته مريضة، ولن يعود للمنزل سوى فى وقت متأخر عن اليوم.

"لا تقلق بهذا الشأن" تقول بريدجت، وتقبل روزى الصغيرة من كل قلبها وتذهب للمنزل.

تقترب الساعة من الثامنة مساء الآن. ستقدم لأطفالها العشاء الآن، وسترغم نفسها على أن تتناول القليل من الطعام، على الرغم من أنها ليست جائعة. تفكر أن زوجها قال شيئًا عن ذهابهما للنادى غدًا لتناول مشروب. حسناً، إن كان ينوى ذلك... وهناك زفاف أخت زوجها الصغرى فى الأسبوع القادم، هذه أمور تتطلع إليها. تجلس مع نفسها، نصفها تشاهد التلفاز، والنصف الآخر ينصت لكى يتأكد أن الأطفال لا يصدرون ضجيجًا عاليًا يمكن أن يزعج والدهم. هناك الكثير من التنظيف يمكن أن تقوم به، ولكنها

نادرًا ما يكون لها وقت لتنظيف منزلها خلال الأسبوع. لا تعمل بريدجت فى نهاية الاسبوع. هذا يعنى، أنها لا تعمل فى المساعدة المنزلية.

حدث اليوم: مكالمة تليفونية من جيل، تصيح مهللة. "خالتى، خالتى، لقد انتهيت منها للتو، وأعرف أننى أبليت بلاء حسناً".

"مم انتهيت؟"

"خالتى! أوه لا لا. هذا كثير جدًا". دموع. ظننت أنها ربما كيت تلك الشيطانة الصغيرة، ولكن لا، لقد كانت جيل. ماذا إذًا؟ أدركت أننى كنت غبية حقاً. "أنا آسفة، إنها امتحاناتك، أليس كذلك؟ هل مضت الأمور بشكل جيد؟"

تلتقط نفسًا وراء الآخر: "أجل، أنا واثقة من ذلك. لقد عملت بجد، خالتى، لقد عملت".

أخذت تثرثر، حكت لى ما حدث لها، تستيقظ جيل فى الخامسة من أجل أن تعمل، وتظل تعمل حتى وقت متأخر من الليل، وفى نهاية الأمر ... تحصل على الجائزة، وظيفة فى ليليث مع خالتى جين.

"متى تعتقدين أنه بإمكانى أن أبدأ؟" سألت، وأدركت أنها توقعت أن أقول لها، ربما، "الإثنين القادم". لقد ذهلت و قادنى ذلك إلى صمت تام. صمت طويل. كنت أتوقع الكثير. كانت تنتظر أن تنتقل إلى هنا، معى، وأن تبدأ عملها فى ليليث ـ مستشرفة بداية حياتها كفتاة ناضجة. وجلست هناك أنظر إلى نفسى،

وأنا فى مثل عمرها. كنت فى كامل سعادتى، واثقة، مستمتعة. إنها ليست طموحة، جيل، إنها فقط مسحورة بالإثارة، بفكرة أن تكون جزءًا من كل ذلك، أن تكون قادرة على إنجاز الأشياء بشكل جيد. كونها قد تربت فى أسرة محبة، وهو أمر من شأنه أن يطحن الناس جيدًا، "المسكينة جيل، لقد أتت بعلامات سيئة فى الامتحانات، المسكينة جيل، إنها لا تصلح للدراسة". إنها واثقة جدًا من قدراتها، التى تنشط وتتألق فيها، إنها لا تعرف نفسها بعد لا تعرف أنها بإمكانها أن تقوم بأشياء، إنها تعرف فقط أنها لا تستطيع الانتظار. إنها تريد أن تبدأ على الفور.

وبشكل مفاجئ أدركت أننى لم أرحب فعلا بجيل هذه، طفلة الأخت جورجى، ولم أرحب بفكرة دخولها فى حياتى، وتوليها زمام الأمور - عرفت بشكل مفاجئ، جميل، مطلق، كم كان ذلك صحيحًا، كم كان ذلك ملائمًا، مناسباً، وانفجرت فى الضحك، وظللت أضحك وأنا جالسة فى مكانى، لا أستطيع التوقف، بينما جيل المسكينة تجلس هناك، وقد ذهب عنها كل الفرح، وتترقرق الدموع فى عينيها.

"لم تكرهيننا جميعًا إلى هذا الحد؟" قالت وهى تحاول أن تلتقط أنفاسها. "لماذا؟ وما غلطتنا؟ تظنين أننا كلنا بشعين، إنه لا فائدة منى، أوه أعرف ذلك!".

"لا، أنت لا تعرفين،" قلت. "إننى أضحك على نفسى. إنكم أنتم جميعًا من تعتقدون أنه لا فائدة منى،

إنـنـى بـشـعـة، وهل تـعـرفـين، يـا جـيل، أنـنـى فى هـذه اللحظة، أتفق معكم".

راقـبت وجـهـهـا، الـذى غـطـس فـجـأة وتـلـون بـلـون أبيض، انقبض، ثم امتص اللون والثقة، ثم ابتسمت فى الحال.

قـالت بعـذوبـة: "أنت تعـرفـين يا خـالـة جين، لـقـد أخطأت فهمى، إننى لست دارمية أبدًا، أصفع الأبواب، أتـذمـر، أتـرك الأشـيـاء مـتـنـاثـرة، أتـوقـع أن يكون الـنـاس فـى انتظارى وقتما أعود..."

قلت لأغيظها: "قصة معتادة، من ابنة أمك"

"إننى لست مثل كيت. ولقد قلت لأمى، لم تدعينا دومًا نفعل ما يروق لنا؟ لم أنت متساهلة؟"

"وهل كان لديها رد منطقى؟"

ضحكت جيل، و ضحكتُ.

"يمكنك أن تبدئى تزلفك لى بعدم إصرارك على مناداتى بالخالة جين أو خالتو"

"حسناً، يا جانا، لك ذلك"

"إن كانت ابنة أختى ستسمح لنفسها بأن تنادينى جانا، فإذن..."

"أوه، خالتو، أوه جانا، مالا تدركينه هو أننى، كما تعرفين، كنا نناقش ذلك..."

"كنتم؟ نقاش أسرى لطيف؟"

"بالطبع. لا يمكنك أن تصدقى، بالتأكيد، انك لا يمكن أن تكونى موضوعًا للنقاش؟ لماذا، لقد كنت نوعًا ما مركزًا لـ ـ حسناً لكل شىء. هناك انشقاقات وانقسامات فى الأسرة حولك"

"حقًا؟"

"نعم، وأرى أن الأمر يعود إلى الوقت الذى كنتما أنت وأمى طفلتين. لأنه من الواضح تمامًا لنا أنه فى غضون عشر سنوات، سيكون هناك صراعات بيننا بسبب ما نحن عليه الآن. وبشكل خاص أنا وكيت. إن كنا سنرغب فى رؤية بعضنا البعض على الإطلاق. إنها مزعجة جدًا".

"وهل يفيد أمك وأنا أن نتذكر ما كنا نتعارك بشأنه حينما كنا مراهقتين؟"

"كنتما تتعاركان حول ماذا؟ أمى تقول أنك لم تتشاجرى أبدًا"

"ما هذا الهراء. لقد جعلت حياتى بائسة لقد كانت الحرب قائمة وقتها، أنت تعلمين. وكل شىء ناقص. لقد كانت تسرق النسبة المخصصة لى. وكان علىّ أن أرتدى ما يفيض عن حاجتها".

"آه"، قالت الطبيبة النفسية الشابة.

قلت لجيل إنها بالطبع لا يمكنها أن تبدأ على الفور. ينبغى عليها أن تنتظر حتى تظهر وظيفة شاغرة، وأنها لن تحصل على الوظيفة إن كان هناك متقدم آخر أفضل منها.

"إننى لا أؤمن بالمحسوبية،" قلت لها.

"أتمنى أن تكونى كذلك، إلى حد معين" قالت بصوت مرح أعرف أنه سيستخدم "للتعامل" معى.

حينما رحلت، انهرت. كنت قد استقبلت الأمر بوصفه حقيقة، بوصفه شيئًا ما سيحدث. حينما تنتقل جيل إلى هنا، ستشاركنى فى حياتى. إنها نهاية الوحدة الجميلة. أوه، أوه، أوه. لا يمكننى أن أحتمل ذلك، لا يمكننى. أوه، كم أحب أن أكون وحيدة، تلك السعادة التى تجلبها الوحدة...

قلت لهم فى المكتب إننى سأحصل على أسبوعين آخرين إجازة من العمل. تنظر فيليس. تتمتم، "ألآن تكونى هنا حينما تأتى رئيس التحرير الجديد".

"سأحصل على أسبوعين الآن. وسأعود فى الوقت الذى سيأتى فيه".

نظرتها كانت تعنى أن تقول، أنا لا أفهمك. نظرتى إليها تعنى أننى أفهم نفسى، وهذا يكفى.

السعادة.

استيقظت مبكرًا، لم تكن الشمس قد بزغت بعد، سحب ذهبية ووردية اللون فى سماء رمادية تنتظر أن تمتلئ بضوء الشمس. بداية الصيف، يوم صيفى حقيقى. أرقد فى السرير، أنظر، أنصت، العصافير، صوت ارتطام زجاجات اللبن. كنت كامنة بداخل جسدى القوى، مزودة بالصحة و الطاقة، أتمطع وأتثاءب فى سبيلى للنهوض، قفزت خارج السرير،

وذهنى متعلق بالسيدة الكريمة. كتبت كثيراً، اتصلت بى جويس، وهى تتوجه لتوها إلى الفراش. إهانات ودودة. قلت، ابنة أختى جيل كانت تنوى الاستيلاء على حياتى، قالت، "رائع، سوف يكون لديك عبء حقيقى الآن. إنها روح صغيرة مثل برعم وإن قامت بأفعال خاطئة ستكون غلطتك أنت".

"إنها أفكارك أنت ولست أنا"

"أوه، أفكارك أنت أيضًا، ولكنها ليست واعية، لا يمكنك أن تفوزى فى هذه اللعبة. بل، لا، سيكون نصيبك هو الإحساس بالذنب يا جانا".

"ليست أفكارك؟"

"لقد تحررت منها. بالمناسبة، ما رأيك فى أن تقبلى صانعى المشكلات خاصتى؟ من الأفضل أن يتم ذلك بسرعة، كما أعتقد".

"لا، إننى لا أعرف أى شىء عن الحب، أنت تعرفين. سأترك طفليك المترعين فى الحب لك، يا جويس"

"يجب أن أقول إن هذه هى الذريعة الأقرب التى يمكنك تصورها"

"عم تتحدثين؟"

"لو أبقيت ابنة أختك جيل معك، فلن يكون لديك حياتك الخاصة، لن يكون لك حياة شخصية، وبالنسبة للحبيب، فلن يكون هناك مجال نهائى".

"تفترضين أننى أريد حبيبًا؟"

"بالطبع تريدين حبيباً. على الأقل بلا وعى منك. من حقك أن يكون لك حبيب. من حقنا أن تكون لدينا حياة جنسية جيدة. تعرفين ذلك بالطبع؟"

"ولكننى كان لدى جنس جيد"

"لا، من حقك أن تحظى بجنس جيد طوال الوقت. حتى تبلغين التسعين من عمرك"

"لو قلت ذلك يا جويس، فكيف حياتك الجنسية؟"

"إننى أعمل على تحسينها"

ثم تحممت حمامًا سريعًا. ماذا حدث للوقت الطويل الجميل الذى كنت أقضيه هنا، عطورى وزيوتى؟ ليس لدى وقت، هذا هو الأمر.

فى التاسعة نزلت إلى الشارع، أتجول فى الطريق، وأستمتع بنفسى و أنا أفعل ذلك. أوه، المرح اللطيف لهذه المدينة، السعادة، الود! كانت السماء تشرق بشكل متقطع، داخلة وخارجة من السحب البيضاء المسرعة. بلطف. ذهبت على مقهى تابع لمحل الأطعمة الصحية، وحيث إنه لم يكن هناك أى أحد بداخله، فقد تركت مارى باركن موقعها على مقعد الحسابات وجلست بجوارى وأخبرتنى بالقسط الأخير من تلك السلسلة الطويلة، حربها مع جارتها بسبب المعاملة السيئة لتلك المرأة الشريرة لقطتها. أكلت كيكة صحية غنية لذيذة كلها من الحبوب ثم سرت إلى هاى ستريت، ووقفت فى محل الجرائد على جانب، بينما

كان عامل شاب وسيم طويل يرتدى ملابس شبابية يغيظ سيدتين محترمتين متوسطتى السن من خلف حاجز الحسابات بسبب مجلة قامتا بشرائها، وفيها تنصح المحررة الزوجة الشابة بأن تقص شعر العانة فى شكل قلب، إن أرادت أن تغوى زوجها من جديد.

لقد اشترى هذه المجلة بالأمس من أجل زوجته، لقد أمضيا وقتًا لطيفًا يضحكان على هذا الموضوع، والآن هو لا يستطيع أن يقاوم الضحك، و أن يشارك مادج وجوان هذه المزحة.

"حسناً، لا تعرف أبداً" يقول: "اعتقدنا أننا ينبغى أن نبرز ذلك، فى نهاية الأمر، قد لا تلاحظا الأمر، وقد لا ترغبان فى أن تدعا شعر عانتكما ينمو بشكل غير مهذب، أليس كذلك؟"

"لا أعتقد أنه كانت هناك مناسبة لألاحظ شعر عانتى مؤخرًا،" تقول مادج، وسألت جوان، "ماذا عنك يا عزيزتى؟"

"لم يعد شعر عانتى كما كان،" تقول جوان، وهى تعطى جريدتى السن و الميرور لامرأة عجوز (وكأنها مودى، أو إليزا بيتس) و هى تستمع لهذا الحوار وهى غير قادرة على تصديق أذنيها.

"لو لم أكن متزوجاً" قال الرجل الشاب، "كنت سأرى ما يمكننى أن أفعله، ولكن بما أن الأمر كذلك...حسناً، إذًا، أبقى مجلة البيوت والحدائق لنا إذًا، قالت ليلى، إن لم أستطع أن تتحمل نفقات ديكور جديد، فإننى أحب أن أقرأ عنه على الأقل".

ثم رحل. تبادلت الامرأتان نظرة وتشاركا فى ضحكة تعنى، أين أيام زمان؟ ثم حولا انتباههما إلى المرأة العجوز، التى كانت تبحث فى حقيبتها عن جنيهات. انتظرا بصبر، وقد أدركتا أنها قد تكون غاضبة مما سمعت، ثم استفسرا عن أحوال زوجها.

وصلنا أنا وهى إلى الرصيف معًا. نظرت مباشرة إلىّ بعينين مصدومتين وهمست، "هل سمعت؟".

قلبت الأدوار، وقلت، "أمر مخز"، وأنا أفكر فى الألم الحقيقى الذى تشعر به إليزا حينما تنقل ما تسمعه فى الراديو، التليفزيون أو ما تقرؤه فى الصحف، ثم تقول، ولكن ماذا حدث للجميع؟ لم يبد الشباب بهذه الحالة الآن؟

ولكن جوان و مادج ليستا شابتين، لهذا تشعران بالبؤس. نمشى على طول الرصيف، بينما تتذمر برقة وهى تحاول استعادة توازنها.

والآن الباص. يخرج فى هذا الوقت العاملون فى المكاتب من هذه المنطقة، ويكون الباص مليئًا بالنساء. ماسونية النساء، اللاتى يجلسن براحتهن، حيث حقائب وسلال التسوق تملأ المكان، ويستمتعن بجلسة لطيفة ويوم سعيد. الباص فى العاشرة والنصف صباحًا هو عالم مختلف: لا شىء مشترك فى باصات أوقات الذروة.

تلك النساء اللاتى يحتفظن بالأشياء معًا، اللاتى يؤكدن ارتباطاتنا المهمة بالأحداث الكبرى بأنشطة

متنوعة متواضعة جدًا، لدرجة أنك لو سألتهن فى نهاية اليوم عما فعلن، فإنهن غالبًا ما يجبن، أوه، ليس أمرًا مهمًا.

إنهن يخرجن للذهاب لمحل يبعد ثلاث محطات من أجل شراء إبر الصوف من أجل صنع صدارى لحفيد، أزرار من أجل فستان أو قميص، أو شريط من القطن الأبيض، لأن المرء غالبًا ما يحتاج لمثل هذه الأشياء. إنهن يذهبن للسوبر ماركت، أو لدفع فاتورة الكهرباء أو ليحصلن على معاشهن. أما أفراد المساعدة المنزلية فهن فى طريقهن لكى يحضرن الروشتات المكتوبة لإليزا بيتس، آنى ريفز، السيدة كولز، السيدة برينت، السيد هودجز. أرسلوا واحدة إلى المكتبة لشراء بطاقات عيد الميلاد من أجل الأسرة كلها بشكل منفصل لكى يرسلوها للسيد بيرتى الذى يبلغ الرابعة والستين. أرسل طردًا إلى كيب تاون لابنة أخت مهاجرة و أسرتها لأنها سألت عن طريقة صنع خاصة بالصداريات، لا يمكنها أن تحصل عليها، كما يبدو، فى جنوب إفريقيا. أو طرد آخر يحتوى على بسكويت مصنوع فى المنزل إلى ويلز، من أجل ابنة عم. وأخريات يخرجن إلى شارع أوكسفورد فى رحلة أسبوعية أو شهرية، تعد عطلة، استراحة، وسوف يقضين ساعات يجربن الفساتين أو يفحصن الملابس بدقة تلك التى قد تناسب الأمهات، البنات، الأزواج، الأبناء. إنهن يعدن للمنزل بعد ساعات من العمل الشاق فى التنقل بين المحلات بجونلة تحتية، زوجان

من النايلون، ومحفظة نقود صغيرة. كل ذلك كان من الممكن أن يبتاعوه من هاى ستريت، ولكنه ليس مسليًا جدًا. سوف يذهبن بعد ذلك لزيارة الأقارب، وسيأخذن معهن كل الأشياء التى يحتاجونها، مثل مسحوق تنظيف الأسنان، أو نوع معين من أقراص استحلاب للزور، وسيذهبن للمستشفى و يجلسن لساعات مع الجدة، وسوف تمر إحداهن لتناول فنجان من الشاى مع الابنة أو تأخذ حفيدها إلى المتنزه. إنهن يفعلن ذلك طوال اليوم، تلك النساء، وطبيعتهن المرحة والخبيرة تتدفق وتتناثر داخل الباص، وهكذا يتبادلن الابتسامات، ويلقى الناس ملاحظاتهم على الطقس ـ بكلمات أخرى، يواسين بعضهن البعض أو يشجعن بعضهن ـ أو يعلقن بمرح على الحياة من خلال أحداث لمحوها على الرصيف.

متحف فيكتوريا وألبرت، صور متكررة طوال الوقت فى هذا العالم، نظرت إلى كرسى صغير، يعود للقرن الثامن عشر، مصنوع من خشب كالحرير، وحياته و أوقاته. يبدو تاريخه مثل شىء ضخم جدًا، ملاصق له، مثل الاستماع لمودى وهى تتحدث، أو إليزا، يا لها من عبارة، أن تجلس بتواضع هناك، انظر إلىّ! ـ كان ذلك يكفى ورحلت إلى مطعم، وكان هناك رجل أنيق، هذه هى الكلمة المناسبة، متحضر ومرح، مستعد مثلى لبعض الكلمات الودودة أثناء تناول وجبة، وجلسنا معا و لم نتحدث سوى عن حياتنا وأوقاتنا. أمر ممتع. مضى فى طريقه على الدرج، وأنا إلى

بداية الباص هذه المرة، لأن الوقت كان بعد الظهيرة ولم يعد هذا وقت للنساء، وأنصت إلى ثرثرة السائق مع أحد الركاب، على الطريقة اللندنية، ساخرة، جافة، مع مذاقها السوريالى.

فى هاى ستريت، المقهى الذى أفلح فى أن أجد وقتًا فى بعض الأحيان لغداء على مدى نصف ساعة مع فيرا، ولكنى الآن أجلس لساعة أو ما شابه، أستمع إلى شابين خارجين من العمل فى الطاولة المجاورة. واحد أسود، وواحد أبيض. شباب. يمضون الوقت، مثلى. قلت لنفسى، هذه مأساة، ينبغى أن تشعرى بأن الأمور تمضى إلى الأسوأ، ولكن وجهيهما لم يكونا تراجيديين، ولكن على سجية طيبة، نعم يمكننى أن أقول حزين، ولكن بعيدًا كل البعد عن أن يكونا يائسين. كانا يلقيا النكات ويخططا للذهاب إلى السينما. عقدت العزم على ألا أشعر بالحزن، ليس اليوم، ليس فى هذا اليوم المثالى. تحدثت إليهما قليلا، ولكننى كنت شيئًا ما خارج تجربتهما، فى مثل سنهما قد يعتبر أننى "امرأة عجوز"، كانا لطيفين، ولكنهما لن يفتحا مجالا للمشاركة فى أى شىء. رحلا، وهما يقولان لى، "تا، إذًا، نراك لاحقًا، اهتمى بنفسك".

ذهبت لمودى، لكن لا، كان ذلك أسوأ أوقات اليوم. إن مودى مريضة جدًا ـ و هذا يكفى، تركتها لأسير بجوار الغزلان والطواويس والماعز فى الجولدن بارك، لأشرب قهوة جيدة، فى الشرفة الصغيرة مع اليهود الفطنين اللطفاء الذين يجلسون هناك فى الصيف

ليكتسبوا بشرة بنية اللون لامعة، مع الأمهات والأبناء الصغار. على المساحة الكبيرة المكسوة بعشب أخضر وكراس مريحة، كانت مثل السفن المبحرة، أميال من السماء الزرقاء، بلا أية سحابة فى أى مكان، والناس متناثرون، يغطسون فى ضوء الشمس.

عدت للمنزل فى وقت الغسق، متأخرة، بعد التاسعة، وهأنذا، على مكتبى، هذا وقت كتابة المذكرات، وأحاول أن أقبض على تفاصيل هذا اليوم، هذا اليوم الجميل، حتى لا ينتهى للأبد. لأنه ثمين، إنه نادر. أوه، أعرف كيف أقيم هذا اليوم، يا له من يوم، وقت لتنفقه، كل الوقت فى العالم ـ و لكن فقط فى يوم واحد، لا شىء يجب أن أفعله، لا أحد ينبغى أن أراه، فيما عدا مودى، أوه مودى المسكينة، ولكننى لن أفكر فيها حتى الغد. يوم فى لندن، المسرح العظيم، لندن الحبيبة، التى تنبع قيمتها من السخرية والمرح اللطيف، والطيبة، يوم لنفسى، فى وحدة رائقة. استمتاع مثالى.

انتهى الأسبوعان. كان ذلك هو اليوم الأفضل، بسبب الشمس، ولكننى استمتعت بالأيام كلها، الخمسة عشر يومًا، ايام طويلة كسولة. فيما عدا مودى، إننى أؤدى كل شىء من أجلها مرة أخرى. إنه نهاية الصيف، أعمل، كيف أعمل بهذا الشكل؟ كم أحب كونى قادرة على العمل ـ وبأى قدر سأستمتع بعدم العمل بشكل مجهد جدًا، حينما أبدأ العمل لبعض الوقت فى الحال.

جيل فى شقتى، فى بيتى، إنها فى "غرفة مكتبى"، غرفة بسيطة، ليست كبيرة جدًا، ولكنها لم تكن هنا أبدًا. لقد اندفعت إلى المكتب، كما فعلت، طيلة كل تلك السنوات الماضية. لقد شعرت بميل تجاه فيليس، وألفتها فيليس. إنهما تعملان معًا، تعلمت جيل كل ذلك بدون مجهود يذكر. إنها لا ترى فيليس كما أراها أنا ـ كما كنت أراها، لقد تغيرت فيليس، لقد فقدت ميزتها الحاسمة. إنها طيبة مع جيل، حساسة وكريمة.

رئيس التحرير الجديد، ليس من منحته صوتى، لقد اختاره مجلس التحرير. من النظرة الأولى، كان واضحًا لى ولفيليس، فى الحقيقة للجميع، حتى لو كان مارا فى الطريق. كانت فيليس تشعر بالتوحش بسبب عدم عدالة الأمر: إنها صغيرة للغاية على منصب رئيس التحرير، لم يثر هذا الأمر بالطبع، ولكنها كانت مناسبة له. والآن، عليها أن تعمل من خلاله. لا أستطيع أن أقول، ابنتى العزيزة، لا تلاحظى، لا تضيعى الوقت فى الغضب، لن يتغير الكثير.

تعليمات غير مباشرة. ما فعلته هو التحدث بشكل مكثف عن المرحلة التى عملنا فيها بكثرة أنا وجويس فى الأيام الخوالى، كنا ندير كل شىء، بينما ما كان يدعى رئيس تحرير كان يرقص على إيقاعنا. تنصت فيليس، وهى تحتفظ بابتسامة جميلة صغيرة، تمتلئ عيناها بمتعة ساخرة. لا تفهم جيل حتى الآن ما أقوله، ولكنها تراقب فيليس بتركيز كبير. لم أقلل أبدًا من شأن تشارلى المسكين.

إننى أتورط فى "العمل على تهذيب" تشارلى، وهو من سيأخذ مكانى فى نهاية ذلك الوقت. إنه رجل لطيف، إننى مغرمة به. إنه منتوج الستينيات. يالهم من جماعة كسولة، لا ضوابط، إنهم يأخذون الأمور بسهولة جدًا. متفاهم، ذو وجه كالح، وبدن سمين قليلا، غالبًا ما تتوقع وجود دهون أطعمة على رقبته. إنه لا يهتم.

كنت أتعجب لسنوات ما الذى يصنع الفارق بين العشرة بالمائة الذين يعملون حقًا والبقية التى تطفو على السطح ويتظاهرون بالعمل، و ربما أيضًا يصدقون أنهم يعملون. وصل تشارلى المسكين إلى المكتب، وانتظر أن يخبره أحد. فكرت بالطبع أين ينبغى أن يكون. لم أكن لأطرد المصورين فى الخارج، فهم يحتاجون إلى المكان. لا أدرى لم ينبغى أن أسلم غرفتنا، ولم تكن أبدًا من أفضل الغرف. لا، لقد استخدمت الغرفة فى اجتماعات مجلس الإدارة، أعمال مكتبية، غرفة منجدة، كل على حدة. انتقلت إلى هذه، مع تشارلى، وتركت الفتاتين حيث كنا أنا وجويس. الآن، أجلس فى مقابل تشارلى، كما فعلت مع جويس. اعتدنا على بعضنا مثل أى شىء آخر.

كان تشارلى يدير مجلة تجارية، إنتاج جيد الشكل، نظيف وبراق. (و لكن من كان يديرها حقيقة؟) إنه يجلس هناك، تنزلق من الأوراق حول المكتب الكبير، بينما أخبره بتاريخ المجلة، التغييرات، وكيف ينبغى أن تكون الآن "من وجهة نظرى" ـ أعوذ بالله،

أقصد كيف أعتقد أن رأيى يمكن أن يكون مهما الآن، وأنا فى طريقى للخروج. أوه، و لكن جانا، بالطبع يجب أن نأخذ رأيك فى الحسبان...

إنه لا يبدأ أى شىء مطلقًا...حسناً، هل هذا يهم؟ السلبية فضيلة عظمى، فى بعض الأحيان. أن يكون قادرا على أن يدع الأشياء تحدث: أوه، نعم، يجب أن يعرف المرء كيف يقوم بذلك. ولكن، إذًا أن يسيطر على الأمور، فى اللحظة الصحيحة، يجعل الآلية تبدأ، يستخدم ؟ أن تجعل الأشياء تحدث.

كانت جويس جيدة فى قدرتها على الانتظار، الإنصات، التحرك، والسيطرة. ربما يكون تشارلى، هو شخصية مميزة. ولكن، لا، أنا متأكدة جدًا أنه ليس كذلك. إنه لا يعمل ـ حسناً، هناك القليلون للغاية ممن يعملون حقًا. إنه أمر مثير للاهتمام، أن تراقب الناس وهم لا يعملون. يأتى البريد، فيسلمه لى، فأفحصه معه. يقول ما رأيك فى هذا وذاك؟ أقول، ألا تعتقد أننا لو ...؟ يقول، حسناً، ربما...أجد نفسى أقوم بعمل المكالمات التليفونية، ثم طلبت سكرتيرتى لتمكث معى، بينما تشارلى مشغول فى الأوراق كما أمليت عليه. لديه غداء عمل كل يوم، مع شخص ما. يعود متأخرًا للمكتب، وعند ذلك، يحدث كل شىء. يجلس، ونتحدث، يقوم بإملاء خطاب أو اثنين، وينتهى اليوم. لم يقم بأى عمل على الإطلاق. بل إنه قال لى وهو يبتسم، ولكن الابتسامة كانت تحمل أضعف بريق من القلق، إن الإنسان المنظم جيدًا يعرف كيف يخصص المهام لكل شخص.

حسناً، أمر عادل: كل إداراتنا ستمضى بشكل جيد جدًا فى إطار أهميتها الخاصة لوقت طويل، بدون تدخل.

فى هذه الأثناء، هناك فيليس، هناك جيل، وقد فهما الأمر بالفعل. إن الأمر بالنسبة لهما أنه ـ تشارلى يعتقد ـ يقوم بتخصيص المسئوليات. أراقب فيليس وهى تأتى لتتلقى التعليمات، وتقدم الاقتراحات. إنها لا تسمح لعينيها أن تلتقى بعينى، ليس هناك أبدا أدنى اقتراح بالمشاركة. علامات نهائية، يا فيليس. تجلس هناك، مؤهلة بمعلوماتها، هادئة، بالتأكيد مرتدية ملابسها الحريرية الناعمة التى تعيد توكيد شخصيتها المميزة، وتقول، "تشارلى، كنت أتساءل ما رأيك لو أننا ..."

"حسناً، كنت أفكر بشكل ما فى هذه السطور بنفسى" سيقول، بعد نصف ساعة. وحينما أذهب إلى مكتبهما، لنثرثر، نفكر وكأن تشارلى هو من بادر بهذا الأمر أو ذاك فى الحقيقة، إن تشارلى هو من يتحكم فى سير الأمور.

بلاد الخريف الرائعة، يوم بعد يوم، وبعد الظهيرة هذا، أنظف شقتى (حجرة جيل حافظت عليها بشكل جميل مؤكدا)، و فى الواقع قمت بتنظيف ملابسى، أظافرى، إلخ، بشكل ممتاز، وكنت أنظر إلى السماء، وفجأة ركضت على الدرج، دخلت فى عربتى، واتجهت لمودى.

"مودى،" قلت، "تعالى إلى المتنزه".

رأيت ترددها، وقلت، "هيا يا مودى، قومى..فقط لمرة واحدة، قولى نعم".

وابتسمت ابتسامتها الموافقة الحيوية، تلك التى أراها براحة تامة، وقالت، "ولكن هناك سندوتشاتى التى جهزتها والفناجين التى أخرجتها..." طرت للداخل، أحضرت لها معطفها، قبعتها، حقيبتها، وسمحت لى بتولى الأمر. فى عشر دقائق، ريجينتس بارك. قدت السيارة حول الدائرة الداخلى، وأنا أنظر إلى الذهبى، البرونزى والأخضر تحت السماء الزرقاء، وحولت مودى رأسها ورفعت يدها لتظلله. أعتقد أنها تبكى، أجل، ولكن، لا، لن ألاحظ ذلك. ولهذا فإنى أبقى عينى بعيدًا.

"هل يمكنك أن تسيرى قليلاً؟" أسأل.

لحسن الحظ، مكان حر طوله فقط عشرين ياردة، أرى كيف تدهور بها الحال منذ أن كنا هنا فى الصيف الماضى. كرهت تلك الكلمة حينما سمعت لأول مرة أن الأحذية عالية الرقبة الجميلة التى استخدمتها هيرميون، والآن أكرهها حينما تستخدمها فيرا، وبالرغم من ذلك أستخدمها أنا نفسى. تتدهور حالة مودى سريعًا..مثل البقالة.

فى النهاية وصلنا إلى المكان الذى توجد فيه الطاولات. كانت هناك ورود ما زالت، نقاط ملونة ذات رائحة، فى أماكنها المناسبة، وتلك العصافير التى تأكل

بشكل جيد تتقافز فى كل مكان. أجلست مودى فى مكانها، وذهبت لإحضار الكيك و القهوة. تأكل مودى بنهم بطريقة استمتاعها الأسلوبية البطيئة وفى الفترات التى تفصل التهامها لكيكة وراء أخرى، تجلس مبتسمة للعصافير، الأعزاء،...

لا أستطيع أن أتخيل كم يمكن أن تتناول، حينما أفكر فى تلك البطن الصفراء الصغيرة. وتقول مودى، ينبغى أن تطعمى القرحة، يقولون، لا تقول ذلك بصوت حزين، ولكنها تتعجب، لأنها هى أيضًا مندهشة كيف أنها تأكل بنهم هكذا، ففى بعض الأحيان تأكل شرائح من الخبز بالزبدة بعد أن تنتهى تمامًا من تناول الوجبات الجاهزة أو بعد أن تفرغ من تناول علبة بسكويت كاملة.

ثم أقود السيارة وألف مرات عديدة حول الدائرة الداخلية بينما تظلل وجهها وتحدق فى الأشجار الصفراء وفى الظلال التى تأتى من تحتها.

مودى. يبدو أنها فى حالة أفضل الآن: إن كنت تستطيع أن تقول ذلك عن امرأة تعانى من السرطان. يأتى جيشانها المرعب بشكل متقطع، يبدو مزاجها ودودًا فى معظم الأحوال، بل مرحًا. إن هذا، بشكل مناقض، بسبب شعورها أنى قد خذلتها. فقط، بعد أن أخذتها للمتنزه ، نهضت مرة أخرى وشعرت بألم فى ظهرى. لم أكن متعبة جدا مثل المرة الماضية، وانتهى الأمر فى اليوم التالى. ولكنى كنت أعرف ما ينبغى أن أفعله. اتصلت بفيرا روجرز وكان بيننا حوار طويل،

وذهبت لمودى، واتخذت مقعدًا، وقلت، "انظرى يا مودى، علىّ أن أشرح لك أمرًا، وأرجوك أن تنصتى دون أن تغضبى منى".

"لا تغضبى منى" كانت ملاحظة قررت بالفعل ألا أستخدمها: لأننى قضيت ساعات فى الليلة الماضية، وأنا أقول لنفسى إنها امرأة ذكية، إنها حساسة، ينبغى فقط أن أشرح...أوه يا للغباء، لأنها وفى الحال أدارت وجهها بعيدًا، وكانت تحدق بنظرتها المرتعشة الحادة اليائسة إلى المدفأة.

كنت أقول لها إنه ينبغى أن تحصل على مساعدة منزلية، حتى لو مرتين أسبوعيًا، لكى تتسوق لها، وأنه ينبغى أن يكون لها ممرضة لكى تحممها. وإلا سأكون دائمًا مستلقية على ظهرى فى الفراش ولن ترانى مطلقًا.

لم تقل كلمة واحدة. حينما انتهيت، قالت، "ليس لدى بديل، أليس كذلك؟" وفيما بعد أوضحت أنها تلوم فيرا روجرز، تلك المقرفة.

أدركت وقتها أننى لا ينبغى بعد ذلك أن أتوقع كلاما منطقيا منها.

المساعدة المنزلية هى فتاة أيرلندية لطيفة، قيل لها إن السيدة فاولر هى امرأة صعبة المراس. تقف بصبر تدق على الباب حتى تسمح لها مودى بالدخول، وهى تضغط على أسنانها بقوة وهى تنظر بغضب، وتتمتم.

قالت مولى بأدب: "وماذا يمكننى أن أجلب لك؟"

قالت مودى: "لدىّ كل شىء".

"اوه يا عزيزتى،" قالت مولى، محاولة أن تجد شيئًا ما يمكن أن يجدى مع امرأة أخرى صعبة المراس، "إننى متعبة جدًا، هل يمكننى الجلوس وتناول سيجارة؟" نظرت إلى الكرسى ذى المسند، الذى يبدو فى حالة مرعبة، وجلست على كرسى خشبى غير مريح بجوار الطاولة.

لم تخطئ مودى أن تلاحظ اشمئزازها، على الرغم من أنها أظهرته لمدة لا تزيد عن لحظة، وقررت أنها كرهت هذه الفتاة. "لا أستطيع أن أمنعك من الجلوس،" قالت.

وعرفت مولى أنه لا يجب أن تجلس فى هذا المكان وأنه ينبغى أن تكون ودودة. وفى الحال أنهت سيجارتها وقالت، "إن لم يكن لديك أى شىء لكى أبتاعه لك، فسأمضى".

فى هذه اللحظة صمتت مودى، ثم قالت بطريقة غاضبة ومتسرعة ولا مبالية "هناك البسكويت.. ويمكنك أن تحضرى شيئًا للقطة... لا أريد أن أزعجك".

على هذا الأساس أفلحت مولى المسكينة فى أن تحضر بعض الأشياء التى تحتاجها مودى: ولكنها حينما حاولت أن ترى ما بالمطبخ، حيث يمكنها أن تستخدم ذكاءها فى اكتشاف ما ينقصه، قالت مودى،"

لا أتذكر أنى طلبت منك الدخول". وهكذا، حينما تنسى مودى، الأمر الذى غالبًا ما يحدث، فإنها تنجو بفعلتها. وحينما أدخل أنا، أخرج ثانية من أجلها. أشعر أنى بلهاء، فى النهاية، إن الأمر يستغرق بضع دقائق فقط. تعتقد أن الأمر سخيف، أن عليها أن تتعامل مع المساعدة المنزلية، كل ذلك بسبب أننى أصبحت باردة و غير متسامحة.

ولكن الأسوأ، بالطبع - هو أن الممرضة التى تحممها لها بشرة سوداء، صغيرة السن جدًا، وهناك سيدة أخرى مسنة جدًا، وبيضاء، ولها يدان جافتان أو باردتان ـ ليست مثل جانا. لم تكن تسمح للممرضتين بالدخول، ولكنها وجدت أننى أصبحت قاسية وأننى لن أستجيب لنداءاتها الصامتة، ثم سمحت لهما بالدخول، ولكنهما لم يجدا أشياء للاستحمام، ولم يستطيعا أن يجدا ملابس نظيفة، و كانتا فى البداية رقيقتين وصبورتين ثم تحولا بشكل متزايد إلى الضيق، وبشكل تسلطى، كانت تحصل على إجابات موجزة على أسئلتها. كانت الممرضة الأولى سوداء، أفادت أنها اعتقدت أن السيدة فاولر لن تتحمل ممرضة سوداء، أما الثانية البيضاء، فقد حاولت مرتين ثم يأست، بينما فلحت الثالثة فى الواقع فى تحميم مودى، التى وجدت أن الأمر مخزٍ جدًا ومؤلم، حتى أنه فى المرة التالية حينما جاءت الممرضة، صرخت فى وجهها: "ارحلى من هنا، لا أريد أية واحدة منكن، يمكننى أن أدبر أمر نفسى".

ثم كـان وقـتًـا سـخـيـفًـا حـيـنـمـا وصـلـت فى المسـاء،وواجهتنى مودى، وهـى تبـدو بمظـهـر مرعب، بائسـة وتشعـر بالخـزى. جلسنـا هنـاك كالـعادة، على جانبى المدفأة، وكانت تسلينى بالقصص نفسها، لأنها قد استنفدت ذكرياتها، وبيننا كان أمرًا معروفًا أننى لن أحممها، أننى أنا صديقتها، لم أعد صديقتها.

"حينما كنت لا تزالين صديقتى،" بدأت حديثها فى إحدى المرات، لم تكن تعنى أن تمـارس ضغطًـا، ولكن هذا ما تظنه.

وفى الحال، كنت أفكر، هذه امرأة مسنة تموت من السرطان، وأنا لا أستغنى حتى عن نصف ساعة لأحممها!.

اتـصـلـت بـفـيـرا، وقـلـت لـهـا أن تـلـغـى مـوعـد الممرضات، وأن تبقى المساعدة المنزلية، وظللت أحمم مودى منذ ذلك الحين. ولكن ليس كل يوم، لا أستطيع ببساطة أن أفعل ذلك. إننى أخشى هذا العدو الصامت، ظهرى.

حينما وصلت، تتعجب مودى هل ستكون فى مزاج طيب اليوم؟ يحدث ذلك أحيانا ببؤس حقيقى ورعب من حالتها ورائحتها القذرة. وأشعر بذلك، وأقول، "هل ترغبين فى حمام يا مودى؟" وأراقب وجهها وتلك الراحة التى تبدو على وجهها المسن المسكين...كم تكره أن تكون متسخة، وأن تشمئز من نفسها. وبطريقة ما، فإن دخولى فى حياتها كان شيئًا سيئًا بالنسبة لها، لأنها فيما قبل كانت قادرة على أن تنسى الأمر قليلاً،

لم تكن تلاحظ ملابسها القذرة، ومعصميها الوسخين، والقذارة التى فى أظافرها.

وهكذا، كل ثلاثة أيام، أقوم بتحميمها بالكامل. ولم تعد توسخ نفسها مطلقًا، برغم أنها تكون مبلولة فى بعض الأحيان.

ألاحظ فى بعض الأحيان اليقظة التى تجعلها تبقى نفسها نظيفة وبصحة جيدة: كم من المرات تسحب نفسها من الحمام البارد، كيف تحرص على أن تفوق نفسها ذكاء. وإلى جانب ذلك، هناك أمر آخر: إنها لا تريد جانا ـ جاسوسة فيرا روجرز - أن تعلم ماذا تفعل، ولهذا فهى ستفعل أى شىء، حتى لو جلست طوال الليل، حتى لا تستخدم الطاولة الجانبية. ولكن بمجرد أن تحتاج لاستخدامها، لا تخرج فى الوقت المناسب، وأجىء قبل أن تتمكن من إفراغها. لم تجعلنى أتوقف عن تناول الوعاء، ولكنها تقف وتنظر إلى وجهى بطريقة تعنى أن هذه اللحظة ترعبها، وقد حدثت الآن. ظننت أنها تشرب قهوة حقيقية، ثم تذكرت شيئًا عن أدوات القهوة. واتصلت بفيرا فى اليوم التالى، وقالت لى، أوه، ينبغى أن أستدعى الطبيب، ينبغى. لا تفعلى، أرجوك لا تفعلى، اتركيها بقدر ما تستطيعين.

وهكذا الآن، بدلا من جانا الصديقة الحقيقية، الشخص (التى هى ذاتك الأخرى) التى يمكن أن يعتمد عليها، والتى سترد بالإيجاب دومًا، وتفعل ما تحتاجه منها، لديها جانا الأخرى تلك التى تضع

الحدود بين الأشياء، وفى أحيان تنفذها، وأحيان أخرى لا تفعل.

اصطحبت مودى لزيارة أختها. اختارت يوم الأحد حيث كما يخيل إليها لن تحرج نفسها كثيرًا. اتصلت بأختها، وهى تجر خطواتها ناحية صندوق التليفون فى الزاوية، وقالت لى فيما بعد، إنها قد حددت الموعد، وأنها ستستقل الباص، لقد فعلت ذلك كثيرًا من قبل، لا ينبغى أن أزعج نفسى.

كان يومًا من أيام نوفمبر الدافئة. ارتدت مودى أفضل فساتينها، وهو فستان حريرى لونه أزرق داكن منقوش بوردات رمادية ووردية. لقد أعطته لها صديقتها الممثلة من هامرسميث بعد الحرب العالمية الثانية بوقت قليل. ارتدت معه معطفًا أسود، وقبعة سوداء بريشة وعليها شريط أسود من الساتان وباقة صغيرة من الورد: اشترتها منذ أربعين عامًا، من أجل حفل زفاف. حينما دخلت لكى أصطحبها، فكرت أنها قد تكون والدة ليزا فى سيدتى الجميلة: فقر فوضوى، ولكنه براق، ولكن كان هناك أيضا تلك الحيوية، ذو مذاق معين خاص بها، وهكذا هذه هى مودى، تزور أقاربها، الذين لم ترهم منذ سنوات، تقدم نفسها بالشكل الذى يرغبون أن يروها عليه، علاقة غريبة، لا تؤدى لشىء يرغبون أن تذهب طى النسيان. كان منزلا صغيرًا، جميلاً، قديمًا، وله حديقة، واحدة من الحدائق المنقطة بين المبانى العالية، المحال الضخمة والجراجات، الشوارع الهادرة. قدت السيارة لفترة،

باحثة عن المكان، وها هو هناك: قرية تقريبًا، أو شظية من قرية. بوابة الحديقة مطلية ، وهناك ممر بين أزهار الخريف، وهناك أقاربها، منتظرين أن يستقبلوا الخالة مودى وصديقتها الجديدة. فضول. إنهم جماعة بشعة، صعبة، متألقة، شعبية ـ كلمة لا ينبغى أن يسمح لها أن تخرج عن سياق الاستخدام.

الأخت، أكبر عمراً من مودى، وهى ربة العائلة، ما زالت نشطة وتتولى القيادة. قامت بطهى العشاء، ووجهت تعليماتها لبناتها وحفيداتها كيف يجهزن المائدة، وأشارت للأولاد وللأحفاد أن عليهم أن يخرجوا القمامة فى الخارج، وأن يفتحوا النافذة المزرجنة، وأن يطيلوا من سلسلة نافذة الحمام.

يتحدثون جميعًا، الاثنى عشر، وقد ارتدوا ملابس أنيقة ولكنها غريبة الشكل، عن سياراتهم، عن جيرانهم الذين ينشغلون بقطع حشائش الحديقة بمحشة، وعن إجازاتهم. لقد تجاوزوا جميعًا مودى وأختها بولى، ولكن، كيف يمكنك أن تقوم بتقييمهم فى علاقتهم بجدهم الشرير، وقت سعيد يا تشارلى؟

جلستُ هناك آسفة على نظامنا الطبقى، الذى ليس من السهل دوما فك شفراته، بينما أجيب على أسئلة حول ما أنجزت ـ بالتأكيد لم أخبرهم عن طبيعة وظيفتى، لأنهم قد يعتقدون أننى أكذب، أخبرتهم أننى سكرتيرة، ثم أجبت عن أسئلة حول

مودى، ولكننى كنت أعرف ما سيحدث لاحقًا، وقد حدث: "إذًا فأنت جارة مودى الطيبة؟"

عقدت العزم على ألا أدعهم يعتقدون أن مودى ليس لديها صديقة حقيقية، وقلت، "لا، لست كذلك. إننى صديقة مودى، لقد مضى وقت منذ أن تعارفنا".

لم يتوقعوا ذلك، و تبادلوا النظرات المعروفة. وجهوا أسئلة مفصلة وملاحظات لمودى، وكأن مودى نصف متيقظة، وجلست هناك بينهم وهى ترتدى أفضل ثيابها، بينما رأسها ترتعش قليلا، مدافعة عن نفسها، وتشعر بالذنب، وغير مرتاحة بشكل واضح، وكانت تحاول أن توقف ذلك الضغط البشع الذى جعلها تبدو سخيفة وغبية. سؤال عصبى لأختها الضخمة العجوز: "بولى ، هل تتذكرين عدد المرات التى صنعت فيها لفائف بالفاكهة من أجل بول؟"

"أكنت تفعلين ذلك يا مودى؟ لقد كنت دومًا مشغولة بأفكار تخصك وحدك، أليس كذلك؟" و:"بولى، ألازلت أرى ذلك القارب القديم، الصلصة القديمة؟ أتذكرها من أيام المنزل". تأخذ بولى نفسًا طويلا غاضبًا: "حسناً، لا أعتقد أنك ستتذكرين ذلك الآن، لقد حصلت على ما أنت مؤهلة له !".

أوه أيتها الأم!" "أوه ماما!" "أوه عزيزتى !" أصوات تنبعث من "الأطفال" الكبار الآن، ومن الأحفاد، وهم فى سنواتهم العشرين والثلاثين، وهم يتبادلون النظرات المرحة؛ لأن هنا بعثت عادة أسرية للحياة من جديد: كيف حاولت الخالة مودى أن تتهرب من الأمور

الخاصة بالجدة، كانت دومًا ما تتوسل وتستجدى، وها هى تمارس هذا الأمر ثانية.

وقد أدركت مودى ما يحدث، ظلت صامتة، فيما عدا إجابتها بنعم أو لا، خلال تناول الطعام.

نجلس نحن الأربعة عشر حول الطاولة الطويلة فى غرفة الطعام، وهى الغرفة التى يستخدمها الجميع، هناك غرفة أمامية مثل غرفة الجلوس قديمة الشكل، نظيفة وبارقة بشكل مصطنع. مررنا أطباقًا مليئة بخضراوات مطهية بطريقة تقليدية، مليئة بالبطاطس المدهنة والكرنب المسلوق، وجزر أبيض مشبع بالماء. إلا أن هناك لحمًا جيدًا نوعًا ما. مررنا زجاجات صلصة هورسراديش و الكيتشاب وقارورة كبيرة للصلصة جدًا تصلح لفندق ـ أو لهذا التجمع العائلى. أكلنا برقوقًا مطهى على البخار، معبأ فى زجاجات جمعت من الحديقة، وبودنج رائع مضاف إليه شحم الضأن، خفيف و مقرمش، وعليه صوص المربى. شربنا أكوابًا من الشاى الثقيل بالحليب. تحدث متوسطو العمر عن حدائقهم المزروعة بالخضراوات، وكيف يقومون بتعبئة ما يزرعونه فى زجاجات ويجمدون البعض الآخر، أما صغار السن فتحدثوا عن البيتزا و الأطعمة الغربية التى يتناولونها فى أسفارهم. بشكل واضح، هناك العديد من الأطفال، ولكنهم لم يحضروا لهذا التجمع، كان ذلك سيشكل عبئًا كبيرة على الخالة مودى، كما يقولون، الغوغاء يظلون فى المنزل. تكاد الدموع تنفلت من

عينى مودى، ولكنى لم أخمن إلام تشير. هؤلاء الناس لا يلتقون ببعضهم سوى فى الكريسماس، حينما يجتمعون معًا هنا، كلهم. إنهم يسخرون من بعضهم طوال الوقت، فى لعبة صعبة وقاسية، حيث يبقون لحظات الضعف، الفشل، الخيانة متيقظة. تتوهج وجوههم بالقوة وتلك القسوة غير المبالية. وربة الأسرة المسيطرة على الموقف تجلس هناك فى هدوء، وتبتسم. أكاد أن أرى أباها بداخلها بسهولة: لم أستطع أبدًا أن أقبض على شعرة منه فى مودى. لديه وجه عريض أحمر، تحت شعر أبيض ملفوف مجعد تظهر رأسه الصلعاء الحمراء اللامعة. لديها جسد ضخم، يفترش فستانًا بنيا وأبيض مكرمشًا بشعًا محبوكًا للغاية بحيث يظهر تفاصيل جسدها. لديها يدان حمراوان ثقيلتان، براجم كبيرة لامعة. تسير معتمدة على عصا. إنها فى السادسة و التسعين من عمرها، وتصلح للحياة لعشر سنوات أخرى. تناولوا الطعام، أكلوا، أكلنا جميعًا. وأكلت مودى أكثر من الجميع، وهى تجلس صامتة هناك، وأبقت عينيها منخفضتين، خلال الوقت كله وبطريقة منتظمة، بقينا جميعًا فى الانتظار بينما تلتهم القطعة الأخيرة من الطعام.

جلسوا جميعًا بشكل لطيف حول الطاولة المعبأة بالطعام، بابتساماتهم الممتازة، مزاحهم الجيد الكاذب، ويغيظونها بكلامهم خالتى مودى فعلت هذا، خالتى مودى فعلت ذلك.

وهى لا تجيب بكلمة واحدة.

حينما انتهى وقت الطعام قالت لى، "والآن حان الوقت لكى نمضى". نظرت مباشرة إلى أختها، ورفعت صوتها، "الآن وقد التهمت كل ما لديكم فى المنزل". ضحكات متوترة من الأطفال، بينما يعبر الأطفال الكبار عن سعادتهم. قد لا يسمع الأحفاد مطلقًا عن الخالة مودى.

ابتسمت ربة المنزل بالكاد، بشكل رسمى كملكة وجاف. قالت، "لقد صنعت لك قليلا من بودنج الكريسماس كالعادة، لكى تأخذيه معك للمنزل.

"لا أتذكر أننى رأيت طبقًا من البودنج فى العام الماضى، أو العام الذى سبقه".

"أوه خالتى،" قالت إحدى بنات الأخت.

أشارت ربة المنزل بإيماءة آمرة لشاب صغير، فأحضر طبقًا صغيرًا أبيض اللون لمودى. فى البداية كانت تنوى تركه، ثم أعطته لى وقالت: "خذيه".

حملت طبق البودنج الصغير الذى قد يكفى ربما قليل من العصافير، ومضينا معًا جميعًا ببطء لسيارتى، حيث كانت مودى تحدد مدى الخطوات. أوه، كم تبدو صفراء وبشعة فى ضوء الشمس فى نهاية الخريف. وقد رأتها الأسرة، وفهمت. فجأة، برودة من جانبهم، هؤلاء الناس ذوو الوجوه الكبيرة الناضجة المستريحة، وهم يحدقون فى كبش الفداء الأسود للأسرة. تبادلوا نظرات مفزوعة ورفعوا أصواتهم

صائحين، "مع السلامة، خالتى، تعالى و زورينا مرة أخرى، قريبا ا".

"هذا صحيح،" قالت شقيقتها بلهجة آمرة،" يجب أن تخبرى جارتك الطيبة بأن تحضرك إلى هنا فى يوم أحد آخر. ولكن بلغينى قبلها بوقت كافٍ المرة القادمة"؛ لأنها قررت ألا تدرك أن مودى لن تأتى مرة أخرى. قالت لى، "أمر جميل جدًا أن تحظى مودى بجارة طيبة. لقد قلت لها مائة مرة إنه ينبغى أن يكون لها مساعدة منزلية، قلت لها أنت بحاجة لمساعدة منزلية".

وبهذه الطريقة، سرقت أسرة مودى وبشكل نهائى منها إنجازها هذا، أن يكون لها صديقة حقيقية، شخص ما يحبها.

ولأننى أحب مودى، ولم أستطع أن أحتمل جلوسها بجوارى هناك، مرتعشة، فى نشيج متواصل.

قلت لها، "مودى، إنك تستحقين مائة من هؤلاء الناس، وأنا متأكدة أنك كنت دومًا تستحقين ذلك".

وهكذا قدت السيارة للمنزل، فى صمت. بقيت معها طيلة ما بعد الظهيرة، أعد لها الشاى، أعد لها العشاء، أهتم بها، ولكنها كانت واهية و بائسة. وفى اليوم التالى، كان هناك تغيير حقيقى قد ألم بها. حدث ذلك منذ ثلاثة أسابيع. وقد أخذ الأمر فى التدهور منذ ذلك الحين.

منذ أسبوع، بدأت تحكى أنه ذات مرة حينما كانت طفلة، أخذها أحدهم إلى القداس ليلة الكريسماس، ولم تنس أبدًا صورة الطفل فى المعلف، والملائكة، طلبت من سكرتيرتى أن تجد لنا مكان قداس كنيسة يسهل الوصول له، ولكنها فى النهاية استقرت على الكنيسة التى تقع فى نهاية شارع مودى، وهكذا فلن يكون عليها أن تقطع رحلة طويلة للوصول إليها.

تحدثت طوال الأسبوع، وللمرة الأولى، عن خدمات الكنيسة التى كانت تذهب إليها كطفلة صغيرة، ولكن بشكل واضح، برينجتون بيرتى، وزوجته الساحرة والزوجة المسكينة لم تكن تذهب إلى هناك كثيرًا من أجل الدين. تحدثت عن الغناء، عن جمال الكنيسة، النوافذ ذات الزجاج الملون، "الرائحة الجميلة للخشب"، الورود.

قدت السيارة و هى معى فى الليلة البارحة ببطء فى تلك المسافة إلى الكنيسة التى تقدر بمائة ياردة أو أكثر قليلا، و رأيت - مرة أخرى - كم تدهور الحال بها، لأنه فقط منذ خمسة أسابيع ماضية أخذتها إلى أختها، ولكن الحركة الرقيقة للعربة أصبحت الآن تضايقها. ساعدتها للخروج من السيارة وسرت معها إلى الكنيسة. خارج الكنيسة، كان هناك مبنى صغير جميل هادئ، لا شئ مميز، ولكن بمجرد وصولنا للمدخل، نظرت فى عينى مودى. وقفت ساكنة هادئة تماما تحدق، ترفع عينيها لأعلى للمساحات المظلمة

فى الروف، ثم إلى توهج الشموع على المذبح. على جانب، رضيع جميل فى سرير طفل، والملائكة، يرتدون أردية زرقاء وقرمزية و تيجان ذهبية، يركعون خلف مارى، التى كانت تبدو شابة متوهجة بخدين ورديين وابتسامة جميلة. وقف الملوك الثلاثة بجانبها، أيديهم محملة بالهدايا ملفوفة بأوراق ذهبية وفضية، مربوطة بالقرمزى. و فى كل المكان، على قش ناعم مضىء، رقدت الحملان. و كلب حقيقى تابع للواعظ، كلب صغير من كلاب الصيد أبيض اللون غزير الصوف، يرقد بين الحملان.

أوه هؤلاء الحلوين، صاحت مودى، فاستدار الناس لرؤية العجوز، منحنية الظهر، ذات الملابس السوداء، وهى تبتسم وترتعش وهى واقفة هناك. وابتسموا هم أيضًا، لأنه كان هناك فقط الضوء المهتز الرقيق للشموع، ولم يلحظ أحد كم كانت مريضة وبشرتها شاحبة.

مشينا ببطء شديد تجاه ممر بين مقاعد الكنيسة، لأنها لم تكن تنظر إلى خطواتها، ولكن إلى المشهد الجميل عند المذبح، وجلسنا فى المقدمة تمامًا، حيث كان بإمكاننا أن نرى الكلب المطيع يستنشق الهواء قليلا، ويتثاءب بسبب الحرارة المنبعثة من الشموع. أوه، الأحباء، آوه الحلوين، أوه صغيرتى، صغارى، انتحبت مودى، وهى تمد يديها، والكلب يستجيب لها، يأتى منتصف الطريق إليها، ثم بأمر خفيض من أحدهم خارج مجال البصر، من وراء

عامود، يعود مرة أخرى ليرقد بين الحملان. كان القداس عاديًا جدًا، وأنا متأكدة أن المنظر كان استعراضيًا.

بعد ذلك، كان قد أصابها الإرهاق من كل ذلك، فأجلستها فى الفراش، مع بعض الحليب الساخن، وقطتها بجانبها.

أحبائى، أحبائى الصغار، كانت تتمتم، وتبتسم لى، للقطة، لذكرياتها، وأنا أمضى.

ولكن... كان عليها أن تذهب للمستشفى. جاء الطبيب فى الأسبوع الماضى، ولكن ليس بسبب أن فيرا الشريرة قد استدعته. كان يتوقع، كما قال لها، إن مودى قد" أصبحت ناضجة بما يكفى" لكى تدخل للمستشفى، وما وجده جعله يقول لولا الكريسماس لجعلها تذهب للمستشفى فى الحال، ولكنها منحت - أسبوعًا إضافيًا. نعلم أنها لن تخرج ثانية.

هل ستخرج؟

أوه، أوه، لقد مضى أسبوعان آخران...

كابوس، مودى تغلى، وتموج بالغضب. رحلت فيرا من أجل دورة تدريبية، وحيث إنه لابد من وجود عدو، فقد أصبحت أنا. "مودى" قلت، حينما صفعت الباب فى وجهى فى إحدى الليالى، واستقبلتنى فى اليوم التالى بوجه أبيض وعينين متقدتين، "لم تعاملييننى بهذا الشكل السيئ؟".

كنا نجلس فى مقابل بعضنا الآخر، والمدفأة مشتعلة، والحجرة باردة، قطتها التى لا تطعمها لا

تستقر فى مكان، وتموء طيلة الوقت. كنت أتوقع استسلامها، الحركة الحادة لرأسها، ذقنها المرفوعة لأعلى بكبرياء ـ ثم الإيماءة، اليد المرفوعة لأعلى لتحجب الوجه، وفى الحال، الصوت الصغير المتعقل المفسر لحالتها. ولكن لا، لقد جلست هناك مقطبة جبينها، شفتها السفلى تندفع للخارج، وعيناها تحدقان. حاولت أن أداعبها، وأن أحدثها حديثًا لطيفًا، ولكن لا فائدة، وأتعجب إن كنت لن أرى مودى مرة أخرى، ربما. لأنه لا شك فى أنها مجنونة صغيرة. كنت أفكر فى هذا الأمر، ما الذى نتحمله فى الناس، دون أن ننعتهم أبدًا بالجنون. ما الجنون إذًا؟ بالتأكيد هو انقطاع الصلة بالواقع؟ أن تصرخ وتغضب مودى من صديقتها الوحيدة، أن تعاملنى كعدوة، ليس أمرًا عقلانيًا.

لاشىء مما يحدث يلامس الواقع، إنه وجه مرعب تمامًا، لأننى لا أستطيع أن أقول لها، مودى، إنك تعانين من السرطان. أفكر فى أمى، أفكر فى فريدى. أنام مستيقظة ليلاً وأتعجب، ما الذى صنع هذا الاختلاف، أن هذين الشخصين استطاعا أن يقولا، أنا أعانى من السرطان بينما لا تستطيع مودى؟ بسبب التعليم؟ هراء! ولكن لم يحدث أن فقدت أمى أو زوجى فى أى وقت قبل رحيلهما هذا الإحساس بالواقع!.

عادت فيرا مرة أخرى، وأخذنا مودى إلى المستشفى.

ينبغى أن أدبر أمر قطة مودى، أن تقوم جارتها بإطعامها. ولكنها قالت إننى لا يجب أن أتوقع أن توفر

لها منزلاً، إذًا لم لا أذهب بها إلى ملجأ للحيوانات الأليفة. تفقدت المكان، لكى أتأكد ألا شىء هناك يمكن أن يصنع رائحة ـ الطاولة الجانبية، المطبخ. وجدت مخزونًا مرعبًا من الكلسونات والملابس التحتية المتسخة واستطعت فى النهاية أن أتخلص منها فى صندوق القمامة. وأنا، أفعل ذلك، قلت لنفسى أن الأمر يبدو وكأننى أتخلص من مودى.

من المنطقى أن أفكر، لم عليها أن تخوض كل ذلك، عملية الموت الطويلة المثيرة للقرف؟ بينما يمكنها أن تموت فقط وهى نائمة. ولكن بأى حق أشعر بذلك، إن لم تشعر هى بهذا؟

إنها فى أكبر وأحدث مستشفياتنا، فى جناح يكفى أربعة مرضى، تتلقى أفضل خدمة علاجية وتمريضية. إنها محاطة بالاهتمام، المعاملة الرقيقة، الساحرة. وها هى هناك، مودى تلك المسكينة، المرأة الصفراء، ضئيلة الحجم الغاضبة، تجلس مستندة فى السرير كى لا تقع، محاطة بوسائد فى الكرسى، يجلبون لها الطعام والدواء، وهى لا تفعل شيئًا سوى استمرارها فى التعبير عن غضبها، تمردها، إنها تتمتم وتلعن... وبالرغم من ذلك فهم يحبونها جميعًا. هذا حقيقى. ظننتُ فى البداية أن مشاعرهم ناجمة عن التدريب الرائع، ولكن ليس الأمر كذلك. إن هناك أمرًا ما له علاقة بها، كل الممرضات قلن لى، وقال لى الطبيب الشاب، "كيف أصبحت صديقة لها؟" كانوا يريدون أن يعرفوا حقًا، هذا لأنه هو أيضًا، يشعر بأن

هناك شيئًا مميزًا بها. "إنها حبوبة جدًا" قال الممرض، الذى قضى للتو فقط عشرين دقيقة محاولا إقناعها أن تتناول دواءها. إنه مسكن للألم. ليس الدواء البشع الذى ستتناوله حينما يشتد الألم ويكون تناوله أمرًا ضروريًا: إن هذه مكيدة متوسطة. ولكن مودى تقول، إنه يذهب بعقلى، أشعر أن عقلى ملىء بقطن الصوف، وتؤجل تناول الدواء حتى ترج رأسها، بنشيج غاضب، وهى تنظر إلى الكوب الموضوع على طاولتها، مشيرة إلىّ أنها ستتناوله.

أذهب لزيارتها كل يوم بعد العمل وأمضى معها ساعتين.

"أوه، هأنت هنا، أخيرًا" تقول مودى.

وحينما أرحل: "ستمضين، أليس كذلك؟" وتحول وجهها بعيدًا عنى.

هذه الراحة التى تمنحها، ليس علىّ الآن أن أحممها وأن أبقى ملابسها نظيفة بشكل ما، ليس علىّ أن أجلس فى مقابلها، أحبس غضبى، إحباطى، مشاعرى الغاضبة بينما تنفث هى سمومها فى وجهى.

تأتى الأسرة، القبيلة لزيارتها، فى مجموعات صغيرة.

"أوه، يا خالتى!" قالت بنات الأخت، وسألت الأخت المتسلطة، "ما هذا الكلام يا مودى؟".

"أنت تعرفين هذا الكلام،" قالت مودى، وأدارت وجهها وحدقت عيناها بعيدًا عنهم، ولم تجب وداعهم، مع السلامة يا خالتى، مع السلامة يا مودى.

طلبت أن أبدأ عملى مبكرًا، أذهب الآن يومين كاملين، هناك مرونة فى زيادة عدد الساعات وفقًا للحاجة، نصف يوم فى الجلسة المخصصة للتفكير فى الصباح، ووافقت على يوم و نصف آخرين كاملين قبل أن تمثل المجلة للطبع.

ولكن كيف يمكنها أن تتزوج تشارلى، أو بالأحرى، كيف ستبقى متزوجة؟ إنه يحصل على الطلاق، ولديه ثلاثة أبناء، ولهذا، فإن هناك الكثير من المال سينفقه على تعليمهم. سيكون على فيليس أن تدعم أسلوب حياتهم. وماذا عن الأطفال؟ كل هذا كان يدور فى رأسى، بينما تجلس هى هناك تميل للأمام فى شغفها، ياله من شىء جميل فى ملابسها الناعمة. لم يخطر ببالى من قبل أن أناديها بالجميلة، ولكنها تبدو كذلك هذه الأيام. شعرها يلمع، عيناها تضيئان، يبدو توهجها فى مقابل الحوائط الخشبية الداكنة للمطعم.

أرادت النصيحة. أردت أن أعرف إن كان الأمر واضح فى ذهنها، وهى تتقدم فى الأمر، لأن هذا هو جوهر الأمر. تحدثت عنه هو كيف أنها عملت هى وتشارلز بشكل جيد لإعداد المجلة، كيف أن الأمور سارت بيسر: تحدثت عن العمل كثيرًا جدًا بلا توقف، بينما عيناها بشكل متوقع مثبتتان على عينىّ، لأننى لم أقل، أوه فيليس، إنك مجنونة، أو، يا لها من أخبار مدهشة. أدعها تتحدث و تتحدث، وأنا لا أقول الكثير، ولكنى بين الحين و الآخر أقول بعض الملاحظات الحكيمة المساندة التى يحتاجها المرء فى مثل تلك

اللحظات حينما يتوقع الناس أن تقول لهم ما ينبغى عليهم أن يفعلوه.

ومع انتهائنا من الوجبة، ذكرت للمرة الأولى أنهما لن يستطيعا تحمل نفقات طفل جديد، لأنه سينبغى عليها أن تعمل، وأنها لا تعرف ما شعورها تجاه الأطفال. أخذت ترسل لى تلك النظرات القصيرة المفعمة بالأمل، وكأننى الآن فى هذه المرحلة المتأخرة، قد أقول، ولكن بالطبع يجب أن تتزوجيه!.

ولكن ما سألت عنه هو بطريقة متسرعة، محرجة يستخدمها المرء حينما يريد أن يناقش أمرًا غريبًا عن طبيعة الحديث"، ولكن ماذا عن اجتماعات المرأة، وهذا النوع من الأشياء؟"

حولت عينيها، ابتسمت، بلا اهتمام، "أوه، إنه لا يمانع ما أفعل، إنه مهتم للغاية، حقًا".

لقد صدمنى ذلك، كونه أمرًا بعيدًا عما نتحدث فيه، لدرجة أننى سمعت نفسى وأنا أضحك بعصبية، وكأننى أضحك على نكتة سخيفة.

دعانى تشارلى للغداء أيضًا. أراد أن يخبرنى عن مشكلته. إنه يشعر أنه من الظلم أن يتزوج من فيليس ويثقل كاهلها بماضيه. إنه يعيد التفكير فى أمر زواجه منها ؟ قمت بتنقيح مجموعة أخرى من الملاحظات الإضافية، مثل، ينبغى أن تعيد التفكير فى الأمر بجدية، وتفعل ما تعتقد أنه الحل الأفضل، أعتقد أنه ينبغى أن تشعر بذلك! استخدمت تلك الملاحظات

بينما أنصت لمونولوج يقترب من الساعتين. حينما رحلنا خارج المطعم، شكرنى من أجل النصيحة الجيدة. تتسم فيليس بالذكاء الشديد: حينما رحلنا (من المطعم نفسه) منذ بضعة أيام، نظرت إلىّ بحدة وقالت: "لم لا تخبريننى ماذا أفعل، ومن ثم يمكننى أن أضع عليك اللوم كله !".

يبدو على الأقل، أنهما سيتزوجان بدافع اللامبالاة، إن تم الزواج بشكل جيد...؟

ترقبت، الآن لدى وقت إضافى، لأن أعتنى بملابسى جيدًا. يا له من عمل شاق، أسلوبى الخاص. وقفت أمام المرآة فى أفضل ملابسى. ملابس حريرية ذات لون بيج عسلى. حقيبتى. قفازى. حذائى. هناك خشونة ما فوق المقعد، ولا سبيل لعلاجها. إن حواف البطانة الخارجية لطية صدر السترة لها مظهر غبى نوعًا ما. هناك زراران مفكوكان تقريبًا. هناك خيط يظهر من البطانة الساتان الرمادية. تظهر على حذائى بعض الخطوط المتسخة فى المقدمة. قفازى فى مستوى أقل من الممتاز. كل جواربى الحريرية بها تنسيل طولى. ما العمل؟ هل ألقى بكل ذلك وأبدأ من جديد؟ ولكن، لا، المشكلة هى لو أن لدى الوقت اللازم للاهتمام بذوقى فى ارتداء الملابس، فليس هناك الدافع لفعل ذلك. كنت أتذكر كيف أن كوليت أو شيرى أو ليه كن يحيين حبيبها القديم بمعلومة عن كيفية ارتدائها لملابسها والياقة الجميلة ؟ وها هى جاهزة لأى شىء وتبدو مثل الفاكهة الكاملة. وما كان يؤلمه

(كان يؤلم كوليت؟) هو أنها لم تعد تهتم بتلك الرفاهية التى تستهلك الوقت. ولكننى لن أكون كسولة، لن أكون. مصيدة العمر المتقدم-فى النهاية، إننى فى الخمسينيات من عمرى، وقت يصعب فيه التخلى عن العادات ـ إنه كسل مرهق. إن لم أستطع بعد الآن أن أهتم بأسلوبى، الأمر الذى يعتمد على الزمن، الإزعاج، التفاصيل، إذًا فعلى أن أتدبر شيئًا ما ذكيًا، حلا وسطًا. فى هذه الأثناء، أخذت كومة كبيرة من الملابس لمحل خيرى، وطلبت من الحائكة خاصتى أن تكرر لى بعض الأزياء. لم أفعل ذلك أبدًا من قبل، كنا نقضى ساعات للتشاور حول أنواع القماش، الأزرار، الليونة. كانت مندهشة، واتصلت بى بعد أن وصلتها رسالتى، وكانت تسأل فى الحقيقة، هل فقدت اهتمامك لدرجة أنك تقولين لى ببساطة أرجوكى أن تفصلى لى الرداء الرمادى الصوفى مرة أخرى، ويمكنك أن تجدى القماش فى شارع بوند؟ ـ أجل، يا عزيزتى، هذا هو الأمر فى الحقيقة، لقد فقدت الاهتمام، ولكن فى النهاية، لقد قدمت فيليس لك. وسأطلب منك أن تفصلى لى السراويل البنى مجددًا، والبلوزة الكريب السوداء، والفستان الحريرى الكريمى.

كم مضى من الوقت على هذا الأمر؟ أسبوعان، كما أعتقد.

كل يوم أذهب لمودى. مرحباً، أقول، كيف حالك؟ بنفس الطريقة الودودة المبتسمة التى يستخدمها الجميع ـ وإن وضعت نفسى فى مكانها ـ أعرف أن

الأمر يبدو ككابوس بالنسبة لها ، كخديعة. ها هى، وقد وقعت فى المصيدة، سجينتنا، إنها محاطة بابتساماتنا الكاذبة، التى تفرضها هى نفسها. أشتاق لأن تخرج من عدائها الصفراوى الغاضب، أشتاق لأن أتبادل معها الكلمات، ولو حتى لبضع لحظات، مع مودى نفسها. ولكنها منغلقة داخل غضبها، شكها، ومن ذلك السجن، تنظر إلى الابتسامة الساحرة البشعة التى أشعر تمامًا أن وجهى مهيأ لها وأنا أدخل غرفتها.

يا لها من معاناة، يا له من رعب! إننى أتحدث عن معاناتى، وليس معاناة مودى الآن. لازلت أنانية، على الرغم من أننى أعتقد أن جانا هذه التى تأتى كل يوم لتجلس مع مودى لمدة ساعة، ساعتين أو ثلاث (على الرغم من أنه ليس وقتًا كافيًا أبدًا، فهى دائمًا ما تشعر أنها منبوذة حينما أرحل)، ليست على الإطلاق جانا تلك التى رفضت أن تشارك حينما كان زوجها وأمها يحتضران. أجلس بجوار مودى لساعات، على استعداد لأن أمنح ما كانت أمى وزوجى يحتاجانه منى: وعيى بما كان يحدث، مشاركتى فيه. ولكن ما كانت تحتاجه مودى هو ألا تكون فى حالة احتضار!.

إنها تتمتم لى، وهى تقصدنى وتقصد فيرا روجرز، التى أبلغتها بألا تقترب منها ثانية، حينما زارتها. "لا أريدك"، قالت لفيرا المسكينة، "لا ترينى وجهك ثانية"، وأدارت وجهها بعيدًا.

جلست هناك فى هدوء، فى كرسى عال نسبيًا، لأنها تجلس مستندة على وسائد فى الكرسى المنخفض. الكرسى الكبير، الوسائد الموضوعة بخبرة، والغطاء موضوع على ركبتيها، يبدو أنه يحاول أن يلتهم مودى الضئيلة، التى تحدق أمامها، أيا كان الوضع الذى تجلس فيه. "كيف حالك يا سيدة فاولر؟ هل ترغبين فى كوب من الشاى؟ ـ بعض الحليب الساخن ـ القليل من الشيكولاتة، بعض الحساء؟" لا يمكن لملكة أو زوجة ثرى عربى أن تحظى بتمريض أفضل من الذى تحصل عليه. ولكن ما تحتاجه هو ـ الا تحتضر!.

افكر وأنا أجلس بجوارها، إنها فى الثانية والتسعين من عمرها، ويبدو أن مودى تصدق أن ظلمًا ما قد وقع عليها! ركضت إحدى الممرضات خلفى عبر الممر بعد أن راقبت الطريقة التى تعاملنى بها مودى لدى انصرافى ـ "أتذهبين؟"، قالت الممرضة، السيدة سومرز... وأخذتنى من ذراعى، نظرت إلى وجهى بالابتسامة الودودة الرقيقة المقنعة التى تعدها مودى مثل سجن، أو كذبة ...

"لا ينبغى أن تهتمى كثيرًا"، قالت: "إنها مرحلة يمرون بها. سترين، هناك مراحل. الأولى، حينما يبدأ المرضى أن يدركوا، ويعتقدوا أن هذا أمر غير عادل. إنهم يشعرون بالأسف تجاه أنفسهم".

"غير عادل؟ غير عادل؟ تلك المرأة ينبغى أن تموت؟"

"المرضى ليسوا دائمًا أكثر الناس عقلانية فى العالم. ثم، بعد ذلك، يغضبون!".

"نعم، يمكنك أن تقولى إنها غاضبة !".

"حسناً"، قالت بطريقة غير مألوفة، "بينما تفحصت عيناها الخبيرة وجهى لترقب علامات الضغط الشديد، "ليس من اللطيف أن يموت المرء، بالنسبة لأى شخص، كما أتوقع".

"أليس من المحتمل أن تختلط تلك المراحل ببعضها؟"

ضحكت، و لكنها حقًا، مستمتعة بقدرتها على السخرية مما ورد فى "الكتاب" كما تقول، "الكتاب يذكر أن هناك ثلاث مراحل. ولكنى أزعم أنه فى الحياة لا توجد أشياء بذلك الوضوح!".

" والمرحلة الثالثة؟"

"إنها حينما يقبلون بالأمر الواقع، و يتفهمون الأمر..."

جاءت ممرضة تركض، ممرضة كونولى، ممرضة كونولى، فذهبت مسرعة، قائلة عذرًا، ركضت بعيدًا، وعادت إلى مصيبة صغيرة او كبيرة. وعدت أنا إلى المنزل.

إنه أمر ظالم...غضب...قبول.

هل يمكن أن تجد امرأة تجاوزت الثانية والتسعين من عمرها أنه أمر ظالم أن تموت؟

وفى اليوم التالى، قالت مودى، وقد سمحت لنظرتها الصفراء ؟ المحدقة ـ بشكل يبدو متعمدًا تقريبًا ـ أن تصل إلى وجهى بدلا من أن تتجنبه، قالت بصوت واضح ؟ " إنها مأساة، مأساة!" .

"ما يا مودى؟"

نظرت نحوى ـ فى ازدراء! "مأساة" قالت بصوت مرتفع وواضح، ثم حولت عينيها، قبل أن تقول فى همهمة ناعمة مشمئزة، بنغمة لم أسمعها منها تلك الأيام، " حيث إننا كنا سعداء جدًا، كنت تأتين لى كل مساء وأنا أحكى لك قصصى. مأساة أن ذلك قد حدث..."

أمسكت بيد مودى وأنا أجلس هناك، على الرغم من أنها دائمًا ما تدع يدها تسقط، وهى ساكنة، من يدى، مرة، مرتين، فى بعض الأحيان ثلاث أو أربع مرات، قبل أن تتشبث بى. تتحول عنى، عيناها لا تنظر نحوى أبدًا، تبقى فمها مفتوحًا، لأن الأدوية تجعلها تفقد السيطرة على نفسها، امرأة عجوز كئيبة، غاضبة، آسفة على نفسها، وبالرغم من ذلك تتحدث يدها بلغة الصداقة التى بيننا.

تشعر مودى أنه من الظلم أن تموت.

بالأمس، قالت مرة أخرى، بهمهمة ناعمة متعجلة، "مأساة، مأساة، مأساة." وأسمع نفسى وأنا أقول ليس بطريقة "ساحرة" منتصرة، مهتمة، كما يقال، بطريقة ممرضات المستشفى، " مودى إنك فى الثانية والتسعين" .

أدارت رأسها قليلا، ثم توهجت عيناها الزرقاوان. غضب.

أفكر فى الأمر الذى يجعل مودى تظن أنها ينبغى أن تخلد، أن يحكم عليها بالموت بشكل غير عادل؟ يبدو لى أن هناك العديد من الشخصيات التى تحمل اسم مودى بداخل هذا القفص العظمى الأصفر الضئيل ، تحتضر بنسب متفاوتة، وواحدة منهن لا تنتوى أن تموت!.

سألتنى ممرضة أخرى، "هل أنت متدينة، ربما؟". أعرف لم سألتنى. إنه بسبب مزاجى العام، سلوكى، الذى ينتمى لهؤلاء الذين لا يضايقهم الاحتضار، الموت، بدلاً من هؤلاء الذين أستطيع أن أميزهم بسهولة، بمجرد أن أنظر للزوار، الأقارب والأصدقاء الآخرين ـ الذين يبدون كذلك.

كانت تقصد، كما أفترض، أنت تعتقدين أن هناك حياة أخرى! كانت كلماتها مصحوبة بتلك الحركة الضمنية التى تظهر عدم الاحترام، بسبب نفورها من مودى.

قلت، "لا، لست متدينة،" دون أن أجيب على سؤالها الحقيقى. مرة أخرى آسف لما أفعل، أو ما قد أفكر فيه بوصفه حياة أخرى ممكنة ـ لأمى، لزوجى، لمودى. أفكر فى شىء ما، ليوم واحد، وأفكر فى شىء آخر فى اليوم الذى يليه. لقد "صدقت" أمر ما فى عقد من الزمان، وأصدق عكسه فى العقد التالى.

مضى أسبوع آخر.

وأنا أتركها، فى حوالى التاسعة أو العاشرة مساءً، تقبض يد مودى على يدى، وتميل للأمام، بطاقة مدهشة، وتقول، خذينى معك إلى المنزل، خذينى من هنا! عيناها اللتان كانتا تتجنبان النظر نحوى لساعتين أو ثلاث، أصبحت فى مواجهتى فجأة، مناجاة غاضبة.

كيف يمكننى أن أخذك معى للمنزل يا مودى؟ تعرفين أننى لا أستطيع، أقول، كل ليلة، ويبدو صوتى متضايقًا، مذنباً.

أن يورط المرء نفسه فى شخص محروم للأبد يعنى أن تتحمل ثقلا من الذنب.. إنهم يحتاجون الكثير: وأنت تستطيع أن تعطى القليل.

كنت أعود إلى البيت كل مساء ، وأنا أفكر، ربما أستطيع أن آخذ مودى معى إلى المنزل؟ يمكنها أن يكون لها سرير فى حجرة المعيشة. يمكننى أن أجلب لها الممرضات نهارًا وليلاً... ويمكن أن تساعدنى جيل فى ذلك. هذا غباء، ولكن حاجتها للانتقال عندى تجبرنى على التفكير فى الأمر. ولن يكون الأمر حتى هو ما ترغب فيه حقًا، أن تقوم ، صديقتها جانا، بتمريضها نهارًا وليلاً، أن أكون هناك دومًا، ولن يكون هناك ممرضات مبتسمات وخبيرات.

إنه أمر مستحيل، وعلى الرغم من ذلك، فإننى أتعجب كل ليلة كيف يمكن أن أدبر هذا الأمر.

لم لا، لم لا، لم لا؟ إنها تريد أن تعرف.

أقول لها، لن أتمكن من رعايتك.

لن يكون انتقالها لمنزلى أكثر غرابة من الدرجة التى وصلت إليها صداقتى لمودى أو زيارة إليزا أو آنى كما فعلت لشهور حتى الآن؟ لقد حكمت جويس على كل تلك الأمور، على سبيل المثال، بوصفها أسوأ من الأمور الشاذة. ناظرة إلى سلوكى من الخارج، كما كنت سأحكم عليه قبل وفاة زوجى وأمى، فإن هناك شيئًا ما استحواذى بل و غير صحى. (لا تأخذ هذه النظرة فى الحسبان بالطبع أن جنونى قد يضيف شيئًا لحياة هؤلاء النسوة العجائز). وبالرغم من ذلك، لماذا؟ ما حدث أنه، بالنسبة لامرأة مثلى، ثرية، من الطبقة الوسطى، وفى امتلاكها لقدراتى، أن تتعهد بمثل تلك المهام بدون أى ضرورة لها، يعنى أننى أفكر بشكل خاطئ؟ أنظر فى بعض الأحيان للأمر بزاوية ومرة أخرى من زاوية ثانية: الأولى أننى مجنونة، والثانية، أن المجتمع الذى نعيش فيه معتوه. ولكننى أواصل التزامى بهذه المسئولية، وأنا صديقة لإليزا وآنى، وصديقة لمودى (بشكل أكبر من هذا، كما أعتقد) فقط لأنه أمر قررت أن أفعله. و قد فعلته. ولهذا فقد نجح. إن تعهدت أن تقوم بأمر ما، فإذًا هو ليس أمرًا غريبًا، على الأقل بالنسبة لك.

أقول لجويس، "ما الفرق بين عملك "كمستشارة"، مهما يعنى ذلك، وبين كونى صديقة لناس يحتاجون

صداقتى؟" أقول هذا لأنى أريدها أن تقول، "الفرق هو، أننى أتلقى مالا مقابل ما أفعله!".

ولكن بمجرد أن قلت ذلك، أصبح الأمر مفضوحًا، تافهًا.

"أتزعمين يا جويس، أن أى منا لا ينبغى ألا يقوم بشىء أبدًا دون أن يتلقى أجرا فى المقابل؟"

"حسناً، إذًا يا جانا، إن كنت تريدين أن تكونى منطقية، هناك شىء ما عصبى فيما تقومين به".

"لن أجادل فى هذا الأمر"

وهكذا تنازعنا فى كل تلك الأمور، ولكن دومًا ما يحدث ذلك وكأننا فى بيتين يفصل بينهما نصف ميل فقط، صوتانا واضحان للغاية لبعضنا الآخر.

بالنسبة لى أن آخذ مودى لشقتى لأسابيع أو شهور أو سنوات قبل أن تموت، يبدو أمرًا غريبًا، لأننى لن أستطيع أن أفعل ذلك.

وبالأمس، مالت للأمام وأعلنت، وكأنها تقول بأسف، "أنت صديقة ؟".

كان علىّ أن أتقبل ذلك.

وقالت هذا المساء، "لم لا أستطيع أن أذهب للمنزل، لم لا أستطيع؟"

"أنت تعرفين أنك لا تستطيعين، يا مودى! لم يعد بإمكانك الاعتناء بنفسك".

"ولكنى أعتنى بنفسى بشكل ممتاز، لطالما فعلت ذلك،" قالت بصوت مندهش.

ينبغى أن تكون مودى، وهى تعرف ذلك، فى بيت أختها، حيث منحت وقتًا طويلاً، يقرب من السنوات، من الحب والخدمة لهذه الأسرة، ينبغى أن تكون فى السرير هناك، وينبغى أن يكون أقاربها حولها، يمدونها بحليب ساخن، وحساء ساخن، يناولونها الأدوية.

شىء ما من الحرب و السلام، يغيظ ذاكرتى، إنه عن الكونتيسة العجوز، التى تمر بطفولتها الثانية. كانت تحتاج لأن تبكى قليلاً، تضحك قليلا، تنام قليلاً، وتتعارك قليلاً..فى ذلك المنزل، العديد من الخدم والزوار، والمحتاجين للعون، والأسرة، وامرأة عجوز، تجلس فى الزاوية على كرسى، مدعمة بمساند فى السرير، يمكن أن يتم احتضانها.

لا يمكننى أن أفكر فى أى منزل أعرفه حيث يمكن لمودى أن تحظى برعاية مناسبة الآن، نحن جميعا نعمل بشكل جاد جداً، لدينا مسئوليات كثيرة، حياتنا معدة لما يمكن أن نقوم به، يمكننا فقط أن نتعاون ليس أكثر.

ما أفكر به وأنا أجلس هناك، ممسكة بيد مودى، أنه كان ينبغى أن تكون فى أسرة كبيرة محبة مثل شبكة مطاطية يمكن أن تتسع قليلاً من هنا وهناك لكى تستوعب وجودها فيها، هو بالطبع أمر فارغ.

أقول أيضًا، إنه كان ينبغى أن تكون طفلة محبوبة بذكاء لأبوين عاقلين، وأنه لم يكن ينبغى لأمها أن تموت وهى فى الخامسة عشرة، وأنه كان من حقها أن تعيش سعيدة، بصحة جيدة، ثرية طوال حياتها. حينما أقول، ما ينبغى لامرأة عجوز أن تحصل عليه وهى تموت، أن تتجنب المعاناة، الظلم، الألم ـ من شأنه أن يغفل، باختصار، العامل الإنسانى.

خذينى معك للمنزل يا جانا، خذينى معك.

لا أستطيع يا مودى، يمكنك أن ترى ذلك بنفسك! وينبغى أن أذهب مسرعة للمنزل الآن. لقد تأخر الوقت، والوردية الليلية ستأتى فى التو. سأراك غدًا، يا مودى.

ذهبت اليوم إلى حفل الزفاف. كالعادة، الأقارب الذين لم يسمع عنهم أحد من قبل: يمكن للمرء أن يرى (فى حالة فيليس) أناسًا معروفين، لسنوات، بسبب علاقات العمل. أسرة فيليس مثل أسرتى، ولكن ـ المفاجأة أنه اتضح أن تشارلز ينحدر من أصول أجنبية، حيث أمه باريسية ولديه والدان، أحدهما: حقيقى والآخر زوجًا لأمه، الاثنان لهما نكهة عالمية، ساحران، خفيفا الظل. تبدو فيليس ساحرة، نقطة لصالحنا ولصالح المجلة. لقد استمتعت بالحفل.

بعد اسبوعين

أصبح الألم الذى تعانى منه مودى مريعًا الآن. إنها تتناول جرعات ثابتة بعناية من مسكن الألم، ثلاث

مـرات فـى الـيـوم، ولـكـنـهـم يـراقـبـونـهـا، بـتـلـك الـعـيـون الخبيـرة، الحذرة، المبتسمـة، يسـألونها برقة، وطبقًا لما يرون، ولما تقول، يزيدون الجرعة تدريجيًا.

فى السادسة مساء، حينما دخلت، كانت زجاجة الدواء تقبع على الطاولة بجوارها. إنهم يعرفون أن تناولها الأقراص يعد هزيمة لها، الأسوأ ـ النهاية. ولهذا فهم لا يجبرونها، أو يقنوعونها لتناوله، "فى وقت مناسب لك" يقولون، "تناوليه حينما تحتاجين إليه".

تجلس مودى هناك، و أشعر بعظامها تنقبض. إنها تؤرجح رأسها لتنظر إلى عدوتها، الزجاجة بما تحتويه، ثم تجعل عينيها تتحولان بعيدًا مرة أخرى. فى لحظة، تعود نظرتها المحدقة إليها. أستطيع أن أسمعها وهى تشهق، بينما يشتعل الألم فى معدتها.

تعلمت ألا أقول فى الحال، "هل ترغبين فى الدواء يا مودى؟ حينما أفعل، تومئ برأسها، بطريقة تجريدية سريعة، وكأنها تفكر فى شىء ما أهم، وأمسك بالزجاحة لأقربها من شفتيها، التى تتدلى فى اشتياق وكأنها كائن مستقل عنها، وتلتف حول رقبة الزجاجة لتمتص المادة المميتة.

"إنها تذهب بعقلى، إنها تميت تفكيرى،" همست لى، آسفة على نفسها، معتذرة، غاضبة. على الأقل لم تقل، "إنك..."

الليلتان الماضيتان، كانت ممرضة ليلية تتجول، وتبتسم فى الغرفة، تتفحص مملكتها، واحدة، اثنتان،

ثلاثة، أربعة قد خلدوا إلى فراشهم واحدًا وراء الآخر، تعمل العينان بشكل تصادفى، ولكن بكفاءة عالية جدًا، على كل وجه مسن مريض ـ كلهن نساء مسنات فى هذه الغرفة ـ ولأنها وقفت لفترة بجوار مودى، "وما حالك الليلة، سيدة فاولر؟ مساء الخير، سيدة سومرز،" ثم قالت لمودى، "إن شعرت بحاجة لقرص صغير لكى تنامى، فما عليك سوى أن تدقى الجرس.

هذا يعنى، "إذا اشتد الألم عليك..."

وفى هاتين الليلتين، قبل أن أرحل، شدت مودى تنورتى وأنا أقوم، وهمست، "أخبريهم، أخبريهم، لا تنسى ـ سأتناول القليل من الحليب الساخن أو ما شابه".

أذهب إلى مكتب الخدمة الليلية، وأترجم هذا الكلام، "أعتقد أن السيدة فاولر ستحتاج جرعة أكثر قليلا من المسكن".

"لا تقلقى بشأنها، سنكون بجوارها فى لحظة".

وبالفعل يقومون بذلك.

وأستطيع بشكل إيجابى أن أسمع أفكار مودى، وأنا أسرع عائدة للمنزل، لكى أصل لحمامى، الذى يعد دوائى الخاص والمكان الذى أنسى فيه همومى: لو كان قدم لى بعض ذلك حينما كنت فى حاجة إليه، حينما لم يكن لدى شىء لأمنحه لجونى، وهكذا سرق منى...

بعد شهر

أوه، إن الأمـر يستمر، ويستمر، ويستمر ...إنني متعبة جدًا. لقد قضى عليّ بشكل نهائي. أقول لنفسي، لم تشعرين بالتعب؟ إن هذا لا شيء إذا قورن بالحال الذي كنت فيه حينما كنت تذهبين لمودي مرتين في اليوم، تتسوقين وتنظفين، وتغسلين و تحمميها. إن هذه لنزهة، أن تذهبي لذلك الجناح اللطيف النظيف الجديد، حيث الممرضات الرقيقات المبتسمات، وحيث يعتنين بمودي، وكل ما عليك أن تفعليه هو أن تجلسي هناك وأن تمسكي بيدها، وبالطبع أن تحاولي ألا تظهري أي رد فعل، حينما تشتعل عيناها غضبًا وتنظر إليك قائلة، "لماذا؟ لماذا لماذا؟" أو "أهي مأساة، إنها كذلك!" لأنه ما زال من المحتمل أن تردد ذلك. الحقيقة، إنها ترهقني، ولا يبدو أن هناك نهاية لذلك. أعرف أن الممرضات يتوقعن أن يصير حالها أسوأ عما هي عليه الآن. يمكنك أن تدرك ما يفكرن فيه، عادة لأنهن يريدونك أن تعلم! لم يكن هناك أبدًا مثل مستشفى لكي يتردد فيه الكلام غير المعلن، يفهم الناس كل شيء من نظرة واحدة. استدعتني إحداهن لمكتب الخدمة وقالت: إنه من المحتمل أن تنقل مودي إلى المستشفى القديمة، المخصصة للمسنين، في نهاية الطريق. لقد أصابني ذلك بالرعب؛ لأن ذلك سيصيب مودي بالرعب. لأني ببساطة تمامًا، أريدها أن تموت. إن الأمر كله بشع. وبالرغم من ذلك لا يمكنني أن أسمح لنفسي أن أفكر بهذه الطريقة. إنها لا تريد أن تموت،

وهذا كل ما فى الأمر! يبدو لى أمرًا شرعيًا أن تريد أن يموت شخص ما، غن كان يريد أن يموت، ولكن الأمر لا يكون شرعيًا بالتأكيد إن كانوا غير مستعدين للموت.

كنت أبحث عن علامات لبداية "المرحلة الثالثة". تبدو مودى فى أوج غضبها. ربما هناك مرحلتان، هذا ليس عدلا !، وهما الغضب بالتأكيد، والقبول. أوه، أرجوكم، اجعلوا مودى تقبل بالأمر الواقع، واجعلوها تقبل بسرعة. هناك أمر ما مرعب لدى رؤية هذه المرأة الأثرية تموت بهذه الطريقة، وكأن شيئًا ما قد سرق منها. إن كانت تشعر أن الحياة قد سرقت منها ـ بسبب وفاة أمها المبكرة، بسبب بابا الفاسد، بسبب تلك المرأة الساحرة المزينة بالريش، بسبب أختها المقرفة ـ فهذا أمر عادل، كما أفترض، ولكن أين ينتهى ذلك؟ القضية هى، ما الذى ما زالت تشعر أنه يجب أن يسدى إليها وقد أخذ منها بالفعل؟ ما الذى تشعر أنه ينبغى أن يسدى إليها الآن وقد حرمت منه؟

لو أننى فقط أستطيع إقناعها بالتحدث معى. ولكننا نجلس فى تلك الغرفة الكبيرة النظيفة المضيئة، فى أعلى المستشفى الكبير، والسماء والهواء حولنا من كل مكان، وتمر العصافير أمامنا، والحمام يهدل فى الخارج، وهناك ثلاث سيدات آخريات فى تلك الغرفة، والممرضات يدخلن و يخرجن، والزوار والأطباء...

يبدو الطبيب الذى فى الخدمة دومًا لطيفًا، وهى تحبه ـ أستطيع أن أرى ذلك، برغم أنه يمكن أن يغفر له أنه يصدق أنها تكرهه. ولكن الطبيب الكبير يأتى مع الفريق الخاص به مرة أو مرتين أسبوعيًا، وما زالت مودى غاضبة، أكثر من غاضبة، تشع هيجانًا، حينما أصل ليلاً.

"لقد كان هنا مرة أخرى اليوم"، قالت، ووجهها الأصفر الصغير يهتز، وشفتاها ترتعشان.

"وكيف سارت الأمور؟" سألت برغم أننى أعرف بالطبع.

"لقد وقفوا عند مدخل الباب، هو وكل هؤلاء الأولاد والبنات. أهم أطباء؟ يبدو لى أنهم أطفال. وهناك من لهم بشرة سوداء أيضًا". فقدت مودى، وهى أيضًا موسوسة، حيث كانت تحرص على أن تقول، حينما تنتقد شخصًا أسود، "إنهم آدميون مثلنا تمامًا"، فقدت مودى هذه الصفة الآن، تعرف فقط أنهم مختلفون وغرباء. فى حالة اختلاط وثوران للتناقضات، تحب ممرضتين من ذوات البشرة السوداء، تحبهم للغاية. ولكن، لم يزل الأمر أنهما مختلفتان بسبب بشرتهما السوداء، وهما مركز تصب عليه غضبها. إنها تحب، بشكل خاص، الطريقة التى ترفعها بها إحداهما، وتضعها على الكرسى، دون أن تؤلمها، أستطيع أن ألمح النعومة فى وجهها، فى لحظة واحدة فقط، قبل أن تختفى بعيدًا، ولكنها سوداء،

وتذكر مودى بأنها لم تأت إلى هنا باختيارها، فى هذه المستشفى، دون أن يكون لها حق إصدار قرار فى أى شأن من شئونها.

"حسناً،" أقول، "ينبغى أن يكون هناك ممرضات وأطباء سود للتمرين، وهذه مستشفى تعليمية".

"لم ينبغى أن أكون خنزيرة ؟ لم يسألونى أبدًا. كما أنهم صغار جدًا، كيف يمكن لصغار مثلهم أن يعرفوا أى شىء؟ ثم جاء، اللورد ماك، ووقف فوقى، وكان يتحدث طيلة الوقت عنى. إنهم يعتقدون أننى غبية! ثم حينما كانوا يقفون كلهم حولى..." مضت تتحدث وكنت أستطيع أن أرى المشهد : مودى الصفراء الضئيلة فى مقابل وسائدها البيضاء، وغابة النساء والرجال ذوى القامات المرتفعة، والطبيب الكبير ليس بينهم، ولكنه يقف فى المقابل..."بعدما انتهى من كلامه، قال، وكيف حالنا اليوم، يا سيدة فاولر؟" ثم بدأ يتحدث لهؤلاء الأطفال مرة أخرى، يحدثهم عنى. هل يعتقد أننى بلهاء؟" (إن هذه شهقة صارخة، إنها غاضبة ومتألمة للغاية) "لقد قال لى، من فضلك ارفعى قميص نومك، يا سيدة فاولر. لم أكن أنوى أن أفعل، لم ينبغى علىّ أن أفعل؟ و مضت الممرضة للأمام، جاهزة لإجبارى ، ورفعت ملابسى لأعلى، أمامهم جميعًا، كل شىء معروض للفرجة، ثم بدأ يلكزنى و يدفعنى، كنت مثل عجينة على لوح خشبى، ثم قال لهم، هل ترون هذا الاشتعال هناك؟ اشعروا به. ولا كلمة لى. مدوا أيديهم ليتحسسوا معدتى، واحد وراء

الآخر. شكرًا لك، سيدة فاولر، قال لى، ولكنه لم يستأذننى أبدًا، هل فعل؟ هل ترون هذا الاشتعال؟ هكذا قال، تحسسوه ـ وكأننى لا أراه ولا أحس به. إننى لست بلهاء، أنا لست غبية، لست بلهاء ـ تجلس مودى منزوية مع غضبها، لا حول لها. "لم ينظر إلىّ، ولا مرة واحدة. قد أكون مثلاً عصا أو حجرًا. نظر إليهم، إنهم ما يمثلون له أهمية. لقد كنت هناك فقط من أجل راحتهم".

إنهم سيخبرون مودى أنها ستنتقل للمستشفى الأخرى. وبالتأكيد هى ليست غبية ـ إنن مرعوبة من هذا الأمر.

لقد أخبروها حينما ذهبت إليها الليلة، جلست وقد أزاحت وجهها عنى، عن كل شىء. بعد أن قضيت هناك نصف ساعة، لم تقل كلمة واحدة، بدأت تتمتم، "لن أذهب، لن أذهب، إلى المشغل".

"أى مشغل؟ عم تتحدثين يا مودى؟"

أصرت، "لن ينتهى بى الحال فى مشغل!"

فهمت أن المستشفى التى ستذهب إليها كانت فى يوم من الأيام، منذ زمن طويل، مشغلاً. اتصلت بفيرا روجرز. كانت تبدو مرهقة ؟ "ولم تتصلين بى؟"

"أريد أن أعرف ماذا تعنى حينما تتحدث كل حين عن ذهابها للمشغل".

زفير مزعج. "أوه، يا إلهى،" تقول فيرا، "ليس مرة أخرى. كل هؤلاء العجائز الأعزاء يقولون ذلك. لن

يلقون بنا فى المشغل، يقولون ذلك. لم يكن هناك أى مشغل هناك، لا أعرف. ولكن أنت تعرفين، حينما كن صغارًا، كن يرتعبن من المشغل. الفكرة هى، لو كان أحد قد أرسلك إلى هناك، مهما كان عمرك، وأن عليك أن تعملى. كن يمسحن الأرض، ويغسلن ؟ ويطهين الطعام. ولا تشيرى إلى كلامى، ولكن دعينى أخبرك، لا أعرف تمامًا ما هو المرعب فى الأمر. لأنه ماذا يحدث الآن؟ نحن نلقيهن فى بيوت حيث لا يسمح لهن بأن يقمن بعمل أى شىء، ويمتن أو يذهب الملل بعقلهن.

لو كان لى أن أقول أى شىء، كنت سأجعلهم جميعًا يعملن من الفجر للغسق. أبقى عقلهن مشغولاً. أوه، لا تشغلى بالك كثيرًا بما أقوله يا جانا، إننى أفرغ ما لدى من هموم".

ينبغى أن أزور آنى ريفز وإليزا بيتس، فقط بشكل غير ثابت، ولكن لا طاقة زائدة لدى بسبب مودى.

اليوم ذهبت مع مودى إلى "المشغل". هناك فتاة غريبة ولطيفة تدعى روزمارى جاءت معنا. وظيفتها ، كما قالت، إن ترى مودى وجهًا مألوفاً، ولا تشعر أنها معزولة. ولكن مودى سألتها، "من أنت؟" وأجابت روزمارى، "أوه، سيدة فاولر، أنت تعرفينى. لقد جئت لرؤيتك.". "أنا لا أعرفك،" قالت مودى. " ولكننى كنت آتى إلى هنا كل يوم تقريبًا، يا سيدة فاولر".

"جانا؟" سألت مودى، بصوت ضعيف منتحب، "جانا، هل أنت هنا؟"

"أجل، أنا هنا"

فى سيارة الإسعاف، ثلاثتنا، روزمارى تحمل ممتلكات مودى، حقيبة و مشط، منشفة، صابون، وحقيبة يدها. فى حقيبة يدها هناك رسالة زواجها، وصورة لـ"رجلها"، بطل عبوس فى الأربعينيات، فى ملابس مرحة، وطفل آخر، يرتدى ملابس أنيقة، يبتسم بتعاسة فى وجه المصور.

فى مدخل المستشفى، رفع رجال الإسعاف كرسى العجلات فوق الدرج وهم يطمئنونها بإيماءاتهم الودودة، وكانت مودى تقبض بشدة على الكرسى، ولم تدرك، حتى أصبحت فى الداخل، أنها هنا فى المشغل المرعب.

" هذا هو الأمر؟ هذا هو الأمر؟" همست لى، ونحن نسير فى الممرات، التى كانت حوائطها تعرض لوحات فنية رسمها المرضى، وفريق العمل. وأثناء الهبوط كانت هناك لوحة بيردسلى سالومى وهى تحمل رأس يوحنا المعمدان، وضعها هناك شخص ما (كما افترض). ولكن دهشة مودى قادتنا إلى الدور الأول. "هذا هو الأمر؟" كانت تسأل، وهى تقبض بيدها جيدًا على الكرسى، وهو ينزلق هذه الجهة وتلك الجهة، على الرغم من عناية الرجال، هذا لأنها خفيفة جدًا، ويمكن أن تطير بعيدًا.

"هذا هو المستشفى القديم،" قالت روزمارى بمرح.

"لقد قاموا بتغييره، إذًا" قالت مودى:

"هل قاموا بذلك حقًا؟" قالت. "أعرف أنها قد دهنت مؤخرًا".

ولكن مودى كانت هنا تقريبًا فى وقت الحرب العالمية الأولى، فى زيارة لإحدى خالاتها، ولم تستطع أن تقارن بين تلك الذكريات وما رأته الآن.

الأجنحة التى لمحناها هى أجنحة المستشفى التقليدية، كل منها يحتوى على عشرين سريرًا، والنوافذ الضخمة ممتدة على امتداد الجناح، ولكن حينما وصلنا لغرفة مودى، كان لديها غرفة بها سرير واحد.

هناك جلست مودى، مستقيمة فى الفراش، كاملة فى الضوء الساطع القادم من النافذة، وقد أظهرها بلون أصفر فى مقابل مساحة كبيرة من اللون الأبيض، لون الأوسدة البيضاء الضخمة. من خلال النافذة، الطرف العلوى المدبب لبرج الكنيسة، سماء رمادية، أعالى الأشجار. كانت مودى صامتة، تنظر بحسرة عبر الغرفة ـ بقدر اهتمامى، غرفة مستشفى، هذا كل ما فى الأمر ـ ثم ما تطل عليه النافذة.

"إذًا، هذه هى المستشفى القديمة؟" أكدت، وهى تحدق فى وجهى، وفى وجه الممرضة التى أجلستها فى الفراش، وفى وجه روزمارى، التى كانت على وشك الانصراف، وذراعاها تحتضنان كومة من الملفات.

"اجل، حبيبتى، هذا هو المستشفى القديم".

وكشفت مودى عن أنيابها، بشهقة ساخرة، وقالت، "إذًا، هذا هو الأمر، إذًا، هذا هو الأمر؟ هذه هى النهاية، إذًا؟".

"أوه سيدة فاولر،" قالت روزمارى بصوت عطوف، "لا تكونى كذلك. حسناً، سأنصرف الآن، أراك حينما آت فى المرة القادمة".

بقيت مع مودى طيلة فترة ما بعد الظهيرة. أردت أن أعرف من الشخص الذى سأحتاج للتحدث معه من بين فريق التمريض، من سأقيم علاقة معه. تبدو المستشفى مختلفة فى جوها العام عن الأخرى، هناك شىء ما مسترخ، ودود، راكد. بالطبع، المستشفى الآخر، هى واحدة من أفضل المستشفيات فى العالم، والممرضات هناك هم الأفضل، والأطباء أيضًا. تقريبًا لن يغادر الرجال والنساء المسنون هذا المكان حتى يموتون. إنها ليست مستشفى تماماً، وليست بيت مسنين ـ إنها حل وسط. يأتى الطبيب الكبير من المستشفى الآخر مع فريقه لكى يدرس طب المسنين. بعض الممرضين طموحون من المستشفى الأخرى، هنا لأسابيع قليلة ليتعلموا ما يتسنى لهم أن يتعلموه فى مكان مثل هذا، ملىء بالرجال العجائز والنساء المسنات، الذين لن يتمكنوا أبدًا من مغادرة هذا المكان، من لديهم هذا النوع من الأمراض المطولة المتأرجحة المناسبة لحالتهم.

كنت أفكر، كم أن مودى محظوظة لتبقى بمفردها فى حجرة، ولكن مودى، كنت أعرف، (وأعرف الآن بشكل صحيح) كانت تترجم ذلك بوصفه مبررًا لموتها. تعم الضوضاء المكان بشكل مقيت. وغالبًا، بالنسبة لنا جميعًا، قد خضعنا للضوضاء التى صنعناها، إلا أننى لاحظت معاناة مودى من الضوضاء، وهكذا فتحت أذنيى اللتين كنت قد أغلقتهما، على طرقات على الباب، صوت اصطدام أوعية الطعام من المطبخ الصغير الواقع قبالة حجرة مودى تمامًا، صرير عجلات ترولى الطعام.

ضوضاء ! قلت لمودى، "لنغلق الباب"، ولكنها قالت، "لا، لا، لا" وهزت رأسها وهى تلهث. إنها خائفة من أن ينغلق الباب عليها.

لم يعطوها أية أدوية حينما وصلت، وكانت متألمة. ذهبت لأفتش عن ممرضة، وسألت إن كان يمكن لمودى أن تحصل على بعض الدواء.

إنها امرأة مسنة، لها نظرة مقيمة قديمة، لأن هذا المكان يعد بيتها تقريبًا مثل بيتها الخاص. نظرت إلىّ تلك النظرة الفطنة الخبيرة التى يقيمونك بها، العاقل، الغبى، لا يمكن الاعتماد عليه، وإخباره بالحقيقة، لا يمكن حمايته...

قالت، "أنت تعلمين أننا نحاول أن نعطى القليل من الأدوية بقدر استطاعتنا، حتى يمكن للجرعات القوية أن تحدث تأثيرًا إن احتجنا لذلك".

"أجل، أعرف،" قلت، " ولكن لديها تلك الهزة، ثم إنها مرتعبة، لأن هذه هى المستشفى القديم ـ وهى متألمة كذلك".

"أوه، يا عزيزتى،" قالت الممرضة، وقد أطرقت برأسها، "أنت تعلمين انها قد تعيش لأسابيع و ربما لشهور. وإنها مسألة شعور بالألم، فى النهاية، هل تدركين الأمر؟"

"أجل، أفهم ذلك"

ولكن مودى لديها أمر ما "يساعدها على التخلص من ألمها" ؟ حينما رحلت كانت مستيقظة، منتبهة، تنصت لكل شىء، وصامتة بشكل كئيب. هل هذه إذن، "مرحلة" القبول؟ أوه يا إلهى، أتمنى أن تكون كذلك.

لا تمعنى فى الرقة فى هذه الليلة الطيبة! بالطبع. ما هذه الشفقة على الذات، الحب المتهافت، الناعم، هراء! ما هذا الانقياد للملذات! وكيف أنه نحن الجاهلين المدللين، بكل طلباتنا، وبعباراتنا التى نرددها "ليس عدلا"، لم أمنح سوى القليل.

وصلنا مبكرين أنا وجيل هذه الليلة. عدت من المستشفى مرهقة للغاية، لا أعرف أين ألقى بجسدى.

رأت جيل ما أشعر به، و أعدت لى الشاى وساندوتش.

جلست فى مواجهتى، منتظرة أن أتعافى. بداخل طبيعتها الطيبة، حاجتها لأن تسعد، ثقتها الجديدة ـ

لأنه، كما فعلت، تتعلم كل يوم كم من الأشياء يمكنها أن تقوم بها، إنها ذكية و مرنة ـ كانت أمرًا كئيبًا وحرج. عرفت ما سيأتى.

"لم تفعلين ذلك، يا جانا؟" ووراء كلماتها تلك كل الاعتراض المتفجر للشباب: لا، لا، لن أفعل، لا أستطيع، أن أبقى كل ذلك بعيدًا عنى. قبل كل شىء: إن كنت أنت، من هى الأقرب لى، مؤهلة لتقبل هذا القبح المرعب، الشنيع، كجزء من حياتك، فما الذى يمنعه من الدخول لحياتى أيضاً؟

"أفترض أن كل تلك الأمور قد نوقشت فى المكتب،" قلت.

بدت مرتبكة، لأن ابنة أخت جانا، التى تعيش فى شقة جانا، لا يمكنها أن تقاوم: جانا تقول، جانا تفعل، جانا تقوم بهذا وذاك.

"حسناً، أفترض ذلك".

"هذا سلوك نمطى تمامًا للطبقة العليا"، قلت، " التقاليد الخاصة بزيارة الفقراء، التراحم الذى لا فائدة منه، ولكن الثورة ستذهب بكل هذا الهراء".

كانت غاضبة وحانقة. أصبحت جيل ثورية. حينما أغيظها بهذا الأمر، كانت تقول بغضب، "حسناً، ماذا تتوقعين؟ لم يكن لديك أى أحد هنا، لا حياة اجتماعية لديك، ماذا تتوقعين؟".

"أتوقع،" قلت لها،" يجب عليك مثل كل الثوريين، أن تصنعى حياة اجتماعية لنفسك ـ وتسميها شيئًا

آخر". ضحكت، بعد قليل. ولكنها اليوم كانت تشعر أنها مهددة للغاية، و لم تستطع أن تضحك.

"لا عليك" قلت. "ستموت قريبًا. وسينتهى الأمر كله.

"أعتقد أنه أمر غريب، غريب" قالت، بغضب وعدوانية. "ساعات و ساعات كل يوم. من تكون، من هى مودى؟ ـ أعنى، بالطبع، إنها مجرد بديل عن الجدة، لم تعامليها بشكل جيد، ولهذا فإنك تعوضين الأمر مع مودى فاولر".

"يا للتمييز، يا للتبصر، يا لقدرتك على الاختراق!".

"حسناً، يا جانا، إن الأمر واضح، أليس كذلك؟"

"حتى و إن كان الأمر كذلك، فما المشكلة؟"

"حسناً، هذا أمر مميز لديك، ينبغى أن تريه"

"أنصتى إلىَّ يا عزيزتى، حينما جئت للحياة هنا، لم أقطع أى وعود بشأن تكييف حياتى بناء على نصائح أختى، أو نصائحك ـ أو نصائح أى شخص آخر.

صمت. صمت مؤسف ومتفجر. شفتان مقلوبتان لمراهقة. دموع وشيكة، نظرات منخفضة.

ولكنها كانت المرة الأولى، وأعطيها الدرجات النهائية، لأننى أرى أن مثل تلك الأشياء فى بيت أمها هى أمور غير عادية. وكانت تلك أول مشاجرة بيننا أيضًا.

"إن أحببت،" قلت لها، "يمكننا أن نستمتع بحفلات عشاء صغيرة، حينما تموت مودى. إننى أجيد إعدادها. يمكنك أن تدعى زملاءك، ويمكننا أن نتحدث عن حروبكم الصغيرة".

كادت ان تضحك

مكثت مودى فى المستشفى القديمة لمدة أسبوع الآن. ليست أقل غضبًا مما كانت عليه، و لكنها أصبحت أكثر صمتًا. كئيبة. إنها تواصل الحياة. لديها قدر ضئيل من الطاقة، بسبب الألم، الذى بات أسوأ بكثير. حملت الممرضة الكوب الذى حملته لمودى بالأمس، وبدون كلمات، و قالت بإيماءة، أترين؟ ونظرت. إنه الدواء المقوى الذى يستخدمونه حينما يشتد المرض، على الرغم من أنه مسكن، خليط من المورفين والكحول.

تجلس مودى مستقيمة فى الفراش، تتدلى شفتها السفلى، نقطة من ريقها تتجمع هناك وتسقط، تتجمع وتسقط، وعيناها غاضبتان. بمجرد أن وصلت، بدأت: "ارفعينى عاليًا، ارفعينى عاليًا". وقفت بجوارها، حتى تجلس مستقيمة الظهر. ولكننى بمجرد أن فعلت ذلك وجلست، همست، "ارفعينى، ارفعينى".

أرفعها، وأجلس. أرفعها، وأجلس، ثم أقف بجوارها، أرفعها حتى تميل للأمام، غير قادرة على أن تتوقف.

"مودى إنك تجلسين و ظهرك مستقيم بالفعل!" أعترض.

ولكن: "ارفعينى عاليًا، ارفعينى عاليًا!"

أرضخ لها لأنها على الأقل تشعر بأنها قادرة على أن يكون لها بعض النفوذ على العالم الذى يحتويها الآن، حيث الأشياء تنجز لها، ولا تستطيع محاربتها، ولأننى أستطيع أن أحتضنها وأن ألمسها. على الرغم من أنها لا تقول أبدًا، احضنينى، أريد أن أحتضن، فإنها تقول ارفعينى عاليًا، ارفعينى عاليًا.

وقفت اليومين الماضيين بجوارها، أرفعها وأضعها فى مكانها على الفراش، أرفعها وأحتضنها، ساعة فى كل مرة. قلت، "مودى، إنى متعبة، وينبغى أن أستريح". إنها تعترف بذلك بهزة فجائية برأسها، ولكنها تبدأ ثانية فى لحظة، " ارفعينى عاليًا، ارفعينى عاليًا".

أعتقد ربما أن هذه طريقة لتبقى نفسها مستيقظة، لأن الدواء المقوى الآن قوى جدًا.

تبقى مودى لوقت طويل فى حالة نعاس. يقولون إنها تنام طوال الليل. ولكنها واعية، تعرف ما يدور حولها، تعانى بشدة من القعقعة، التصادم، صوت ارتطام الأقدام المرتفع على الممر غير المكسو بالسجاد، الصوت الطاحن لعجلات عربات الطعام. حين تصطدم بالأبواب كل بضع دقائق. أجد نفسى أجلس هناك، متيقظة، أتأهب فى انتظار التصادم التالى.

على أى حال، ينبغى أن يفتح الباب، إن مودى تخشى من الصمت وعزلة القبر، حيث سيغلق عليها.

لم تستعد مودى بعد للموت.

لم أعد أستطيع أن أجلس طويلا الآن بجوارها أفكر، لأننى منشغلة جدًا برفعها لأعلى وتعديل وضع وسائدها، الاعتناء بها، ولكن هنا فى المنزل، وأنا فى حوض الاستحمام أفكر. أفكر فى أمر جمعيات تعجيل موت المريض؟ لا أعتقد أن أمى أو فريدى أرادا أن يرحلا قبل أن يحين موعد رحيلهما، لقد كانا متقاعدين، ناضجين، ولكننى متأكدة أننى كنت سأعرف إن كانا يتوقان أن يقوم أى منا بأن يزيح عنهما هذا المرض المرعب؟. (هل كان بإمكانى أن أفعل ذلك؟ ينبغى أن أسأل الأخت جورجى، حينما أراها فى المرة القادمة. إن رأيتها أبدًا) . لماذا هو أمر شاق جدًا أن نموت؟ هل هو أمر شرعى أن نتعجب من هذا الأمر؟ أهو مفيد؟ أوه، إنه أمر شاق، شاق، شاق أن نموت، لا يريد الجسد أن يرحل. هناك صراع ما يستعر بالداخل، معركة حقيقية.

ولكن لنفترض أن إرادة مودى و عقلها يريدانها أن ترحل، هل يعنى ذلك أن جسدها سيقاتل بضراوة أقل؟ إن كان جسدها هو الذى يقاتل.

تجلس مودى هناك، غير راغبة فى الرحيل. إننى ببساطة لا أفهم ذلك، وهذا كل ما فى الأمر!.

بشكل متناقض مع مودى، أعرف أنه فى بعض الأحيان ليس أمرًا ممكنًا أن تضع نفسك مكان شخص آخر. على الرغم من أننى أعرف أن ما أفعله هو أننى

أقارن حالتى الذهنية الراهنة، لامرأة فى الخمسين من عمرها ليست قريبة من الموت من الناحية الجسدية، بامرأة تجاوزت التسعين وتشرف على الموت. أيتغير الإطار الذهنى للمرء لدى اقتراب موته؟ لأن هناك بالطبع حاجزًا مطلقًا ما، أو حائطًا بين عقلى ومعرفتى بأننى سأموت. أعنى، أعرف أننى سأموت، ولكن ليس كحقيقة متوهجة وعنيفة. ربما، قد حدث لنا نوع من البرمجة، مثل الحيوانات، ألا نعرف تلك الحقيقة، لأن المعرفة ستعوقنا عن الحياة. لأنه ما يهم الطبيعة، هو أنها تريدنا أن نعيش، نتوالد، نتكاثر، نعمر الأرض، أن نستمر فى الحياة ـ أى شىء بخلاف ذلك، لا يمكن أن تهتم الطبيعة به كثيرًا. وهكذا، فهل أفقد أنا، جانا، أو جين سومرز، وأنا أجلس بجوار امرأة تحتضر، تحارب لأن تجعل عقلى يغير سرعته، يفقد إحدى طبقاته أو ينقص من خبرته أو يعرضه للخطر، حتى أدرك حقاً أننى سأموت. ولكن الطبيعة لن تدعنى.

أتخيل، بشكل عمدى، كل أشكال الرعب، الفزع: اجعل نفسى تتصورنى، أنا جانا، جالسة فوق وسائد مرتفعة، عجوز محطمة من الداخل. اختصر حدودى الخارجية، أتخلص أولا من ملابسى التى أتقوقع بداخلها، كيف أقدم نفسى، ثم جسدى الصحى، الذى لم يفقد قدرته بعد على أن يتحكم فى إخراج بوله وقذارته، لكنه ما زال ناضجًا ومليح المظهر، أعود للداخل، إلىّ، إلى معرفتى بذاتى، وأتخيل أننى أجلس

داخل هيكل عظمى، هذا كل ما فى الأمر فوضى غير مرتبة للحم والعظام. ولكن لا فائدة. أنا لا أهاب الموت. لا أخشاه.

وبشكل متناقض، وأنا أراقب مودى وهى تحتضر، أخشاه فى الحقيقة بدرجة أقل. لأن هؤلاء القلقين من الموت، هؤلاء المتخصصين، لديهم توقد ذكاء حول كل ذلك، وهو ما أحبه لنفسى. وحتى للأمانة، لأننى أعرف الآن أن مودى لو لم يخبرها أحد "بالحقيقة" ـ وكأنها لم تعرفها بالفعل ـ سيخبرونها، بسؤالها للممرضات. وإن لم يقلن ذلك بكلمات كثيرة، مودى فاولر، أنت تحتضرين، فسيسمحن لها بمعرفة الأمر. إنهن لا يفعلن ذلك الآن، بسبب تصرفاتها: لا، إنهم يفهمون أنها "ليست مستعدة لأن تعرف"ـ الجملة التى قالتها الممرضة لى. وهكذا بقى الجو فى غرفتها ودودا، أليفا، تقريبًا غير مكترث، وكأنها فقط تعانى من أنفلونزا أو من ساق مكسورة.

وفيما يتعلق بالحياة فيما بعد: الحقيقة هى أننى لا أستطيع أن أقنع نفسى بأن مودى صرة الطاقة الغاضبة هذه، سوف تختفى تمامًا. إنه أكثر مما أستطيع أن أقنع به نفسى. يا إلهى الرحيم، تقول مودى فى حال كونها بصحة جيدة أو متعبة، تعبر بذلك عن نفسها، عن حياتها، عن طبيعة ما مرت به، لقد تغلبت مودى بقوة على الكثير من الأمور لدرجة أننى لا أصدق أنها ستذوب مثل البخار حينما يسخن الهواء. لا.

إننى متورطة جداً فى مودى بشكلها الحالى، ما يمكن أن يواصل الحياة فى مودى يدهشنى ليس بوصفه علامة استفهام على الإطلاق، ولكن كيف ستبدو، هل ستبدو شابة أم طاعنة فى السن، هل يمكن لرجلها أن يدرك شكلها، أو ابنها بوصفه رضيعًا أو بوصفه رجلا فى منتصف العمر، كل ذلك ليس ذى صلة بالموضوع.

"ارفعينى عاليًا، ارفعينى عاليا" تقول مودى، فألتقط حقيبة العظام الصغيرة تلك وأجلسها بشكل معتدل، وأربت على شعرها الذى يشابه خيوط الدخان، وأقول، "يكفى هذا يا مودى، توقفى لدقيقة واحدة، ينبغى أن أجلس".

لأنها، قد تكون حقيبة صغيرة من الوزن المنعدم، ولكن بهذا الإلحاح، بدأ ظهرى يشكو. ظهرى متحدث لبق، باختصار، وأجد نفسى أتوجه إليه بالحديث، فقط تماسك، انتظر قليلا، ينبغى أن تصمد، لا يمكنك أن تستسلم الآن.

للمرة الأولى، أجد البقاء فى المكتب أمرًا مرهقًا، إننى متعبة جدًا حتى أننى لا أستطيع سوى أن أتصفح ما يجرى، وفيليس تقوم بما لا أستطيع إنجازه، وجيل أيضا بقدر معرفتها بالأمور.

حينما أعود للمنزل من العمل مع جيل، أجعلها تقود السيارة، أصعد الدرج مثل جثة أعيدت للحياة، معدومة الإرادة، أسقط فوق كرسىّ الكبير، وأجلس هناك، وقد انتهيت تمامًا، أتحرك بصعوبة، أحاول

استجداء طاقة لكى أقود بعد قليل سيارتى للمستشفى. تقول جيل، "لا تذهبى يا جانا، لا تفعلى، ستمرضين".

"بالطبع ينبغى أن أذهب"

"سأعود فى العاشرة أو بعد ذلك، أغيب فى حمامى اليومى لساعة تقريبًا، أو أنام على الأرض فى حجرة المعيشة ووسادة تحت رأسى. جيل تحضر لى الشاى، الشوربة. مثل إليزا بيتس، لا أهتم للذهاب إلى الفراش، ولكننى جلست أتأمل طوال الليل دراما مودى، وكأنها دراما حقيقية تؤدى فى مكان ما بداخلى، على مسرحى الخاص، بينما الحياة تمضى، الضوضاء تصمت، فى كل مكان. جاءت جيل فى الثانية أو الثالثة صباحًا، وقلت لها، "لا تهتمى، اتركينى هنا". ولكن، إن لم تكن هنا، لشعرت بالضيق من كل ذلك. بالطبع أشعر "بالضيق" كثيرًا، كما تقول جيل، وفى النهاية هى مسألة تعايش مع الموقف. جيل متضايقة، إنها ترتعب حينما لا أذهب للفراش، أو أسقط لأنام على الأرض، ولكنها حبوبة، متفاهمة، ابنة أمها.

لم يوقفها هذا، أكثر من مرة، من قولها، "طالما عشت بجوارك يا جانا، سأصبح كما يقولون ابن الوز عوام". تقصدنى، تقول هذا بنظرات حادة مستمتعة، وتعبير معناه ، حسنًا إن كان الأمر كذلك، فلأننى أعتنى بنفسى!

"هل تعنين أننى رئيسة متعنتة؟"

"ليس كذلك تمامًا، ولكننى ينبغى أن أعطى بقدر ما آخذ، أليس كذلك؟"

"لم أدرك، لقد كنت على هذا القدر من السوء"

"لا أعترض فى الحقيقة. لقد قلت لأمى إن هذا أمر جيد بالنسبة لى. المساندة".

"مثل حمام بارد"

هناك أيضًا مشكلة السيدة بينى.

"لم تكرهيها كثيرًا؟" تسأل جيل، و هى مندهشة تمامًا، ولهذا علىّ أن أسأل نفسى لم أفعل ذلك. "إنها فى غاية اللطف، فى حقيقة الأمر إنها مثيرة للاهتمام جدًا، لديها حكايات كثيرة عن الهند، وهى وحيدة جدًا، إنها سيدة مسكينة و عجوز".

"لقد أسأت كثيرًا لنفسى بتعاملى السخيف مع السيدة بينى، لأنها من الأشخاص الذين إن اقتربت منهم ذراعًا اقتربوا منك ميلا".

"اذهبى و زورى هؤلاء النساء العجائز إذًا، واندمجى معهن. حينما تموت السيدة فاولر، هل ستذهبين لزيارة السيدتين المتبقيتين؟"

"لا يمكننى أن أسقطهن من حسابى هكذا، أليس كذلك؟"

"إنك عنيدة حقًا، يا جانا، ينبغى أن ترى ذلك".

ما ينبغى أن أراه، قد رأيته بالفعل، إننى بقبولى لجيل فى حياتى هكذا تتحطم بواباتى، وتغدرنى دفاعاتى، لقد غزت إقليمى، ليس هناك من مكان يمكننى أن أطلق عليه مكانى الخاص، ليس للسيدة بينى علاقة بالموضوع. وجدت جيل والسيدة بينى يستمتعان بكوبين من الشاى فى المطبخ، وأومات برأسى بعقل غائب، وحركة محسوبة، امرأة مشغولة بأشياء مهمة فى رأسها، وعدت لحجرة نومى، وأغلقت الباب بإحكام.

من هناك، وفى الحال، أذهب لأجلس مع مودى المسكينة. أفكر فيها، فى المنزل، حينما "أستريح" كما تقترح جيل، حتى يمكننى أيضًا أن أكون معها، ولكننى أقضى الوقت كله فى التفكير. لقد اعتادت الممرضات والأطباء على وجودى، يمكننى أن أدخل فى كل الأوقات، دون أن يمانعوا.

كنت أرى جزءًا من الحياة فى الجناح الكبير. تخلد مودى للنوم بعد تناولها الدواء المقوى فى منتصف اليوم، وكنت أجلس هناك لساعة أو أكثر، أنتظرها أن تستيقظ. جاءت ممرضة الجناح لتقف عند نهاية رأس مودى وبدأت تثرثر بالطريقة الغامضة ذاتها التى يتلقى المرء عن طريقها المعلومات فى المستشفيات. التعليمات أيضًا. قالت إن بعض مرضاها لا يأتيهم أى زوار مطلقًا. "قد ينظر إليهم أقرباؤهم بأنهم خارج نطاق الحياة أيضاً".

وهكذا، أبقى عينى على مودى لتتأكد أننى هناك حينما تفيق من النوم تمامًا، بينما أتجول فى الجناح لأتحدث مع من يرحب بالحديث.

فى وقت ما كنت أخشى من العجائز، من الموت، لدرجة أننى كنت أمنع نفسى من رؤية المسنين فى الشوارع ـ لم يكن لهم وجود بالنسبة لى. الآن، أجلس بالساعات فى الجناح وأراقب، أتعجب، أندهش، أعجب.

الممرضات... كم هن صبورات، حس رقيق، كم هن مرحات! كيف يفعلن ذلك؟ لأن هناك ما يقرب من ثمانية عشر شخصًا مسنًا هنا وهم أشخاص صعبة المراس بطريقة أو بأخرى، مصابون بالسلس البولى، أو لا يتمكنون من السير بطريقة سليمة، أو ذوو أذهان بليدة، أو مرضى، أو ـ مثل مودى ـ يحتضرون. ها هى تلك المخلوقات المسنة، معا فى هذه الألفة، فى جناح تنتشر السرائر على ضفتيه، وما يجمع بينهم هو احتياجهم، ضعفهم. وهذا كل ما فى الأمر. لأنهم لم يكونوا أصدقاء من قبل أن يأتوا إلى هنا. فى نهاية غرفة مودى هناك سيدة فى السادسة والتسعين، بهلوان مبتسم، صماء ومجنونة تمامًا، لا تعرف أين هى. إنهم يضعونها على الكرسى، وتبقى هناك، ربما لساعة أو ساعتين، ثم تقفز، وتتمشى بين صفوف الأسرة. ولكن فجأة، تفقد سبيلها، والجميع يراقبها، ربما يبتسمون، ربما يتضايقون، لأنها الآن لا تستطيع أن تجد سبيلا للعودة لمكانها. ستقف بشكل تصادفى

عند هذا الفراش أو ذاك، وتحاول أن تعتليه، بغض النظر عما إذا كان هناك شخص ما يرقد فيه بالفعل أم لا. "ماجى" يصيح من يرقد هناك، "ألا ترين أننى هنا؟" "ماذا تفعلين فى فراشى؟" تصرخ ماجى العجوز، وفى الحال يعلو النداء "أيتها الممرضة، أيتها الممرضة، إنها ماجى!" وتأتى الممرضة.

تركض و هى تضحك غالبًا، ويقلن، "ماجى، ماذا تفعلين؟" وتنتهز الفرصة لتقودها إلى الحمام، حيث إنها تقف على ساقيها، فيمكنها أيضًا أن...

فى الفراش المجاور لماجى ترقد الحالة المستعصية.

أوه، إنك صعبة جدا، تقول الممرضات، ثم تطرق الواحدة منهن برأسها أسفًا. إنها سيدة ضخمة، بوجه غليظ، تحت المراقبة دومًا لما تمثله من تهديد. لديها ساقان متعبتان مرتكزتان أمامها. تجلس وذراعاها مفرودان، تراقب ما حولها. أو تقرأ روايات رومانسية غالباً، أو فى بعض الأحيان قصص عن البحر، يبدو أنها مغرمة بها كثيرًا ـ البحر القاسى، نافخ البوق.

جاءت هنا منذ ثلاثة أشهر. بعض هؤلاء الناس جاءوا هنا منذ سنوات. حينما جاءت، قالت، اسمى السيدة ميدواى. لن يسمينى أحد فلورا. ولن يعاملنى أحد كطفلة صغيرة.

حينما تأتى ممرضة جديدة إلى الجناح وتدعوها بحبيبتى، أو عزيزتى، أو فلورا، تقول لها، "لا تعاملينى

كطفلة، إننى عجوز فى سن جدة جدتك". "أوه،" تقول الممرضة المسكينة، التى تدربت من خلال مراقبة الممرضات الأخريات، على أن تقنع حالة ممتنعة عن تناول الطعام بأن تقول لها، "خذى ملعقة أخرى من أجلى"، كما يتعامل المرء مع طفل، أو "تناولى البودينج خاصتك من أجلى يا حبيبتى"، "أوه، يا سيدة ميدواى، كما تحبين، ولكن نادنى بدوروثى، لن أعترض".

"أنا أعترض،" قالت تلك المرأة الضخمة، و بينما تنصت إلى الممرضات وهن يناقشن مهامهن، ماجى تحتاج هذا أو ذاك، وفلورا تحتاج..."السيدة ميدواى،" تصحح لهم، بهدوء وبصوت مرتفع.

"أوه يا سيدة ميدواى، يا حبيبتى، لم أنت صعبة المراس، يا حبيبة؟"

"لست حبيبة"

"لا، فى بعض الأحيان أنت لست كذلك...هل يمكننا اصطحابك لأسفل إلى المعالج الرياضى، الآن، من فضلك؟"

"لا"

"لم لا؟"

"لا أحب ذلك"

"ولكنه مفيد لك"

"لا أريد شيئًا مفيدًا"

"أوه يا سيدة ميدواى، ألا تريدين أن تعالج ساقاك بشكل جيد؟"

"لا تكونى غبية، أيتها الممرضة، إنك تعلمين أنها لن تتحسن بسبب القليل من الثنى و المد".

"لا، ولكنها ستوقفها عن التدهور".

"حسناً، سأبقيهما فى حركة طوال الوقت هنا".

وتفعل ذلك بالفعل. تزيل الحذاء البلاستيكى عالى الرقبة كل نصف ساعة تقريبًا، لكى توقف الآلام الموجعة من الضغط، وتحرك ساقيها وقدميها فى المكان، وتدلكهما بيديها، ثم يعلو الصوت الخالى من أى إحساس: "أيتها الممرضة، أريدك أن تعيدى وضع الحذاء فى قدمىّ. وأريد أن يسير معى أحد من وإلى الباب".

فى الفراش المقابل لها ترقد سيدة تجاوزت التسعين، كانت "سيدة مجتمع"، كما تقول لى الممرضة. الممرضة هى ذلك الشخص فى مجموعة من الناس، يبدو عليهم جميعًا سمات الاحترام، يمثلون، "الشخص المثالى"، الذى كنا نتحدث عنه أنا وجويس. إنها من يقرر الحالة المزاجية للجناح. إنها فى منتصف العمر، متعبة قليلا، لديها ساقان غليظتان يبدو أنهما متألمتان ووجه متسع رزين و سعيد يعطيك إحساس بالثقة. إنها دومًا متحفزة لأية إشارة من الممرضات تنم عن فقدان الصبر أو السخف. إنها لا تمانع أنهن فوضويات، لا يتعاملن بشكل رسمى، وبشكل واضح لسن على درجة من الكفاءة، تنسى الواحدة منهن أن تقوم بهذا أو ذاك، ويضعن حلا للمشكلات الطارئة بابتسامة أو اعتذار.

على العكس تمامًا، لقد فهمت أنها تشجع هذه الأجواء. ولكننى حينما رأيت واحدة من الممرضات النشيطات وهى تستخدم لهجة جافة مع ماجى العجوز، نادتها الأخت وايت وقالت لها، "هذا المكان هو بيتها. إنه البيت الوحيد الذى لديها. يمكنها أن تكون غبية إن أرادت. لا تتعجليها ولا تضايقيها، أيتها المرضة!".

قالت لى الأخت ويت إن المرأة التى يطلقون عليها سيدة المجتمع كانت سيدة ريفية من إيسيكس. اعتادت أن تربى الكلاب، كلاب الصيد أيضًا. وكان لديها حديقة كبيرة. كيف جاءت إلى هنا، فى مستشفى بلندن؟ ولكن الأخت لا تعرف، لأن إلين جاءت هنا منذ سبع سنوات ولا تحب الحديث عن ماضيها.

إن إيلين صماء تمامًا، ولديها ساقان متعبتان، ولهذا فإنه عندما تذهب إلى المرحاض فإن الأمر يستغرق عشر دقائق أو أكثر للذهاب إلى هناك، ونفس المدة لكى تعود ثانية. يجب أن يساعدها أحد ما على الجلوس. لديها وجه رفيع و لطيف، ومهتم، وبالحياة تبتهج فى عينيها. لأنها تجلس وتراقب كل شىء يدور حولها، لا يفوتها شىء، تبتسم لنفسها حينما يحدث أمر ما ساحر أو مضحك، وتطرق فى حال حدوث أمر سيئ.. ستبتسم لى وأنا أدخل، وتشير بإيماءة أنها كانت تقرأ المجلات التى جلبتها من أجلها: حياة الريف، السيدة، الخيول وكلاب الصيد. إنها لا تستطيع أن تقيم حواراً، لأنها صماء جدًا.

في بعض الأحيان أتحدث إلى السيدة ميدواى، التى كانت ـ ليس من وقت بعيد ـ مالكة لجريدة ومحل للحلويات فى ويليسدن، وقد مات زوجها العام الماضى. تأتى ابنتها الوحيدة و المقيمة فى الريف الغربى، فى بعض الأحيان لزيارتها. ليس للسيدة ميدواى الكثير من الزائرين. لم يكن لإيلين أى زوار قط، يبدو أنه قد نسيها الجميع. فيما عدا، بالطبع، كهان الكنائس المختلفة والشباب الذين يتطوعون لزيارة المسنين حيث تجلب زياراتهم تلك لهم السعادة. السيدة ميدواى، رعب جناح تينيسون، تسلى زوارها بذكريات شبابها، وهى فى مثل سنها ـ أيام الحرب العالمية الأولى. حينما ينصرفون و هم يهزون رءوسهم ويضحكون، يتبادلون النظرات بسبب القرب ـ منها ـ من ذلك العالم البعيد بشكل غير متخيل، إنها تنظر إلىّ، ثم نضحك معًا أيضًا، بسبب الزمن والألعاب التى تلعبها. "حسنا" ستقول، وهى تشير بيدها بغطرسة للممرضة، لأنها تريدها أن تجلب لها أكوابها (يمكن أن تصل إليها إذا مالت بجسمها للأمام أربع بوصات فقط)، "حسناً، سأخبرك بشىء ما. يمكننى أن أراقص أى واحد من تلك الجماعة، فى أى ليلة! إنهم مساكين، بالمقارنة بنا". ثم تلتقط روايتها، من المحتمل أنها تدعى حب فى الغسق.

وأنا أجلس فى الجناح، أراقب، وأنا أجلس مع مودى، أراقب، أفكر فى رواية جديدة، ولكن فى هذه المرة ليست رواية رومانسية.

أريد أن أكتب عن خادمات هذا الجناح، الإسبانيات أو البرتغاليات، أو هؤلاء القادمات من جامايكا أو فايتنام اللاتى يعملن لساعات طويلة للغاية، و يكسبن قدرًا ضئيلا جدًا من المال، وهن يحافظن على أسرهن، يربين الأولاد، ويرسلن بالمال إلى أقاربهن فى جنوب شرق آسيا، أو إلى قرية صغيرة فى الريف أو فى قلب إسبانيا.

هؤلاء النساء يؤخذن كأمر مسلم به. فى المقابل يتلقى البوابون أجورًا أفضل. إنهن يذهبن للمستشفى بقدر من الثقة، و لا يشعرن بإرهاق. أعرف أمرًا واحدًا، هؤلاء النساء مرهقات. إنهن مرهقات. إنهن مرهقات جدًا، يحلمن بأن يسمح لهن بالنوم فى الفراش وأن يبقين هناك لأسابيع، نائمات. لديهن كلهن النظرة نفسها، قلق عام، أدركه جيدًا، إنه يأتى فقط من حواسهن المفتوحة، من الخوف من أشياء قد تحدث، مرض، عظام مكسورة، شىء ما يجعلهن يتهاوين. كيف يمكننى أن أدرك هذه النظرة؟ لأننى لا أتذكر أننى رأيتها من قبل. هل قرأت عنها؟ لا، أعتقد أنها تأتى من مودى: من المحتمل، حينما تتحدث مودى أو تحفر ذاكرتها وتأتى بحكاية من ماضيها، تلك الحكايات التى نسيتها الآن، كان يبدو على وجهها، لأنها كانت فى ذهنها، هذه النظرة. هؤلاء النساء مرتعبات. . لأن فقرهن لا يسمح لهن بأى هامش، ولأنهن يساندن آخرين. فى الأجنحة، إنهن من ينشلن أكياس النقود من الحقائب، يجلبن جنيهًا من هنا،

القليل من البنسات من هناك يسرقن بعض الجواهر، ينقلن البرتقالات إلى جيوبهن. لا شىء يمكن أن ينجو من تلك الأصابع المحتاجة، وبسببهن لا تستطيع مستشفيات لندن العظيمة، التى تعد المثل الأعلى بين مستشفيات العالم، مستشفيات شهيرة ألهمت العديد من الأطباء والممرضات فى البلدان الفقيرة من شمال الهند إلى جنوب إفريقيا، هذه المستشفيات غير قادرة على حماية عهدتها من سرقة كل ما يمكن سرقته. أراقب هؤلاء النساء وهن يعملن، أضع يدى بخفة على ظهورهن الصغيرة، وأطلق تنهيدة، نصف شهقة، وأنا أخلع عنهن أحذيتهن، بينما يقفن للحظات قليلة مسروقة خلف باب نصف مغلق لكى يرحن أقدامهن، يسحبن بعض الأنفاس القصيرة من نصف سيجارة متبقية مسحوقة خرجت للتو من جيوبهن. إنهن طيبات أيضًا، أن يجلبن فنجانًا من الشاى لواحدة مثلى، أو يضعن فى يد سيدة عجوز مجنونة وردة حمراء متألقة. و قد تجلس العجوز وتحدق بها، وتراها، ربما، كما لم ترها أبدًا فى حياتها ، أو تدفع فى فم واحدة أخرى، لم يأت إليها زائرون أبدًا، بقطعة من الشيكولاتة قد سرقت خلسة من علبة مريضة أخرى قد استقبلت لتوها بعض الزائرين. إنهن يراقبن كل شىء، يعرفن كل ما يجرى ـ وبقدر استطاعتى على المشاهدة، أرى ألا أحد يمكنه ملاحظتهن. إنهم يتعاملون معهن بوصفهن أمرًا مسلمًا به. ولم لا يقوم فتياننا وفتياتنا المرعبون المسلحون، أو اتحادات

لمتطفلين، لم لا يقدروا على أن يفعلوا شيئا ضدهم؟

حسناً، هذا ما أود أن أكتبه، ولكن هذا النوع من الروايات مختلف تمامًا عن الكتابة عن أحد أصحاب المصانع الذين يتسمون بالشجاعة أو تلك السيدة العاطفية.

اليوم، الطبيب الكبير و حاشيته.

كنت أجلس مع مودى، وأسمع صوتًا مثل قطيع الأغنام، صوت تصادم، طقطقة على الدرج الأسمنتى العارى. أصوات، يعلوها صوته العالى الصارم.

باب حجرة مودى مفتوح. فى الخارج تأتى الجماعة وتبقى ساكنة. يلقى الطبيب الكبير محاضرة مطولة، هذا الطبيب الخبير فى مثل تلك الحالات، كما قيل لى.

هذا هو سرطان المعدة، لديهم ملاحظاتهم. لقد رأوا الأشعة. إنها حالة نمطية...لا أفهم الجمل القليلة التالية. فى هذه الجزئية، حالة غير شائعة... مرة أخرى، أفقد التركيز. والآن، أيها السيدات والسادة هل تسمحون... تظهر المجموعة، فجأة، تتجمع عند الباب، تجلس مودى مستقيمة فى الفراش، وتميل للأمام قليلاً، تبقى رأسها متيقظة، تحدق فى غطاء الفراش.

تبدو غير مستريحة. ترى الممرضة التى ترافق الأطباء مودى من خلال عيونهم وتقترب لتقول، "السيدة فاولر، نامى على ظهرك يا عزيزتى، أجل،

نامى على ظهرك..." على الرغم من أنها تعرف كيف تقول مودى، ارفعينى لفوق، ارفعينى لفوق، وكيف أقوم بذلك، مرة تلو الأخرى، وكيف تجلس مودى على هذا الوضع لدقائق، لساعات فى كل مرة.

نلعب لعبة الفوازير: أرقدوا مودى على الوسائد، صامتة، بينما يراقبها حشد من الأطباء.

أغلقت مودى عينيها.

الطبيب الكبير فى تردد، أيقوم بفحصها أم لا، من أجل مصلحة تلاميذه من الأطباء، ولكنه يقرر ألا يفعل: دعونا نأمل أن تقرر الإنسانية له ما ينبغى أن يفعله.

إنهم يتراجعون خطوات قليلة، إلى خارج الباب.

يوضح الطبيب الكبير أن مودى الآن فى حالة إغماء و سوف تغط فى نومها.

لقد أدهشنى ذلك. صدم الممرضة، التى أفرجت، بشكل لا إرادى عن تنهيدة منزعجة.

هذا لأن مودى مستيقظة فى معظم الوقت، تقاتل آلامها. تخلد إلى نوم عميق لساعة أو اثنتين بعد أن تتناول الدواء المقوى، ثم تقاتل وهى مستيقظة مرة أخرى.

يقول الطبيب الكبير فى حضرة الصمت الجليل أن السيدة فاولر تتمتع بقدرتها على الاعتماد على نفسها، احترام نفسها، لم ترد أبدًا أن تكون ذليلة لأحد، و فى مثل تلك الحالات، بالطبع، يكون من

الضروری لهم أن یراقبوا بعنایة شدیدة ـ إلی آخره، وما إلی ذلك - ولكن لحسن الحظ أنها فی غیبوبة الآن، وستموت دون أن تعود إلی وعیها.

تبدو علی الممرضة علامات الغضب. إن أدبها یجعل من المستحیل أن تتبادل نظرات معی، ولكننا نشع تفاهما. لأنه، بالطبع، فالممرضات هن من یقمن بالمراقبة، یعرفن متی تتغیر الاحتیاجات، المزاج، المرضی، ویظهر الأطباء من وقت لآخر لیصدروا الأوامر. لأن هذا هو أكثر الأمور إدهاشًا التی یمكن أن أراها بینما أجلس هناك، ألاحظ، أنصت، الفجوة الكلیة والمطلقة بین الأطباء و الممرضات. إن الممرضات هن من یعلمن ما یحدث، إنهن من یضبط الأمور، الغضب، وغالبًا وببساطة شدیدة یتجاهلن تعلیمات الطبیب. كیف نما هذا النظام الشاذ، حیث هؤلاء الذین یصدرون الأوامر لا یعرفون ما الذی یحدث فی الواقع.

تتضاءل أصوات الأطباء المزعجة وهم یختفون جمیعا فی الأجنحة الرئیسیة.

تبتسم الممرضة ابتسامة معتذرة، ومودی تهمس، "ارفعینی لفوق، ارفعینی لفوق"، ونهضت لأضعها ثانیة فی وضعها السابق، حیث إنها ترتاح، لسبب ما، هكذا.

"سأغلق الباب فقط لدقیقة،" تتمتم الممرضة، تعنی، أن الأطباء لن یعلموا أنك قد أجلستها علی الفراش.

تغلق الباب. تلح مودى: "افتحى الباب، افتحيه، افتحيه".

"انتظرى دقيقة، يا مودى، حتى يرحلون".

فى لحظات قليلة، جاءوا جميعًا محدثين جلجلة، ونزلوا على الدرج.

أفتح الباب ثانية. تقترب عربات الطعام، تحدث عجلاتها الصرير ذاته، الدوى ذاته.

"السيدة فاولر، هل ترغبين فى بعض الحساء؟ ساندوتش؟ جيلى؟ آيس كريم؟"

أقول لها، "بعض الحساء من فضلك و الجيلى" على الرغم من أنها لا تأكل أى شىء على الإطلاق هذه الأيام.

رفعت الحساء إلى شفتيها، هزت رأسها، قدمت لها ملعقة من الجيلى، "لا، لا" تهمس، "ارفعينى لفوق، ارفعينى لفوق".

أفعل ذلك، مرة تلو الأخرى، طوال الليل.

ثم حانت الساعة التاسعة، جاءت الوردية الليلية. انتظرت حتى أتعرف مع الممرضة الليلية وأخبرها بنفسى ما عانته طوال اليوم ـ مثلما عانت بالأمس واليوم السابق عليه، وتبتسم الممرضة الليلية وتميل على مودى وتقول، "مرحبًا يا حبيبتى، مرحبًا، عزيزتى، كيف حالك؟"

هناك ثلاث ممرضات سمراوات وواحدة بيضاء، تشعر مودى أنها محاطة بالغرباء.

"سأرحل الليلة يا مودى ، وسآتى غدا".

"لقد رحلت بالفعل، أليس كذلك؟ تصبحين على خير إذًا".

صانعو القبعات النسائية صدرت اليوم. لقد أعيد طبعها مرتين قبل النشر. لقد كنت منشغلة كثيرًا مع مودى فلم أتمكن من الاستمتاع بها كما كنت سأفعل فى حال عدم انشغالى. سيكون نجاحًا عاصفًا. لحظات الرعبة السرية من التخلى عن عملى الحبيب المجزى كانت هباءً.

قرأتها فى وقت مبكر هذا الصباح، صباح شتوى مظلم روتينى وبارد، ولكن غلاف صانعى القبعات النسائية فى ماريليبون جميل وبراق. كم استمتعت بأن أجعل من حياة مودى المتوترة شىء ما شجاعًا خاليًا من الهموم وملىء بالمفاجآت السعيدة. فى روايتى، جعلت ابن مودى يسرق منها، ولكنها تعرف مكانه، وتزوره سريا، إنهما يساندان بعضهما ضد المحب الشرير، الذى تحبه!! ولكن بعد ذلك ترتبط بعلاقة محترمة متبادلة مع رجل أكبر سنًا، صاحب حانة ثرى، يطلب ودها ويساعدها على استعادة ابنها. وتعمل مساعدة للمدير فى مشاغل صانع القبعات، وبمساعدة هذا الرجل المحترم تشترى مشغلها الخاص، يزدهر، وتستمتع بالتعامل بغطرسة النبلاء، ولو على نطاق أضيق. ستحب مودى حياتها، كما أعدت بناءها.

مكثت مودى فى المستشفى القديم ثلاثة أسابيع حتى الآن. لا أرى اختلافًا فيها فيما عدا أنها كثيرة الحركة بشكل دائم. تطلب منى أن أضعها بوضع مستقيم على ظهرها، ثم بعد ذلك حينما تنام على ظهرها، تطلب منى أن أجلسها فى السرير ثانية. إنها تتوسل بلا توقف، ارفعينى لفوق وحينما تسترخى للأمام، لأنها لا تتمكن إلا أن تفعل ذلك، تقول بصوت خفيض، دعينى أرقد فى الفراش.

تأتى الممرضات ويمضين، يشاهدن، "يراقبن". تتعاطى مودى تلك الجرعات المرعبة القوية، مودى ليست عاقلة على الإطلاق، ولكنها حتى الآن لم تدخل فى حالة إغماء. لم ترض بالأمر الواقع، ولم تتقبل، لم تصل أبدا حتى على مشارف الرضا أو القبول.

مازالت مودى تقول لى، أو تتمتم بالأحرى، "خذينى معك إلى البيت ـ نعم، خذينى معك حينما تعودين للمنزل".

تعرف مودى و لا توقن أنها تعانى من سرطان المعدة وأنها تموت.

بدلاً من ذلك، هناك مودى التى تعرف ذلك، وأخرى لا تعرف.

أشك فى أن مودى التى لا تعرف، هى التى ستبقى هناك حينما تموت مودى بالفعل.

أوه يا إلهى، لو أن مودى فقط تموت، لو أنها فقط ترحل. ولكننى بالطبع أعرف أن هذا أمر غير

صائب تمامًا. ما أفكر فيه الآن هو، من الممكن أنه ليس الجسد هو ما يرتب إيقاع الموت، ليس ذلك الورم الضخم داخل معدتها، الذى يزيد حجمه مع كل نفس، ولكن حاجة مودى التى لا تحتضر أن تتأقلم ـ مع ماذا؟ من بإمكانه أن يعرف ماهية العمليات الضخمة التى تدور هناك، خلف رأس مودى المعلقة، عيناها الكئيبتان؟ أعتقد أنها ستموت حينما تنجز تلك العمليات. ولهذا السبب لن أدافع أبدًا عن تعجيل موت المرضى، أو ليس على الأقل بدون احتياطات مشددة. الحاجة لمراقبين، الأقارب، الأقرب والأحب، ينبغى أن يعلموا أن المريض المسكين سيموت سريعًا بقدر ما يمكنه، وأن الألم المحيط بكل ذلك بشع جدًا. ولكن هل من الممكن اعتبار أن الأمر ليس سيئًا جدًا تقريبًا بالنسبة للمحتضر بالمقارنة بهؤلاء الذين يراقبون؟ إن مودى تتألم ـ بشكل متقطع، بين تلك الجرعات المتوحشة التى تتعاطاها ـ ولكن هل الألم هو أكثر الأشياء سوءًا فى العالم؟ لم يحدث هذا الأمر بالتأكيد لى. لم يكن كذلك بالنسبة لمودى حينما كانت متماسكة. لم إذًا تبدو المعايير الإنسانية المهذبة، بمجرد أن يتحرك المحتضر بعيدًا عند نقطة معينة، وكأنها بلا فائدة، عديمة النفع، لا تستخدم، أولا تستخدم بسهولة ، بالنسبة لهم؟ لم تحكم مودى فى حياتها أبدا ما حدث لها من خلال الألم الجسدى الذى شعرت به. وإذًا لم ينبغى أن نفترض أنها قد اختلفت الآن؟ إنها لا تزال خائفة من الموت، أعرف

ذلك، بسبب حاجتها لأن تبقى الباب مفتوحًا، هذا الباب المزعج الذى يسمح بدخول الكثير من الضوضاء (يسمح للحياة بالتسلل) ـ ضربات الأقدام، الأصوات، العجلات، صلصلة الأوانى الفخارية. ولكن ما تفكر فيه فى الحقيقة من المحتمل أن يكون لا شىء له علاقة بالألم مطلقًا. الألم هو أمر عليها أن تتواءم معه، إنه هناك، تشعر به يأتى ويروح، يقل وتزداد حدته، عليها أن تغير وضعها ـ ارفعينى لفوق، ارفعينى لفوق! ـ ولكننا لا نعرف بداهة ما يحدث حقيقة.

ماتت مودى ليلة أمس

فى الأيام القليلة السابقة على موتها، كانت هناك ممرضة صغيرة سوداء جميلة، أعنى فتاة بيضاء بشعر داكن، عينان غامقتان، ليست ممرضة سوداء. إنها غامضة سمحة النفس، لا مبالية. كانت تدخل وتخرج من حجرة مودى، تساعدنى فى رفعها، تساعدنى فى أن أرقدها فى فراشها، وتحضر لى فناجين القهوة. أعرف أن مودى قد تدهور بها الحال، لأنهن قدمن لى الشاى لمرات عديدة الأمس. ولكننى لم أر اختلافًا كبيرا، فيما عدا حركتها الزائدة بشكل لا يصدق. فى فراش المستشفى الناعم ذلك، محرك الطاقة تلك، مودى، ترهقنى، ترهق الممرضة أيضًا، التى قالت، "يا إلهى، سيدة سومرز، ينبغى أن تكونى قوية". حدث ذلك الليلة الماضية. جلبت الممرضة دواء مودى المقوى، الذى ملأ الكوب تقريبًا، كان هناك الكثير منه. لم يكن وقت تناوله قد حان تمامًا، لذلك فقد وضعته على

الطاولة، وخرجت. هرعت مرة أخرى عائدة وقالت، "أوه، لقد نسيت دواء السيدة فاولر"، وهى تلتقطه، أطاحت به. وتناثر السائل الشرير كله فى المكان.

الإيماءات الدرامية القديمة حقيقية تمامًا، لوحظت بشكل دقيق: شهقت، اتسعت عيناها برعب، وطارت يداها إلى فمها، ووقفت تقضم أظافرها، وهى تحدق فى الاختراع الجديد المنسكب، ثم تعلقت هاتان العينان بى، بنداء ملح: هل سأفضحها؟ كانت ترجونى.

لقد ذهلت، كنت غير قادرة على رؤية تلك الممرضة اللطيفة الغامضة نوعًا ما بصورة الطاغية، ولكننى طمأنت الفتاة المسكينة أننى لن أفعل.

أخذت الملابس والمناشف و مسحت كل شىء، وفى هذه الأثناء كانت مودى تجلس صامتة هناك، ورأسها متدلية، تحتاج إلى دوائها المقوى.

حدث أننى قد اضطرت بالأمس أن أرحل مبكرة نصف ساعة عن الوقت الذى اعتدت المغادرة فيه. قلت إننى قد أتلقى مكالمة فى المنزل من روما عن عروض الأسبوع القادم.

ولهذا فقد قلت للممرضة، "ستلاحظين أمر الدواء الذى تتناوله مودى؟" على الرغم من أننى أرى الآن تمامًا أنه من المحتمل أنها لم تبلغ عن جريمتها، وهى ترى الحالة التى هى عليها. ولكن على أية حال، إن كانت مودى فى حال سيئة مساءً، فإننى أعرف أنهم قد أعطوها مسكنات إضافية للألم، قالت لى الممرضة ذلك.

ولكننى متحيرة الآن فى شأن الممرضة، هل قامت بإعطاء مودى جرعة عوضًا عن الجرعة التى انسكبت، وربما أرادت مودى شيئًا ما فى المساء ولم تحصل عليه. بإيجاز، أتعجب إن كانت قد ماتت بسبب الألم الزائد؟ لا أعرف، ولن أعرف.

تلقيت مكالمة هاتفية، عملت قليلا فى الملفات التى جلبتها للمنزل من المكتب، أخذت حمامًا، و ذهبت للفراش فى وقت متأخر، و أيقظنى صوت الهاتف فى الرابعة: لقد ماتت السيدة فاولر حالا، هل أرغب فى المجىء؟

ذهبت إلى المستشفى فى عشر دقائق.

فى تلك الساعة، كان للمكان همهمة خافتة، حيوية ناعمة. سابقت درجات السلم الحجرى البارد وإلى الجناح. لمحت فتاتين سمراوتين صغيرى الحجم، إنهما فايتناميتان، كما أعتقد، وهما يتصارعان لحمل سيدة عجوز ضخمة من السرير. شاهدتنى الفتاتان رأيت وجهيهما المضجرين: أوه ياإلهى، ليس ثمة أمر آخر أتواءم معه. ولكن وجهيهما قد زال عنهما كل الضجر حينما اقتربا منى وكانا يبتسمان بلطف، وقالا إن مودى قد ماتت منذ ساعة، كما تعتقدان، ولكن ليلتهما كانت صعبة، بسبب امرأة عجوز مريضة، وحينما ذهبا لفحص مودى، كانت قد رحلت.

آخر ما قالته، "انتظر لحظة، انتظر لحظة." وهما يرفعانها، لأنه كان عليهما أن يتركاها، فهناك الكثير من الأمور التى ينبغى أن يقوما بها.

"انتظرا دقيقة،" اخذت تتمتم، أو تلعن، أو تبكى، والحياة تتدفق كجيشان البحر، مخلفة إياها، ولكن الحياة لم تلحظ نداءها و تجاوزتها بشكل روتينى.

لن أندهش على الإطلاق لو كانت مودى قد ماتت بسبب ـ حسناً، أجل، بسبب الغضب. جانا ليست هناك، ولكنها لم تكن هناك أبداًا ـ والممرضات ذوات البشرة السوداء، انظروا إليهن، ذاهبات وعائدات، ليس لديهن وقت لى..من المحتمل، إن مودى قد ماتت بهذه الطريقة. ولكننى لا أصدق أن هذا ما حدث حقيقة فيما وراء الكواليس.

أحضرت لى إحدى الفتيات فنجانا من الشاى. الطقسى. هناك، جلست بجوار مودى الميتة، التى بدت تماما وكأنها نائمة، كانت دافئة، ولطيفة، إن لمستها، وعندما أمسكت بيدها الفاقدة للحياة، وفى يدى الأخرى فنجان الشاى. ينبغى الاحتفاظ بهذا الشكل المهذب.

حينما تموت مريضة، ينبغى أن يقدم للأقرب والأحب فنجانا من الشاى. وبشكل ملائم تمامًا أيضًا.

جاءت الممرضة،، ممرضة أخرى، الممرضة الليلية، أو ربما كانت رئيسة المرضات. على أية حال، وقفت هناك، تثرثر، مستعيدة الوضع الطبيعى. كان من الضرورى بالنسبة لى أن أقول أشياءً معينة، وقد قلتها: مثل أن مودى كانت امرأة رائعة، وأن حياتها كانت قاسية، وأنها واجهت كل مصاعبها بشجاعة وحيلة نادرة.

ووقفت رئيسة الممرضات هناك مبتسمة، متعاطفة، منصتة.

بعد ذلك، لم يكن هناك المزيد لأفعله.

المشكلة هى أننى لم أستطع أن أشعر أن مودى ماتت على الإطلاق، على الرغم من أن هذه هى المرة الأولى التى أراها ساكنة منذ شهور، حتى أننى كنت قلقة أنه ربما لم تمت، لم تمت حقيقة. ولكن يدها كانت جافة وباردة حينما وضعتها لأسفل. فى اللحظة التى وقفت فيها، وكنت أجمع أشيائى، دخلت واحدة من الممرضات السمراوات ركضًا، وضعت يدى مودى على صدرها ووضعت الغطاء فوق وجهها . كان لها مظهر سيدة المنزل: لقد انتهينا من هذه! ما هو الأمر التالى؟ أجل، أعرف، ينبغى أن...

وأنا أتجه إلى ردهة المستشفى، متجهة للمنزل، رأيت الممرضة الجميلة التى صادفتها ليلة الأمس. إنها تبدو مثل التوت الشوكى الطازج ناعم، ترتدى بدلة حمراء وشالا واسعًا وردى اللون مربوطًا على عنقها وكتفيها. كانت تبتسم، متوهجة، مسترخية، لطيفة، كل حركة، كل ذرة فيها تصيح بأنها مارست الحب طوال الليل، وأنها ما زالت تتخيل الفراش الدافئ الذى تركته بقدر وافر من التردد فقط منذ دقائق. تضع زى التمريض فى حقيبة يدها، وكانت تحرك الحقيبة حولها ، وللخلف و الأمام، وابتسمت... جاءت مبكرة من أجل ورديتها، وخططت لأن تتسلل إلى المستشفى، تجد حمامًا، وتستخدمه، آملة أن لا تراها رئيسة

الممرضات. على الرغم من أنه من السهل أن تتخيل كيف أن تلك المرأة الأكبر سنًا مستعدة لأن تتحدث، "حسناً، لا تهتمى ولكن لا تفعلى ذلك مرة أخرى،"، ثم بعدما شعرت بهذا الادعاء الظالم، وجدت نفسها تختبر هذا الوجه السعيد النائم، وتفهم استسلامها المشروط. وستفكر، حسناً، لن تتواجد معنا طويلا...

لقد انتهت من الاستحمام، هذه المحظوظة سوف تذهب من جناح لآخر، حيث الجميع مشغول بشكل جنونى بالانتهاء من المهام قبل أن تبدأ الوردية الصباحية، ولكن يمكن أن تجد صديقًا يقول لك، "بالطبع يمكنك أن تستخدم براد الشاى خاصتى، كيف يبدو الجو فى الخارج؟ دافئ، أليس كذلك؟"

تتثاءب الفتاة و هى تبدأ خدمتها، وتفكر، حسناً، سينتهى اليوم سريعًا ثم...أوه، لقد ماتت السيدة فاولر، أليس كذلك؟ هل أعدت للدفن؟ لقد أعدت، أوه ممتاز! لأنها بالطبع تتقزز من مهمة إعداد الموتى، وتحاول دومًا أن تتهرب منها.

حينما دخلت حجرة مودى، ورأت السرير الأبيض المرتب الذى لم يبعث فيه جسد مودى الضئيل الفوضى أبدًا، تتذكر، ومرة أخرى تطير يداها إلى فمها بتلك الإيماءة العتيقة، أوه، ماذا فعلت؟ ـ ولكنها تفكر، حسنًا لو إنها ماتت يومًا أو يومين مبكرًا عن موعد موتها، فماذا فى الأمر؟ تفكر أنها ستذهب وتنظر للجدول وترى إن كانت مودى قد تناولت جرعة زائدة من الدواء المقوى فى المساء، إنها تريد توكيدًا

على أن الألم ليس ما أدى إلى قتل المرأة العجوز، ولكنها تنسى.

أتصل بفيرا بمجرد بدء العمل فى المكتب. انفجرت فى البكاء، بشكل مفاجئ لى و لنفسها. "أوه، يا إلهى،" قالت، "إنى آسفة، إنها القشة الأخيرة، إن هذا كثير جدًا ـ يا له من غباء، كان ينبغى أن ترحل، ولكن ...هل أنت بخير؟ آمل ذلك. أوه، لا أدرى لماذا، كان هناك شىء ما خاص بها، لا أدرى ما هو؟" أخذت فيرا تثرثر، لقد كان رد فعل عصبى. انتحبت ثانية. قالت مرة أخرى، "يا له من غباء...لا تهتمى. تقولى أنك قابلت الأقارب؟ هل سيدفعون مصاريف الجنازة، أتعتقدين؟"

"يستطيعون بالتأكيد تحمل تلك النفقات"

"سأتصل بهم...أوه يا عزيزتى، أشعر باكتئاب. لا، إنها ليست فقط مودى، لدى مشكلات كبيرة. لا، لا أريدك أن تسألى. حينما حصلت على هذه الوظيفة، قلت لنفسى إن وظيفتى شىء وحياتى فى المنزل شىء آخر، ولن أسعى للخلط بينهما. حتى الآن، قمت بهذا. لقد حصلت على العمل، لأننى لو لم أفعل لأصابنى الجنون. على الرغم من أننى، كما يقولون مثل المقلاة الخارجة لتوها من النار. فإننى أقوم بالأشياء نفسها فى المنزل، كما أقوم بها فى العمل ـ دعينا نترك الأمر هكذا، إذا لم تمانعى".

اتصلت بى فى وقت لاحق لتقول إن أخت مودى قالت إن مودى كانت تدفع أموالا لسنوات لكى يتم دفنها بشكل لائق وإنها لا تستطيع أن تضيف عليه أى شىء.

"يا إلهى،" قالت فيرا، " ألا يجعلك ذلك تشعرين بالقرف؟ أمر مضحك، كنت أشعر أنها ستقول ذلك. إذًا، سيتولى المجلس الأمر. والآن، أريد أن أطلب منك معروفًا ـ هل يمكنك أن تفعلى أى شىء من أجل القطة؟ لا أستطيع أن أفعل شيئًا حيال هذا الأمر، حينما تموت تلك الأشياء المسكينة العجوز، أن تأخذ قططهم".

فوضى مرعبة فى المكتب بسبب استعداد فيليس لعروض أزياء الربيع فى روما ـ لقد قلت إننى لن أذهب. قلت إن لدى "مشاكل"، المشكلة هى موت مودى. مجنونة، أعرف ذلك. فيما عدا أن الأمر يبدو منطقيًا بالنسبة لى. الجليد فى نهاية الشتاء، فوضى المطارات حسنًا اتفقنا على الأمر، وقد غادرت، وذهبت إلى بيت مودى. أوه، رائحة المكان المقرف المظلم! لا حياة بدون تلك المدفأة المشتعلة هناك. أمضيت نصف ساعة فى كنس بقايا الطعام ووضعها فى أكياس، ثم وضعها فى صندوق القمامة. هناك علب وبرطمانات مغلقة وفى حالة جيدة تمامًا، ألقيتها كلها، ولكن تسيطر على الحاجة لأن أنتهى من الأمر كله. ولهذا السبب، تقول فيرا، حينما يموت العجائز، فإن تجار البضائع المستعملة يربحون ما تسقطه السماء من هبات: يسرى

الأمر على الجميع بما فيهم العاملون بالمجلس حيث يأتون للفرز والتقييم: أوه، دعونا ننتهى من الأمر. مكتبة مودى، أعتقد أنها تليق بمحل أنتيكات، لديها بعض الحفريات ليست بالغة السوء، هناك وحدة أدراج جميلة. ولكن، من سيحصل على ثمن كل ذلك؟ لو قلت لفيرا، فعليها التأكد أن هناك من يستطيع تقييم تلك الأشياء الجيدة. أخت مودى التى...

القطة. خرجت على فناء المنزل، ورأيت المتوحشة المسكينة تجلس خارج الباب، تنتظر، كما أفترض، عودة مودى. منذ خمسة عشر عامًا، وصلت القطة إلى الدرج الخلفى عند مودى، تصيح طلبًا للمساعدة. كانت حاملاً. سمحت لها مودى بالدخول، أفسحت مكانا للقطط الصغيرة، وأعدتها للولادة. نالت الحب، والقبلات كل برهة، وفجأة، مرة أخرى أصبحت قطة شوارع ملقاة عند عتبات السلم الخلفى.

ذهبت إلى المرأة التى كانت تطعمها، آملة فى بعض الحظ. ولكنها كانت غاضبة، وقالت، " لو أننى اعلم أن الأمر سيستغرق كل هذا الوقت! لقد جلبت لنفسى المتاعب لأسابيع..لدى قطة بالفعل..." ثم قالت بصوت ناعم، "كنت سأحتفظ بها لو استطعت ولكن..."

أخذت القطة ووضعتها فى سلة قطة مودى ووضعت الحيوان، وهى تموء فى سيارتى وقدتها إلى جمعية الرفق بالحيوان قبل أن تغلق أبوابها.

جنازة مودى اليوم

كانت مودى تدفع مالا بشكل أسبوعى لسنوات من أجل جنازتها. فى الأيام الصعبة، كانت تمتنع عن تناول الطعام لكى تستمر فى دفع أقساط الجنازة. حينما انتهت، كان هناك خمسة عشر جنيها. قدر كافٍ، إذًا، لكى تدفن بشكل لائق. أرادت أن ترقد بجوار أمها، فى بادنجتون، ولكن تلك المقابر كانت قد أفرغت وأعيد بناؤها منذ وقت طويل. لم تكن تعرف أن المقابر قد تغيرت ، ولا أن جنيهاتها الخمسة عشر تكفى بالكاد لتأجير مجراف.

الجنازة التى يقيمها المجلس لهؤلاء الذين يموتون بدون أموال كافية: لا أمانع فيها لنفسى، ولكننى لا أهتم بكل ذلك.

أدركت اليوم أننى انقطعت عن جنازة أمى وفريدى: كنت هناك، أفترض، ولكن هذا كل ما هناك. لقد كنت هناك بالتأكيد من أجل جنازة مودى...

يوم ربيعى جميل، سماء زرقاء شاحبة، سحب بيضاء مزدحمة، بعض قطرات ثلجية، زعفران تتناثر فى الأعشاب حول المقابر. جبانة مليئة بالعصافير.

حضر الأقارب، ولكن لم يكن بينهم أحفاد الأحفاد الذين كانت مودى تتوق لرؤيتهم. بالإضافة إلى ذلك، ففى هذه الأيام لا يمكن للأطفال العصريين أن يفهموا أبدا أى شىء أساسى مثل الموت والجنازات.

كان هناك ثلاثة وثلاثون شخصًا، كلهم أثرياء، يرتدون ملابس أنيقة، لا يبدو عليهم القلق.

كنت غاضبة، طوال الأمر كله. وكانت هناك ربة البيت المتسلطة، تترنح، بشكل متوقع، تتسند من الناحيتين على ولديها الأكبر سنًا.

بعد ذلك، جاء ابن ابنة الأخت وبدأ يتحدث عن مودى. أستطيع أن أرى ونحن نقف هناك، بجوار التلة الضخمة من الرمال الصفراء ذات الرائحة المنعشة، أنا فى كامل أناقتى من أجل حضور الجنازة، بذلة رمادية غامقة، قفازان أسودان، قبعتى السوداء (التى كانت مودى مولهة بها، قالت إنها أعجوبة!)، حذاء أسود اللون بكعب عالٍ بقر قدم تقريبًا، جوارب سوداء حريرية. تكبدت كل العناء لكى أشير إلى هذه الجماعة أننى كنت أكن تقديرًا لمودى. وكان هناك، رجل ضئيل الحجم، شاحب، تافه، وبدأت أتعجب ممن أشعر بالغضب. كان يبتسم، ويبذل أقصى جهده.

قدم نفسه قائلا: "خالتى مودى كان لها حس مرح تمامًا، وكانت تحب إلقاء النكات..."

وقال لى قصة سمعتها غالبًا من مودى. كان لدى الأسرة التى كانت تنظف منزلها محلاً للخضراوات والفاكهة، قالت لها السيدة ذات مرة، "هل تحبى أن تتذوقى فراولة هذا الموسم؟" ووضعت أمام مودى التى شحذت نفسها للتذوق ثمرة واحدة من الفراولة فى طبق كبير، مع طبق السكر والكريمة. أكلت مودى

الفراولة، ثم قالت للسيدة، "ربما تحبى أن تجربى الكريز من الشجرة فى حديقتى الخلفية؟" وجلبت للسيدة ثمرة كريز واحدة لذيذة فى حقيبة ورقية بنية كبيرة، و كانت تذكرها بالأمر كل حين وآخر.

فى هذا الوقت، تجمع عدد كبير. رأيت بعضهم فى مأدبة الغداء الشهيرة، و آخرين لم أرهم من قبل. كانوا شغوفين بصديقة مودى الأنيقة.

قلت، " كانت هناك قصة أخرى اعتادت أن تقصها علىّ: كانت لا تعمل بسبب إصابتها بالأنفلونزا وفقدت عملها كمنظفة. كانت تسير إلى المنزل وليس لديها أى نقود فى حافظتها وكانت تدعو، يارب ساعدنى، يارب أرجوك ساعدنى..ونظرت لأسفل ووجدت نصف كراون على الرصيف. وقالت، شكرًا ياربى. دخلت إلى أول متجر واشترت كعكة زبيب، وأكلتها وهى تقف هناك، فقد كانت جائعة جدًا، ثم اشترت خبزًا، زبدة، مربى وبعض اللبن. تبقت ستة بنسات. فى طريقها للمنزل دخلت الكنيسة ووضعت البنسات الست فى الصندوق، وقالت للرب، لقد ساعدتنى، و الآن أنا سأساعدك".

كانت حولى وجوه لا تعرف إن كان يتوجب عليها أن تضحك أم لا؟ أهى نكتة؟ لأن مودى كانت دائمًا مهرجة! بدت عليهم علامات الشك، تبادلوا النظرات الخاطفة، تعجبوا إن كان ينبغى أن يذكروا بعض الأحداث الماضية. وكنت أفكر، ما هى الفكرة من وراء ما قلت. لقد استبعدوا مودى منذ سنوات طويلة. ما

زالت الأخت (تنتحب بصوت مزعج والأرض ترتطم محدثة صوتًا مكتومًا غير قادرة على أن تتفهم كيف أنها استغلت مودى ثم استبعدتها، استغلتها واستبعدتها ثانية، وقالت إنها صعبة المراس، بطريقة أو بأخرى، وهكذا جعلت الأسرة تنساها. وقفت هناك أتأمل تلك الوجوه القلقة الغبية، وقررت ألا أتضايق.

وكان لديهم القرار الأخير، فى النهاية، حينما وصلت لسيارتى، جاء أحد الأبناء الكبار خلفى وقال بطريقة متغطرسة، " والآن، أفترض أنك ستجدين لنفسك عملا صغيرًا آخر، أليس كذلك؟"

وهكذا انتهى الأمر.

عدت للمنزل وأنا حانقة، أخذت أصفع الأبواب، و أتمتم لنفسى. مثل مودى.

حينما عادت جيل من المكتب وقفت تنظر إلىّ لبرهة، ثم تعمدت أن تأتى ناحيتى، أخذتنى من يدى، وقادتنى إلى كرسىّ الكبير.

وأنا أقف بجواره، اقتربت لتتناول قبعتى، ورفعتها عن رأسى، وناولتها إياها.

"قبعة جميلة، يا جانا" قالت جيل.

نظرت إلى قفازىّ، فنزعتهما و أعطيتهما لها.

"قفاز جميل"

أجلستنى برقة على الكرسى، أحضرت كرسيًا صغيرًا ووضعت ساقى عليهما، وقالت "حذاء جميل،".

"إننى غاضبة" قالت، "إننى غاضبة جدًا، حتى أننى يمكننى أن أموت من الغضب"

"أستطيع أن أرى ذلك"

"إن سمحت لنفسى بالتوقف عن الغضب، فسأولول و أصرخ".

"جولى، هذه فكرة جيدة"

"ولكننى غاضبة الآن"

"بشرط أن تعرفى ممن أنت غاضبة،" قالت جيل ابنة أختى، وذهبت لتعد لى فنجانًا لطيفًا من الشاى.

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

صدر من هذه السلسلة

١ ـ «ملكة الصمت» للكاتبة الفرنسية «مارى نيمييه» ـ رواية ـ جائزة ميديسيس.

٢ ـ «فتاة من شارتر» للكاتب الفرنسى «بيير بيجى» ـ رواية ـ جائزة «إنتر».

٣ ـ «موال البيات والنوم» للكاتب المصرى «خيرى شلبى» ـ رواية ـ جائزة الدولة التقديرية.

٤ ـ «أوائل زيارات الدهشة» للشاعر المصرى «محمد عفيفى مطر» ـ سيرة ذاتية ـ جائزة «سلطان العويس».

٥ ـ «اللمس» للكاتبة السعودية «ملحة عبدالله» ـ مسرح ـ جائزة «أبها».

٦ ـ «عاشوا فى حياتى» للكاتب المصرى «أنيس منصور» ـ سيرة ذاتية ـ «جائزة مبارك».

٧ ـ «قبلة الحياة» للكاتب المصرى «فؤاد قنديل» ـ رواية ـ «جائزة التفوق».

٨ ـ «ليلة الحنة» للكاتبة المصرية «فتحية العسال» ـ مسرح ـ «جائزة التفوق».

٩ ـ العاشقات ـ للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك» ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

١٠ ـ نوّة الكرم، للكاتبة المصرية نجوى شعبان، رواية، «جائزة الدولة التشجيعية».

١١- «الفسكونت المشطور» للكاتب الإيطالى ـ إيتالوكالڤينو. رواية (عدد خاص) جائزة «فياريچيو».

١٢- القلعة البيضاء / للكاتب التركى أورهـان باموق ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

١٣ - أين تذهب طيـور المحيط/ للـكـاتب المـصـرى إبـراهـيم عـبـدالمجيـد ـ أدب رحلات - «جـائـزة التفوق».

١٤ ـ قرية ظالمة / للكاتب المصرى محمد كامل حسين ـ عدد خاص ـ «جائزة الدولة للأدب».

١٥ ـ الرجل البطىء / للكاتب الجنوب أفريقى ج . م . كوتسى ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

١٦ ـ طحـالب / للـكـاتبـة الجنـوب إفـريـقـيـة مـارى واطسون ـ متتالية قصصية / «جائزة كين» .

١٧ ـ شوشا / للـكـاتب البـولـنـدى اسـحق بـاشـيـفـيس سنجر/ رواية / «جائزة نوبل».

١٨ - شـارع ميـجل/ للـكـاتب من تـريـنـداد/ ف. س. نايبول. رواية/ «جائزة نوبل».

١٩ ـ الحياة الجديدة ـ للكاتب التركى «أورهان باموق» ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

٢٠ ـ عـشـر مسرحيات مختارة ـ للكاتب الإنجليـزى «هارولد بنتر» ـ مسرح ـ «جائزة نوبل».

٢١ ـ الآخـر مـثـلـى - لـلـكـاتب الـبـرتـغـالى «جـوزيه ساراماجو» - رواية - «جائزة نوبل».

٢٢ ـ المستبعدون ـ للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك» ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

٢٣ ـ الأنثى كنوع ـ للكتابة الأمريكية «جويس كارول أوتس» ـ قصص ـ «جائزة بن مالامود».

٢٤ ـ ثلاثة أيام عند أمي ـ للكاتب الفرنسي «فرانسوا فايرجان» ـ رواية ـ «جائزة الجونكور».

٢٥ ـ اسطنبول.. الذكريات والمدينة.. للكاتب التركي «أورهان باموق».. «جائزة نوبل».

٢٦ ـ الطوف الحجري.. للكاتب البرتغالي «جوسيه سارامارجو».. رواية.. «جائزة نوبل».

٢٧ ـ نار وريبة.. للكاتبة الألمانية «بريچيتّه كروناور» مختارات جائزة «چورج بوشنر الكبرى».

٢٨ ـ الذكريات الصغيرة.. للكاتب البرتغالي «جوسيه ساراماجو» .. سيرة ذاتية.. «جائزة نوبل».

٢٩ ـ إليزابيث كُستّلُو.. للكاتب الجنوب إفريقي ج. م. كوتسي .. رواية.. «جائزة نوبل».

٣٠ ـ السيدة ميلاني والسيدة مارتا والسيدة جيرترود.. للكاتبة الألمانية بريچيته كروناور .. قصص.. «جائزة چورج بوشنر الكبرى».

٣١ ـ حين تقطعت الأوصال .. للكاتبة المكسيكية أمبارو دابيللا.. قصص.. «جائزة بيربياروبيا».

٣٢- مارتش.. للكاتبة الأمريكية «جيرالدين بروكس» رواية.. «جائزة البوليتزر».

٣٣ - اغتنم الفرصة.. للكاتب الكندى «سول بيللو»..
رواية.. «جائزة نوبل للآداب».

٣٤ - البصيرة.. للكاتب البرتغالى «جوسيه ساراماجو».. رواية.. «جائزة نوبل».

٣٥ - بريك لين.. للكاتبة الإنجليزية البنغالية.. «مونيكا على».. رواية.. «جائزة البوكر».

٣٦- بريد بغداد.. للكاتب التشيلى «خوسيه ميجيل باراس».. رواية.. «الجائزة الوطنية للآداب».

٣٧ - عن الجمال.. للكاتبة البريطانية «زادى سميث» رواية.. «جائزة الأورانج».

٣٨ - العار.. للكاتب الجنوب إفريقي ج. م. كوتسى.. رواية.. «جائزة نوبل».

٣٩ - قبلات سينمائية.. للكاتب الفرنسى إيريك فوتورينو.. رواية.. «جائزة الفيمينا».

٤٠ ـ هكذا كانت الوحدة.. للكاتب الإسبانى خوان خوسيه مياس.. رواية.. «جائزة نادال».

٤١ ـ الشلالات.. للكاتبة الأمريكية جويس كارول أوتس.. رواية.. «جائزة الفيمينا».

٤٢ ـ العشب يغنى.. للكاتبة الإنجليزية دوريس ليسنج.. رواية.. «جائزة نوبل».

٤٣ ـ العالم.. للكاتب الإسبانى خوان خوسيه مياس.. رواية.. «جائزة بلانيتا».

٤٤ ـ ميراث الخسارة.. للكاتبة الهندية كيران ديساى.. ر واية.. «جائزة البوكر».

٤٥ ـ الطفل الخامس.. للكاتبة الإنجليزية دوريس ليسنج.. رواية.. «جائزة نوبل».

٤٦ ـ بن يجوب العالم.. للكاتبة الإنجليزية دوريس ليسنج.. رواية.. «جائزة نوبل».

٤٧ ـ ثورة الأرض.. للكاتب البرتغالى جوزيه ساراماجو.. رواية.. «جائزة نوبل».

٤٨ ـ ملك أفغانستان لم يزوجنا.. للكاتبة الفرنسية انجريد توبوا.. رواية.. «جائزة الرواية الأولى فى فرنسا».

٤٩ ـ الكهف.. للكاتب البرتغالى جوزيه ساراماجو.. رواية.. «جائزة نوبل».

٥٠ ـ يوميات عام سئ.. للكاتب الجنوب إفريقى ج.م كوتسى.. رواية.. «جائزة نوبل».

٥١ ـ كازانوفا.. للكاتب الإنجليزى أندرو ميللر.. رواية.

٥٢ ـ إنقطاعات الموت.. للكاتب البرتغالى جوزيه ساراماجو.. رواية.. «جائزة نوبل».

٥٣ ـ العم الصغير.. للكاتب الألمانى شيركو فتّاح.. رواية.. «جائزة هيلده دومين لأدب فى المنفى».

٥٤ ـ اللعب مع النمر.. للكاتبة الانجليزية دوريس ليسنج.. مسرح.. «جائزة نوبل».

٥٥ ـ فى أرضٍ على الحدود.. للكاتب الألمانى شيركو فتّاح.. رواية.. «جائزة نظرات أدبية».

٥٦ ـ الإرهابية الطيبة.. للكاتبة الإنجليزية دوريس ليسنج.. رواية.. جائزة نوبل.

٥٧ ـ المسرحيات الكبرى جـ١ .. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر» .. مسرح.. جائزة نوبل.

٥٨ ـ المسرحيات الكبرى جـ ٢ .. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر». مسرح.. جائزة نوبل.

٥٩ ـ نصف شمس صفراء.. للكاتبة النيجيرية «تشيماماندا نجوزى آديتشى» .. رواية.. جائزة الأورانج.

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

يصدر قريبًا من هذه السلسلة

١ـ «الحوت».. جان مارى جوستاف لوكليزيو.. جائزة نوبل للآداب ٢٠٠٨.

٢ ـ رحلة العم مآ.. چان ديڤاسا نياما.. جائزة الأدب الكبرى لإفريقيا السوداء ٢٠٠٩.

٣ ـ مسيرة الفيل.. جوزيه ساراماجو .. جائزة نوبل فى الآداب ١٩٩٨.

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www. egyptianbook org.eg
E - mail : info@egyptian.org.eg

www.ibtesama.com/vb

الرواية

من الطريف فى أمر هاتين الروايتين... "مذكرات جارة طيبة" و"إن العجوز استطاعت". "أن دوريس ليسنج" حاولت نشرهما تحت اسم مستعار هو "جين سومرز" لتبين مدى الصعوبة التى يقابلها الكتاب الجدد فى محاولة النشر، وقد تم بالفعل رفض الروايتين من قبل ناشر ثم قبلهما ناشر آخر.

الروايتان متصلتان، وهما تمنحاننا وصفاً مكثفاً ولا يمكن تصديقه لعقل وروح المرأة... تنطلق الأحداث فى مذكرات جارة طيبة، حين تنقلب حياة صاحبة المذكرات "جين" رأسا على عقب بسبب امرأة مسنة وحيدة وشديدة الفقر، بينما تعمل هى محررة ناجحة فى مجلة نسائية وتتسم بالذكاء والجمال ومع تطور إعتماد "مودى" المسنة ذات التسعين عاماً على "جين" لكى تبقى على قيد الحياة. تكتشف "جين" كم هى تحتاج بدورها إليها.

شخوص الروايتين لا يمكن للمرء أن ينساها، ولا أن يتجاوز الأفكار الاجتماعية والسياسية والفلسفية المنثورة فيهما، ويمكن اعتبار الروايتين عودة للواقعية فى أعمال ليسنج الأولى حيث الحكمة ونضوج الخبرة.

قال الناقد "بليك موريسون" عن الروايتين: "لقد ساعدتنا "دوريس ليسنج" فى تغيير الطريقة التى نفكر بها فى العالم".

الروائية: دوريس ليسنج كاتبة إنجليزية.

الجائزة: جائزة نوبل فى الآداب عام ٢٠٠٧.

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ISBN# 9789774212720